الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد –تلمسان–

كلّيّة الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه – تخصص لغة وأدب عربي–

شعبة البلاغة والأسلوبية.

موســـومة :

جماليّة القلب في القرآن الكريم –السورالمكّيّة نموذجا –
دراسة بلاغيّة وأسلوبيّة.

الطالب: زكرياء بوجلول **الأستاذ المشرف : أ. د. عبد اللطيف شريفي**

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د. محمد عباس	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د. عبد اللطيف شريفي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا
أ. د. محمد زمري	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا
أ.د الشيخ بوقربة	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران01	عضوا
أ.د. محمد سعيدي	أستاذ التعليم العالي	جامعة مستغانم	عضوا
د. يوسف سعداني	أستاذ محاضر "أ"	جامعة سيدي بلعباس	عضوا

السنة الجامعية : 2018-2019م

بسم الله

الرحمن الرحيم

إهـداء

إلى والدتي الكريمة...

وترحما على روح والدي الطاهرة...

إلى زوجتي وأولادي...

إلى أساتذتي الكرام، وأخصّ منهم: الأستاذ المشرف، والأساتذة المناقشين...

إلى إخوتي وأحبابي وزملائي وأصدقائي...

إلى كل هؤلاء أهدي هذا الجهد

مقدمـــة

مقدمة

الحمد لله علّم القرآن، خلق الإنسان، علّمه البيان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله النبي الأكرم، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمّا بعد، فإنّ الدراسات البلاغية هي أصل الدراسات القرآنية وأكثرها جدّة وأثراها مذهبا، وإنّي لطالما تطلّعت إلى دراسة تنحو منحى من سلك سبيل التدبّر في كلام الله والارتواء من علومه التي لا تنفد، فكان هذا البحث عبارة عن مقاربة تحليلية ذات أبعاد جمالية تتخذ من القرآن فضاء لها، ولقد وسمناه: **"جمالية القلب في القرآن الكريم –السور المكّية نموذجا– دراسة بلاغية وأسلوبية"**، يقترن فيه التحليل الأسلوبي بالتذوق البلاغي والجمالي، باعتبار القرآن معجزة بلاغية وجمالية، تدل على خصوصية في طريقة الأداء والصياغة الفنية.

وتتميز العربية بأنّها لغة الترتيب والنظم والمنطق، أين يُستنطق التركيب بناء على مطابقته للقاعدة المعجمية والنحوية والدلالية، ففي الوقت الذي خُطّت فيه القواعد من أجل الحفاظ على اللغة من النحل والضياع؛ نجد أنها باتت من أسباب التضييق على المتكلّمين، باعتبارها عائقا ضدّ الإبداع من خلال مهامّها المعيارية تجاه اللغة.

هذه القواعد التي كثيرا ما ينقلب عليها نظام التأليف من أجل أن يبلغ بالكلام إلى إبراز معان لم يكن بمقدور التركيب في مستواه الأصلي أن يبلغها، إذ تعدّ الحرّيّة في اختيار الكلمة وتوظيفها توظيفا آنيّا، قد يخالف معناها المعجمي، وموقعها في الجملة تقديما أو تأخيرا، هي

كلّها من أدوات البيان لدى المتكلّم، يحصل به الإفهام والتأثير من جهة، ثمّ الذوق والمتعة الفنّية من جهة أخرى.

من أجل ذلك رأينا أن نفرد لمسألة القلب بحثا يجلّي حقائقه، ويبيّن بواعثه ومقاصده ووظائفه عن طريق تلمّس آثار القدماء والمعاصرين في الموضوع، والتي انتشرت في أبواب متناثرة وعلوم مختلفة كالنحو والبلاغة والتفسير والمنطق وأصول الفقه.

ولقد عنينا بالقلب، في هذا البحث، كلّ أسلوب بلاغيّ أساسه الخروج بالمعنى عن ظاهر اللفظ أو التركيب، إن على المستوى الصوتي، أو التركيبي، أو الدلالي، ورصدنا الآليات التي اعتمدها القرآن الكريم في الإبانة عن جماليته اللغوية، ورمنا ضمّ هذا الشّتات في هذا البحث، بحيث لم نكلّف النّفس عناء البحث في موضوع القلب إلا بما يجعل منه مدخلا للمزيد من البحوث لمن شاء التوسع فيه، من أجل ذلك لم يقتصر الجهد على الدراسة النظرية، وإن كان لابدّ منها في رسم مخطط البحث من خلال تسليط الضوء على تعريف مكوّنات الموضوع؛ بل اعتمدنا، غالبا، على الدراسة التطبيقية التي تتطلّب الوقوف على الكثير من الشواهد والأمثلة، وتتبّع مظاهر القلب في طرق التعبير البياني، ومحاولة الوقوف على أسراره الجمالية من خلال دوره ووظيفته البلاغية والأسلوبية.

ولا يتوصّل إلى استعمال اللغة العاطفية، أو اللغة الثانية إلا بعد أن يترسخ في الذهن قانون اللغة المحايدة أو الأولى، وهو ما يصطلح في تسميته بالمعنى الأصلي، أو أصل المعنى، ومدار الأمر فيه على قواعد النحو التي تحفظ اللسان من الزلل من أجل تأدية معنى بسيط ومفهوم يؤدي الغرض الأول أو الأساسي من الخطاب.

ولا تكتسي عملية البحث عن المعنى الحقيقي (الأصلي) أهمّيّة بالغة، إذ ليس وراءه كبير فائدة؛ بل تكمن الأهمّيّة في العودة إلى شروط استعمال اللفظ داخل السياق التركيبي والمقام التخاطبي، لنتمكّن من تمييز التوجيه البلاغي الخاص بالخطاب عن غيره من التوجيهات المحتملة الأخرى، لتظهر جلية فرصة التجاوز والتطوير والقدرة على التبليغ بما يناسب المقام.

ولقد تفتّق موضوع البحث نتيجة توجيه الأستاذ المشرف واقتراحه، فكانت أوّل حافز للباحث في بحثه، ليزيد من إشعاعه أنّ موضوعه بكر، إذ لم تظفر الظاهرة، فيما أعلم، بدراسة شاملة ومستقلّة تجمع شتاتها، وترصد صورها، وتجلّي أسرارها في القرآن الكريم، ممّا أبقى على الحقول المنضوية تحتها تعاني من التباعد والفرقة، فإنّ أسلوب القلب يعدّ من المباحث البلاغية الكليّة التي تعدّدت فروعها، وأمست مبثوثة ومشتتة في تضاعيف كتب البلاغة، ممّا صعّب من عملية إيجاد صيغة موحّدة تجمع بين تلك التوائم في خيط، الأمر الذي جعل الباحث يعدّ الموضوع جديراً بالبحث والاهتمام.

ونظرا للحظوة التي يتمتّع بها أيّ بحث اتّخذ من القرآن الكريم فضاء له؛ فقد عزمت، منذ ملامستي للكتب البلاغية، وبخاصة منها كتب التفسير، على مواصلة البحث العلمي في حمى القرآن الكريم دون سواه، محتسبا الأجر على الله، وراجيا أن يكون عملي خالدا وباقيا ما بقي القرآن الكريم يتلى ويتعبّد بتلاوته وتدبّره.

ويتقدّم أسباب اختيار الموضوع الرغبة الملحّة في إعادة الحياة إلى الدرس البلاغي، من خلال سلوك الطريق الفني والجمالي في دراسة مباحثه، فقد اعتمدنا التحليل والتعليل والمقارنة والذوق، على غرار ما كانت عليه في بداية أمرها، بدل التقعيد الصلب والتفريع الجاف، وما

آلت إليه البلاغة نتيجة الإفراط في الاستقصاء وتتبّع الجزئيات، أين انقلب البحث البلاغي من التوهّج والسموّ إلى الخبوّ والانحدار.

ولعلّ من أكبر الدوافع، أيضا، للخوض في هذا الموضوع، أنّني أقف مع آية واحدة أقرأها، وأكتبها، وأتأمّلها، وأجول بين أقوال العلماء من فقهاء ومفسرين ونحويين وبلاغيين، وغيرهم، لأستقي من تحليلاتهم وتأويلاتهم المختلفة التي تعبّر عن سعة كلام الله، واحتماله لشتّى المعاني التي تناسب كلّ منها حيّزها الزماني والمكاني، وإنها لأظهر معجزة أن تختلف الأفهام وتتواتر المعاني تترا بما يتماشى مع تطور الإنسان وتبدّل طريقة حياته وتفكيره عبر العصور، ويبقى القرآن ثابتا على صدقه، محفوظا كما أنزل على سيّد الخلق، صلى الله عليه وسلم.

وتكمن أهمّية البحث في جدّته عند العلماء المتأخّرين، وبخاصة منهم المتخصصين في الدراسات القرآنية والأسلوبية، كما يعدّ إبراز جماليات الأسلوب القرآني، ولا سيما حينما يخضع التركيب لأداة من أدوات القلب، إن على المستوى الصوتي أو التركيبي أو الدلالي، ممّا يمكّننا من تعيين جانب آخر من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم؛ هو الجانب الجمالي، لينضاف إلى ما سبق رصده من أوجه الإعجاز.

وسأروم من جهتي، في هذه الدراسة المتواضعة، توضيح فوائد القلب النظرية والتطبيقية، وانعكاس فهم الظاهرة على المتكلّم العربي عن طريق تنمية مهاراته وقدراته على الربط والاستدلال بناء على ما جادت به قرائح العلماء والباحثين.

ولقد حاولت خلال هذه الرحلة البحثية أن أتقصّى ظاهرة القلب في القرآن الكريم من خلال السور المكّية، وأقف على أثره البلاغي والأسلوبي، قصد تكوين فكرة منطقية عن الأسس الجمالية لظاهرة القلب تكون أداة في عملية الاستنباط المبني على الفهم الصحيح لمراد الله، سبحانه، من كلامه الموجّه إلينا لنتدبّره ونعمل به، من خلال الوقوف على التجلّيّات الجمالية لأساليبه، محاولا الإجابة على الأسئلة الآتية :

ما مفهوم القلب؟ وما هي الآليات التي يعتمدها؟ وماهي بواعثه ومقاصده؟ ثمّ ما الوظيفة الجمالية التي يؤدّيها؟

كما سنحاول أن نكشف عمّا إذا كان يراد من وراء أساليب القلب إيصال الحقيقة فحسب؟ وهل يروم الخطاب الديني من خلال القرآن الكريم إظهار الحقيقة فقط؟ وإلى أي مدى ينسحب مفهوم الجمال على الشكل والمضمون من خلال شواهد القلب في القرآن الكريم؟

وفي طريق الإجابة عن هذه الإشكالات تفرّع الموضوع إلى أربعة فصول بعد هذه المقدمة والتمهيد كالآتي:

تضمّن التمهيد تحديد مدخلات الموضوع والتعريف بمكوّناته، من خلال نظرات جمالية في القرآن الكريم، ليتمّ البحث في معالجة القرآن الكريم لموضوع الجمال.

ثم انتقل البحث إلى الآليات التي يعتمدها أسلوب القلب في تموضعاته في القرآن الكريم، انطلق من الفصل الأوّل بالمستوى الصوتي، وبدأنا الكلام فيه عن موسيقا القرآن الكريم، ثمّ تطرّقنا إلى بواعث الإيقاع في القرآن الكريم، لنصل إلى الحديث عن آليات القلب الصوتي في القرآن الكريم، وذلك بمعالجة الظواهر الإيقاعية المرتبطة بأسلوب القلب، باعتبار مراعاة الفاصلة القرآنية ركنا من أركان عملية النظم القرآني.

وعالجنا في الفصل الثاني: الآليات التركيبية التي أساسها ظاهرة التقديم والتأخير، وقسّمناه إلى مباحث على حسب الجزء من الجملة الذي يقع عليه القلب، واشتمل على نوعين من التقديم والتأخير، هما:

-في الجملة النحوية، بوجود العوامل والمعمولات، ويضمّ: التقديم والتأخير في أجزاء الجملة والمساس بالمرتبة الأصل، ونقل مركز الثقل الدلالي من جزء إلى آخر في التركيب، مثل: تقديم الفاعل، وتقديم المفعول، والظرف، والحال، وتقديم جواب الشرط على فعله، ...، إلى غير ذلك من أوجه الظاهرة.

-في غير العامل؛ وتشمل الانتقال من تقديم كلمة على أخرى في موضع أو عدّة مواضع من القرآن الكريم، ويكون تقديمها موافقا للأصل، ثمّ تؤّخر عنها في موضع آخر، وقد حاولنا الوقوف على الأغراض البلاغية واللمسات الأسلوبية لهذا النوع من القلب في المراتب غير النحوية في العبارات القرآنية، لأن الترتيب من أهمّ خصائص نظم الكلام، وهو وسيلة المتكلّم في الإفهام والتبليغ، ومطيّة المتلقّي إلى الفهم والتفاعل.

وخصّصنا الفصل الثالث للآليات الدلالية، من خلال مجموعة من الظواهر التي تنبني على قلب المعنى؛ مثل: القلب الإسنادي، والقلب الوظيفي، والتهكم، والمبادلة، والتغاير، والمقابلة، والافتنان، والالتفات، والحذف...، إلى غير ذلك من الأساليب التي تعتمد في أساسها على قلب الدلالة.

وتوقّفنا في الفصل الرابع مع الأغراض البلاغية والبواعث الأسلوبية للقلب، والتي جعلت من القرآن الكريم خطابا يراد منه الإبلاغ عن طريق التأثير البياني والتذوّق الجمالي، وذلك باستثمار جميع الطاقات الكامنة التي تزخر بها العربية لغة البيان والجمال.

ثمّ ختم البحث بخلاصة ما توصلنا إليه من الملاحظات والنتائج.

كما ذيّلنا البحث بفهرس للآيات، قصد توجيه القارئ إلى موضع الشاهد في متن الدراسة بكل يسر.

ولمّا كان البحث يحتاج إلى منهج يسدّد خطواته ويسير عليه، فقد اتّبعت في عملي هذا المنهج الوصفي التحليلي، كون المدوّنة وطبيعة الموضوع يفرضان ذلك، إذ من خلاله يتمّ وصف ظاهرة القلب ووسائلها المختلفة، وتتبع عناصر البحث من خلال ما يحويه من المفاهيم المختلفة لضبطها، ثم عرضها على محكّ التحليل والاستنباط، معتمدا، تارة، على تتّبع الظاهرة من خلال كتب البلاغة والنقد والتفسير، وتارة أخرى على الاجتهاد الشخصي مستعينا بالتلاوة التدبّرية لرصد التموضعات غير العادية للمعاني والألفاظ في مجرى السياق القرآني، ومناقشة آثارها المعنوية والأسلوبية.

والبحث يتعدّى حدود البلاغة إلى دراسة أسلوبية متكاملة، ينطلق برسم حدود المعنى، ثم توظيفه في تحديد ملامح الصورة، ثمّ الوقوف على التجلّيات الجمالية من خلال اتّحاد الصوت مع النسق الإيقاعي ومضمون الصياغة مع الأثر العاطفي المنبثق عن التعبير القرآني، ولا يتأتّى ذلك إلا بعد الكشف عن المستور من المعاني المتخفّية من وراء الصياغة القرآنية، والوقوف على التغيّر اللطيف والدقيق في الدلالة المنبثقة من التقلّب في مواضع الكلمات ومعانيها داخل التراكيب، إذ تعدّ لغة القرآن مشحونة بالمثيرات البلاغية لتجرّ المتلقي إلى الحضور الكلي عقلا ووجدانا فيتمّ التفاعل، ويتجاوز الإنسان القراءة الشكلية إلى قراءة تجعل منه يتّحد مع موضوع الخطاب الإلهي.

وكانت غاية البحث أن نكشف عن قسمات الجمال في البناء التركيبي والمعنوي، بحيث تعدّ جمالية القلب غاية هذا البحث، ثم تنقلب إلى وسيلة للكشف عن وجه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، محاولين الوصول إلى قراءة جديدة تأخذ في الحسبان طبيعة البنية المقلوبة، وإثبات أنّ الجمال سبب من أسباب الإيمان، وعنصر من عناصره، والقيم الجمالية الفنية تحمل على جناحها ما يعمق هذا الإيمان ويقويه، ويجعله وسيلة للسعادة والخير في هذه الحياة.

وكأي باحث، فقد كان لابد من مجابهة العقبات التي تعترض طريقه في البحث، إلا أنّها لم تزده إلا إصرارا ومكابرة، سأذكر ما تعلّق منها بالموضوع، وعلى رأسها مسألة القدسية التي

تحوط بالمدوّنة، كونها كتاب الله الّذي ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾[1]، ممّا يُجبر كلّ من يتعرّض لدراسته أن يلتزم بالمسؤولية والإجلال.

إلى جانب أنّ أيّ بحث فيما يتعلّق بالقرآن وعلومه وجمالياته يعتريه النقص، وذلك راجع إلى قصور الجهد البشري أمام الكمال المطلق للنظم القرآني.

كما يعدّ الزخم الهائل من المؤلّفات حول القرآن الكريم وتفسيره وبلاغته أهمّ ما واجهني من الصعوبات، ذلك أنّ الاطّلاع على جميع الأقوال للظفر بما يناسب الموضوع يستلزم وقتا وجهدا كبيرين.

إضافة إلى معوّقات أخرى أنزّه القارئ الكريم عن قراءتها، وهي ما كانت نتيجة المشاغل الحياتية والتي لم يسلم منها أحد من الناس.

إلا أنّ الرغبة كانت أقوى في الإفادة من الإرث المبثوث في كتب البلاغة والتفسير والإعجاز، وتوظيفه في تحليل النص القرآني تحليلاً بلاغياً للوقوف على الأسرار البلاغية وبيان قيمتها البيانية والأسلوبية في خدمة الأهداف والمقاصد الدينية، فجاءت هذه المحاولة المتواضعة أمام عظمة النص المعجز، وما عليه من هيبة وجلال، يحدوها الطموح والأمل، ويراودها ما يراود الدارسين في هذا الميدان، من التردد والوجل أمام إعجاز القرآن.

ولقد عمدنا في هذا البحث أن ننتزع الصورة الأدبية من اجتماع اللفظ والمعنى، ثم نخضعها لميزان الذوق الفنّي بغية تلمّس الجمال في التعبير القرآني، مكتفين بالقسط الذي يفوح من وراء استخدام أساليب القلب، على أن الصورة الأدبية هي كلّ لا يتجزّأ من اجتماع اللفظ

---

[1] **فصلت ، 42**

(بنية وصوتا)، والمعنى (ظاهرا وباطنا)، وملابسات الموقف الكلامي، وانعكاس ذلك على فهم المخاطب ومشاعره بما يخدم دواعي الاستجابة والاتّباع، إذ تعمل لغة القرآن الكريم على جعل الإنسان، (المتلقي)، يتفاعل مع الخطاب عن طريق المشاركة والاستمتاع.

ولن يقتصر البحث على دراسة مظاهر القلب اللغوية دون الوقوف على قسماته الجمالية؛ لأنّ كلا الموضوعين صارا متداخلين ومتلازمين، ولا ينفكّ أحدهما عن الآخر، إلى درجة أن بات من المستحيل أن تستغني البلاغة العربية عن أحدهما البتّة، فكانت مهمّة البحث الأساسيّة هي إماطة اللثام عن القيم الفنّيّة المستقاة من أسلوب القلب، وإرشاد المتلقّي إلى أسباب الحسن والروعة التي يتميّز بها الخطاب القرآني، باستخدامه أدوات القلب المختلفة، لتقاس بعد ذلك إمكانية الاستجابة على حسب التكوين العقلي والوجداني لدى المخاطب.

بقي أن أشير إلى أوّل ثمرة من ثمرات هذا العمل، وهي الصحبة التي نلتها من مكتشف الموضوع ومهندسه؛ الأستاذ الدكتور عبد اللطيف شريفي، والذي رافقني طيلة إنجاز هذا البحث بجهوده وتوجيهاته، وغمرني بعطفه وإحسانه، فلم تكن العلاقة علاقة أستاذ بطالبه؛ ولكن علاقة أب بابنه، لما لمست منه حثّه الدائم على مواصلة البحث في موضوع الرسالة، وحرصه الشديد على سلامته من النقائص والهانات.

ولست أدّعي بلوغ منتهى الغاية من البحث، ولكن أرجو أن يكون هذا العمل في وجهته الصحيحة، فما من توفيق فمن الله وحده، وما من حيف أو زيغ فمن نفسي ومن الشيطان الرجيم، وعلى الله قصد السبيل، وعليه التكلان، والحمد لله رب العالمين.

زكرياء بوجلّول – تلمسان–

بتاريخ: 03 رجب 1440هـ الموافق لـ: 10 مارس 2019م.

تمهيد

تحديد مُدخلات الموضوع

1- **من الجمال إلى الجمالية**

2- **مفاهيم عن القلب**

تمهيــد: تحديد مُدخلات الموضوع

1- من الجمال إلى الجمالية:

تتدرّج المعرفة لتصل إلى الحقيقة انطلاقا من العلم ثم العين ثم الحق، إلا أنه فيما يخصّ الجمال فحقيقته تنطلق من الحق ثم اليقين إلى العلم، هذا الأخير الذي ظلّ يراوح مكانه ضمن دائرة ضيقة من الآراء والمفاهيم التي تحوم حول كنهه وماهيته، لا يكاد عالم أو فيلسوف أن يقبل بكلام غيره عنه كما هو؛ بل ينقده أو يضيف إليه، أو يعارضه أحيانا، وهي مشكلة ابستيمية المفاهيم في مختلف العلوم الإنسانية بدءا من الفلسفة ذاتها.

تماثل كلمة الجمال في صعوبتها كلمات مثل السعادة والموهبة والفن، وذلك لأنّ هذه الكلمات غالبا ما تعني أشياء كثيرة، أما إذا استطعنا أن نستخدمها باعتبارها رمزا لمحتوى أو موضوع خاص، فإنّها يمكن أن تعطي معنى وثيق الصلة بالموضوع[1].

والجمال لغة: "مصدر الجميل، والفعل جمُل، وقد ورد في القرآن الكريم بصريح لفظه في عدّة مواضع؛ كما في قوله تعالى:﴿ **وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ** ﴾[2]، والآية بمعنى البهاء والحسن"[3]، والجمال في الآية يعبّر عن مقصد من مقاصد اتّخاذ

---

[1] ينظر: التفضيل الجمالي، شاكر عبد الحميد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس 2001، ص17.

[2] النحل ، 6.

[3] لسان العرب، ابن منظور، تح: عبد الرحمان محمد قاسم النجدي، دار صادر، ط1، بيروت، 1992، ج3، ص202.

الأنعام، وفي قوله تعالى، على لسان سيدنا يعقوب، عليه السلام: ﴿ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ ﴾[1]، والصبر الجميل هو "الذي لا تسخّط ولا جزع ولا شكوى فيه للخلق"[2]، وفي قوله عزّت كلماته: ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴾[3]، ويكون الصبر جميلا إذا علم العبد أنّ منزّل البلاء هو الله، سبحانه، وفي قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾[4]، ويتضمّن الإعراض بالحلم والإغضاء[5]، ووردت وصفا للهجر في قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾[6]، "فلا تخالطهم إلا فيما أمرك الله به على ما حدّه لك من دعائهم إليه، سبحانه، ومن موافاتهم في أفراحهم وأحزانهم فتؤدّي حقوقهم ولا تطالبهم بحقوقك لا تصريحا ولا تلويحا"[7].

كما ورد الجمال في القرآن الكريم بمعناه دون لفظه، بل اتخذ من بعض الألفاظ الأخرى شكلا له، وهي ألفاظ تتقاطع مع لفظ الجمال في قدر كبير مشترك من المعنى، من

---

[1] يوسف ، 18، و73.

[2] إتحاف الإلف بذكر الفوائد الألف والنيف من سورة يوسف –عليه السلام، محمد بن موسى نصر، وسليم بن عيد الهلالي، مكتبة الرشد ناشرون، المملكة العربية السعودية، ط1، 2003م، ج1، ص732.

[3] المعارج ، 5.

[4] الحجر ، 85.

[5] ينظر: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، تعليق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3 ، 2009، ج14، ص564.

[6] المزّمّل ، 10.

[7] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، ج29، ص18.

مثل لفظ الزينة، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ** ﴾[1]، والتزيين ليس مقصورا على السماء وحدها؛ بل شمل تفاصيل الحياة كلّها، على نحو ما نجد في قوله تعالى: ﴿ **ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ** ﴾[2]، وصفا للحياة الدنيا بأنّها مجرّد زينة، وأنّ الزينة قد استغرقت جميع الحياة الدنيا.

وفي معنى الحسن؛ قال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ** ﴾[3]، "أي كل مخلوق خلقه الله، فإن الله أحسن خلقه، وخلقه خلقا يليق به ويوافقه"[4]، والله، تعالى، خَلْقُه حسن وكلامه حسن، والقرآن جمع محاسن الجميع من أنواع الكلام[5]، على نظم منفرد ليس في غيره شيء منه.

وفي معنى التسوية، قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ** ﴾[6]، أي: "جعلك سويّا سالم الأعضاء"[7]، كلّ عضو معدّ لوظيفته ومنافعه، وجعل خلقتك حسنة وقامتك مستوية، كما

---

1 **الحجر ، 16.**

2 **الحديد ، 20.**

3 **السجدة ، 7.**

4 **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياظ، المملكة العربية السعودية، ط2، 2002م، ج21، ص768.**

5 **ينظر: روائع البيان في إعجاز القرآن، محمد سالم محيسن، ، دار محيسن للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2002ص28.**

6 **السجدة ، 9**

7 **الكشاف، الزمخشري، ج30، ص1185.**

قال، سبحانه: ﴿ **لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ** ﴾[1]، فالتسوية تتضمّن جمال الشكل والمضمون معا، وأعلاها أن شرّف الله الإنسان بالتكليف وأنطق لسانه بذكره، وفضله على كثير من خلقه تفضيلا.

وحقيقة الجمال صفة من صفات الكمال الإلهي، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلّم: (إنّ اللهَ جميلٌ يحبّ الجَمال)[2].

والجمال: الحسن يكون في الفعل والخلق، فهو صفة تشمل المحسوس والمجّرد من الأشياء، "والجمال يكون في الصورة بحسن التركيب يدركه البصر ويلقيه في القلب، فتتعلّق به النفس من غير معرفة، وفي الأخلاق باشتمالها على الصفات المحمودة، كالعلم والعفّة والحلم، وفي الأفعال بوجودها ملائمة لمصالح الخلق، وجلب المنفعة إليهم وصرف الشر عنهم"[3]، ومنه نستشفّ أنّ من بين معايير الجمال أن يكون له أثر على القلب يترجمه حصول المتعة واللّذّة، بالإضافة إلى الأثر المنفعي، المتمثل في دفع الضرر وجلب الفوائد.

والجمال "هو ما يثير فينا إحساسا بالانتظام والتناغم والكمال، وقد يكون ذلك في مشهد من مشاهد الطبيعة، أو في أثر فنّيّ من صنع الإنسان، وإننا لنعجز عن الإتيان بتحديد واضح لماهية الجمال؛ لأنّه في واقعه إحساس داخلي يتولّد عند رؤيته أثرا تتلاقى فيه

---

[1] التين ، **4**

[2] **صحيح مسلم، أبو الحسن، راجعه: هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1422هـ/2001م، كتاب الأيمان والنذور، ص 54.**

[3] **تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهيد بابن حيان الأندلسي، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1993، ج5، ص461.**

عناصر متعدّدة ومختلفة باختلاف الأذواق، ومعرفة الجمال ليست خاضعة للعقل ومعاييره؛ بل هي اكتناه انفعالي"[1]، فالجمال يدرك ولا يقاس، ولا يحدّد مصدره بدقّة؛ لأن مرجع الحكم فيه إلى العاطفة، والعواطف تتكوّن بشكل ذاتيّ في الإنسان الذي تختلف أذواقه بحسب اختلاف تكويناته العاطفية، فإن وُفِّق المحلِّل الذواقة إلى الإحساس بذلك الجمال؛ فإنه يظل عاجزاً عن وصفه أو قياسه بموضوعية صرفة، ويبقى جمال العمل الفني يكمن في جمال موضوعه، وجمال أسلوب التعبير عن هذا الموضوع .

إلا أنه يمكننا اعتبار مقياسين أو نوعين من الجمال انطلاقا من مستوياته في القرآن الكريم أو في أي نص أدبيّ آخر، فالمستوى الصوتي يتشارك فيه جميع الناس؛ لأنّ مصدر الجمال فيه محسوس، وله أثر واحد على جميع الأسماع، فحينئذ يمكننا أن نقول بالجمال الموضوعي في وصفنا للقرآن الكريم من الناحية الإيقاعية والصوتية، ولعلّ في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ** ﴾[2] ما يثبت ذلك، فالرسول، صلى الله عليه وسلّم، مكلّف بتبليغ رسالة الإسلام إلى الناس جميعا، إلا أنّ هنالك فئة لن تنتفع بدعوته، وهم من شملهم قوله تعالى: ﴿ **أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ** ﴾[3]، وهو المطواع لهواه ، ولقد شبّه المعرض عن دعوة الرسول بمن تعطّل سمعه؛ لأنّ انتفاء السمع لدى

---

[1] **المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2 ، 1984، ص85.**

[2] **النمل ، 80.**

[3] **الجاثية ، 23 .**

المخاطَب يؤدّي إلى امتناع الفهم وانقطاع الرجاء في الاستجابة، ومن ثمّ تنتفي الجدوى من الخطاب، والمعني بالوعيد قد طُبع على سمعه فهو لا يسمع الوعظ، وطبع على قلبه فهو لا يفقه الهدى[1] .

وإذا وُجِد السمع وُجِدت معه فرصة الاستجابة، فالسمع وحده كفيل بأن يحقّق النتيجة من الخطاب، وهو شرط مشترك في المخاطبين، ولن يختلف اثنان في رشاقة العبارات وطلاوة الألفاظ، إن وجدت، والتناسب الصوتي في تأليفها فيما بينها، بالإضافة إلى انسجام أصوات حروفها مع معانيها.

أما الجمال الذاتيّ فيرتبط أكثر بالمعنى، وهو خاص بمن يملك أدوات التحليل البلاغي للغة، فلا يُسأل عنه إلا من يتكلّم لسان العرب ويملك ناصية العربية ويحيط بمناحي تصريف الكلام وأغراضه، والناس في ذلك درجات، ممّا يجعل الأفهام تختلف من مخاطب إلى آخر بحسب تكويناتهم اللغوية وخلفياتهم الفكرية والعقدية وإحاطتهم بظروف الخطاب.

ومنه نستطيع القول: "إن الجمال يرتبط لدى الكثيرين بالمشاعر الحسية المتميزة التي يستثيرها بداخلنا الموضوع الجميل"[2]، ولكي تتحقق الإثارة فلا بد من توافر المثير، (الخطاب)، والمستقبل الذي تكون منه الاستجابة.

---

[1] ينظر: فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الكلم الطيب، دمشق-بيروت، ط2، 1998، ج25، ص11.

[2] :نفسه، ص17.

وفيما يخص اللغة، فإنّ الجمال يتشكل من اجتماع عناصر متعدّدة في النص، وتتداخل في إدراكه وتذوّقه جميع الحواس، والتي بدورها تتفاعل مع القلب، ليتكوّن بعد ذلك التصوّر الجمالي وتحصل المتعة الفنّية[1].

وأما الجماليّة فإنها المعنى المجرّد لمجموع الصفات الخاصّة بالجمال[2]، وباعتبار الجمال صفة فإنّ الجمالية هي صفة الصفة، وهو الأمر الذي يزيد في صعوبة الوصول إلى تحديد مفهومها بدقّة ومن دون خلاف بين الدارسين، وقد عبّر عنها بعضهم بأنّها هي الفنّ من أجل الفنّ[3].

ويتمثّل الغرض من الخطاب في أحد شيئين، هما: الإخبار، أو الإمتاع، بغضّ النظر عن الصحة والخطأ فيما يتعلّق بالإخبار، أو المتعة والألم فيما يخصّ الإحساس، ثمّ لا بدّ من الإشارة إلى أن العلاقة بين الفنّ والمتعة ليست ضرورية[4]، فنحن دائما نحكم على الأعمال الفنّيّة بأنّها جيّدة أو ذات قيمة (اجتماعيّة، أو ثقافيّة، أو إنسانيّة)، وليس معنى ذلك أنّها ممتعة دائما، مع أن الإمتاع يبقى من أهمّ خصائص الفن.

ومن جهة أخرى فإنّ عملية الفهم تتداخل فيها عوامل عقلية وأخرى نفسية.

---

[1] **جمالية الخطاب في النص القرآني، لطفي فكري محمد الجودي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة ، ط1، 2014، ص58.**

[2] **ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط8، 1987، ج3، ص186.**

[3] **ينظر: الجمالية، ر.ف جونسون، تر: عبد الواحد لؤلؤة، دار الحرّيّة للطباعة، بغداد، 1978، ص65.**

[4] **فلسفة الفنّ، مدخل إلى علم الجمال، جوردون جراهام، تر: محمد يونس، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2013م، ص14.**

فأما النفسية؛ فتعود إلى ما يتوافق مع فطرة النفس ذاتها، "فكما أن العين تألف المرأى الحسن، وتتقذّى بالمرأى القبيح الكريه، والأنف يقبل المشمّ الطيّب، ويتأذّى بالمنتن الخبيث، والفم يلتذّ بالمذاق الحلو، ويمجّ البشع المرّ، والأذن تتشوف للصوت الخفيض الساكن، وتتأذّى بالجهير الهائل، واليد تتلذّذ بالملمس اللين الناعم، وتتأذّى بالخشن المؤذي...، فإن الفهم بدوره "يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق، والجائز المعروف المألوف، ويتشوّف له، ويتجلّى له، ويستوحش من الكلام الجائر الخطأ الباطل، والمحال المجهول المنكر، وينفر منه ويصدأ له"[1]، ذلك أنها تأنس وتتشوّف لما يتوافق مع حالاتها، ويحدث فيها أريحية وطربا.

وأما العوامل العقلية، فتندرج تحتها التفاصيل المنطقية التي يتم الحجاج على أساسها، وتكون وفق ترابط المعطيات وتوافر الأدلة التي يقوم الحكم عليها بالصحة أو الخطأ، لتكتمل بذلك شروط عمل الذهن في اجتماع العامل العقلي أو المنطقي مع العامل النفسي المتمثل في الجمال، لتكتمل بذلك شروط عمل الذهن في اجتماع العامل العقلي أو المنطقي مع العامل النفسي المتمثل في التذوّق الجمالي.

والدعوة إلى إبراز محاسن التلاوة كانت جليّة من خلال قوله تعالى: ﴿ **وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً** ﴾[2]، "ترتيلا تبدو فيه نغمة الألفاظ ورنينها وحسنها"[3]، ولقد وردت أحاديث كثيرة

---

[1] **عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، تح: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2005م، ص20.**

[2] **المزّمّل ، 4.**

[3] **الفواصل القرآنية، التناسب الإيقاعي والوفاء بحق المعنى، رافع محمد بيت المال، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الأول، العدد العاشر، 2018، ص37.**

في حسن ترتيله، صلى الله عليه وسلم، وأمره به، فقد جاء في فضائل القرآن: عن قتادة قال: "سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي، صلى الله عليه وسلم فقال: "كان يمدّ مدّا"[1]، وحروف المدّ عند القرّاء هي الألف والواو والياء، وقال أبو إياس: "سمعت عبد الله بن مغفل قال: رأيت النبي، صلى الله عليه وسلم، وهو على ناقته أو جمله يسير به وهو يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح قراءة ليّنة وهو يرجّع"[2]، والترجيع هو ترديد الصوت.

يتبيّن من هذا أنّ قراءة النبيّ، صلى الله عليه وسلّم، اعتمدت الترتيل على أنّه "طريقة من طرق الأداء والقراءة"[3]، يتضمّن العناية بإخراج الحروف من مخارجها، وإعطاء الصوت حقّه، ومراعاة مواطن المدّ والغنّة والوقف والسكت...، إلى غير ذلك من أحكام التجويد، و"هذا النوع من الترتيل يضيف إلى إيقاع القرآن الكامن في نصه إيقاعا آخر طارئا عليه من خلال الأداء والقراءة"[4]، واجتماع الإيقاعين يضيف إلى جمال المعنى جمالا صوتيا، يشدّ المخاطب إلى التدبّر والاستمتاع.

وتحسين الصوت في التلاوة مطلوب شريطة أن يكون من أجل التدبّر والخشوع، ولقد أمر الرسول، صلى الله عليه وسلم، بتحسينه وتزيينه في أثناء القراءة، فقال (ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن)[5]، وقال: (زيّنوا أصواتكم بالقرآن)[1]، و قال ابن مسعود، رضي الله عنه: (لا

---

[1]:صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، سنة **1981**، ج**6**، باب: مدّ القراءة، ص**112**.

[2]تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت**774**)، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط**2**، **1999**، ص**88**.

[3]روائع البيان في إعجاز القرآن، تمام حسان، ص**272**.

[4]نفسه ، الصفحة ذاتها.

[5] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج**1**، ص**61**.

تنثروه نثر الرمل، ولا تهذّوه هذّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحرّكوا به القلوب، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة)[2]، وهي أوامر باتباع طرق التجويد والعناية بالإيقاع الخاص الذي يميّز القرآن عن باقي النصوص.

ولأنّ "البلاغة لا تقاس بجهاز آلي يتحسس صور التراكيب ومبلغ التصرف في أجزائها"[3]، فقد يكون هنالك خلاف حول الشكل بالنسبة إلى المتلقين في تقبلهم لموضع الجمال، وينطبق هذا على الصوت أيضا، بينما نستطيع أن نحقق إجماعا في إمكانية بلوغ المعنى المراد إلى جميع المخاطبين من خلال سلوك طريقة معينة في الكلام.

فلو أجرينا اختبارا صوتيا على مجموعة من المستمعين لتحديد إن كان الصوت المسموع جميلا أو لا، فإننا نجزم بعدم تحقّق الإجماع من خلال تجارب الحياة الطويلة في معاملة مثل هذه الحالة؛ لأن الذوق حينما يكون تلقائيا يبدأ دائما بالحواس، وهي تختلف من شخص إلى آخر على حسب الخلفيات الفطرية والحسيّة والفكرية،[4] وعلى العكس من ذلك؛ فلو اختبرنا المجموعة نفسها حول تحديد المعاني المستقاة من تركيب محدّد، ثم نقوم بتشويش نظامه الترتيبي أو الإسنادي، فإننا نحصل على نتيجة متوافقة بين الجميع بشرط أن تتوفّر فيهم شروط الفهم الصحيح للغة.

---

[1] نفسه ، ص62.

[2] نفسه، ج8، ص250، وقال رواه البغوي.

[3] الأسلوبية والبيان العربي، محمد عبد المنعم خفاجي، ومحمد سعدي فرهود، وعبد العزيز شرف، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1992، ص54.

[4] ينظر: الإحساس بالجمال، جورج سانتيانا، تر: محمد مصطفى بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2001، ص128.

وبمقدور المتكلّم أن يبلغ بخطابه مقاما ساميا إذا اخترق القوانين العرفية المتواضع عليها في تأليف الكلام، وهو ما يسميه البعض (اغتصاب اللغة)، فالحالة الشعورية أو العاطفة قد تترجم إلى عملية الخروج عن القاعدة المطّردة، فيكون، إذا، التسلسل في تصنيف الكلام من: نعيق، إلى كلام محايد، إلى كلام بليغ يستحق إعادة النظر، لأننا في الحالة العاطفية نعمل على مخالفة القواعد النحوية قصد التعبير عن حالة شعورية أو عاطفية لا تعرب عنها الكلمات أو التراكيب النحوية السليمة، في وقت يبقى فيه التعبير أدبيا يسمو فوق الكلام العادي المبني على القاعدة النحوية التي تعتمد قانون الصحة والخطأ.

فلكي نعبّر عن عواطفنا ومشاعرنا فإننا نعدل عن المألوف في تأليف كلامنا بغية تنبيه السامع، أو حبسه في دائرة الخطاب الموجّه إليه، ذلك ما يسمى باللغة العاطفية، التي تقابلها اللغة المحايدة[1]، وهي ما لا يعتمد فيها على الأساليب البلاغية، أو نقول هي اللغة التي لا يكون الإمتاع أحد الأغراض من تأليفها، ويكون العمدة في بناء تراكيبها هو العلم بالنحو والمعجم.

والفصاحة تعني الإتيان بالألفاظ الوجيزة والفصيحة وتجنّب الألفاظ الوحشية، مع الوفاء بالإبانة والإفصاح، ثمّ لا يضرّ الفصيح إذا لم يفهم عنه من ليس له حظّ في البيان، فإنّ نور الشمس لا ينقص وضوحه إذا لم يره الأعمى[2].

---

[1] **في فلسفة البلاغة العربية (علم المعاني)، حلمي علي مرزوق، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1999، ص69، نقلا عن ماكس بلاك.**

[2] **ينظر: الطراز، ج2، ص90.**

والأسلوب هو "تغييرات تطرأ على الطريقة التي تطرح من خلالها هذه المعلومات مما يؤثّر على طابعها الجمالي، أو على استجابة القارئ العاطفية"[1]، فإن جمال العمل الفني يكمن في جمال موضوعه، وجمال أسلوب التعبير عن هذا الموضوع، والسمات الأسلوبية قد تكون صوتية: (الإيقاع والوزن والقافية)، أو جملية من خلال أنواع التركيب الجملي، أو معجمية، أو بلاغية؛ من خلال الاستعمال المتميّز للمجازات والصور، وغيرهما.

ولعلّ أهم رافد من روافد الإعجاز القرآني هو أسلوبه ونظمه، ونقل صاحب التحرير والتنوير عن السكاكي قوله: "واعلم أن شأن الإعجاز عجيب لا يدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها، أو كالملاحة، ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا، وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين (المعاني والبيان)، نعم، للبلاغة وجوه متلثمة ربما تيسرت إماطة اللثام عنها لتجلى عليك، أما نفس وجه الإعجاز فلا"[2].

والأشياء الجميلة تبدو أكثر وضوحا إذا نبعت من وسط يحيط به ما ينافيها ويضادّها، فإنّنا نستحسن الجود؛ إلا أنّه عندما يكون مقرونا مع الحاجة نزيد في استحسانه، كما يؤثّر العفو في متلقّيه، بينما يكون أكثر تأثيرا بوجود القدرة على إنفاذ الانتقام، وكذلك العفّة تكون أفضل في اعتراض الشهوات والتمكّن من الهوى، ومثلها يكون الزهد أحسن في حال إقبال الدنيا على الإنسان.

---

[1] الأسلوبية والبيان العربي، محمد عبد المنعم خفاجي، ومحمد السعدي فرهود، وعبد العزيز شرف، ص11.

[2] التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ط: 1984، ج1، ص107.

وبالمقابل تكون الخصال المذمومة أشنع وأقبح إذا كانت مقرونة بما يدعو إلى تركها والابتعاد عنها، فإنّ الكِبْر أقبح ما يكون إذا كان مقرونا مع الفقر، والبخل أشنع مع الغنى[1]، ومنه نستشفّ أنّ النتيجة القبيحة إذا نشأت معاكسة لسببها المنطقي تكون قد اكتست لباسا يزيدها تدنيّا وقبحا، وهو ما يفسّر السبب في أن يتوعّد الرسول، صلى الله عليه وسلّم، ثلاثة من هذه الأصناف في قوله: (ثلاثة لا يكلّمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وعائل مستكبر، وملك كذّاب)[2].

ولقد رأينا أنه من الأفضل أن نستكشف القيمة الروحية والمعنوية للجمال الفنّي في موضوع القلب على أن نبحث في ماهية الجمال والجمالية، وأن نعمل على إيضاح السبل والآليّات التي توصل قارئ القرآن إلى الإدراك الجمالي والتذوّق الفنّي من خلال ما جادت به البلاغة العربية القديمة، وما تأسّس حديثا من مباحث الأسلوبية، شرط أن تكون هذه المباحث تتماشى مع قدسيّة القرآن الكريم؛ لأنّ أطراف العملية التخاطبية في هذا البحث تختلف عن باقي المدوّنات، باعتبار القرآن الكريم هو كلام الله، سبحانه، إلى عباده جميعا.

---

[1] **ينظر: عيار الشعر، ابن طباطبا، ص19.**

[2] **صحيح مسلم، كتاب الإيمان، ص60.**

2- مفاهيم عن القلب

أ- القلب لغة:

القلب لغة: تحويل الشيء عن وجهه ، قَلَّبه يقلّبه قلبا، وقد انقلب، وقَلَبَ الشيء وقلّبه حوله ظهرا لبطن، وتقلّب الشيء ظهرا لبطن كالحية تتقلب على الرمضاء، وقلبت الشيء فانقلب، أي: انكب، وقلبته بيدي تقليبا، وكلام مقلوب، وقد قلبته فانقلب، وقلّبته فتقلّب، والقلب أيضا صرفك إنسانا تقلبه عن وجهه الذي يريده، وقلّب الأمور بحثها ونظر في عواقبها، وتقلّب في الأمور وفي البلاد تصرف فيها كيف شاء، و رجل قلّب: يتقلّب كيف شاء، وتقلّب ظهرا لبطن وجنبا لجنب تحوّل، وقولهم هو حوّل قلّب أي محتال بصير بتقليب الأمور، والقلّب الحوّل الذي يقلّب الأمور و يحتال لها[1]، فالمعنى يدور حول التصرّف والتحوّل والتبدّل.

ولقد وردت صيغة (قلب) في القرآن الكريم في مواضع عدة، منها: في قوله تعالى: ﴿ **لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ** ﴾[2]، "وتقليب الأمور هو تدبيرها ظهرا لبطن، والنظر في نواحيها وأقسامها، والسعي بكل حيلة، وقيل طلب المكيدة من قولهم: هو حوّل قلّب"[3]، وقوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ**

[1] - ينظر لسان العرب ابن منظور ، مادة (قلب) ، ج1، ص685.

[2] - التوبة ، 48.

[3] تفسير البحر المحيط، أبو عبد الله الأندلسي، ج5، ص52.

﴿...وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ﴾[1]، ومعنى (انقلب على وجهه): تحوّل بوجهه وأعرض عن عبادة الله، "وهو مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم، لا على سكون وطمأنينة"[2]، وهو المعنى المشابه لما ورد في الآية (144) من سورة (آل عمران)، وقوله تعالى:﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾[3]، أي: يعاقب بينهما، ويخالف المقدار بينهما في الطول والقصر[4]، وقوله تعالى: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾[5]، ومعنى تُقلبون: "تُرجعون يوم القيامة"[6].

وأما في قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[7]، والتقلّب هنا: الانتقال من حال الركوع إلى حال السجود في الصلاة[8].

---

1 – الحج ، 11.

2 الكشّاف، الزمخشري، ج17، ص691.

3 – النور ، 44.

4 ينظر: المصدر نفسه، ج18، ص732.

5 – العنكبوت ، 21.

6 تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1999،ج6، ص271.

7 الشعراء ، 217-219.

8 ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي ، ج14، ص110.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ ﴾[1]، ونقلّبهم أي: لم نتركهم على هيئة واحدة، ويكون من اليمين إلى الشمال والعكس، "لئلا تبلي الأرض ثيابهم، وتأكل لحومهم فيعتقدوا أنهم ماتوا"[2].

وذكر التقلّب في قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾[3]، لأنّ القلوب تتقلّب بالخواطر، والأبصار تتقلّب في المناظر[4]، والقاسم بينهما هو التصرّف وعدم الاستقرار على حال واحدة، وفي الحديث؛ قال رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، **(قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن)**[5]، "أي بين أثرين عجيبين من آثاره، وهما داعيتا الخير والشرّ"[6]، وسمّي القلب قلبا لعدم ثباته على حال، فهو شديد التقلّب والانصراف.

---

[1] – **الكهف ، 18.**

[2] **البحر المحيط، ج6، ص105.**

[3] **النور، 37.**

[4] **ينظر: النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للخطابي والرماني وعبد القاهر الجرجاني، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، د ت، ص100.**

[5] **صحيح مسلم، كتاب القدر، ص2045.**

[6] **كتاب التبيان في البيان للإمام الطيبي (تحقيق ودراسة)، عبد الستار حسين مبروك زموط، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، 1977، ص118.**

ب–اصطلاحا:

توزّعت مباحث القلب بين مصنّفات الصرفيّين واللغويّين والبلاغيّين؛ توزيعا يعكسه تعدّد تعريفاته من مجال إلى آخر؛ فالقلب الإعلالي عند الصرفيين والنحويين قد اختصّ بأصوات اللّين الطويلة والهمزة، أما القلب المكاني للحركة فسمّوه الإعلال بالنقل، وعولجت قضايا القلب المكاني في مباحث اللغة وقضايا القلب الإفرادي والتركيبي والمجانسة القلبية في مباحث البلاغة، وبحثت موضوعاته الأخر تحت مسميات متنوّعة وفي أبواب متغايرة، في مصنّفات النحو والصرف والبلاغة.

أما في الدراسات البلاغية؛ فنجد المصطلح قد أخذ حظّه من التعدّد والاختلاف في المفهوم، مثل: (العدول) و(الالتفات)، و(الضرورة الشعرية)، و(شجاعة العربية)، و(إقدام العرب على الكلام)، و(مخالفة مقتضى الظاهر)،...، إلى غير ذلك من الاصطلاحات، إلا أنها تلتفّ حول بعد مفهومي واحد؛ هو الإقبال على الكلام بجرأة أو الإتيان بالجديد المخالف للسابق والعادل عنه، وتؤكّد بذلك انتباه العرب القدامى، النحويّين منهم والبلاغيّين والنقاد، إلى وجود مستويين من الكلام، واعترافهم للشعراء بأنهم "أمراء الكلام يصرفونه أنّى شاءوا، ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده، ومدّ مقصوره، وقصر ممدوده، والجمع بين لغاته والتفريق بين صفاته، واستخراج ما كلّت الألسن عن وصفه ونعته، والأذهان عن فهمه وإيضاحه، فيقرّبون البعيد ويبعدون القريب، ويحتجّ بهم ولا يحتجّ عليهم"[1].

---

2 نظرية اللغة في النقد الأدبي، عبد الحكيم راضي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003م، ص46 .

ومن سنن الله تعالى في مخلوقاته أن جعلها تتقلّب من حال إلى حال، ولم يخلق شيئا إلا وخلق ما يقابله أو يضادّه، قال تعالى: ﴿ **وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[1]، فالزمان يتقلّب بين الليل والنهار، والصيف والشتاء، والمكان يتقلّب بين أعلى وأسفل، وقريب وبعيد، والإنسان جنس من ذكر وأنثى، ومؤمن وكافر، والآخرة جنّة ونار، ونعيم وجحيم، ومجموع المخلوقات منها ما هو محسوس ومنها ما هو مجرّد، والحياة سعادة وشقاء، وفرح وحزن، وراحة وتعب، وعافية ومرض، وعلم وجهل، والعالم كلّه نور وظلام، والأخبار حقائق وأكاذيب، والأفكار تتقلّب بين الصحة والخطأ، .....، إلى غير ذلك.

والإنسان بدوره يعيش حياته في تقلّب بين هذه الأوضاع والأحوال المتعاكسة، لا يثبت على حال ولا يدوم على هيئة: ﴿ **وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ** ﴾[2]، وتقلّب الحال في درجات الإيمان لم يسلم منه حتى المؤمن، إذ لا يكاد يثبت على درجة واحدة من الإيمان واليقين في جميع أحواله وحياته، ولقد ورد أنه اشتكى رجل إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، تقلّب إيمانه بين حال وجوده معه وحال معافسة الأولاد والضيعات، فقال صلى الله عليه وسلّم: "(والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذّكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم؛ ولكن يا حنظلة، ساعة وساعة) ثلاث مرارٍ"[3]، ومن الأدعية المأثورة عنه، صلى الله عليه وسلّم: (اللهم يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك)،

---

[1] **الذاريات ، 49**

[2] **آل عمران ، 140.**

[3] **صحيح مسلم، طبعة: دار السلام، الرياض، ط2، 2000، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا، ص1192.**

لما يتصف به القلب من التقلّب وعدم الثبات، ومعرفته الشيء وتقييمه والإحساس به إيجابا أو سلبا تنبني على تحديد ضدّه.

ومن طبيعة الإنسان أنه يحبّ التجديد والتغيير، وسرعان ما تملّ نفسه من الأشياء الثابتة على حال واحدة، قال الشاعر:

لَا يُصْلِحُ النَّفْسَ إِنْ كَانَتْ مُصْرَفَةً   إِلَّا التَّنَقُّلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ

ولقد فشت ميزة التقلّب في الحياة حتى شملت اللغة وقوانينها وأعرافها شعرا ونثرا، يتعمّد المتكلّم اختراق قوانين اللغة ليبدع معنى جديدا، يتمّ تداوله حتى يصبح أصلا يتم الانقلاب عنه تارة أخرى، حينها تكون الغاية في توليد الدلالات الجديدة ذات أهمّية أولى في سلوك أساليب القلب في التعبير.

أمّا الغاية ذات الأهمية الثانية فهي تتمثل في سلوك المتكلّم للأسلوب الجميل في خطابه؛ فهو يقصد من وراء استخدامه للوجوه البلاغية المختلفة في نظم الجمل إلى تشكيل الصور لدى المتلقّي؛ "لأن كلّ تعبير من خلال الصورة هو بحدّ ذاته أبلغ وأجمل من التعبير المباشر"[1]، والصورة الأدبيّة هي: "كلام مشحون شحنا قويا يتألّف عادة من عناصر محسوسة؛ خطوط، ألوان، حركة، ظلال، تحمل في تضاعيفها فكرة أو عاطفة، أي أنّها توحي بأكثر من المعنى الظاهر، وأكثر من انعكاس الواقع الخارجي، وتؤلّف في مجموعها كلاً

---

[1] **التشكيل البلاغي للصورة الفنية في القرآن الكريم، محمد محمود صالح قاسم، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، كليّة الآداب، 2002، ص128.**

منسجما"[1]، فهي تشكيل في الخيال يبنى على اتّحاد المعنى مع الإيحاء في رسم صورة عن الموقف المتحدّث عنه، إذ "هي أداة الخيال ووسيلته ومادته الهامّة التي يمارس بها ومن خلالها فاعليته ونشاطه"[2]، ومنه فإن الصورة ترتبط ارتباطا وثيقا بالفكر، وتعدّ وسيلة تعين المتلقي على فهم الرسالة الكلامية، وبلوغ المعاني المقصودة عند المتكلّم.

كما تقوم البلاغة على رصد الطاقات التعبيرية المتوخاة من تقليب التراكيب اللغوية والإسنادية، أو نقول الخروج على نظام اللغة الأساسي أو الأصلي، بحيث يكون الأصل هو أساس القياس لمعرفة درجة الانقلاب الحاصل؛ إلا أن الأمر لا يتوقف عند هذا الحدّ؛ بل يتعدّاه إلى الكشف عن الطاقات التعبيرية، والإمكانات التي يوفرها الاستعمال غير العادي للغة؛ لأن "اللفظ القاموسي محدود وقاصر ومشلول لا يستطيع أن يصل إلى التعبير عن كنه الأشياء"[3]، ومن أجل الولوج إلى مواطن الإدراك والتعبير عن مكنونات النفس، فإن المتكلّم البليغ يترفّع عن الأنساق اللغوية المألوفة، ويشيّد بناء لغويا جديدا يكون بمقدوره أن يحتضن المعاني التي تتأبّى على الهيكل الأصلي والمعجمي.

ثمّ إنّ تحديد موقع الإعجاز في القرآن الكريم لم تجتمع عليه كلمة العلماء، رحمهم الله، فقد ذكر كلّ منهم له وجوها كثيرة، وهو ما يعكس تشعّب مدخلاته وغور جذوره في شتى العلوم، وينقل السيوطي قولا لأبي حيّان التوحيدي يبيّن فيه صعوبة تحديد موضع

---

[1] **التفسير البياني للقرآن، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة، ط7، 1990م، ج1، ص11.**

[2] **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992، ص14.**

[3] **فلسفة البلاغة بين التقنية والتطوّر، رجاء عيد، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط2، د ت، ص405.**

الإعجاز في القرآن الكريم، فيقول: "قال أبو حيان التوحيدي: سئل بندار الفارسي عن موضع الإعجاز من القرآن فقال: هذه المسألة فيها حيف على المفتي، وذلك شبيه بقولكم: ما موضع الإنسان من الإنسان؟ فليس للإنسان موضع من الإنسان، بل متى أشرت إلى جملته فقد حققته ودللت على ذاته، كذلك القرآن لشرفه لا يشار إلى شيء منه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه ومعجزة لمحاولِه، وأهدى لقائله، وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كتابه، فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده"[1]، إلا أنّ النظم يظلّ هو الجانب الأساسي في قضية الإعجاز، أين هيمن على البحوث واستغرق جهود العلماء في سبيل الكشف عن أركانها.

ولما كان القرآن الكريم يمثّل نمطا خاصا، مخالفا لجميع الأنماط التعبيرية، فإنه يشكل مستوى كلاميّا ثانيا يتميّز بالتفنّن والإثارة[2]، "إذ ليس في العادة مثل للقرآن يجوز أن يعلم قدرة أحد من البلغاء عليه، فإذا لم يكن لذلك مثل في العادة، وعرف هذا الناظر جميع أساليب الكلام، وأنواع الخطاب، ووجد القرآن مباينا لها؛ علم خروجه عن العادة، وجرى مجرى ما يعلم أن إخراج اليد البيضاء من الجيب خارج عن العادة، فهو لا يجوّزه من نفسه، وكذلك لا يجوّز وقوعه من غيره، إلا على وجه نقض العادة"[3]، فالخروج عن المألوف من طرق تصريف الكلام، ممّا تميّز به القرآن الكريم، وأضحى منحى من مناحي المعجزة فيه،

[1] معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988، المجلد 1، ص10– 11.

[2] إعجاز القرآن، الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط1 ، د.ت، ص52 .

[3] المصدر نفسه، ص27.

فإن العقول تنبهر بما لم تعهده من الأمور، سواء أكانت محسوسة، وتنضوي تحتها المعجزات الكونية التي أيّد الله بها أنبياءه، أو فكرية مجرّدة، كما هو شأن القرآن الكريم، فإنّه معجز شكلا؛ من جهة نظمه، ومضمونا؛ من جهة أخباره وعلومه التي لا يُتمكّن من إدراكها إلا بوحي سماويّ.

ويكتسي المعنى أهمّيّة بالغة في العمل الأدبي، إلا أنه لا يخلو من نقص إذا لم يصغ في قالب مميّز يتماشى مع موضوع الخطاب ومستوى المتلقي ومراد المتكلّم، وهو في الأصل يستنبط من مجموعة من الألفاظ تربطها علاقات نحوية ودلالية، وتكون هذه الكلمات متسلسلة تسلسلا منطقيا أو مُجمَعا عليه بين أفراد هذه اللغة، ففي العربية تتكون الجمل الفعلية من فعل ثم فاعل ثم مفعول به -إن كان الفعل متعديّا- ثمّ الفضلة، وفي الجمل الاسمية يكون المبتدأ ثم الخبر، وإذا كان النحاة واللغويّون قد حرصوا على مثالية اللغة في مستواها العادي، وهو المستوى الذي يعنيهم الاشتغال به ورعايته؛ فإنّ البلاغيين، وهم المعنيون باللغة الفنية، قد حرصوا على تأكيد صفة مخالفة لابدّ من تحقّقها في الاستخدام الفنّي للّغة...هذه الصفة هي المغايرة، أو الانحراف على مستوى معيّن من القواعد، والمعايير المثالية التي تحكم اللغة العادية[1].

[1] نظرية اللغة في النقد العربي، د.عبد الحكيم راضى، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980 م، ص20 و 29.

وبما أن "البلاغة هي علم النص الكلّيّ"[1]، باعتبارها مقياس الجودة في أي خطاب كان شعرا أو نثرا؛ فإن الفعل البلاغي يقوم أساسا على رصد التقلبات الحاصلة في تراكيب اللغة عن طريق الأساليب البلاغية المختلفة.

وعليه فإنّه لا يمكن لأي باحث أن يدرس ظاهرة بلاغية بمعزل عن مجمل الأسس الفنية، لذا تطلبت منا عملية تحليل ظاهرة القلب استحضار النظرة الكلّيّة للموقف المدروس، وتناوله على أنه بنية متكاملة ترتبط فيها العناصر المختلفة لتجعل منها تركيبة متناسقة ومتماسكة، تجسّد وحدة الموقف الوجداني، وهذا لا يتمّ إلا بعد فهم عميق لظروف الموقف، وفهم دقيق للعلاقات المتفاعلة فيه.

[1] **الرؤية البلاغية في قراءة النص، ماهر مهدي هلال، مجلة جامعة حضرموت، العدد6، المجلد: 3، يونيو 2004، ص2**

الفصل الأول:

جمالية القلب في المستوى الصوتي

1- المبحث الأول: موسيقا القرآن الكريم

2- المبحث الثاني: بواعث الإيقاع في القرآن الكريم

3- المبحث الثالث: آليات القلب الصوتي في القرآن الكريم

1- المبحث الأول: موسيقا القرآن الكريم

1-1-الإيقاع

يعدّ مفهوم الإيقاع من المفاهيم التي لم يتّفق في تحديدها الباحثون، قدامى ومحدثون، ومع ذلك فهم يجمعون على الأثر الذي يحدثه الإيقاع الصادر عن الفواصل في النفس، فهو "وسيلة من الوسائل التي سخّرها الخطاب القرآني بهدف التأثير والتمكين في المتلقي بقصد الاستجابة والإذعان"[1]، تجلّت في استثمار الطاقة الشعورية عند الإنسان، وتوجيهها لخدمة المقاصد المتوخّاة من الخطاب الإلهي الموجّه إلينا لنتدبّره ونعمل بمقتضياته.

والفرق بين الإيقاع في الشعر والإيقاع في القرآن هو أن الإيقاع في الثاني لا يعتمد الإحكام في الوزن؛ وإنما أساسه التوازن بين المقاطع الصوتية وتشابه المسافات بين كلّ نبر ونبر، وهو سبب رشاقة الأسلوب، وارتياح النفس عند القراءة والاستماع[2]، والجمال الصوتي هو أوّل ما تتلقفه النفوس عن طريق الأسماع، ذلك أنّ "أوّل ما يفجؤك وأوّل ما يلاقيك ويسترعي انتباهك من أسلوب القرآن الكريم خاصية تأليفه الصوتي في شكله وجوهره"[3]، وهو إذ يبنى على تساوق الحركات والسكنات، وتناغم المدّات والغنّات، وانتظام الجميع انتظاما بديعا ليتفتّق منه إيقاع رائع وملذّ، وهذا الجمال الإيقاعي لا يخفى على أحد، حتى من العجم؛ إذ إننا نجد من الناس، من لا يتكلّم العربية ولا يفهمها، يتأثر لسماع القرآن،

[1] جمالية الخطاب في النص القرآني، لطفي فكري محمد الجودي،ص173-174.
[2] ينظر: روائع البيان في إعجاز القرآن، تمام حسان، ص272 .
[3] النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، ص94.

"وإنّما تأثّر هؤلاء بجرس ألفاظ القرآن وأصوات كلماته من غير فقه لمعاني الألفاظ القرآنية، ولا وقوف على أسرار النظم في القرآن الكريم"[1]، وما ذلك إلا بسبب الانسجام الحاصل لدى المتلقي بين الروح ومادة الصوت المنبثقة من القرآن الكريم، نتيجة وحدة المصدر لكليهما.

والإيقاع هو "انسجام الصورة مع الصوت، ما يحدث في النفس اهتزازا وشعورا بالمتعة، هذا الانسجام تحدثه العلاقة المتعدّية بين الصوت والصورة، فالجذب من قبل النظر للصورة يقابله الوقع في السمع من قبل الكلمة، ونقطة التقاطع بينهما هي إحداث الأثر في النفس والإحساس بحركة الجمال التي يحدثها الإيقاع، فتحدث المتعة التي تمزج بين الصورة والسمع، ويصيران كلا واحدا"[2]، فالعربية لغة مرنة قادرة على الوفاء بما يقتضيه مبدأ التناسب الصوتي والإيقاعي، ثمّ إنّ جانبا مهمّا من روعة القرآن يرجع إلى ما فيه من جمال صوتي وحلاوة إيقاعية.

وينشأ الإيقاع نتيجة عاملين أساسيين، هما: التوقّع والمفاجأة، إذ إن تكرار وحدة موسيقية معيّنة يعمل على تشويق السامع، وحدوث النغمة غير المتوقّعة (التي تُنتج المفاجأة،

---

[1] **فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب، فتحي عبد القادر فريد، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1980، ص50 هامش.**

[2] **البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر، عبد الرحمان تيبرماسين، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003م، ص94.**

أوخيبة الظّنّ) تولّد الدهشة والغرابة لدى المتلقّي[1]، فالإيقاع يمارس في اللغة تنظيم مستوياتها لتصبح لغة فنية ذات ملامح جمالية؛ لأنّ الأصوات في اللغة هي مادة الألفاظ، وأساس الكلام المركّب، والعمدة في تلوين الأداء، وإعطائه رنينا إضافيا يزيد من وضوح التعبير وصدقه في حمل فكرة المتكلّم، أو التأثير بها في السامع[2]، كما أنّ نهاية الفقرات والسجع في النثر العربي، تقابله الفواصل في القرآن الكريم، وهي تسمية اختارها جهابذة الفنّ، وعلماء الصناعة تكريماً للقرآن عن مقايسته بسواه.

1-2-الفاصلة القرآنية

1-2-1- مفهوم الفاصلة

انبثق مصطلح (الفاصلة) في الدرس الصوتي من محاولة تنزيه القرآن الكريم من أن تلحق به أوزان الشعر، فيكون عرضة لإسقاط بعض قوانين الشعر عليه، والتي تنمّ عن النقص والضعف، مثل القول بالضرورة الشعرية التي ترغم الشاعر على العدول عن الأصل من أجل أن يراعي الوزن أو القافية، بالإضافة إلى محاولة التمييز بين الدرس الصوتي في القرآن عن غيره من الألوان الأدبية شعرا ونثرا، إلا أن شوائب التأثّر بالشعر عند العلماء والدارسين واختلاف مشاربهم، زيادة على كون المصطلح جديدا لا عهد لهم به؛ كلّها عوامل حالت دون أن يجمعوا على مفهوم موحّد للفاصلة؛ ويظهر هذا التباين من خلال التعريفات الآتية:

---

[1]ينظر: الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، ابتسام أحمد حمدان، دار القلم العربي، حلب، سورية، ط1، 1997، ص21.

[2]ينظر: كلام العرب: من قضايا اللغة العربية، حسن ظاظا، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص07.

1-تعريف ابن منظور: "أواخر الآيات في كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر واحدتها فاصلة."[1]

2-تعريف الرمّاني: "الفواصل حروف متشابكة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني"[2]

3-تعريف الباقلاني: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني."[3]

4-وأمّا أبو عمرو الداني؛ فإنّه يعرّف الفاصلة على أنها "الكلام التامّ المنفصل مما بعده، والكلام التامّ قد يكون رأس آية، وكذلك الفواصل يكنّ رؤوس آي وغيرها، فكلّ رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعم النوعين وتجمع الضربين"[4]

إن الاختلاف في الآراء من أجل تحديد مفهوم موحّد للفاصلة القرآنية يضع أمامنا عائقا إضافيا في سيرورة البحث وبلوغ الهدف منه؛ لأنّنا نروم تحليل كمّ كبير من الشواهد، والوقوف على مدخلات ظاهرة القلب الصوتي وتجلّياتها في السور المكّيّة، فكان لزاما أن نرسو على مفهوم معتبر واحد، تتمّ على أساسه عمليّة التحليل دون الولوج إلى مسائل الخلاف في الموضوع.

[1] لسان العرب، ابن منظور، ج11، مادة (فصل)، ص1892.

[2] النكت في إعجاز القرآن ، الرماني ، ص97.

[3] إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، ص270 .

[4] البيان في عدّ آي القرآن، أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني، تح: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط1، 1994، ص109.

وعليه فقد اعتمدنا القول بأنّ الفاصلة القرآنية هي آخر كلمة في الآية الكريمة، وهي جزء من الآية، "ولكل آية مقطع تنتهي به، وهو الفاصلة، وليست الفاصلة قافية شعر ولا حرف سجع؛ وإنما هي شاهد قرآني لا يوجد إلا فيه، ولا يعتدل في غيره"[1]، رشّحها هذا التّموقع المتميّز بأن تحمل دلالتين مهمّتين، وتؤدّي وظيفتين أساسيتين هما:

-**وظيفة صوتية**: إذ تعمل على التمييز بين المقاطع[2]، وترشد القارئ إلى المواضع التي يمكنه أن يقطع الصوت عندها[3]، كما تحقق الانسجام في الإيقاع الصوتي الذي يحكمه السياق العام والنسق الموسيقي بين الآيات السابقة واللاحقة.

-**وظيفة معنوية**: مهمّتها التوجيه النهائي للفكرة المقصودة من الآية، إذ إنّ "الفاصلة القرآنية تأتي متمكّنة في موقعها مستقرة في مكانها يتعلّق معناها بمعنى الآية، بحيث لو طُرحت أو غُيّرت لاختلّ المعنى وفسد النظم؛ لأنّها لم تكن مجرّد حلية لفظية؛ بل جزء أصيل من المحكم للعبارة، إن هي حجر الزاوية في ذلك البناء"[4]، ويمكن القول: إن الفاصلة هي "ظاهرة أسلوبية قرآنية واضحة المعالم، بها انفرد القرآن من النثر والشعر معاً، وهي من الخصائص التي جعلته نحوا جديدا من أنحاء البيان، وطريقا فريدا من طرق التعبير"[5]، فالمعنى

---

[1] **مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دار مسلم، الرياض، ط2، 1416هـ، ص142.**

[2] **ينظر: النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص99.**

[3] **جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي، تح: علي حسين البواب، مكتبة التراث، القاهرة، مصر، ط1، 1987، ج2، ص553.**

[4] **التناسب البياني في القرآن ، دراسة في النظم المعنوي والصوتي، أحمد أبو زيد، منشورات كلية الآداب، الرباط، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم 19، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1992، ص371.**

[5] **نفسه، ص351.**

هو الذي يقود باقي الاعتبارات التي تعدّ خادمة للغرض الأساسي من القرآن، وهو الدعوة إلى الإسلام.

وعليه فإنّ الفاصلة تعدّ أهمّ ركيزة يقوم عليها الإيقاع في القرآن الكريم، باعتبارها مقاطع صوتية تتتابع في السورة الواحدة، قد تتّفق وقد تتنوّع، وهي ما تميّز القرآن الكريم عن غيره من النصوص، وهي دلالة عليه وسمته، وهذا ما جعل العقل عاجزا أمام هذا الإتقان، ويشهد على إحاطة الله، تعالى، بالكلام كلّه، وهي من الناحية البلاغية أقرب إلى مفهوم القافية في الشعر، والسجع في النثر من جهة تشابه الحروف أو تقاربها في المخرج، ولكنّها تختلف عنهما من جهة المقصد والمرجعية، يقول الرماني: "وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، لأنها طريق الإفهام المعاني التي يُحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها"[1]، فالفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها.

ولقد أثبت القرآن حقيقتها في قوله تعالى: ﴿ **كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ** ﴾[2]، وسايرت القراءات القرآنية هذا التلوين الصوتي وراعاه القرّاء لأنّه جزء من الآية وتحقّق الرنّة الصوتية، ويظهر جمال المعاني، وترسّمها عند التلاوة حسب المقام إما للتبشير أو للإنذار.

---

[1] **النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص98.**

[2] **فصلت ، 3.**

الأمر الذي يحتّم علينا أن نكشف عن هاته المعاني ونبرزها للدارسين والمهتمّين، في أفق بناء فهم جمالي قرآني مؤسّس على معطيات علمية مقنعة بالدليل وبالبرهان.

1-2-2- أنواع الفواصل في القرآن:

لقد التزمت الفواصل في القرآن الكريم بنهايات تخالف الرويّ في الشعر؛ لأنّ القرآن تميّز بها في بعض الآيات وتحرّر منها في الأخرى، فتنوّعت بشكل يخدم المعنى أوّلا، ثم يحقق الانسجام شكلا، أين تتكاثف الفواصل في السورة الواحدة لتصل بالمخاطب إلى فهم الموضوع بدقائقه، مع تحقق المتعة الإيقاعية، فينفتح عقلا ووجدانا.

ومن أنواعها:

أ- **الفواصل المتماثلة بالحروف**: وهي أربعة أنواع:

النوع الأوّل: هي التي تماثلت في الصوت الأخير فعند قوله تعالى: ﴿ **إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ** ﴾[1]، التزمت الفواصل بحرف الرويّ، والتماثل في القرآن جاء مخالفا لما هو في الشعر؛ لأنّ القرآن تميّز به في بعض الآيات وتحرّر منه في الأخرى، فالرويّ يناسب خواتم هذه الآيات، والغاية من الفاصلة هو تيسير القرآن على لسان الرسول، صلى الله عليه وسلم، وتسهيلا لحفظه، زيادة على إثراء المعنى وتحقيق النغم.

---

[1] الكوثر، **1-2-3**.

والنوع الثاني من المتماثلة: ما اتّفقت في الصوتين الأخيرين، كما في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ** ﴾[1]، فالصوتان (الراء والكاف) مشتركان في صفة الانفتاح والاستفال ما جعلهما ينسجمان مع جو الحنان والرحمة ومظاهر الرعاية الربانية التي انعكست على الفاصلة فتمخّضت عنها موسيقى شجية وأداء سام. وقد ورد هذا التلوين الصوتي ليعبّر عن الضيّق والكيّد اللذيْن أثقلا كاهل الرسول صلى الله عليه وسلم.

والنوع الثالث منها ما كان في ثلاثة أصوات، قال تعالى: ﴿ **مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ** ﴾[2]، فالكلمتان (مجنون وممنون) اتّفقتا في نفس الصامت مع صوائته وهو النون المكرّرة مرتين المعروفة بالجهر والغنّة، وقد توسّط الصائت الطويل (الواو) بينهما، فأبانت من خلالهما الفاصلة عن دلالتها المتمثّلة في الردّ على افتراء الكفار، فتجاوبت الفاصلتان لإعطاء التعبير لونا خطابيا يكشف عن الحقد الذميم الذي يكنّه الأعداء للرسول، صلى الله علي وسلم.

[1] الشرح ، **1-4**.

[2] القلم ، **2-3**.

والنوع الرابع: ما تماثل منها في أربعة أصوات، فعند قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ** ﴾[1]، تقع الفاصلة في هذا الموقع بين (مبصرون ويقصرون) فالأصوات التي تساوت فيها الكلمتان لها نفس المخرج والصفات الاستعلاء والصفير للصاد، والتكرير والجهر للراء، فهي تحمل إشارات توحي إلى معان عميقة تبيّن مس الشيطان، وخوف الله، ووقعها يحذر الغافل ويذكر العاقل.

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَٱلطُّورِ ١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ** ﴾[2]، فإنّ الكلمات: (الطور، مسطور، منشور، المعمور) تنتهي بفاصلة واحدة، وهو حرف الرّاء، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَٱلۡفَجۡرِ ١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ٤ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ** ﴾[3]، وأمّا في قوله تعالى: ﴿ **فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ** ﴾[4]، فقد تماثلت الفواصل في حرف السين، كما نجد سورا كاملة قد تماثلت فواصلها في حرف واحد من بدايتها إلى نهايتها، على نحو ما يبيّنه الجدول التالي:

---

[1] الأعراف ، **201–202**.
[2] الطور ، **1–4**.
[3] الفجر، **1–5**.
[4] التكوير، **15–18**.

السور	الحرف الواقع عليه التماثل
القمر، القدر، العصر، الكوثر	الراء
الاعلى، الليل	الألف المقصورة
الشمس	الألف الممدودة بعدها هاء
الإخلاص	الدال
المنافقون	النون
الناس	السين
الفيل	اللام

والملاحظ أنّ الفواصل المتماثلة تشيع في الآيات والسور المكية أكثر منها في السور المدنية[1]، يعكس تنامي الأثر النفسي للإيقاع المصاحب للقرآن المكي، الذي يناسب طبيعة البيئة التي تحيط بالخطاب، أين كان الناس يعيشون في غيابات الشرك، وظلام الجهل، قلوبهم قاسية وأفعالهم نابية، فكان الأنسب أن يكون الخطاب قويا في معناه ومدوّيا في إيقاعه، حتى يلامس قلوبهم ويحتك بعواطفهم، ويصادم أفكارهم ومعتقداتهم.

[1] ينظر: الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، دار عمار، الأردن، 1403هـ، ط2، ص147

ب –الفواصل المتقاربة في الحروف: وهو أن يتمّ الانتقال من حرف إلى آخر يقاربه في مخرجه، كما بين النون والميم على نحو ما نجد في سورة الفاتحة، وسورة التين، وسورة الماعون، قال تعالى: ﴿ **أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ** ﴾[1].

فالتقارب بين الصوتين (الميم والنون) في صفات الجهر والغنّة والتوسط منح الآيات في السور المذكورة نظما بديعا وبناء مخالفا للشعر والنثر، وذلك بعدم الالتزام بحرف واحد.

ومن أمثلة التقارب أيضا: تقارب الدال مع الباء كقوله تعالى: ﴿ **قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ** ﴾[2]، في هذه الآية تعبير فريد وإيقاع رهيب زاد الفاصلة جرسا نتج عن اجتماع الصوتين في الصفات كالجهر والشدّة والقلقلة، فهناك علاقة بين الحرفين ما أعطى الدلالة قوة في الوقع مادام الأمر متعلقا بمسألة البعث.

والتقارب بين الباء والدال، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝٧٧ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ**

[1] الماعون ، 1-2

[2] ق ،1-2-3

أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴾[1]، أين نلاحظ التقارب في طبيعة المقطعين المتشكّلين من المدّ اليائي والباء في نهاية الفاصلتين: (عصيب، وقريب)، والمقطعين المتشكّلين من المدّ اليائي والدّال في: (رشيد، شديد)، والذي أحدث هذا التقارب بين الفواصل هو حروف أواخرها المتقاربة المخارج، إضافة إلى وحدة الوزن (فعيل)، ممّا جعل هذه الفقرة كأنّها وحدة موسيقية واحدة.

كما نجد في السورة نفسها تقاربا أقلّ، والذي يخص الفواصل المنتهية بالمدّ اليائي والباء مع المد اليائي والطاء؛ لأنّ مخرج الطاء أبعد قليلا من مخرج الدال بالنسبة إلى الباء، وكذلك في الفواصل: (حنيذ، وحفيظ، وسجّيل، وعزيز، وغليظ، وقليل)، ليزيد التباعد كلما تباعد مخرج الحرف المشكّل لنهاية الفاصلة، كما في (شهيق، ومنقوص، وخبير، وبصير).

ج **الفواصل المتوازنة:** وهي امتداد للمتقاربة، بحيث يراعى الوزن فقط دون وجود التقارب في مخارج حروف النهايات في الفواصل، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ**

---

[1] هود، **77–81**.

رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾[2].

د- **الفواصل المتوازية**: ويكون باتفاق الفواصل من حيث الحروف والوزن، كما في قوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾[3]، وقوله: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾[4]، وقد يكمل الاتفاق في المتوازي ليصير ترصيعا، أو هو، كما أطلق عليه أبو هلال العسكري، (سجع في سجع)[5]، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾[7]، فإن التركيبين متوازيين توازيا تامّا يرقى به إلى أن يكون ترصيعا؛ لأن الكلمات قد اشتركت في الأوزان مثنى مثنى:(الأبرار-الفجار)، و(نعيم-جحيم) في سورة الانفطار، و(إلينا-علينا)، و(إيابهم-حسابهم) في سورة الغاشية، كما أن المقاطع هي نفسها من حيث الطول إذا تجاوزنا الحرف (ثم) في المثال الثاني.

---

[1] **الواقعة، 4-6.**

[2] **الطارق، 1-3.**

[3] **الانفطار ، 1-2.**

[4] **الانفطار، 3-4.**

[5] **ينظر: كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، أبو الحسن بن عبد الله بن سهل، تح: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1952، 263.**

[6] **الانفطار، 13-14.**

[7] **الغاشية ، 25-26.**

هـ- الفواصلة المنفردة

كما وردت في القرآن فواصل منفردة "وهي التي لم تتماثل حروف نهاياتها ولم تتقارب"[1]، كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[2]، فالانفراد هنا له أغراضه الباغية والجمالية، منها التنبيه باستخدام المخالفة الصوتية، وقد تتموضع الفاصلة المنفردة في نهاية السورة، كما في المثال السابق، أو في بدايتها، كما في سورة الإسراء، قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾[3]، والملاحظ أن الفاصلة الأولى: (البصير) جاءت وحيدة في وزنها (فعيل)، والتي ختمت بمقطع طويل مغلق، وتفرّدت عن باقي فواصل السورة التي ختمت في أغلبها بفواصل على وزن (فعيلا، أو فعولا) في الغالب الأعمّ، مثل: (وكيلا، كبيرا، غفورا، لفيفا)، والتي تنتهي بمقطع طويل مفتوح.

---

[1] الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، ص148.

[2] الضحى ، 9-10-11.

[3] الإسراء ، 1-2-3.

ويحيلنا انفراد الفاصلة الأولى عن أخواتها، إلى فائدة بلاغية، تتمثل في تميّز الحديث لمّا يكون عن النبي محمد، صلى الله عليه وسلّم، عن باقي موضوعاتها، وإعطاء الآية المتميّزة بالفاصلة المنفردة حظّها من التدبّر، لما فيها من دواعي الإجلال والتسبيح.

وعليه فإنّ للفاصلة دورا بالغا في تمييز نظم القرآن عمّا سواه، حيث أنّها تؤثّر على المضمون بدلالتها وعلى الإيقاع بمقاطعها، فيتمّ بها المعنى وتستريح لها النّفس.

2- المبحث الثاني: الإيقاع في القرآن الكريم:

يمكننا إظهار الدور الذي يؤدّيه الإيقاع في الخطاب القرآني في جوانب عدّة، أهمّها:

2-1-التميّز:

يلمس المتأمّل للغة القرآن خصوصية تميّز لغة هذا الكتاب عن سائر النصوص، ففي الوقت الذي ارتقى فيه كلام العرب ليشمل أصنافا خمسة، هي: الشعر، والكلام الموزون غير المقفّى، والكلام المسجّع، والكلام الموزون غير المسجّع، والكلام المرسل، نزل القرآن بأسلوب بديع فصلت آياته، وجاء على صورة لم يألفوها، إذ يمثّل الخطاب القرآني نمطا خاصّا مفارقا لكل هذه الأنماط، ويشكّل بالتالي مستوى كلاميّا ثانيا أكثر إدهاشا وأكثر إثارة[1]، فالفاصلة القرآنية- بما شكّلته من عدول عن معهود العرب في كلامهم -شدّت العرب إلى سماع القرآن وتدبّر آياته، فإذا كانت الأذن هي أداة التّذوّق الموسيقي، فإنّ السّامع لتلاوة القرآن يجد إحساسا مميّزا لا يجده عندما يسمع كلاما آخر، يستوي في ذلك

[1] إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، ص52 .

العربي وغير العربي، والقرآن ليس ألفاظا وعبارات جوفاء، وإنّما القرآن معان وإيقاعات تتّحد فيما بينها محقّقة ذلك الجمال الإيقاعي البديع، إذ الصّوت آلة اللفظ.

ومن أهم الخصائص التي تميز القرآن عن كلّ كلام بليغ أنه يجمع بين الوفاء بحق المعنى في أقلّ الألفاظ وأجمل العبارات، وأنه مستمر في ذلك من أوّله إلى آخره، وتأتي الفاصلة التي هي جزء من الآية جامعة بين محاسن الصياغة وبلاغة المعنى بإحكام، ولا يجوز القول أن القرآن يختار الكلمة أو الأسلوب أو العبارة لتناسب الفواصل فقط، ولكن الأليق أنْ يقال: أنه يختار ما يختار من ذلك لأنه الأبلغ في موضعه، والأوفق في نسقه، ولأنّ الفواصل القرآنية ترتبط بالمعنى لا العكس.

لقد خرج أسلوب القرآن عن نمطيّة الخطاب الفنّي السائد وقت استعراض العرب لملكاتها اللغوية والصوتية، حيث كسر النظام الصوتي للسجع ليعيد بناءه على الفاصلة القرآنية، "وشتّان ما بين سجع الكهان وأسلوب القرآن، ألا ترى أنه لما قرئ عليهم القرآن، رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جمله، ألحانا لغوية رائعة؛ كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقيعها فلم يفتهم هذا المعنى، وأنه أمر لا قبل لهم به، وكان ذلك أبين في عجزهم، حتى إن من عارضه، كمسيلمة، جنح في خرافاته إلى ما حسبه نظما موسيقيا أو بابا منه، ... كأنه فطن إلى أن الصدمة الأولى للنفس العربية، إنما هي في أوزان الكلمات وأجراس الحروف دون ما عداها، وليس يتفق ذلك في شيء من كلام العرب إلا

أن يكون وزنا من الشعر أو السجع"[1]، ففي قوله تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۚ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ** ﴾[2]؛ نلمس الدقّة في التقسيم نتج عنه الانسجام الصوتي بين الكلمات، فالفاصلة جذبت النفس بجمالها لاستكمال إيقاعها، فإنها تدلّ على بدائع التأليف في التعبير القرآني، بما يحقق التميّز الإيقاعي والمعنوي والأسلوبي معا.

2-2-التطريب

إنّ لطبيعة البيئة التي يعيش فيها الإنسان دورا كبيرا في تحديد طبيعة اللغة، وما يميّز البيئة العربية هو الامتداد والبداوة التي انعكست على طبيعة النفس العربية فأفعمتها بالشاعرية والحس الجمالي، وعلى اللسان العربي فارتقت به إلى مستويات عالية من الفصاحة والبيان.

كما أنّ " الظواهر الاجتماعية لها قوّة قاهرة آمرة ، تفرض بها على أفراد المجتمع ألوانا من السلوك والتفكير والعواطف، وتحتّم عليهم أن يصبّوا سلوكهم وتفكيرهم وعواطفهم في قوالب محدّد مرسومة"[3]، ولا شكّ أنّ حالة الترحال، وكثرة الحروب، وصعوبة العيش كان

---

[1] **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الأصالة، الجزائر، ط 8، ص160 .**

[2] **هود ، 9-10-11.**

[3] **المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997م، ص126.**

لها الأثر الكبير في تكوين ملامح المجتمع العربي وثقافته، التي أفصحوا عنها بصقلها في لغة أقل ما يمكننا أن نصفها به هو أنها لغة الشعر والبيان.

إنها البيئة الصحراوية المفتوحة والواسعة التي عكست صورا جميلة أخّاذة، جعلت من الإنسان العربي يصقل كلامه متأثّرا بهذه اللوحة الفنية المترامية الأطراف، "فالنفس البدوية طروب في جوهرها، وجميع مطامحها وانفعالاتها واندفاعاتها إنما تتجلى في تعبير موسيقي موزون، هو بيت الشعر الذي سيكون مقياسه خطوة الجمل السريعة أو الطويلة، وعلم العروض نفسه في جوهره بدوي، إذ أن صورة العبقرية الأدبية قد انطبعت في الشعر"[1].

وإذا كان الإيقاع في الشعر يقوم على القافية، فإنّ الإيقاع في القرآن يقوم على الفاصلة، وهذا لا يعني أبدا أنّ الفاصلة تشبه تماما القافية، وإنما الصفة المشتركة بينهما تتمثل في ذلك الأثر الذي يتركانه في النفس من خلال الاستماع بالترديد والتغني، وفي الحديث: (ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن)[2]، ولذلك اهتم القرّاء على مرّ العصور بطرق تلاوة القرآن، وابتدعوا ألحانا تتّفق مع روح القرآن وقدسيّته، وما كان في مقدورهم أنْ يفعلوا هذا لو لم يكن القرآن ذاته مهيّأ له، فلأصوات الشدّ واللّين أهمّيّة بالغة في تحقيق الترنّم والتغنّي لما فيها من مدّ للصوت.

---

[1] الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، تر: عبد الصبور شاهين، مطبعة الجهاد، ط1، القاهرة، 1958، ص176.

[2] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1، ص61.

فعند قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾[1]، فالصوتان (الرّاء والكاف) مشتركان في صفة الانفتاح والاستفال، وهو ما جعلهما ينسجمان مع جوّ الحنان والرحمة ومظاهر الرعاية الربانية التي انعكست على الفاصلة، فتولّدت عنها موسيقى شجية وأداء سام، وقد ورد هذا التلوين الصوتي ليعبّر عن الضيّق والكيْد اللّذيْن أثقلا كاهل الرسول، صلى الله عليه وسلم، ممزوج بنسائم العطف والرعاية الربانية، ومنه تتحقق مظاهر الحسن والجمال من خلال المستويات الثلاثة التي تعالجها علوم البلاغة: الصوتية والتركيبية والدلالية[2]، تتجلّى في مجموعة من اللمسات؛ كالتكثيف في صوت الكاف، واستخدام الفعل (أنقض) مع حمولته الدلالية التي يعكسها حرفا القاف والضاد، وتقديم الجار والمجرور، والسؤال التقريري، ...، إلى غير ذلك من الإجراءات البلاغية والأسلوبية الت أحاطت بجوانب البيان والجمال معا.

وبما أنّ المعاني يدركها السمع قبل أنّ يدركها العقل، وتنطبع في النفس أوّلا؛ فإنها تؤثّر على الشعور والوجدان، ثم ترتفع بعد ذلك إلى مستوى العقل والإدراك، يقول مصطفى صادق الرافعي: "فإنه إنما يسمع ضربا خالصا من الموسيقى اللغوية في انسجامه واطراد نسقه واتزانه على أجزاء النفس مقطعا مقطعا، ونبرة نبرة ، كأنها توقعه توقيعا ولا تتلوه تلاوة."[3]

---

[1] الشرح ، 1 ، 4.

[2] ينظر: مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، حامد صالح خلف الربيعي، جامعة أم القرى، السعودية، 1996، ص702.

[3] تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1953، ج2، ص222.

كما يقوم التكرار على" تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد"[1]، فبروز صوت بعينه في نهاية كل فاصلة، أو مقطع صوتي وتكراره في أكثر من موضع يحدث إيقاعاً معيناً يتكرّر في ذهن المتلقي، فإذا ما صادف توقّع المتلقي تكرار ذلك الصوت أحدث نوعاً من التجاوب الصوتي بين النغمة المتوقعة، والنغمة البارزة على سطح الصياغة، ممّا يولّد الشعور بالمتعة الإيقاعية.

وتبرز ميزة التطريب والتغنّي بكلّ وضوح في فواصل القرآن الكريم من خلال الانتشار الواسع لحروف الغنّة: (النون والميم)، فهما يحوزان على أكبر قدر من الفواصل لما فيهما من الغنّة التي لها وقع جميل على السمع.

يقابل هذا أنّ حروف الحنجرة والحلق أقلّ استعمالا من الحروف الشفوية والأسنانية، وكلّ ذلك قصد تيسير النطق على الإنسان.

كما نسجّل خلوّ المقاطع الأخيرة في جميع فواصل القرآن الكريم من حرف الخاء، وحرف الغين، وهما -كما نعلم- من الحروف الحلقية التي يصعب النطق بها، وهذا ما يؤكّد حرص القرآن على اختيار الفواصل الميسورة على النطق والسمع في آن واحد، والعذبة من جانب الأحاسيس.

وكثيرا ما يختار القرآن الكريم أصواتا معيّنة للفاصلة، فيأتي بالنون بعد حركة المدّ: (واوا، أو ياء، أو ألفا)، والحكمة من ذلك إرادة مدّ الصوت قصد تحقيق الترنّم والتطريب.

---

[1] **الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، تقديم: د.علي أبو ملحم، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط 2، 1991م، ص 325 .**

إضافة إلى أن القرآن الكريم يتميّز بأعلى درجات التوفيق بين الدلالة والإيقاع، يتجلّى ذلك في طريقة ترتيبه للألفاظ، أين يكون الاعتناء بالمعنى في الدرجة الأولى، دون تشويش الشكل الإيقاعي للآيات، فنجد الفاصلة أجمل ما تكون وادلّ ما تكون وهي في موقعها الذي وضعت فيه، ففي قوله تعالى: ﴿ **حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ** ﴾[1]، فلو قيل: (**فأرسل بني إسرائيل معي**) لا يكون الكلام إيقاعيا، ولا تكون الآية منسجمة في الإيقاع العام في سورة الأعراف، مع أن الدلالة الأولى والثانية ليس بينهما تفاوت كبير في المعنى.

وعليه يمكننا أن نقول: إنّ عناصر الإيقاع والتنغيم والتطريب كانت مقصدا مهمّا من مقاصد القرآن الكريم، يُتوصّل بها إلى مقاصد أخرى: شرعيّة، ووعظيّة، وتعليميّة، وإنّ الفواصل القرآنية هي السبب الرئيس في حصول التطريب والتغنّي بالقرآن، وبذلك يحقّ لنا أنْ نقول: إنّ عنصر الإيقاع والتنغيم والتطريب يقصد إليه في القرآن قصدا، وليس مجرّد محسّنات زخرفيّة، فلقد نزل القرآن الكريم في صياغة أدبية تقدّر الجمال، وتدعو إليه، وتربّي ذوق الإنسان، وتُرهف سمعه، ليرى ويسمع ويتملّى الجمال، فيعيش في وفاق تامّ مع نفسه ومع الكائنات من حوله، وتلك هي دعوة القرآن، وغاية دعوات الرسل والأنبياء، عليهم السلام.

---

[1] **الأعراف ، 105.**

2-3-التأثير في المخاطبين:

إذا كان الصوت هو أصغر وحدة في اللغة[1]، فإنه يكون أوّل ما يتلقّاه المخاطب من لغة الملقي هو أثر هذا الصوت على وجدانه، فتتشكّل مجموعة من الأحاسيس قبل البدء في التفكير في ماهية الخطاب وتحليل حمولته الدلالية، يقول الخطابي إنّ الإيقاع "له صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا إذا قرع السمع خلص له إلى القلوب من لذّة وحلاوة، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظّها منه عادت مرتاعة عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، وتقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها"[2].

فليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال إنما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مدّا أو غنّة أو لينا أو شدّة وبما يهيّئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه، وتتابعه على مقادير مناسبة لما في النفس."[3]

إن التناسق والتلاؤم في الفاصلة يحدث تأثيراً في النفس عند سماعها بما تشعّه من إيحاءات ومعان، كما في مطلع سورة القارعة، أين عبّر عن يوم القيامة، بلفظ: (**القارعة**)،

---

[1] **اللهجات العربية والقراءات القرآنية، دراسة في البحر المحيط، محمد خان، دار الفجر للنشر والتوزيع، المغرب، 2002م، ص65.**

[2] **إعجاز القرآن، الخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ط1992، ص70-71.**

[3] **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص184 .**

وتمّ اختيار هذه الكلمة لما تحمله من معاني القوة والتخويف المستفادة من الوظيفة اللغوية للقرع، عمل وجود الحرفان: القاف والعين، وهما حرفان قويان من حيث المخرج والصفة[1]، على إضفاء جوّ الرهبة، كما زاد في تأكيده تكرار كلمة (القارعة) ثلاث مرات، واللافت للإعجاب من هذا التكرار هو عدم الخروج عن أحوال الفصاحة؛ بل زاد في حصول التوافق بين الإيقاع والمعنى.

ومن أجل ذلك يولي القرآن الكريم اهتماما كبيرا للإيقاع اللفظي في الآيات لما يحدثه من تأثير في النفس، لكن ليس على حساب المعنى؛ لأنّ الخطاب الإلهي موجّه إلى العقل، كما أنه موجّه إلى ملكات غير العقل، فتجد الإنسان ينفعل لأن "الحق، سبحانه وتعالى، حينما يخاطبك إنما يخاطب كلّ ملكاتك، وهو القادر على أن يجعل ملكات ذرّاتك نفسها أن تفهم خطابه .. كما أن الأرض والسماء فهمتا عنه خطابه: ﴿ **قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ** ﴾[2]"[3].

ومن جانب آخر، فإن الفاصلة القرآنية تخدم المبنى والمعنى، أي أنها تؤدّي إلى قوّة الأداء اللفظي وقوة المعنى، بحيث لا يكاد المتفحّص لأسباب القلب في القرآن الكريم أن يقف على غرض واحد فقط، بل يجد التركيب الذي حصل فيه قلب محاطا بمجموعة من المعاني الإضافية زيادة على عامل الانسجام الصوتي وتوخّي الوحدة الإيقاعية، يقول عبد

---

[1] **ينظر: جمالية الخطاب في النص القرآني، لطفي فكري محمد الجودي، ص176.**

[2] **فصلت ، 11.**

[3] **البعث والميزان والجزاء، محمد متولي الشعراوي، دار الندوة، مصر، دط، دت، ص11.**

القاهر الجرجاني: "ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم، أن يوهموا أبدا في الألفاظ الموضوعة على المجاز والتمثيل، أنها على ظواهرها، فيفسدوا المعنى بذلك، ويبطلوا الغرض، ويمنعوا أنفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة، وبمكان الشرف..."[1]، والدلالات مهما تعدّدت في الآية الواحدة؛ فإنها معتبرة مادام التأويل لم يجاف اللغة، ولم يؤدّ التنقيب عنها إلى كسر أسوار المعتقد من الدين، أو إلى اختراق قوانين التأويل في الخطاب القرآني.

2-4-تيسير القراءة والحفظ:

ممّا يميّز العرب عن غيرهم من الأمم أنّهم أمّة الحفظ والحفّاظ؛ ولعلّها خاصّيّة مكتسبة من طبيعة اللغة المتداولة بينهم، والتي تتفوّق عن سائر اللغات بأنها "لغة شاعرة؛ لأنها بنيت على نسق الشعر في أصوله الفنيّة والموسيقية، فهي في جملتها فنّ منظوم منسّق الأوزان والأصوات، ولا تنفصل عن الشعر في كلام تألّفت منه، ولو لم يكن من كلام الشعراء"[2].

كما تميّز العرب بالفصاحة والبلاغة منذ العصور الجاهلية، ويتجلّى هذا الرقي اللغوي في الأشعار والخطب، والرسائل... وغيرها، هذه الفنون التي كانت تمثل معظم أدبهم كانت تحوي الكثير من الأساليب البلاغية من تشبيه، ومجاز، واستعارة، وكناية، وطباق، ومقابلة...زيادة على السجع، فكانت هذه الأساليب ترد إلى أذهان الشعراء وخواطرهم ورودا عفويا، لا تكلّف فيه؛ بل كان العامل في ذلك منحصرا في الفطرة والسليقة التي جبلوا

---

[1] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان ، ط1، 1994، ص305.

[2] اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1995، ص8.

عليها[1]، فقد دأبوا على انتقاء الألفاظ المناسبة للغتهم، فكانوا يقبلون لفظا ويرفضون آخر، فكلّ ما عدلوا عنه كان بسبب الاستثقال، وكل ما قبلوه وعدلوا إليه فلخفّته على ألسنتهم، فلما نزل القرآن زاد لغتهم تهذيبا ومخارجها خفّة وسلاسة.

ينضاف إلى دور الفاصلة وجود بعض الألفاظ الشديدة التي قد استعملها القرآن لإضاءة المعنى بما فيها من غلظة وشدّة وثقل وما ينجم عن ذلك من رنّة في الذاكرة، وشدّة على السمع، ممّا يسهم في استرجاعها من الرصيد الذهني بكل يسر، لأنّ الإيقاع يؤدّي إلى السهولة في النطق والتعبير، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾[2]، فالخطاب القرآني يرتقي بك إلى مستويات الاستماع، لتتمّ فائدة التبليغ على أكمل وجه، "فالفاصلة ليست معجزة وحدها، بل هي جزء يسهم في الإعجاز "[3]، وهي بإيقاعها الصوتي تجسّد التعبير البليغ الذّي يجلب المعنى الجليل والنسق الفريد، و"مقتضى الإعجاز أنّه ما من فاصلة قرآنية لا يقتضي لفظها في سياقها دلالة معنوية لا يؤديها لفظ سواه، قد نتدبره فنهتدي إلى سره البياني، وقد يغيب عنّا فنقر بالقصور عن إدراكه"[4].

ومن جهة أخرى، فقد أكّدت نتائج علم النفس التربوي أنّ للطفل قدرات فطرية يولد مزوّدا بها، تتيح له إمكانية إدراك ما في الأشياء من جمال، إلا أنّ العوامل البيئية هي التي تسهم في قوّتها أو ضعفها، هذا هو السرّ الكامن من وراء سهولة حفظ الشعر

---

[1] – ينظر: في تاريخ البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة للطباعة، بيروت، ص 7.

[2] القمر ، 17.

[3] الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، دار عمار، الأردن، ط2، 1403هـ ، ص319.

[4] الإعجاز البياني في القرآن، عائشة بنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1404هـ ، ص278.

لدى الطفل بخلاف النثر، كما يجعله قادرا على حفظ سور قرآنية خاصة دون غيرها، كسورِ: الشمس، أو الضحى، أو العاديات، أين يشتدّ التماثل والتشابه، خلافا لسور: الجاثية، أو الدخان، أو الزمر، ذلك لأنّ الإيقاع الداخلي يبرز بوضوح في السور القصار والفواصل السريعة، ويختفي قليلا أو كثيرا في السور الطوال؛ إضافة إلى أنّ الفواصل تقصر غالبا في السور القصار، وتتوسط أو تطول في السور المتوسطة والطوال...، فعند قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥ ﴾[1]، أين يسهم التماثل في الحرف الأخير من الفواصل في الإبقاء على الإيقاع المتكرّر في نفس السامع، فإذا رام إعادة تشكيله وجد مادّته راسخة في ذهنه وميسّرة على جهاز النطق لديه.

إننا نلاحظ تتابع الفواصل وتقاطرها في فقرات من السور القرآنية، وقد يرتقي بعضها ليشمل سورا كاملة، لا سيّما القصار كالإخلاص، والقدر، والناس، والجحد، والعصر، والكوثر، وهناك سور متوسطة الطول والقصر، وقد تماثلت فواصلها من أوّلها إلى آخرها، كما هي الحال في سورة القمر، وسورة الأعلى، هي ممّا يجعل القرآن الكريم ليّنا عند قراءته بما يحيط العملية من المتعة واللذّة الإيقاعية أوّلا، فكانت الغاية من الفاصلة هي تيسيره على لسان القارئ له، وتذليلا لحفظه.

[1] سورة القدر، **1-5**.

3- المبحث الثالث: آليات القلب الصوتي في القرآن الكريم

لقد بنى اللغويّون قواعدهم النحوية على المثاليّة، وهي القوانين التي تتمّ محاكمة اللفظ أو التركيب على أساسها، ووضعهما في خانة الصحيح أو الخطأ، بينما يتمثّل دور البلاغي في أنّه يستثمر هذه المسارات الخارجة عن القواعد المطّردة في استكشاف المعاني الجديدة، والتي بدورها تعمل على توسيع الدوائر الدلالية، فلو التزم المتكلّمون حدود القواعد في صياغة كلامهم لظل المعنى حبيس الوضع الأوّل، ولضاقت السبل في بلوغ المعاني اللامتناهية من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ الخروج عن القواعد يحقّق الأهداف الأخرى للّغة بالإضافة إلى الإفهام، كالتأثير، والإمتاع، وتحقيق التميّز، وتسهيل الحفظ...

إنّها خصائص مجتمعة في القرآن الكريم، فكلّ تركيب من تراكيب التعبير القرآني، لو تأمّلناه للمسنا فيه التميّز من جميع النواحي، دلاليا، وبلاغيا، وأسلوبيا، بما يحقق الجاذبيّة والقبول عند كلّ صنف من أصناف المخاطبين على حسب مستوياتهم وأذواقهم.

ويتمّ القلب الإيقاعي على عدّة مستويات:

1- على مستوى الكلمة من حيث الحركة والبنية والوزن.
2- على مستوى الجملة في ترتيب أركانها.
3- على مستوى السورة في تعدّد فقراتها الإيقاعية.

ولعلّنا نصادف أمثلة في القرآن الكريم تكون محلّ خلاف بين القراءات، فمنهم من ينهج سبيل القاعدة، ومنهم من يعدل عنها، إلّا أنّ العبرة في هذه الدراسة بما كان خارجا عن القواعد، باعتبار أنّ جميع القراءات توقيفية، ثمّ إنّ مواضع القلب في القرآن الكريم تمثّل مادّة البحث وشواهده.

3-1-القلب الصوتي في المفردات

هناك من السور في القرآن الكريم من حافظت على فاصلة متّحدة من أوّلها إلى آخرها، كما هو الحال في سورة الأعلى، وسورة الليل، وسورة الكوثر، وسورة الإخلاص، وسورة الناس، بفضل ما تتيحه مرونة العربية من تسهيلات، قصد بلوغ هذه الخاصية، مثل التقديم والتأخير، واستبدال الكلمة بمرادفتها التي تكون تتوافق مع الإيقاع المطلوب، إلى المساس بهيكل الكلمة ذاتها، لتُمزج صوتيا مع باقي الفواصل.

كما أن إيقاع اللفظ المفرد، وتناغم الكلمة الواحدة، عبارة عن جرس موسيقي للصوت فيما يجلبه من وقع في الأذن، أو أثر عند المتلقي، يساعد على تنبيه الأحاسيس في النفس الإنسانية، لهذا كان ما أورد القرآن الكريم في هذا السياق متجاوباً مع معطيات الدلالة الصوتية: "التي تستمد من طبيعة الأصوات نغمتها وجرسها"[1]، فتوحي بأثر موسيقي خاص، يستنبط من ضم الحروف بعضها لبعض، ويستقرأ من خلال تشابك النص الأدبي في عباراته، فيعطي مدلولاً متميزاً في مجالات عدّة: كالألم، والبهجة، واليأس، والرجاء، والرغبة، والرهبة، والوعد، والوعيد، والإنذار، والتوقّع، والترصد، والتلبث.

وبيان القرآن المجيد تلمح فيه الفروق بين مجموعة هذه الأصوات في إيقاعها، والتي كوّنت كلمة معيّنة في النص، وبين تلك الأصوات التي كوّنت كلمة أخرى، وتتعرّف فيه

[1] **دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط5، 1984، ص46.**

على ما يوحيه كلّ لفظ من صورة سمعيّة صارخة تختلف عن سواها قوّة أو ضعفاً، رقّةً أو خشونة، حتّى تدرك بين هذا وذاك المعنى المحدّد المراد به إثارة الفطرة، أو إذكاء الحفيظة، أو مواكبة الطبيعة بدقّة متناهية، ويستعان على هذا الفهم لا بموسيقى اللّفظ منفرداً، أو بتناغم الكلمة وحدها، بل بدلالة الجملة أو العبارة منضمّة إليه.

ولقد دأب الخطاب القرآني على تحقيق موسيقى اللفظ في جمله، وتناغم الحروف في تركيبه، وتعادل الوحدات الصوتية في مقاطعه، فكانت مخارج الكلمات متوازنة النبرات، وتراكيب البيان متلائمة الأصوات، فاختار لكل حالة مرادة ألفاظها الخاصة التي لا يمكن أن تستبدل بغيرها، فجاء كل لفظ متناسباً مع صورته الذهنية من وجه، ومع دلالته السمعية من وجه آخر، فالذي يستلذّه السمع، وتستسيغه النفس، وتقبل عليه العاطفة هو المتحقّق في العذوبة والرقة، والذي يشرئبّ له العنق، وتتوجّس منه النفس هو المتحقّق في الزجر والشدّة، وهنا ينبّه القرآن المشاعر الداخلية عند الإنسان في إثارة الانفعال المترتّب على مناخ الألفاظ المختارة في مواقعها فيما تشيعه من تأثير نفسي معيّن سلباً أو إيجاباً.

3-1-1- القلب بتبديل حركة بأخرى:

تعدّ الحركات مصوّتات الحروف وهي بمثابة الجسد الذي يتشكّل الحرف به، والحركات دليل على حياة الحرف وتقلّباته الصوتية في الكلمة، بما ينتجه من تقلّب في إيقاعها ودلالتها، ولقد عمد القرآن الكريم إلى المساس بالمصوّتات بما يخدم الإيقاع الداخلي في الكلمة من جهة، وبما يتناسب مع النسق الصوتي للتركيب، ليصل إلى بناء فقرة صوتية متناغمة، لها تأثيرها الخاص بما يخدم الموقف المعبّر عنه.

لهذا نجد، أحيانا، الاختلاف في القراءات سببه حمل المفردة التي تمثّل فاصلة على أن تتناسب مع الفواصل الأخرى في المقطع الموسيقي الواحد، ولقد سلك الخطاب القرآني عدّة آليّات، من ذلك القلب عن طريق تبديل حركة بأخرى.

وممّا يميّز اللغة العربية أنها تحوي كلمات ذات بناء متعدّد، يعمل الخطاب القرآني على ترشيح صيغة معيّنة تكون الأنسب في مكانها صوتيا ودلاليا، كما هو الشأن في قوله تعالى: ﴿ **إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** ﴾[1]، "قرأ الجمهور (رَشَدًا) بفتحها، وقيل إنها "أرجح لتشابهها بفواصل الآيات قبل وبعد"[2] ، وفي مواقع أخرى استعمل كلمة (رُشْدا) بضم الراء وتسكين الشين[3]، وهذا يدلّ على بلاغة

---

[1] **الكهف ، 10.**

[2] **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ج3، ص500.**

[3] **ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج6، ص99.**

القرآن، لأنّ الكلمة أخذت مكانها المناسب لتؤدي المعنى، وتحافظ على الانسجام في الإيقاع، ولا يمكن استبدالها حتى لا يختل النظم.

إنّ اللّغويين وقفوا عند وجهين لهذه الكلمة في شكلها وهذا حسب موضعها من الجملة "لكن جمهور أهل اللغة على أنّ الفتح والضم في الرشد لغتان كالبُخُل والبَخَل، والسُّقُم والسَّقَم، والحُزُن والحَزَن، فيحتمل أن يكون الاتفاق على فتح الحرفين الأولين؛ لمناسبة رؤوس الآي وموازنتها لما قبل ولما بعد[1]، نحو (عَجَبًا وَعَدَدًا وَأَحَدًا) ، وهي الفاصلة التي أكسبت التعبير جمالا يليق بقداسة النص القرآني.

وكذا في قوله تعالى: ﴿ **فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ** ﴾[2]، أي يتفرّقون إمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار، والقلب الصوتي وقع أوّلا عندما تحوّل صوت التاء من الفتح إلى السكون، فكان أصل الفعل: (**يَتَصَدَّعُون**) انقلب إلى (يَتْصَدَّعُون)، ولتقارب مخرجيّ التاء والصاد تمّ إدغام التاء في الصاد فأصبحت مشدّدة، والصاد إذا شددتّها كانت دلالتها الصوتية، وإرادتها المعنوية، أوضح لزوماً، وأشدّ استظهاراً، وأكثر إمعاناً، فحملت الفاصلة، بصداها القوي، معنى التهويل الناجم عن تصدّع الأشياء العظيمة، فالصاد والدال فيهما من الشدّة ما يتناسب مع الهول الواقع، كون التفرقة بين الطائفتين لا تكون إلاّ بإحداث أصوات العويل والصراخ الصادر عن طائفة أهل النار.

---

[1] ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ص213.

[2] الروم ، 42.

وآثر بعض القراء صيغا لمراعاة الفاصلة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾[1]: قرأ الجمهور نهر على الإفراد بدلا من الجمع رغم أنّها معطوفة على (جنّات)، والمعنى (في جنّات وأنهار)[2]؛ لأن المفرد يدل على الجميع، واختيار (نَهَر) من أجل تحقيق الوحدة الإيقاعية، وتوحيدا للفاصلة مع بقيّة الكلمات (بصر، مدّكر، زبر، مستطر) التي تشكّل رؤوس الآي في السورة. زيادة على ما تحققه هذه الصيغة من تجنب للثقل.

3-1-2- القلب بزيادة صوت:

تتجلّى الظاهرة في تصريف ما لا ينصرف عند قوله تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴾[3]: "فكلمة (قواريرا) تكرّرت مرّتين، لذلك من القراء من قرأ الأولى منونة كخلف وابن كثير"[4]، والحجّة في ذلك حتى تنسجم مع رؤوس الآيات السابقة واللاحقة: (سرورا، مهريرا، تذليلا، تقديرا، زنجبيلا، سلسبيلا)، وهي كلّها فواصل ذات نهايات مفتوحة على المدّ، ومع وقوع الفاصلة (قواريرا) متوسطّة في الفقرة الصوتية، حسن مدّ الراء لتحقيق التناسب بين ما سبقها وما يتلوها من فواصل مماثلة.

---

[1] القمر ، 54.
[2] معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تح: عبد الجليل عبده شلبي، دار عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988، ج5، ص93.
[3] الإنسان ، 15.
[4] معجم القراءات، عبد الكريم اللطيف، دار سعد الدين، سورية، ط1، 2002، ج10، ص215.

3-1-3- القلب عن طريق تبديل حرف بآخر:

وقد توافرت طائفة من الألفاظ الدقيقة عند إطلاقها في القرآن، وتتميز هذه الدقة بكون اللفظ يدل على نفس الصوت، والصوت يتجلى فيه ذات اللفظ، بحيث يستخرج الصوت من الكلمة، وتؤخذ الكلمة منه، وهذا من باب مطابقة الألفاظ للمعاني بما يشكل أصواتها، فتكون أصوات الحروف على سمت الأحداث التي يراد التعبير عنها.

كما توفّرت في القرآن بعض الفواصل غريبة اللفظ، فعند قوله تعالى: ﴿ **تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ** ﴾[1]، استخدم السياق هذه الكلمة الغريبة لتتناسب مع الافتراء الغريب على الله، والوهم الباطل تمثّل في نسبة البنات إلى الله والبنين إليهم، ففواصل السورة مختومة بألف مقصورة، وهذا ينسجم مع الكلمة بدلاً من جائرة أو ظالمة، مع تحقيق النّظم القوي والإيقاع المؤثّر.

ويتمّ تفضيل الحرف على غيره على أساس طبيعته الصوتية ومناسبته لدلالة اللفظ ومهمته المعنوية، فقد اختير حرف الكاف في قوله تعالى: ﴿ **فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ** ﴾[2]، والوكز: الدفع والطعن والضرب بجُمع الكفّ[1]، وقضى عليه: أي قتله وفرغ من قتله[2]، وقد استخدم فعل الوكز مكان الوخز مراعاة للخاصية الصوتية لحرف الكاف.

---

[1] النجم ، 22.

[2] القصص ، 15.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾[3]، تمّ استبدال حرف الهاء بحرف الهمزة؛ فقلبت الكلمة من (هزّا) إلى (أزّا)، ولا شك أن الهمزة أقوى جرسا وإيقاعا من الهاء، رغم الاختلاف في كونها مهموسة أم مجهورة، والدّويّ الذي تحدثه الهمزة في آخر العبارة يعطي صدى إيقاعيا متميّزا، يعبر عن شدّة التخبّط الذي يصيب الكافر وهو في حالة التلبّس بالشياطين، نتيجة القلق وعدم الثّبات على حال الاستواء، (أزا) مثلا، وإنما يتمّ اختيار الحروف ذات الأصوات الدقيقة لما تحمله من حرارة وتوهّج يضيء المعنى المراد، زيادة على التآلف الحاصل بين الصوت والمعنى وأثره في تنبيه المخاطبين، واستثارة المشاعر والمعاني النفسية الباطنة[4]، والذكر الحكيم حافل بالألفاظ الدالة على الأصوات، جرياً على سنن العرب في تسمية اللفظ باسم صوته.

وما اشتهر به صاحب (الخصائص) هو إبراز ظاهرة لغوية تتمثّل في تقارب الدلالات لتقارب حروف الألفاظ، وهو ما سمّاه: (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)، أثبت فيه أنّ مخارج حروف لفظ التي تقترب من مخارج حروف لفظ آخر هما متقاربان دلاليا لتقاربهما صوتيا، وتلك خاصية من خصائص اللغة العربية، ففي شرحه للفظ "**أَزًّا**" الواردة في الآية، يقول ابن جنّي: (**تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**): "تزعجهم وتقلقهم، وهي في معنى تهزهم هزّا، فالهمزة أخت

---

[1] ينظر: تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تح: سيد زكريا، مكتبة نزار مصطفى الباز، المجلّد الأوّل، ص857.

[2] ينظر: تفسير غريب القرآن ، ابن قتيبة أبو محمد عبد الله ، تح: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1978، ص330

[3] مريم 83.

[4] ينظر: جمالية الخطاب في النص القرآني، لطفي فكري محمد الجودي، ص174 .

الهاء، وخصّ، تعالى، هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهو أعظم في النفوس من الهزّ، لأنك قد تهزّ مالا بال له"[1]، ولقد خُصّ المعنى الضعيف بالصوت الضعيف في قوله تعالى: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾[2]، فإن الصورة تكون نتيجة الصدى المنبثق من نظم الحروف وتناغمها.

فتركيب الكلمات في هذه الآية أسهم في تسهيل النطق وجريان الألفاظ على اللسان، من خلال التناسق في تتابعها وتباعد مخارجها، فينتقل الصوت من مخرج التاء، (اللسان والأسنان) إلى مخرج الهمزة، (أقصى الحلق)، ثمّ يعود إلى مخرج الزاي، (اللسان وأصول الثنايا)، ثمّ الهاء، (الجوف)، ثمّ يعود إلى مخرج الميم، (الشفتين)، ولا شك أنّ التباعد في مخارج الحروف يسهّل نطق الكلمة[3]، فتخرج سلسة لدى القارئ، واضحة لدى السامع، ممّا أضفى على التركيب جمالا صوتيا.

ولا شكّ أنّ هناك من المفردات ما يعبّر صوتها عن معناها قوّة وضعفا، تهديدا أو إيناسا، وذلك من خلال استخدام الأصوات الدالّة على سمة من صفاتها، فنجد في الحروف المجهورة والمفخّمة والتي تحمل صفة القلقلة أو الصفير مطيّة للتعبير عن المعاني الموازية لها أو المواقف القوية.

فحينما نقارن لفظ "الرجز" بمثيله معنى ومبنى: "رجس"، وهي مكوّنة كتكوينها في الراء والجيم، والسين كالزاي من حروف الصفير، شديدة الاحتكاك في مخرج الصوت، ولها ذات الإيقاع على الأذن، حينما نقارن صوتياً ودلالياً بين الصوتين نجد المقاطع واحدة عند

[1] **الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة بيروت (د.ت)، ج2، ص 146.**

[2] **مريم ، 25.**

[3] **ينظر: جمالية الخطاب في النص القرآني، لطفي فكري محمد الجودي، ص178.**

الانطلاق من أجهزة الصوت، ونجد المعاني متقاربة في الإفادة، فقد قيل للصوت الشديد: رجس ورجز، وبعير رجاس: شديد الهدير، وغمام راجس، ورجاس: شديد الرعد.

قال تعالى: ﴿ **قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ** ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**﴾[2]، كل هذه الاستعمالات متواكبة دلالياً في ترصد العذاب وصبّه وإنزاله، وهذا لا يمانع من أن تضاف للرجس جملة من المعاني الأخرى لإرادة الدنس والقذارة ومرض القلوب، وحالات النفس المتقلّبة.

فالصوت في المعاني كلها الصوت نفسه ، والصدى ذات الصدى، وقد أورد الراغب الأصفهاني، (ت 502 هـ): أن الرجس يقع على أربعة أوجه: إما من حيث الطبع، وأما من جهة العقل، وإما من جهة الشرع، وإما من كل ذلك، والرجس من جهة الشرع الخمر والميسر، وقيل: إن ذلك رجس من جهة العقل، وجعل الله تعالى الكافرين رجساً من حيث أن الشرك بالعقل أقبح الأشياء[3].

---

[1] **الأعراف ، 70.**

[2] **يونس ، 100.**

[3] **ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط4، 2009، ص342.**

وكما هو الشأن في كلمة (صرصر) الواردة في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ** ﴾[1]، وفي قوله، عزّ وجلّ: ﴿ **وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ** ﴾[2]، جعل لها وقعاً متميزاً ما بين الأصوات الصوامت، وكان ذلك، فيما يبدو، نتيجة التصاقها في مخرج الصوت، واصطكاكها في جهاز السمع، ووقعها الحاصل ما بين هذا الالتصاق و ذلك الاصطكاك، ولا يمكّن الناظم لكلمة "إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها"[3]، فنظم الحروف لا يقلّ جمالا عن نظم الكلم[4]، والبليغ هو من يراعي في تعبيره التفاوت في صفاتها من حيث الهمس والجهر والرخاوة والشدة، وما إلى ذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿ **فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ** ﴾[5]، فالحاء لرقتها جعلت للماء الضعيف، والخاء لغلظها للماء القوي في اندفاعه وجريانه، فيكون الحرف على سمت الحدث المعبّر عنه به[6]، يعدّل أحدهما الآخر ويقوّيه.

وفي كلمة (حصحص) الواردة في قوله تعالى: ﴿ **قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ** ﴾[7]، فإننا نستمع إلى الصوت

---

[1] القمر ، 19.

[2] الحاقة ، 6.

[3] دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني، ص88.

[4] التصوير المجازي والكنائي، صلاح الدين محمد أحمد، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، القاهرة، ط1، 1988، ص17.

[5] الرحمن ، 66.

[6] المرجع نفسه، ص18.

[7] يوسف ، 51.

المدوّي، إذ كانت الصاد واضحة الصدور من المخرج الصوتي، فكانت "**حصحص**" واضحة الظهور بانكشاف الأمر فيما يقهره على الإذعان، وهنا قد يمتلكك العجب لدى اختيار هذا اللفظ في أزيزه، ووضوح أمره مع القهر، فلا تردّ دلائله، ولا تخبو براهينه.

أمّا في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ** ﴾[1]، فقد ذكر ابن جني أنّ أبيّ بن كعب وابن مسعود، وابن عباس، وابن الزبير، والأعمش، وعكرمة، وعمرو بن دينار قرأوا: "**وَحَرْثٌ حِرْجٌ**" وهو من باب الاشتقاق الأكبر، أي (تقلّب الأصل الواحد والمادة الواحدة إلى صور مختلفة يخطمها كلها معنى واحد)[2]، ودلالة المشتقات من مادة (ح ج ر) آيلة إلى الشدة والضيق والاجتماع، فمن ذلك مثلا:

الحرج: الضيق والحرج مثله.

الحرجة: ما التف من الشجر فلم يمكن دخوله.

الجحر: سمّي بذلك لضيق بابه.[3]

إلا أنّنا، في هذا المثال من القلب، لا نلمس تغيّرا في الإيقاع بين الاستعمالين، سواء قرئت(**حِجْر**) أو (**حِرْج**)، إذ هو قلب في تموضع الحروف الثلاثة نفسها في الكلمة

---

[1] **الأنعام ، 138.**

[2] **ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، تح: علي النجدي، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، 1994، ج1، ص233.**

[3] **ينظر: المصدر نفسه ، ج1 ، الصفحة ذاتها.**

الواحدة، زيادة على أن اللفظة وقعت في وسط الآية لا يكاد القارئ يلمس لها تميّزا صوتيّا أو أثرا على الجوّ الموسيقي ضمن السياق الذي وردت فيه.

3-1-4- القلب عن طريق حذف الحروف

يتمّ حذف بعض الأصوات من أبنية الكلمات في مواضع محدّدة من القرآن الكريم، لغرض مناسبة الفاصلة، وقصد تحقيق الانسجام الصوتي بين الآيات، كما يكون لغرض دلالي أو بلاغي، وقد كان للحذف، عند القراء، دوره في تحقيق توافق الفواصل لتتقارب القيمة التعبيرية مع السياق فيقع التجاوب بين اللفظ والمعنى: "كذلك كان حذف ما حقّه أن يذكر في الكلام من أهمّ مظاهر العدول التي درجت عليها بعض الأوجه القرائية في الوقف على رؤوس الآي، وقد توصل توجيه القراءة بذلك الملحظ إلى القول بتوافق الفواصل والمناسبة بينها"[1].

ويقع حذف الأصوات في كلمات معيّنة من القرآن الكريم، ويكون الغرض دلاليا وجماليا في الوقت نفسه، وقد خصّ سيبويه لهذا بابا سماه: (باب ما يحذف من أواخر الأسماء في الوقف وهي الياءات)، وأورد فيه أنّ "جميع ما لا يحذف في الكلام وما يختار فيه أن لا يحذف يحذفُ في الفواصل والقوافي، فالفواصل قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ** ﴾[2]، ...، وقوله: ﴿ **عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ** ﴾[3]، ..."[1]، ولأنّ الأسلوب

---

[1] **التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، أحمد سعد محمد، مكتبة الآداب القاهرة، مصر، ط1، 1418هـ، ص509.**

[2] **الفجر ، 4.**

[3] **الرعد ، 9.**

القرآني يستثمر كلّ الطّاقات التعبيريّة لتحقيق الانسجام الإيقاعيّ في المقطع الصوتيّ الواحد، فإنه ينزع أحيانا إلى حذف الحرف الأخير.

ومن دواعي الحذف في القرآن الكريم تحقيق الفاصلة، ومن أشكاله حذف المفعول به، فعند قوله تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾[2]، أما الفائدة الإيقاعية فتتمثل في تحقيق التناسب الصوتي مع الفاصلتين السابقتين: (الضحى، سجى) والفواصل الخمس التالية: (الأولى، ترضى، آوى، هدى، أغنى)، فحذف صوت (الكاف) من قلى من أجل تحقيق الإيقاع الهادئ ليتماشى مع بقية الفواصل الأخرى، وقد حصل بفضل هذا التناسب وجود مقطع صوتي موحّد، يمتد من الآية الأولى إلى الآية الثامنة، وقد أسهم المدّ في رويّ الفواصل في إحداث نغمة خاصة، كما وفّر هذا الحذف للفاصلة نغما متميّزا فيه استمالة الذهن للوقوف أمام الكون لمعرفة حقيقة الإبداع الرباني، تقود المخاطب يشعر من خلالها بالأنس والانشراح.

وأما الفائدة المعنوية، فإنها تتبيّن من خلال ملاحظة الفرق الدلالي بين الفعلين: (ودّع) و(قلى)، إذ يحمل الأول دلالة الهجر فقط، بينما يحمل الثاني معنى الكره والبغض، وإثبات الفعل في الجملة الأولى: (ما ودّعك ربك)، وحذفه من الجملة الثانية (وما قلى)، إذ " تقتضيه حساسية مرهفة بالغة الدقّة واللطف، هي تحاشي خطابه، تعالى، رسوله المصطفى

---

[1] **الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، ج4، ص184–185.**

[2] **الضحى ، 1–3.**

في موقف الإيناس، بصريح القول و"ما قلاك"[1]، مراعاة لمشاعر الرسول، صلى الله عليه وسلّم، حينما يذكر، سبحانه وتعالى، القلى مع حذف المفعول به: (كاف المخاطب)، لما يحمله من معاني السخط والإبعاد، وفي الآية إشارة إلى تشريف النبيّ، صلى الله عليه وسلّم، وتنزيهه من أن يذكر ضميره مع فعل المقت والبغض حتى لو كان الفعل منفيّا[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴾[3]، حذف ياء المتكلّم مخلّفة بذلك التناسب في الفواصل السابقة واللاحقة.

وأمّا في قوله تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾[4]، وفي قوله عزّ من قائل: ﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴾[5]، فقد تمّ حذف كاف المخاطب[6]، والتي تمثّل المفعول به في كلّ من (قلى)، و(آوى)، و(هدى)، و(أغنى)، والمعنى: (ما قلاك، فآواك، فهداك، فأغناك)، نتج عن هذا الحذف الحفاظ على وحدة المقطع، والسير على إيقاع واحد، وهو إيقاع مفتوح من خلال المدّ في الحرف الأخير والذي يدلّ على سعة فضل الله على نبيه، صلى الله عليه وسلّم.

---

[1] الإعجاز البياني للقرآن، دراسة لغوية، عائشة بنت الشاطئ، ص**269**.

[2] ينظر: التفسير البياني للقرآن، عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج**1**، ص**35**.

[3] إبراهيم ، **40**.

[4] الضحى ، **3**.

[5] الضحى ، **6-7-8**.

[6] إن الوصف بالضلال معناه عدم العلم، وليس الضلال الكفري، حاشاه، صلى الله عليه وسلّم، وإنما تضمّن الوصف تقريرا بحال وليس في الأمر ذمّ، ينظر: إتحاف الإلف، محمد بن موسى نصر، وسليم بن عيد الهلالي، ص**46**.

ثمّ حذف هاء الغائب في كل من (تقهر)، و(تنهر) في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾[1]، أي: لا تقهره، ولا تنهره[2]، تشكّل نتيجة له مقطع موسيقي جديد يختلف عن سابقه، ميزته الشدّة والسرعة؛ لأنّ الخطاب قد تحوّل إلى النهي بعد أن كان موضوعه المؤانسة والتحنّن.

وحذف المصوّت الطويل (الياء) في الفعل (يسري)، فعند قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾[3]، رغم أنّ الفعل (يسر) غير مجزوم، لكن رعاية للفاصلة المبنيّة على الراء المكسورة: "وهي قراءة الجمهور بحذف الياء وصلا ووقفا"[4]، يقول الفرّاء: "وحذفها أحبّ إليّ لمشاكلتها رؤوس الآيات، لأن العرب قد تحذف الياء وتكتفي بكسر ما قبلها"[5]، في حين أنّ القاعدة العامة عند أهل النحو تميل إلى إثبات لام الفعل في المضارع المعتلّ الآخر، وقد يعود حذف هذا الصوت المديد إلى قصر سريان اللّيل، "فتحس سريانه في هذا الكون العريض، وتأنس بهذا الساري على هينة واتّئاد"[6]، والقرآن الكريم عبّر عن الزمن القصير بحذف الحركة الطويلة.

---

[1] الضحى ، 9-10.

[2] ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج5، ص340.

[3] الفجر ، 4.

[4] ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ط سنة: 1992، ج8، ص463.

[5] معاني القرآن، الفراء، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1972، ج3، ص273.

[6] التصوير الفني في القرآن الكريم، جبيّر صالح حمادي،، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2007 ، ص121.

وحذف الصائت الطويل هنا يمثّل رأس الآية، وحذفت الياء من الفعل (يسري) من أجل التناسب مع الفواصل السابقة واللاحقة، إضافة إلى إبراز معنى الخفّة والهدوء في حدوث الليل وانسيابه على الكون، كما تناسب الزمن الذي تستغرقه كلمة (يَسْر) مع قِصر الآيات في سورة الفجر كذلك، ممّا أدّى إلى تحقيق التوازن الصوتي بن الكلمات والجمل.

ومن أجل التّخفيف والتناسب مع الفواصل السابقة واللاحقة حُذف المدّ من كلمة (المتعال) في قوله تعالى: ﴿ **عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ** ﴾[1]، وأصلها: (المتعالي)، إلا أنّ تيّار الفواصل السابقة عمل على إلغاء المدّ لكي يتناغم إيقاعها مع سابقاتها، فتتشكل بذلك الوحدة الإيقاعية في هذه الفقرة، بداية من الفواصل: (العقابِ) من الآية: 6، (هادٍ) من الآية: 7، (مقدارٍ) من الآية: 8، ويستمر الإيقاع على وتيرة واحدة حتى نهاية السورة.

ومن أجل تحقيق الوحدة الصوتية على طول هذا المقطع فقد تمّ إلغاء المدّ اليائي من كلّ من الفواصل: (متابِ) من الآية 30، و(عقابِ) من الآية: 32، و(مئابِ) من الآية 36.

وتظهر المزية الأسلوبية ملازمة لحذف حرف التاء من (استطاعوا) الأولى في قوله تعالى: ﴿ **فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا** ﴾[2]، أي أن يصعدوا عليه،

---

[1] **الرعد ، 9**

[2] **الكهف ، 97.**

فحذَف التاء، والأصل (استطاعوا)، ثم قال : (**وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا**)، بإبقاء التاء، وذلك أنه لما كان السّدّ هو سبيكة من قطع الحديد والنحاس، كما في قوله تعالى: ﴿**ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا**﴾[1]، فإنّ صعوده أيسر من نقبه وأخفّ عملا وأقصر زمنا، فخفّف الفعل للعمل الخفيف، وحذف التاء، فقال: (**فما اسطاعوا أن يظهروه**)، وطوّل الفعل فجاء بأطول بناء له للعمل الثّقيل والأطول زمنا[2]، فقال: (**وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا**)؛ فحذفت(التاء) في الصعود وجاء بها في النقب[3].

فقد ظهر الفرق في الزمنين اللازمين لكل من الظهور على السدّ ونقبه، فالعملية الأولى لا تتطلّب زمنا طويلا؛ فحذف مقابل معناها، وأمّا الثانية؛ فإنها تستغرق زمنا طويلا؛ لأن السدّ قد بناه ذو القرنين من الحديد المذاب، وعملية ثقبه أصعب وأطول زمنا من الصعود عليه.

وحذفت التاء من الفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿ **فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ** ﴾[4]، إذ لا ينبغي أن يكون الفعل (تولّوا) ماضيا إلا بتقدير محذوف[5]؛ هو:

---

[1] **الكهف، 96.**

[2] **ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرّائي، مكتبة النهضة، بغداد، ط1 (طبعة خاصة بالعراق)، 2006، ص9.**

[3] **ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج 14 ، ص38.**

[4] **هود ، 57**

[5] **ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، تح: أحمد محمّد الخرّاط، دار القلم، دمشق، سوريا، دط، دت، ج6، ص344.**

(فقل لهم قد أبلغتكم)، ولا شكّ أنّ اعتبار الفعل مضارعا أقرب إلى التماشي مع مراحل الدعوة، فإنّ التولّي أو الإعراض من قبل القوم يكون بعد أن تتمّ دعوتهم، والغاية من حذف حرف التاء هو التحذير من خلال التقليل من حجم المعنى في الفعل، من أجل إبراز أن التولّي مهما كان يسيرا فإنّ عاقبته ستكون وخيمة على قوم سيدنا هود، عليه السلام.

وكذلك حذفت الياء في (نذر) الواردة في قوله تعالى: ﴿ **فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ** ﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿ **فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ** ﴾[2]، إذ تكمن جمالية هذا الحذف في المناسبة التي أحدثها قِصر كلمة (نذر) عندما نجرّدها من المدّ مع قِصر الآيات على طول سورة القمر.

وحذفت (الياء) من الكلمتين: (نذيري، نكيري) في سورة الملك، قال تعالى: ﴿ **أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ** ﴾[3]، والمعنى: "إذا رأيتم المنذر به علمتم كيف إنذاري حين لا ينفعكم العلم"[4]، وقد وردت الآيتان متوسطتان في مقطع صوتي فواصله متقاربة، انتهت كلّها برويّ واحد، وهو الرّاء الموقوف عليها بالتسكين، وهذا ابتداء من الآية الأولى وإلى

---

[1] القمر، 16 و21 و30.
[2] القمر ، 37 و39.
[3] الملك ، 17–18.
[4] الكشاف، الزمخشري، ج29، ص1127.

غاية الآية الواحدة والعشرين، بحيث جاءت الفواصل كما يلي: (قدير، الغفور، فطور، حسير، السعير، المصير، تفور، نذير، كبير، السعير، السعير، كبير، الصدور، الخبير، النشور، تمور، نذيرِ، نكيرِ، بصير، غرور، نفور)، استلزم التنسيق بينها أن تحذف ياء الإضافة من الكلمتين (نذيري ونكيري)، والاكتفاء بالكسرة في نهايتيهما للدلالة على معنى الإضافة، فيكون المعنى بيّنا دون المساس باعتدال الصوت وتناسب الإيقاع في هذا المقطع.

وحذف حرف التاء أيضا من (تتنزّل) في قوله تعالى: ﴿ **تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ** ﴾[1]، وإثباتها في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾[2]، تشير إلى الفرق بين نزول الملائكة في ليلة القدر، ونزولهم لأخذ أرواح من يتوفّى من الناس من جهة عدد المرّات التي يتمّ فيها النزول، ومعلوم أنّ ليلة القدر لا تحدث إلا مرّة واحدة في السنة، بينما يكون نزول الملائكة المكلّفين بحمل الأرواح، بعد انقضاء آجال أصحابها، في سائر الأيام والأوقات، فكان التعبير عن الأولى بحذف حرف من الفعل للدلالة على قلّة عدد مرّات النزول، وتخصيص ليلة القدر به دون سواها من أوقات السنة.

وبغية تحقيق الوحدة الإيقاعية في سورة النمل حُذف صوت المدّ اليائي من (تشهدون) في قوله تعالى: ﴿ **قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ**

[1] القدر ، **4**.

[2] فصلت ، **30**.

تَشۡهَدُونِ ﴾[1]، ففي حالة الوصل نثبت حركة الكسرة عند قراءتنا للنّون في (تَشْهَدُونِ) من دون مدّها، نستطيع معه أن نقول إنّ جزء من المفعول به قد حذف، أمّا في حالة الوقف فدلالة المفعول به محمولة على بقاء نون الوقاية الدالّة على الحذف الواقع في الجملة، أسفرت العملية عن الاعتدال الإيقاعي على مستوى الفقرة الموسيقية الممتدّة على طول السورة.

3-1-5- القلب عن طريق زيادة الحروف

كما زيدت بعض الحروف في بعض المواطن من القرآن، وكان من جملة الفوائد تحقيق الوحدة الصوتية، إذ يكون أوّل ما ينتج اعتدال الصوت بما يتناسب مع الجوّ الموسيقي العامّ للفقرة الصوتية الواحدة، باعتماد التناسب في الفواصل.

ففي قوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ٢٣ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ** ﴾[2]، أضيفت هاء السكت إلى كل من (كتابيه، حسابيه)، "وإنّما يصلح إثبات هاء الوقف في الفواصل لأنّها مسكوت عليها، على أنّ دخول الهاء أمارة إذا وصل القارئ الآية بالآية"[3]، وقد كان لها صدى الفرح والسرور الذي يدفع صاحبه إلى إعلان فوزه والتعبير عن سعادته، محاولا إيصال الخبر إلى أهله وتبشيرهم به ليسعدوا معه.

---

[1] النمل ، 32.

[2] الحاقة ، 19 ، 24.

[3] حجة القراءات، أبو زرعة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط سنة1393هـ، ص719.

وأمّا في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴾[1]، فإنّه لا يخفى الشعور بالحزن والرهبة الذي تركته هاء السكت المزيدة في كلّ من (كتابيه، حسابيه، ماليه، سلطانيه)، عملت على تحقيق الفواصل مع ما قبلها لتناسبها في الإيقاع مع (خافية، راضية، عالية، دانية، الخالية، القاضية)، فكان لهاء السكت في فواصل هذا المقطع الصوتيّ وقع نفسي يدلّ على الحسرة وخيبة الأمل، حالة تهزّ القارئ والسامع من الأعماق جرّاء هذا النغم الموسيقي الحزين، فقد أدّت وظيفتها الصوتية والأدائية في قراءة القرآن الكريم، والهاء صوت يخرج من الأعماق يناسب استعماله التعبير عن المشاعر والأحاسيس، تلك المشاعر التي يسيطر عليها الحزن والخوف والهلع، عندما يأخذ الكافر كتابه بشماله، ويسمع نتيجة الحساب المخزية، فعند ذلك يصل به اليأس إلى درجة الفزع الذي جرّه إلى أن يجهر بألمه في تأوّه وآهات عند قوله: ﴿ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴾، ينضاف إليه استعمال الفعل (هلك) في غير موضعه الحقيقي؛ إذ الأصل فيه أن يجعل للأعيان والأشخاص[2]، ولو قيل: (ذهب عني) لم يفد ما أفاده الفعل (هلك)، إذ ليس مع الهلاك بقاء أثر ولا رجوع، وهو ما زاد في نماء الصورة من خلال الدلالة على شدّة التحسّر، معلنا أنه قد خسر الخسران المبين.

---

[1] الحاقة ، 25–29.

[2] بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ضمن ثلاث رسائل، ص38.

وفي قوله تعالى: ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴾[1]، نجد هذا الصوت الذي له وقع خاص يكمن في إعطاء السياق تلوينا صوتيّا يعمّ الكلمات المجاورة للكلمة التي وردت فيها وتكشف عن عدّة دلالات، وذلك بإلحاق هاء السكت في "هِيَهْ" لتوافق الفاصلة الأولى والثانية من سورة القارعة.

3-1-6-القلب في الوزن:

ومن القراء من اختار في قراءته لفظا على آخر من أجل الفاصلة، فعند قوله تعالى: ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ﴾[2]، فكلمة (نخرة) "قرأها أبو بكر وحمزة والكسائي بألف، على وزن فاعلة"[3]، وهذه القراءة بغية توافق الفواصل في رؤوس الآيات السابقة للكلمة كالحافرة الرادفة والراجفة والساحرة واللاحقة كالخاسرة والواحدة والساهرة.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴾[4]، قد أجمعت التفاسير على أنّ المراد من (طور سينين) هو جبل الطور الذي كلّم الله، تعالى، عليه موسى، صلى الله عليه وسلّم[5]، وقيل سينين لغة في سين، وهي صحراء بين

---

[1] القارعة ، 9-10.

[2] النازعات ، 11.

[3] الكشف عن وجوه القراءات، مكّي القيسي، تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1394هـ، 1993، ص361.

[4] التين ، 1-2-3.

[5] ينظر: تفسير ابن كثير، ج8، ص434، وأضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدّة ، السعودية ، ط2، 1980م، ج5، ص329.

مصر وبلاد فلسطين[1]، وقرأ بعضهم[2]: (**وطور سيناء**)، لنسبته إلى منطقة سيناء، ولقد ورد هذا اللفظ في سورة (المؤمنون) في قوله تعالى: ﴿ **وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ** ﴾[3]، وقرئت: (سِينَاءَ) بكسر السين ومدّها[4].

ونسجّل في سورة التين، أيضا، أن الفواصل جاءت نونيّة كلّها إلا واحدة ميمية: (تقويم)، مع ملاحظة عدم وجود اختلاف صوتي ظاهر بين النون والميم، خاصة في حال السكون، وكلاهما يؤدّي وظيفة الغنّة، فكان الإيقاع في منتهى الانسجام على طول السورة، ولا يظهر فرق بين مقاطعها، ساهم في هذا الانسجام إعادة هيكلة كلمة (سيناء)، وتحويلها إلى (سينين) لتواكب الإيقاع المتّحد لبقية الفواصل، والإبقاء على نغم واحد[5].

ومن الجانب الإيقاعي، أيضا، فإننا لا نستطيع العدول عن كلمة (أمين) إلى غيرها دون المساس بالبناء الجميل للسورة، التي ركِّبت على سبعة فواصل منسجمة تنتهي كلها بروي النون قبلها مدّ يائيّ، كما في (التين، سنين، الأمين، سافلين، الدين)، أو واويّ كما في (الزيتون، ممنون)، كما تجمله في المقطع الصوتي في السورة بالروي الميمي في (تقويم) لا تكاد تحس بتغيّر موسيقي أثناء الأداء سببه التماثل بين النون والميم في المخرج والوظيفة.

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير، ج**30**، ص**421**.

[2] وهم: عمر بن الخطاب، وعبد الله، وطلحة والحسن، ينظر تفسير البحر المحيط، ج**8**، ص**486**.

[3] المؤمنون ، **20**.

[4] كما في قراءة نافع.

[5] كما ينبغي أن نسجل، هنا، أنّ كلمة (سينين) لم تأت من شذوذ أو عدم استعمال، وهذا ما تبيّنه عدّة آراء تفضي إلى أنّها تنسب إلى قبائل عربية أخرى، كبكر وتميم، وأشار آخرون إلى أنّ كلمة (سينين) أريد بها شجر، واحدها سينينة، ينظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج**8**، ص**485** و**486**.

ومن صور الفاصلة ما تغيّر فيها شكل التعبير، وانقلب من أوزان الأفعال إلى أوزان الأسماء، وهذا تماشيا مع السياق ووقوفا عند الدلالة، فعند قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾[1]، وظّف القرآن الفعل (ألقى) بدلا من (نلقي) لغرضين الإيقاع الموسيقي، والتلميح إلى قرب إيمان السّحرة فقد تأدبوا معه في الحوار، وكأنّ اللّه يهيّئهم للإيمان برسالة موسى عليه السلام.

وبالمقابل نجد في سورة الأعراف استعمل (ملقين)، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾[2]، كذلك في هذا السياق تحلى السّحرة بأدب المعاملة معه فاستخدموا اسم فاعل مراعاة للفواصل في الآيات السابقة: (حاشرين، الغالبين، المقربين)، وهذا من إعجاز القرآن الكريم: يأتي باللفظ حسب المعنى الذي يقتضيه.

وعليه فإنّنا نجد اهتمام القراء بتحقيق الانسجام الصوتي وتناسق الفواصل، من خلال اختيار البناء المناسب للكلمات بما تتيحه مرونة العربية من إمكانية التقليب بين الحركات والحروف بما يحقق الوحدة الإيقاعية، "فحينما يقع التغاير القرائي في حركات بنية اللفظ يؤْثر بعض القراء البناء الذي يحقق توافق الفواصل، ويقتضيه تناغم الإيقاع فيما بينهما"[3].

---

[1] طه ، **65**.

[2] الأعراف ، **115**.

[3] **التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، سعد محمد، ص507**.

3-2- القلب الصوتي على مستوى التراكيب:

نعالج في هذا المبحث ظاهرة القلب من الناحية الصوتية، ونتتبّع الظاهرة في الجمل وما يقع فيها من اضطراب في ترتيب أجزائها، بحيث تكون العناية بالفواصل من متطلّبات هذا القلب، وذلك بتأخير ما حقه التقديم، وتقديم ما حقه التأخير، عناية بتركيب السياق، وتنسيق الألفاظ، وترتيب الفواصل.

ففي قوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾[1]، تقدّم المفعول به على الفعل المضارع، فهذا التقديم يخدم الفاصلة فيتحقّق حرف النون مع أمثاله في الفواصل السابقة، كما أنّ المضارع يوحي إلى التجديد، وتقديم المفعول لرعاية الفواصل لا للتخصيص إذ الكلام في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول، أي (ما ظلمهم الله ولكن ظلموا أنفسهم)، وصيغة المضارع للدلالة على التجدد[2].

وعند قوله تعالى: ﴿ إِنّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ وَإِنّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَىٰ﴾[3]، يلاحظ تقديم الآخرة لأنّها دار الجزاء والثواب، وهذا التقديم والتأخير جاء لتحقيق الفاصلة، والمعنى هو التأكيد على إحاطة الله بالناس والسيطرة عليهم.

وكذلك في قوله، عزّ وجلّ: ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴾[1]، فقد قدّم نكال الآخرة على الأولى؛ لأنّه أشدّ وأبقى، وهو النكال الحقيقي الذي يصيب الطّغاة والعصاة،

---

[1] النحل ، 33.

[2] ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو سعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت، دط، ج2، ص75.

[3] الليل ، 12-13.

ولأنّه الأنسب للسياق الذي يتحدّث عن الآخرة، ويجعلها موضوعها الرئيس، ولأنّه يتّسق لفظيا مع الإيقاع الموسيقي في الفاصلة بعد اتّساقه معنويا مع الموضوع.

وفي قوله، سبحانه وتعالى: ﴿ **وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ** ﴾،[2] ورد في الآية الكريمة تقديم المحسنين على الظالمين لأنفسهم، وهذا تركيب نعدّه قلبا عن الأصل للاعتبارات التالية:

1- تقرّر، سابقا، تقديم الكثير على القليل، وفي قوله تعالى:﴿ **وقليل من عبادي الشكور**﴾،[3]، وقوله تعالى: ﴿ **وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ** ﴾[4]، والثلّة: المجموعة القليلة، وقوله، سبحانه، في بيان فئة أصحاب اليمين: ﴿ **لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٣٨ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٩ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ** ﴾[5] دليل على أنّ فئة المؤمنين أقلّ من فئة الكافرين.

2- غلبة صفة الكفر على الإنسان بداءة، وذلك أنّه لو ترك العباد من غير أن يرسل الله إليهم الرسل والأنبياء لساد الكفر ولطغى الشرك في الأرض، فكانت شريعة الكفر متّبعة أوّلا، ثمّ ظهرت شريعة التوحيد ثانيا بعد نزول الرسالات إلى الأرض، وتبليغ العباد

---

[1] النازعات ، **25**.

[2] الصافات ، **113**.

[3] سبأ ، **13**

[4] الواقعة، **10-14**.

[5] الواقعة ، **40-42**

بدين الله الواجب اتباعه، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٌۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1]، وفئة المؤمنين نفسها ستنقسم إلى أصناف أخرى، تكون أزكاها هي الفئة المتأخّرة من حيث الكثرة، قال، عزّ وجلّ: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٌ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٌ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾[2]، ممّا يجعل التأخير في ذكر أرقى الفئات الثلاث، وهم السابقون بالخيرات، لقلّتهم، وصغر دائرتهم نسبة إلى دائرة المؤمنين عموما.

وبناء على هذه الاعتبارات، يمكننا أن نقول: إنّ الترتيب في آية الصّافّات جاء على عكس الأصل، ولا شك أن دافع التوافق بين الفواصل كان حضوره قوياّ، فلقد حافظت الآيات السابقة واللاحقة على الإيقاع الصوتي نفسه، وأبقته متجانسا في جميعها، نلاحظ ذلك من خلال بعض الآيات السابقة لها، قال تعالى: ﴿ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[3]، فلقد ختمت الآيات جميعها بنون أو ميم يسبقهما حرف المدّ، وإنّ ما تحدثه النون في نهاية قوله تعالى: **(ظالم لنفسه مبين)**، يقي من حدوث التقطّع في الإيقاع الصوتي في هذا الجزء من السورة؛ بل في السورة كلّها، ويحافظ على الاستمرارية في الوزن والتناغم بين الآيات مع بعضها كأنّها لآلئ في عقد واحد.

[1] **التغابن ، 2.**

[2] **فاطر ، 32.**

[3] **الصافّات ، 108–112.**

وتتجلّى باعثية الحفاظ على الإيقاع في قوله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾[1]، وقد تأخّر فاعل أوجس، وهو موسى، لكونه فاصلة؛ لأنّ الأصل في الكلام أن يتّصل الفعل بفاعله ويتأخّر المفعول، إضافة إلى الغرض البلاغي المتمثل في تشويق النفس إلى معرفة الفاعل من هو.

وفي قوله تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾[2]، فقد تقدَّم هارون على موسى هنا رعاية لفواصل آيات السورة التي انتهت في أغلبها بالألف والألف المقصورة.

بينما تواتر في القرآن الكريم، حين يُذكر هذان النبيّان الكريمان، تقديم موسى على هارون، ففي سورة الأعراف، نجد قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾[3]، قال أبو حيان الأندلسي: "وقُدّم موسى في سورة الأعراف، وأخِّر هارون لأجل الفواصل، ولكون موسى، عليه السلام، هو المنسوب إليه العصا التي ظهر منها ما ظهر من الإعجاز، وأخِّر هنا موسى لأجل الفواصل"[4]، وفي سورة يونس، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾[6]، ممّا يدلّ على أنّ موسى هو صاحب الشأن في هذه الرسالة، وأخوه هارون هو وزيره

---

[1] طه ، 67.
[2] طه ، 70.
[3] الأعراف ، 121–122.
[4] البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج6، ص256.
[5] يونس ، 75.
[6] يونس ، 87.

ومساعده، فلزم في الأصل تقديم صاحب الأمر على من دونه، وكذلك في الشعراء، قال، عزّ من قائل: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۝٤٦ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾[1]، فلمّا قُلب الترتيب بين موسى وهارون، في سورة طه، حصل ما يشبه التنبيه في ذهن السامع، من خلال الانقلاب على ما عهده من تقديم موسى على هارون، ولقد تولّد هذا التتابع نتيجة الاعتياد على نمط واحد من الجرس الموسيقي الذي يرافق الكلمات أثناء تركيب الجمل في القرآن الكريم.

كما تظهر المزية الإيقاعية في تقديم (يومئذ)، في قوله تعالى: ﴿ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾[2]، وإعادة تقديمها في قوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾[3]، ثمّ تكرارها في قوله تعالى: ﴿ يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾[4]، وتأخير كلّ من: (أين المفرّ)، و(المستقرّ)، و(بما قدّم وأخّر)، هي ثلاث فواصل بُثّت متقطّعة في وسط إيقاعي متجانس، يعلوه صوت الراء، فالمقطع يجلّي لنا الموقف، ويصف حالة الرهبة من خلال الإحساس المفزع الذي يصاحبه الوقوف على صوت الرّاء، ثمّ يتنامى هذا الإحساس بتكرار الفاصلة الرائية نفسها من الآية السابعة إلى الآية الثالثة عشر، وهو موقف تتكشّف فيه حقيقة يوم القيامة بأهوالها وشدائدها، لتصوّر حالة القلق والفزع التي تعمّ تفكير الإنسان ومشاعره، إنّها رحلة طويلة في الزمن المفعم بالخطوب والقوارع.

---

[1] الشعراء، 46-47-48.

[2] القيامة، 10.

[3] القيامة، 12.

[4] القيامة، 13.

كما يعكس تقديم كلمة (يومئذ) وتكرارها ثلاث مرّات في السياق الواحد، الاهتمام بعنصر المفاجأة، إذ كان سؤال الإنسان عن توقيت يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[1] لغرض الإنكار والتهكّم، فكان الردّ بالتعقيب: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾[2]، للتأكيد والتعجيل، ثمّ بالتقديم والتكرار في (يومئذ) لغرض الإنذار والتوبيخ.

ينضاف إلى هذا أنّ التأخير الحاصل في الآيات المعنيّة يسبّب حالة التشوّق والتطلّع إلى معرفة ما تمّ تأخيره، ليزيد بذلك من تعظيمه وهيبته لدى المخاطبين، فيجعلهم في حالة من الوجل والرهبة من هذا الموقف العصيب، يحملهم على الاستعداد له، والإيمان بوقوعه لا محالة.

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾[3]، تأخير (ينصرون) حتى تكون فاصلة متلائمة مع الفواصل السابقة واللاحقة.

وفي قوله تعالى: ﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴾[4]، تقديم الجار والمجرور وتأخير خبر كان (لغافلين) تماشيا مع الفواصل الشائعة في السورة.

---

[1] القيامة ، 6.

[2] القيامة ، 7-8-9.

[3] الأعراف، 192.

[4] يونس، 29.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[1]، ومثله قوله، سبحانه وتعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2]: تمّ تقديم الخبر[3]، عمل على توحيد الفاصلة.

أما الفائدة المعنوية فأساسها الانطلاق من العنصر المهمّ في التركيب، والذي كان محلّ الانحراف في اعتقاد المشركين، ففي الآية الأولى وجّه الخطاب إلى الملائكة، مفاده (هل كان هؤلاء المشركون يعبدونكم أنتم؟)، فقدّم (هؤلاء إيّاكم) للعناية والاهتمام، وفي الآيتين الثانية والثالثة قدّم (باطلا، وباطل) وهما في مقام خبري كان للغرض نفسه.

أمّا في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[4]، فإن الترتيب الزمني في قوله تعالى:(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) مقلوب؛ لأن الوجود أسبق من الإيجاد، وكل ما تلبّس بالولادة من المخلوقات إنّما يولد أوّلا ثم يلد.

ولعلّ الفائدة من قلب الترتيب في الآية أن المشركين لم يكن تكذيبهم وكفرهم بسبب أنهم ادّعوا أن لله واجدا أو والدا؛ بل كان ادّعاؤهم أن نسبوا لله الولد، كما قال، تعالى،

---

[1] سبأ ، 40.

[2] هود ، 16

[3] ينظر المحتسب، ابن جني، ج1، ص319–320.

[4] الإخلاص ، 1–4.

في مشركي قريش: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[1]، وقالوا أن الملائكة بنات الله، سبحانه عما يقولون، فبدأ بنفي ما هم به متلبّسون، فيكون أوّل ما يقرع آذانهم هو دمغ معتقدهم وما تعاطوه وتعارفوا عليه في أن لله أبناء.

قال الزمخشري: "فإن قلت: الكلام العربي الفصيح أن يؤخَّر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدّم، وقد نصّ سيبويه على ذلك في كتابه، فما باله مقدّما في أفصح كلام وأعربه؟ (قلت): هذا الكلام إنما سيق لنفي المكافاة عن ذات الباري، سبحانه وتعالى، وهذا المعنى مصبّه ومركزه هو هذا الظرف، فكان لذلك أهمّ شيء وأعناه وأحقه بالتقديم وأحراه."[2]

والجار والمجرور في هذه الجملة ليسا خبرا لكان؛ لأنه ناقص وغير تام، إنّما قدّم على متعلّقه (كفوا) للاهتمام لاشتماله على ضمير الباري، تعالى، وتقدير الآية الكريمة (ولم يكن أحد كفوا له)[3] .

كما أن مجيء اسم كان فاصلة وتقدم الخبر (كفوا) أحدث قلبا في المراتب حسن به نظم الآية.

---

[1] الزخرف ، 19.
[2] الكشاف، الزمخشري، ج30، ص1228.
[3] تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج8 ، ص531.

3-3-القلب الصوتي على مستوى المقاطع الجُمليّة:

نعني بالمقطع الجمليّ: الفقرة الموسيقية التي لها فواصل متّحدة، أو متماثلة، أو متناسبة، يميّزها إيقاع خاص، قال الزركشي: "اعلم من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله، فلابد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض، وفواصل القرآن الكريم لا تخرج عن ذلك، لكن منه ما يظهر ومنه ما يستخرج بالتأمل اللّبيب"[1]، وعلى هذا يتمّ التمييز بين الفقرات.

3-3-1-القلب الصوتي في المقاطع الجملية في السور الطوال:

سنتطرّق فيما يلي إلى تتبّع ظاهرة القلب في مستواها الصوتي في بعض السور المكّية التي تعدّ من السور الطّوال:

سورة الأنعام:

تضم السورة مائة وسبع وستين (167) آية، فواصلها متشابهة، انتهت معظمها بالنون قبلها مدّ يائي (57) مرّة، أو واويّ (87) مرّة، ممّا جعلها تسير على نغم موسيقي ثابت، تخلّلتها بعض التقلّبات في نهايات فواصلها، بالرّاء قبلها ياء مدّية (4) مرّات في المواضع التالية: (قدير)، الآية: 18، (خبير)، الآيات: 19، 74، 104، وبالرّاء قبلها واو مدّية (النّور)في الآية الأولى، وباللام يسبقها مدّ يائي في (وكيل)، في الآيتين: 103، 108، وبالظاء في (حفيظ)، في الآية: 105.

[1] البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص78

شملت السورة مواضيع متعدّدة، تدور جلّها حول عقيدة التوحيد، والإيمان باليوم الآخر، وذكر بعض الأنبياء، وتقرير بعض الشرائع الإسلامية، كما وقفت السورة على تكذيب المشركين في مزاعمهم بتحريم ما أحلّ الله لعباده من الطعام، ولعلّ الفقرة البارزة بإيقاعها المختلف عن باقي آي السورة، تبدأ من قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠** ﴾[1]، لتتوالى بعد ذلك الفواصل المغايرة لما كان سائدا في السورة، إذ نجد الآيات التالية فواصلها: (عليم)، ثمّ (وكيل)، ثمّ (خبير)، ثمّ (حفيظ)، هي أربع فواصل شكّلت مقطعا إيقاعيا مميّزا ومختلفا، (فواصل مختلفة، وإيقاع أسرع من ذي قبل)، على طول المقطع الطويل الذي شكّل إيقاع السورة من بدايتها إلى نهايتها، ولو تأمّلنا موضوع هذه الفقرة ألفيناه يعالج قضية الشرك، وهي، كما نعلم، أولى الأولويات في موضوعات القرآن الكريم كلّه، إضافة إلى صفات الله، عزّ وجلّ، قال تعالى: ﴿ **ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣** ﴾[2]، فلمّا كان الأمر بهذه الأهمّية انقلب الإيقاع وتحوّل من النون إلى الراء واللام، محدثا بذلك خروج عن النّغم المألوف في السورة، كان له الأثر في موضعه، من حيث القوّة التي تميّز بها الرد على مزاعم المشركين وقرع آذانهم بالحقائق الثّابتة والأدلّة الدامغة.

---

[1] الأنعام: 100.

[2] الأنعام، 102، 103.

سورة الأعراف:

تعدّ سورة الأعراف من السور الطوال، فهي تضمّ مائتين وستّ (206) آيات، تتراوح بين الطول والتوسّط، فمن أمثلة الآيات الطويلة قوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾** ﴾[1]، تتميّز السورة بإيقاعها المتّحد، من أوّلها إلى آخرها، أغلبية فواصلها نونية الرويّ قبله مدّ بالياء أو الواو، مثل (المؤمنين، تذكّرون، قائلون، تتّقون، الغافلين، يسجدون)، تتخلّلها بعض الفواصل الميمية، مثل: (أليم) في الآية: 73، و(عظيم) في الآيتين: 116 و141، و(إسرائيل) في الآية: 134، و(رحيم) في الآيتين: 153 و167، و(عليم) في الآية: 200.

يتميّز إيقاعها بالوحدة الصوتية، ذات الفواصل المفتوحة على المدّ النوني، غالبا، وبعض الفواصل الميمية، تتناسب فواصلها مع طولها، فإن القارئ يجد سهولة في قراءة السورة ذات الفواصل النونية، والميمية التي تعدّ قلبا صوتيا يبعث على التجدّد في الإيقاع العامّ للسورة.

---

[1] الأعراف ، **143**.

سورة هود:

تشتمل السورة على مائة وواحد وعشرين (121) آية، متوسطة الطول، متنوّعة الإيقاع، افتتحت بحروف التهجّي: (**ألر**)، تميّز مطلعها بالفاصلة ذات نهاية رائية: (خبير، بشير، كبير، قدير، الصدور) في الآيات الخمس الأولى، في قوله تعالى: ﴿ **الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٍ فَضۡلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ كَبِيرٍ ۝٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ ۝٤ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥** ﴾[1]، ذات الإيقاع السريع، الذي سرعان ما يتباطأ ابتداء من الآية السادسة، بالموازات مع انقلاب الفواصل إلى النون التي يسبقها مدّ بالياء أو الواو، كما في قوله تعالى: ﴿ **۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ**

---

[1] هود : **1–5**.

إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦ ﴾[1]، ليعود الإيقاع إلى صوت الراء في الآيات التاسعة والعاشرة والحادية عشر، ذوات الفواصل: (**كفور، فخور، كبير**)، ثمّ اللّام في الآية الثانية عشر ذات الفاصلة (**وكيل**)، ثم يعود إلى الفاصلة النونية من الآية الثالثة عشر إلى الآية الرابعة والخمسين، بحيث تعدّ فقرة صوتية واحدة وإن اشتملت على بعض الفواصل الميمية، مثل: (أليم): في الآية 26، و(مقيم): في الآية 39، و(رحيم): في الآية 41، و(قليل): في الآية (40)، لأنّها لا تؤثّر في الإيقاع العام لهذا المقطع، عمل على ذلك التقارب في مخارج حروف النون والميم واللام، والتشابه في أصواتها، ممّا أبقى على إيقاع متّحد ومتواصل على طول هذه الفقرة الصوتية.

ثمّ ينقلب الإيقاع ابتداء من الآية 55، إلى الآية 83 ، لتشتمل على فواصل متنوّعة وسريعة، مثل (حفيظ، غليظ، عنيد، منيب، هود، مجيب، مريب، تخسير، قريب، مكذوب، ثمود، حنيذ، لوط، يعقوب، عجيب، مجيد، مردود،...)، يجمعها التشابه في الوزن والمقطع الصوتي الأخير، جاءت معظم النهايات بحروف تجمع صفات الشدة والجهر، والتفخيم، والقلقلة، ممّا يجعل منها فواصل قويّة ومدوّية، تبعث على الوجس والقلق والخوف، كما في: (مجيب، مريب، عصيب، عنيد، شديد، لوط، محيط،...).

---

[1] **هود ، 6.**

وفي الآيتين 84 و85، ينقلب الإيقاع مرّة أخرى إلى الانفتاح مع الفاصلة النونية، في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[1]، تستحضر مع هذا الإيقاع دلالة الاستعطاف والتلطّف؛ لأنّ المقام يستدعي أن يسيغ النبي خطابه لقومه في جوّ من الرحمة والاستلطاف والتودّد، وهو ما يتناسب مع متطلّبات الدعوة إلى الله، والنداء هنا يحمل في طيّاته إيقاعا يتميّز بالتلطّف والمودّة، ومحاولة تبيين وتوجيه أنظار القوم ولمس وجدانهم وإثارة حساسيتهم لإدراك القيم الخفية عليهم والخصائص التي يغفلون عنها في أمر الرسالة والاختيار لها، ويبصرهم بأنّ الأمر ليس موكولا إلى الظواهر السطحية التي يقيسون بها، وفي الوقت ذاته يقرر لهم المبدأ العظيم القويم، مبدأ الاختيار في العقيدة، والاقتناع بالنظر والتدبّر، لا بالقهر والسلطان والاستعلاء.[2]

سورة الشعراء:

ضمّت السورة مائتين وسبعا وستين (267) آية، افتتحت بحروف التهجّي: (طسم) فواصلها متشابهة من أوّلها إلى آخرها، مشكّلة بذلك وحدة إيقاعية على طول السورة،

---

[1] هود ، 84 ، 85.

[2] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج4، ص 1873-1874.

تناوبت النهايات بين النون والميم في أغلبها، ثمّ اللام في ثلاثة مواضع: (الآيات: 22، 59، 197).

أهمّ ما يميّز إيقاع هذه السورة العظيمة، هو التكرار في الفاصلة: (الرحيم) وسابقتها: (العزيز) في ثمانية مواضع متوزعة في سياقات متشابهة، تسرد لنا فصولا من تاريخ الأمم الغابرة، كقوم موسى، وقوم إبراهيم، وقوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط، وقوم شعيب، على أنبيائهم السلام، ثمّ التأكيد على الصيغة نفسها عندما يوجّه الخطاب إلى نبيّنا محمد، صلى الله عليه وسلّم، في قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ﴾[1]، بما يحمله من إشارات تتضمّن تهديد المشركين بمواجهة مصير الأمم السابقة، وتبشير النبيّ وأتباعه بالنصر على الأعداء جريا على عادة الأنبياء والصالحين من قبلهم.

وبالإضافة إلى التمييز الموسيقي الذي يحدثه الإيقاع المختلف في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2]، فقد عملت هذه الفاصلة على تحديد الفقرات الدلالية الخاصة بكل نبي وقومه، وكان الفصل بينها بيّنا فاسحا المجال للتدبّر والاعتبار.

3-3-2-القلب الصوتي في المقاطع الجملية في السور المتوسطة:

سورة القمر:

سورة مكّيّة، تشتمل على خمس وخمسين(55) آية، تتميز بجرس إيقاعي متناسق، فهي موحّدة الفواصل، تنتهي فواصلها براء ساكنة، والراء حرف من الحروف المجهورة والشديدة، وفي صفة التكرير نوع من القوة المضافة إلى بنية هذا الصوت، يقول تعالى : ﴿

---

[1] الشعراء ، 217.

[2] الشعراء ، 9، 68، 104، 122، 140، 159، 175، 191.

ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ۝٣ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ۝٤ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ۝٧ مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ۝٨ ﴾[1]، وإذا تأمّلنا هذه السورة نجد أنّ جوّ العنف والشدّة يخيّم عليها من مطلعها إلى ختامها، حالة مرعبة مفزعة عنيفة على قلوب المكذبين بالنّذر.

وقد ورد في ثنايا هذه السورة ذكر لمصير الأمم الغابرة كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم فرعون، حيث قال الله، تعالى، في حقّ عاد: ﴿ **كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٨ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ۝١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ۝٢٠** ﴾[2].

أما الآيتان الأخيرتان فإنّ جوّهما كان مخالفا للجوّ العام للسورة، حيث تنبعث منهما السعادة والأمن والطمأنينة، قال عز وجلّ: ﴿ **إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ۝٥٥** ﴾[3].

---

[1] القمر ، 1–8.
[2] القمر ، 18–20.
[3] القمر ، 54–55.

سورة الحاقة:

هي من السور المكّيّة، تعداد آياتها اثنتان وخمسون (52) آية، تنتهي أغلب آيات هذه السورة بفواصل تنتهي بهاء ساكنة، والهاء - كما هو معروف - من الأصوات الرخوة المهموسة، مما يمنح السورة نغما صوتيا متميّزا.

نجد أنّ لفظ (الحاقة) يتكرر ثلاث مرات في مستهل السورة، وفي نطقها مدّ وتشديد وسكت، مدّ الألف الساكنة بعد الحاء، وتشديد على القاف، وسكت على الهاء الساكنة، ثمّ يتغير جوّ الإيقاع بتغيّر الحرف الذي يسبق الفاصلة في (الطاغية)، (عاتية)، وبعدها يتغير الإيقاع مرة أخرى إلى جوّ من الهلع والفزع، في قوله تعالى: ﴿ **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١** ﴾[1]، ثم تنتقل الفاصلة من الهاء الساكنة إلى النون تارة، وإلى الميم تارة أخرى، فنشعر عند قراءتها بالهدوء والسكينة، يقول تعالى: ﴿ **إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝٣٤** ﴾[2]، ومن خلال هذا التقلّب في حرف الفاصلة يحدث التغير في الجوّ العام للسورة، من فزع ورهبة إلى هدوء وسكينة.

سورة الجنّ:

هذه السورة مكّيّة عدد آياتها ثمان وعشرون (28) آية، ختمت فواصلها بألف مدّ مسبوقة بحرف متحرّك، انتهت تسع عشرة آية منها بحرف الدال .

[1] **الحاقة ، 30-31.**

[2] **الحاقة ، 33-34.**

لا شك أنّ القارئ للسورة بقليل من الترتيل سيغمره شعور بالحزن والأسى، إنها قطعة موسيقية مطّردة الإيقاع، قوية التنغيم، ظاهرة الرنين.

يتعلّق موضوع السورة بالجنّ الذين يصفون حقيقة أمرهم، ويعرضون موقفهم من نبوّة محمد – صلى الله عليه وسلم – يقول عز وجلّ: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ ﴾[1]، وجاء ردّ الرسول – صلى الله عليه وسلّم– بالإيقاع نفسه ، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾[2]، عملت الدال على خلق جوّ الإثارة من خلال صفة الجهر فيها .

سورة المزّمّل:

تعدّ من أوائل السور نزولا، عدد آياتها ثمان عشرة (18) آية، اشتملت على فقرتين صوتيّتين، امتدّ المقطع الأول من أوّل السورة إلى الآية السابعة عشر، اتّسم هذا المقطع بإيقاع سريع، فواصله ذات رويّ موحّد باللام الممدودة بالألف قبلها ياء مدّيّة: مثل: (قليلا، ترتيلا، قيلا، طويلا، تبتيلا، جميلا،...)، تتخلّلها فاصلتان ذواتا روّي ميميّ، هما: (جحيما، أليما)، إلا أنّهما لم تؤثّرا على إيقاع المقطع، إذ لا يكاد القارئ يحس بشيء من

---

[1] الجنّ ، **1–3**.

[2] الجنّ ، **20–22**.

الاختلاف؛ بسبب أن اللام والميم صوتان مهموسان عملت الياء المدّية قبلهما والألف الطويلة بعدهما على التقريب بينهما وبين الفواصل الأخرى السابقة والتالية لهما.

يتسم إيقاع هذا المقطع بشيء من التهويل، يظهر عندما ننتهي من قراءة آياتها بصيغة المدّ المفتوح.

أمّا المقطع الثاني فهو آخر آية من السورة، ختمت فاصلته بميم قبلها مدّ: (رحيم) لينزل الإيقاع إلى جوّ الهدوء والحنان والرحمة ، في قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾[1].

عالجت السورة الكريمة موضوع القيام وقراءة القرآن وترتيله، ثمّ انتقلت إلى تهديد المشركين ووعيدهم، ثمّ عادت إلى موضوع القيام وتلاوة القرآن والحضّ عليه على غير الإيقاع الأوّل؛ لأنّ الخطاب انقلب إلى طائفة المؤمنين، من أجل استمالتهم وتليين قلوبهم، وحضّهم على فعل الطاعات، كما يحمل هذا المقطع رسالة المغفرة على ما كان من تقصير في أداء واجبات العبادة.

---

[1] المزّمّل ، 18.

ويعدّ المقطع الأخير ناسخا لما ورد في أوّل السورة من فرضيّة القيام، واستبدله بالدعوة إلى المداومة على قراءة القرآن، وبفرضية الصلاة والزكاة[1].

وما نلاحظه هو التناسب بين إيقاع المقطع والرسالة المحمولة عليه صعودا ونزولا من حيث النّبر والتنغيم.

سورة المدّثّر:

سورة مكية عدد آياتها خمس وخمسون(55)، تبدأ بنداء الله تعالى رسولَه –صلى الله عليه وسلّم– وإسداء بعض الأوامر والنواهي إليه في الآيات من (1–7)، أين نجد الآيات تنتهي براء قبلها حرف متحرك مع تقارب في الوزن، ومنها:(المدثِّر، أنذر، كبّر، طهّر)، فإذا تغير الموضوع بانتقال الحديث إلى تصوير بعض أحوال الآخرة تغير إيقاع الفاصلة، فصارت راءً قبلها حرف مدّ، قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠** ﴾[2]، فإذا انتهى الكلام عن الآخرة وبدأ التهديد والوعيد للمكذبين انقلبت الفاصلة أيضا، قال تعالى: ﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ۝١٦ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧** ﴾[3]، ثم ينقلب الإيقاع إلى الفصلة الرائية عندما يتحوّل الخطاب إلى وصف العذاب، قال تعالى: ﴿ **إِنَّهُۥ**

---

[1] ينظر: معارج التفكر ودقائق التدبّر، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط**1**، **2000**، المجلد الأوّل، ص**155**.

[2] المدّثّر ، **8–10**.

[3] المدّثّر، **11–17**.

فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ »[1]، نلمس فيه القوّة والجرس الصوتي المدوّي، من عدّة نواحي ؛ ففي ألفاظها نجد كثافة الحروف المجهورة وذوات الصفير من مثل: القاف (عشر مرات)، والسين (ثماني مرات) والراء، وفي تراكيبها نلحظ كثيرا من الاختراقات في قوانين ترتيبها، ومن حيث الخواتم فإنّ جرسها يقرع الأسماع باعتماده حروفا قوية كالتكرار في الراء وسرعة في الإيقاع كلّها عوامل تبعث على الإحساس بالفزع والخوف من هذا المصير المخزي.

وفي الآية التالية ينفرج النغم ويطوّل في الآية، مع تسجيل العودة إلى الفاصلة ذات النهاية الرائية، في قوله تعالى: « وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ »[2]، ثم يتشابك الإيقاع مرّة أخرى ويتسارع تماشيا مع طبيعة القسم، قال تعالى: « كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ »[3]، ثمّ تسجّل الراء حضورا مميّزا

[1] المدّثّر ، 18–30.

[2] المدّثّر ، 31.

[3] المدّثّر ، 32–37.

بين نغمات النون في: (اليمين، يتساءلون، **سقر**، المصلين، المسكين، الخائضين، الدين، اليقين، الشافعين)، أين نجدها تتوسط إيقاعا مختلفا عن إيقاعها ليتأكّد التذكير بمعنى كلمة (**سقر**) ضمن السورة كلّها.

وفي ختام السورة ينبعث إيقاع مختلف، ميزته الهاء الساكنة في : (مستنفرة، قسورة، منشّرة، الآخرة، تذكرة، ذكره، المغفرة)، التي تناسب مقام الختام بما هو مفتوح من أبواب المغفرة والرحمة الإلهية، قال تعالى: ﴿ **وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ** ﴾[1]، وهكذا تشارك الفاصلة في رسم هذه اللوحات الفنية، التي أساسها التقلّب في الإيقاع الموسيقي للآيات، على حسب موضوعها، ودلالتها الإيحائية المنبعثة من أصوات الحروف في كلماتها وخواتيم فواصلها.

سورة القيامة:

تضم هذه السورة العظيمة تسعا وثلاثين (39) آية، يمكن أن نقسّمها إلى أربعة فقرات صوتية:

الفقرة الأولى من الآية الأولى إلى الآية السادسة: اعتمدت الفواصل ذات نهايات متماثلة في (القيامة، اللوّامة، عظامه، أمامه)، والمتناسبة (بنانه) في الآية الثالثة، بحيث لا يخرج جرسها عن إيقاع سابقاتها وما تلاها، وهي آيات موضوعها التحدّي وبيان تكذيب

---

[1] المدّثر ، **56**.

الإنسان لوجود القيامة، وما سؤاله عن ميقاتها إلا استهزاء واستهتار بحقيقة وقوعها، قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[1].

الفقرة الثانية: من الآية السابعة إلى الآية الثالثة عشر، في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ ﴾[2]، إنّه تهديد يحمل الوعيد بالعرض على الله، وكشف صحائف الأعمال يوم القيامة، ينتاب القارئ شعور بالرهبة يصاحب تكرار صوت الراء في نهاية فواصل هذه الآيات.

الفقرة الثالثة: من الآية الرابعة عشر إلى الآية الرابعة والعشرين، ليعود الإيقاع إلى صوت الهاء الممزوج بالسرعة في الأداء والخفوت في النغم: (بصيرة، قرآنه، بيانه، الآخرة، ناظرة، ناضرة، باسرة، فاقرة).

الفقرة الرابعة: من الآية الخامسة والعشرين إلى الآية التاسعة والعشرين، نلاحظ دويّ صوت القاف والذي يتكرّر مع الآيات الأربع محدثا اضطرابا وزمجرة، بسبب صوته المجهور إلى جانب صفتي القلقلة والتفخيم، جيء به للتعبير عن حالة خروج الروح من الجسد وشدة النّزع، والعرض على الله، تبارك وتعالى، وهي مواقف عصيبة يحسن لأن يعبّر عنها بألفاظ قوية كما في هذه الآيات.

---

[1] القيامة ، 6.

[2] القيامة ، 7–13.

الفقرة الخامسة: من الآية الثلاثين إلى آخر آية: أين يتميّز إيقاع الفواصل بالانفتاح، مع النهايات الممدودة: (صلّى، تولّى، يتمطّى، أولى، سدى، تمنى، سوّى، الأنثى).

وما يهمّنا في هذا التحليل هو تسليط الضوء على الترقّي الجمالي في الحدث الإيقاعي الذي ينتج من التوافق في الفواصل في (يعبدون) وما بعدها وما قبلها أين نجدها تخدم الوحدة الإيقاعية في هذا المقطع.

تظهر أهميّة الفاصلة في تمثيل المعنى، وتبيان الجانب الصوتي الكامن في اللفظ، ولهذا فالقرآن الكريم هو النموذج الأمثل، يتوقف عليه الانتفاع بحسن الاستماع ويتضمن مجموعة من اللوحات البديعة التي تستميل العقل والقلب، وتحمل مضامين مختلفة كالعفة والصبر، فهي تمثل جانبا رئيسا في لغة القرآن، فدراستها تتطلب الإحاطة بعلوم اللغة خاصة النحو والصرف والبلاغة والأصوات.

سورة المرسلات

تعدّ السورة نموذجا للقلب الصوتي في المقاطع لما تضمّنته من التنوّع في الإيقاع، يتجلّى ذلك من مطلع السورة، فقد افتتحت بالقسم بخمسة أمور عظيمة، سيقت على نمط واحد في الوزن والإيقاع، اثنتا عشرة كلمة ركّبت مثنى مثنى، لتحقق التطابق الصوتي باعتمادها الفواصل المتشابهة أو المتماثلة أحيانا، كما في: (عُرْفًا، وعَصْفًا)، و(نَشْرا، وذِكْرا، ونُذُرا)، ليأتي جواب القسم مخالفا لإيقاع المقسوم به، معتمدا الفاصلة ذات نهاية

قصيرة، من القاف والعين المجهورين تسبقهما الواو الممدودة بالألف، فينعكس من هذه الفاصلة صورة سمعية للوقوع، تجعل السامع يدرك الموقف من صدى صوت اللفظ قبل أن يفكّر في معناه.

ثم تتوالى التقلّبات في جرس الآيات تماشيا مع الجوّ المحيط بالأحداث، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢ ﴾[1]، فواصل تجسّد التقلّب في أحوال الكون يوم القيامة، وتصف المشهد المرعب أثناء تدمير الأجرام العظيمة، من نجوم وسماء وجبال، إنّه التخبّط في أحوال الكون يرافقه التقلّب في إيقاع الفواصل.

ونتيجة هذا كلّه هو الوصول إلى أمر هو أهول وأفضع، إنّه المجيء بالعذاب ووقوعه على الكافرين، ﴿ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ ﴾[2]، ولقد استخدم فعل الإجاء ههنا بدل الإتيان مراعاة لقوّة حروف الأوّل في النطق، كما في الصدى الذي يحدثه صوت الجيم، والصعوبة في الوقف على الهمزة.

وتضمّن المقطع الرابع آيتين فاصلتهما منفردة: (الفصل) يميّزها صوت الصاد يصاحبه الصفير والجهر والتفخيم، ليقرع الأسماع ويحدث التنبيه إلى ما يصير إليه العباد من الهول والفزع عند الامتثال بين يدي الله يوم القضاء، ثمّ تكرّرت الفاصلة نفسها متضمّنة السؤال

---

[1] المرسلات ، 8-12.

[2] الفجر ، 25.

الإنكاري قصد التبكيت، قال تعالى: ﴿ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ ﴾[1].

واشتمل المقطع الخامس على فواصل متشابهة: (المكذّبين، مهين، مكين، معلوم، القادرون)، مقاطعها طويلة، محدثة إيقاعا موحّدا، جاءت بيانا لقدرة الله في الخلق والتقدير.

ثم ينقلب الإيقاع مع فواصل ذات النهايات الممدودة: (كفاتا، أمواتا، فراتا)، محدثة جرسا يتناسب مع معنى الآيات الكريمة التي تعدّ نعم الله، عزّ وجلّ، وجميل صنعه في تهيئة الأرض وتسخيرها للإنسان.

ليتحوّل بعدها إلى الفواصل ذات الإيقاع السريع والنهايات القصيرة: (شُعَب، اللَّهَب، القَصْر، صُفْر)، فبعد التذكرة بالنّعم يأتي التحذير من الكفر والجحود، في إيقاع خاطف وألفاظ قصيرة وإيقاع تميّزه القلقلة في الباء في الفاصلتين الأوليين، والتكرار في صوت الراء في الفاصلتين الأخريين، فيرتسم المشهد المفزع ليوم القيامة وملابساته.

أمّا المقطع الأخير: فإنّه يمثل انقلابا إيقاعيا، وتفصيلا لما قد سبق وبيان مصير المؤمنين في جوّ منفتح وهادئ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَـٰلٍ وَعُيُونٍ ۝٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝٤٢ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ

[1] المرسلات ، 13-14.

﴿ ٤٤ ﴾[1]، وهو ما يبعث على الإحساس بالطمأنينة والسكينة، ثمّ في قوله تعالى: ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٥ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ٤٦ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٧ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ٤٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٩ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ٥٠ ﴾[2]، فيه بيان لأسباب وقوع العذاب والمستحقين له، ليتسنّى لنا التمييز بين الطائفتين، وهي فرصة للتدبّر من أجل اتّخاذ القرار في أن يكون مصير العبد من هؤلاء أو أولئك.

بقي الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٩ ﴾[3]، إذ تكرّرت عشر مرّات، وهو تكرار مضاعف على غرار التكرار الحاصل في سورة الرحمن[4]، بداية من الآية التاسعة عشر إلى نهاية السورة، معلنة عن محور السورة الذي هو: (يوم الفصل)، والعودة إليه في كل مرّة بغية تعظيمه وإحداث التهويل والترهيب لدى المخاطبين منه.

3-3-3-القلب الصوتي في المقاطع الجمليّة في السور القصار

يبيّن الجدول التالي التقلّبات الصوتية الحاصلة في المقاطع لبعض السور المكّيّة التي تعدّ من القصار، وقد اكتفينا بالسور الواردة في الجزء الأخير من القرآن على سبيل

---

[1] المرسلات ، 41-44.
[2] المرسلات ، 45-50.
[3] المرسلات ، 15 و19 و24 و28 و34 و37 و40 و45 و47 و49.
[4] ينظر: بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ضمن ثلاث رسائل، ص40.

الأنموذج، ولكون هذا القسم من القرآن الكريم معظم سوره مكّية، فيه من السور القصيرة والمتوسطة كما يلي:

السورة	عدد آياتها	عدد المقاطع الصوتية	نهايات الفواصل
الناس	6	1	السين
الفلق	5	1	ق، ب، د
الإخلاص	4	1	الدال
المسد	5	1	ب، د
الكافرون	6	6	(ون، ين)، (بُد)، (تُّم)
الكوثر	3	1	الراء
الماعون	6	1	ن، م
قريش	5	1	ش، ف، ت

الفيل	5	1	اللام
الهمزة	9	1	هاء السكت
العصر	3	1	الراء
القارعة	10	2	ه،ث، ش، ه
العاديات	11	3	(حا، عا)، (ود،يد)، (ير)
الزلزلة	9	3	(ها)، (هم)، (رَه)
القدر	5	1	الراء
العلق	20	6	(ق)، (م)، (غى، نى، عى، لى، وى، رى)، (ته، يه، ئه)، (رِبْ).
التين	8	1	(ون،ين، يم)
الانشراح	8	3	(رَك)، (را)، (صَب، غَب)
الضحى	11	3	(جى، لى، ضى، وى، دى، نى)، (هَر)، (ث).
الليل	21	1	(شى، لى، ثى، تى، قى، نى، رى،ظى، قى، رى، نى، دى، كى، زى، ضى).
الشمس	15	1	(حاها، لاها، شاها، ناها، واها، كاها، ساها، قاها، ياها، روها،

			باها).
البلد	20	3	(لَد، بَد، حَد، بَدا، حَد)، (ين)، (به، مه، نه، مه، ده).
الفجر	32	11	(فجْر، عشر، وتْر، يسْر، حِجْر)، (عاد، ماد، لاد، واد، تاد، ساد، ذاب، صاد)، (مَن، نَن)، (تيم، كين)، (لماّ، جماّ، دكّا، صفّا)، ((ثّم)، (رى)، (تي)، (حد، حد)، (نّه، يّه)، (تي)
الغاشية	26	5	(يه، عه، به، مَه، فَه)، (يع،جوع)، (قت، عت، بت، حت)، (كِر، طِر، فَر، بَر)، (هم)
الأعلى	19	1	(لى، وى، دى، عى، سى، في، رى، شى، قى، رى، يا، كى، يا، قى)
الطارق	17	3	(رق، قب، فظ، لق، فق، ئب)، (در، ئر، صر)، (رجع، صدع)، (فصل، هزل)، (كَيْدا، وَيْدا)
البروج	22	1	(روج، عود، هود، دود، قود،

			عود، هود)، (ميد، هيد)، (ريق، بير)، (ديد، عيد)، (دود)، (جيد، ريد)، (نود، مود)، (ذيب، حيد، جيد)، (فوظ)
الانشقاق	25	5	(قت، د تقت)، (يرا، ورا، ورا، يرا، ورا، ورا، يرا)، (فق، سق، سق، بق)، (ون)، (يم).
المطففين	36	1	(ين، ون، يم، وم).
الانفطار	19	5	(رت)، (لك)، (ين، ون، يم)، (الله).
التكوير	29	3	(رت، لت، جت، لت، رت، فت)، (نس، عس، فس)، (يم، ين، ون)
عبس	42	7	(لى، مى، كى، رى، نى، دى، عى، شى، هى)، (رَه، مَه، قَه)، (مِه)، (بّاً، قَّا، لاً)، (كم)، (خَّه)، (خيه، بيه، نيه)، (رَه).
النازعات	45	6	قاً، طَّا، حًا، رًا)، (فَه، عَه، رَه،

دَه)، (سى، وى، غى، كى، شى، رى، صى، عى، دى، لى)، (ها)، (كم)			
(ون، يم)، (داً، جاً، تاً، ساً، شاً، فاً، باً، قاً، زاً).	2	40	النبأ

يُظهر الجدول أعلاه نبذة عن بعض السور القرآنية وما حصل فيها من التقلّبات الإيقاعية، وقد اكتفينا ببيان الظاهرة في السور القصار ابتداء من سورة الناس وما يسبقها سورة سورة، وصولا إلى سورة النّبأ.

وعندما ينتقل قارئ القرآن، في تلاوته من سورة إلى أخرى، فإنه يشعر أنه ينتقل من جوّ إلى آخر، "بينما أنت من القرآن أبدا في لحن متنوّع متجدّد، تتنقّل فيه بين أسباب وأوتاد وفواصل على أوضاع مختلفة يأخذ منها كلّ وترا من أوتار قلبك بنصيب سواء، فلا يعروك على كثرة ترداده ملالة ولا سأم؛ بل لا تفتأ تطلب منه المزيد"[1]، وكثيرا ما يحدث هذا الانتقال في ثنايا السورة الواحدة، والسبب في ذلك يرجع إلى تنوّع الفواصل وتعدّدها، ويتجلّى هذا الأمر في قصار السور أكثر منه في الطّوال؛ لأنّ السورة القصيرة تجعل القارئ منتبها إليها وإلى جوّها العام، فهو يلمس المناسبة بين الألفاظ ومعانيها، فلا المعنى سابق الفاصلة، ولا الفاصلة سابقة المعنى.

[1] **النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، ص95**.

كما أننا نجد الفاصلة في القرآن تراعي المعنى والسياق والجرس وخاتمة الآية وجوّ السورة، وكلّ ما يتعلّق بجودة التعبير وجماليته، فقد شاع عن العرب اهتمامهم بالأصوات، فكانوا إذا ترنّموا يلحقون الألف والواو والياء، وما ينوّن وما لا ينوّن؛ لأنهم أرادوا مدّ الصوت.

ولعلّ أهمّ ملاحظة يمكن أن نستشفّها من هذا الجدول الإحصائي هو حضور القلب الصوتي بقوّة في ثنايا هذه السور، لما اشتملت عليه من ثراء الموضوعات وتعدد المواقف، أين نجد مسائل القيامة والجنّة والنّار هي أبرز موضوعاتها، يحدث فيها الانتقال السريع والخاطف، وتستخدم فيها المؤثّرات الصوتية بشكل مكثّف بغية الوصول إلى إقناع المخاطبين والتأثير في نفوسهم.

فمن خصائص القرآن أنّه ينتقل من معنى إلى معنى، ومن حالة إلى حالة، ومن أسلوب إلى أسلوب[1]، انتقالا عجيبا ينشط له الذهن وتتحرّك له النفس والوجدان، إذ أننا قليلا ما نجد القرآن يستمرّ على نمط واحد من التعبير، كما أنه قليلا ما يستمرّ على إيقاع واحد على طول السورة الواحدة.

وفيما يلي تحليل التقلّبات الحاصلة في الفقرات الصوتية في بعض السور الواردة في الجدول أعلاه:

[1] ينظر: الصورة الأدبية في القرآن الكريم، صلاح الدين عبد التواب، الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان، مصر، ط1، 1995، ص173

-سورة النازعات:

سورة النازعات من السور المكّيّة، وعدد آياتها خمس وأربعون (45) آية، تتميز هذه السورة بألوان جرسية وإيقاعية متناسقة مع الموضوع والجو ّوالمشهد، "فيها أسلوبان موسيقيان وإيقاعان منسجمان مع جوّين فيهما تمام الانسجام"[1].

أ- **الأول**: يظهر في الآيات الأولى من السورة، في قوله تعالى: ﴿ **وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ۝١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤** ﴾[2]، يتّسم أسلوب هذه الآيات بسرعة الحركة لكثرة المقاطع القصيرة الموجودة فيه، فهو يتساوق مع جوّ مثير، سريع النّبض، شديد الارتجاف.

---

[1] **الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان، دار المنايرة، جدة، السعودية، ط1، 1991م ، ص219.**

[2] **النازعات ، 1- 14.**

ب- الثاني: يتجلّى في الآيات الموالية: من قوله تعالى: ﴿ **هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ١٦ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ** ﴾[1]، إذ يتميّز الأسلوب في هذه الآيات ببطء الحركة، وشدّة الاسترخاء، بخلاف ما كان عليه الأمر في المقطع الأول، أين كثرت فيه المقاطع الطويلة، وذلك حتى يناسب جوّ الحكاية والعرض المتعلّق بقصة سيدنا موسى، عليه السلام.

يتميز الإيقاع بسرعة الحركة، وشدّة الارتجاف والنّبض، والخوف والعنف ، إضافة إلى استحضار معنى المباغتة، ويتسم نظمها بقصر الآيات كي يتناسب مع ما يعكس حالة الجوّ السريع لموضوعها، وهو يوم القيامة وما يحيط به من أحداث عظيمة ومتوالية.

ثم يتراخى إيقاع السورة عندما تنقلب الفاصلة برويّها من الهاء التي يوقف عليها بالسكون، إلى الرويّ الممدود، كما يحدث تطويل في آيات المقطع الثاني مع الحفاظ على السرعة المتوسطة في إيقاعه؛ لأنه يفصّل في الكرّة الخاسرة والزجرة الواحدة، التي تعدّ حال فرعون مثالا لها.

[1] النازعات ، **15-19**.

ويبرز جليا التلاؤم في سرعة إيقاع السورة مع ختامها الذي يتحدث عن موعد قيام الساعة، وقصر الحياة في الدنيا، قال تعالى : ﴿ **كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا** ﴿٤٦﴾ ﴾[1]، فالانتقال من موضوع إلى آخر يرافقه الانتقال من إيقاع إلى آخر، والحديث عن النار والعذاب يوجب استعمال طائفة من الكلمات التي تحمل في طيّاتها الأصوات الدالة على الشدّة والخوف والإثارة، كما يوجب الحديث عن النعيم أن تدرج الألفاظ الناعمة ذات الإيقاع الخافت.

-سورة التكوير:

سورة التكوير مكّيّة، عدد آياتها تسع وعشرون (29) آية، تضمنت السورة ثلاثة مقاطع، تناولت السورة حقيقتين عظيمتين من حقائق العقيدة:

أ- الحقيقة الأولى: تتمثل في حقيقة يوم القيامة، وما يصاحبها من انقلاب كوني هائل، يشمل الشمس والنجوم والجبال والبحار والأرض والسماء والأنعام والوحوش، كما يشمل الإنسان كذلك .

ب - الحقيقة الثانية: تتمثل في حقيقة الوحي، وما يتعلق بها من صفة الملك الذي يحمله، والنبي الذي يتلقاه، والأمة التي يرسل إليها، وفوق ذلك كلّه القدرة الإلهية التي فطرم ونزلت عليهم الوحي .

---

[1] **النازعات ، 46**.

ما يلاحظ على الإيقاع في هذه السورة أنه أشبه ما يكون بثورة عارمة تقلب كلّ شيء، أو بحركة جائحة تنطلق من عقالها فتهيج الساكن وتروّع الآمن، انتهت فواصل المقطع الأول من السورة بتاء التأنيث الساكنة، التي تتساوق مع الجوّ الثائر الذي يبعث في النفس الخوف من أهوال يوم القيامة.

أما المقطع الثاني فقد جاءت فاصلته بالسين، ليعبّر عن معنى القسم وعظم المقسوم به، قال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾[1]، تظهر من خلاله صفة الصفير لتقرع الأسماع وتشدّ المخاطب إلى الإصغاء لما يأتي بعد هذ القسم.

وفي المقطع الثالث يأتي جواب القسم بإيقاع خافت، فواصله تنتهي الميم والنون قبلهما مدّ، كما في (كريم، مكين، أمين، مجنون، المبين، ضنين، رجيم، تذهبون، العالمين، يستقيم، العالمين)، لتناسب أوجه العناية الإلهية بالإنسان، قال تعالى: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[2].

---

[1] التكوير ، 15–18.

[2] التكوير ، 22–29.

سورة البلد:

تتميّز سورة البلد بصداها القوي، المنبثق من مقاطعها الموسيقية المختلفة، والتي توزّعت الفواصل بينها على الشكل التالي :

المقطع الأول: تميّزه الفواصل المختومة بالمقطع الصوتي القصير: (البلد، ولد، كبد، أحد)، المدعومة بصوت الدال، وما يتسم به من الجهر والقلقلة في حال الوقوف عليه بالسكون، قال تعالى: ﴿ **لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧** ﴾[1] مع تسجيل التكرار في الفصلتين: (البلد، وأحد)، وتموقع كلمة (لبدا) الممدودة صوتيا لمناسبة معناها الدال على الكثرة، بين سلسلة من الفواصل المتشابهة، والتي حافظت على حرفها الأخير وقلبت حركته إلى المدّ المفتوح.

المقطع الثاني: يتمثّل في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ** ﴾[2]، فقد عدّدت الآيات نعم الله على الإنسان، وردّت تفكيره إلى ما هو أسبق من نعمة المال، بل إلى ما هو أظم وأولى من ذلك، إنّها نعم البصر والكلام والهداية، ولقد وردت هذه الدلالات في جوّ موسيقيّ يميّزه الهدوء والتطويل في المقطع الأخير للفواصل الثلاث.

---

[1] البلد ، **1–7**.

[2] البلد ، **8–10**.

المقطع الثالث: يبدأ من قوله تعالى: ﴿ **فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ** ﴾[1]، ويمتدّ إلى نهاية السورة، فواصلها تنتهي بالهاء الساكنة وقفا قبلها متحرّك، كما يلي: (العقبة، رقبة، مسغبة، مقربة، متربة، المرحمة، الميمنة، المشئَمة، موصدة)، وهي جملة من الفواصل المتناسبة فيما بينها شكّلت مقطعا موسيقيا متّحدا ومغايرا لما سبقه في السورة الكريمة، فلقد انقلب الحديث إلى اليوم الآخر وما سيواجه العبد خلاله من عقبات في سبيل النجاة من العذاب، وفي قوله تعالى: ﴿ **فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ** ﴾[2]، نلمس التحضيض والترغيب مع تفخيم شأن العقبة وتعظيمه عن طريق تكرار الفاصلة نفسها في الآية التالية: ﴿ **وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ** ﴾[3]، يحمل المخاطبين على الإنصات لما هو آت من الكلام المفسّر، وهي طريقة القرآن غالبا في بيان أهمّية الموضوع من خلال تكراره، ولا شك أنّ معاودة الصوت نفسه مباشرة يبعث النفس على القلق والتشوّف لما يأتي بعده.

سورة الشمس:

خمس عشر آية على إيقاع واحد، فواصلها متماثلة، رويّها هاء مفتوحة توسّطت بين مدّين مفتوحين، اقترنت الواو والألف في موضع واحد من (سوى) و(تقوى)، كما نلحظ اقتران الياء والألف في (سقيا) من قوله تعالى: ﴿ **فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا** ﴾[4]، فتجد استطالة

[1] البلد ، 11.
[2] البلد ، 11.
[3] البلد ، 12.
[4] الشمس ، 13

هذين الحرفين في كلا الموضعين، لا يصدّهما شيء صوتياً، وهما يتراوحان دلالياً في ألفاظ تحتكم الشدة واللين، فالتذكير بخلق النفس الإنسانية إلى جنب عملها بين الفجور والتقوى، والتحذير من الناقة إلى جنب التحذير من منع السقيا.

سورة الضحى:

من أوائل سور القرآن الكريم نزولا، عدد آياتها إحدى عشرة (11) آية، تقلّب إيقاعها بين ثلاثة مقاطع:

المقطع الأوّل: من الآية الأولى إلى الآية الثامنة، تعدّد الرويّ في فواصلها بين الحاء والجيم واللام، والضاد، والواو، والدال، والنون، وردت كلّها مفتوحة بعدها مدّ طويل مفتوح، تقرأ بالإمالة في بعض القراءات[1]، والوزن متساو في فواصل المقطع جميعا، أدّى إلى إيقاع متّحد يميّزه الهدوء والاتّزان تماشيا مع موضوع هذه الفقرة.

والسورة خاصة بالنبي، صلّى الله عليه وسلّم، تحمل تسلية له وتطمين وإيناس، تفوح منها نسائم الرحمة والرعاية الإلهية لشخص النبي.

والمقطع الثاني: تمثله الآيتان التاسعة والعاشرة، تنتهي الفاصلة في كلّ منهما برويّ واحد هو الرّاء، قال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ** ﴾[2]، ليظهر الفعل المنهيّ عنه في صورة مشينة، وهو ما كان من وراء وجود الراء في نهاية هاتين الفاصلتين.

---

[1] تقرأ بالإمالة الصغرى عند نافع وحمزة.

[2] الضحى ، **9-10**.

وأما المقطع الثالث: فتمثّله الآية الأخيرة، أين وردت فاصلتها متفرّدة به، إذ لم يتماثل رويّها ولم يتقارب مع سابقاتها[1]، قال تعالى ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾[2]، فيتميّز موضوع الأمر عن مواضيع النّهي (**لا تقهر، لا تنهر**) بتميّز الفاصلة عن سابقاتها، كما تحيلنا صفة الرويّ في (**فحدّث**) على طبيعة الفعل المأمور به من هيئة صوت الثاء المفتوح، بما يدلّ على استمرار الفعل وديمومته.

سورة العاديات:

وهي من السور المكية، وعدد آياتها إحدى عشرة (11) آية، تنوّع فيها حرف الفاصلة من قسم إلى آخر، وكذلك الحرف الذي يسبق الفاصلة، الأمر الذي أدّى إلى تعدّد المشاهد.

تميّز سياق السّورة بالسّرعة والإثارة والعنف، أمّا الإيقاع الموسيقي ففيه دمدمة وخشونة وفرقعة .

تنقسم السورة إلى ثلاثة أقسام، لكل منها نغمة خاصة:

القسم الأول: ينتهي بفاصلة الحاء الممدودة ثلاث مرات وبالعين الممدودة مرتين، والنغمة واحدة في الفاصلتين، بل المقطع الصوتي نفسه (ضبحا، قدحا، صبحا، نقعا،

---

[1] **ينظر: الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، ص148.**

[2] **الضحى ، 11.**

جمعا)، قال تعالى: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾[1].

أما القسم الثّاني، فيختلف جرس الفاصلة فيه عن القسم الأول؛ لأنّ حرف الفاصلة فيه الدال المسبوق بواو أو ياء، ووحدة حرف الرويّ في الفاصلة يؤدّي إلى وحدة النغمة، والدال حرف شديد مجهور من حروف القلقلة، وهو ما يجعل جوّ هذا القسم يتّسم بالرهبة المقرونة بالتأمّل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾[2]، أين نلاحظ التأخير في (شديد) بما يخدم وحدة الفواصل والانسجام في الإيقاع، والأصل أن يقال: وإنه شديد الحبّ للخير[3]، كما يقال: أنا شديد الحب لزيد، وللمال[4].

أما القسم الثالث، فحرف فاصلته الراء في (قبور، صدور، خبير) والراء حرف تكراري، وقد سبقه مدّ واويّ تارة، ويائيّ تارة أخرى، قال تعالى: ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١ ﴾[5]، وهو يجعل القارئ للسورة يشعر في ختامها بنهاية الدمدمة والخشونة والفرقعة التي ابتدأت بها، وهذا

---

[1] العاديات ، 1-5.

[2] العاديات ، 6-8.

[3] ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ج3، ص359.

[4] بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للخطابي والرماني وعبد القاهر الجرجاني، ص38.

[5] العاديات ، 9-11.

بفضل التنوّع في حرف الفاصلة، فكان أثر الفاصلة واضحا في تقلّب الإيقاع في سورة العاديات، ومناسبته لتقلّب الموضوع فيها.

سورة الكافرون:

قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦** ﴾[1].

تحدثت السورة الكريمة عن شخصيتين هما: رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ويمثّل من تبعه من المؤمنين برسالته، من جهة، والكافرون من الجهة الأخرى، نشأ من خلاله تقابل في شخصيات السورة، (على أنهما طرفا النزاع)، التي تتضمن تقابلا في صياغة الحوار بين الشخصيتين، نقول حوارا لأن قضية السورة نشأت حين حاول المشركون أن يفتكّوا من الرسول، صلى الله عليه وسلّم، اعترافا بآلهتهم، وذلك بأن يؤمن هو بدينهم كي يؤمنوا هم بدينه، كما توحي هذه المسألة بضعف المشركين وخوار عزائمهم في مجابهة الرسول الكريم المدعوم بالقرآن العظيم؛ دلّ على ذلك أنّهم كانوا هم من جاؤوا صاغرين إلى التفاوض، وكانوا هم أوّل من طلب إلى الحلّ الوسط، لكن هيهات أن يفرّط رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، في شيء من دينه، ولو أجابهم لأكملوا العهد، قال تعالى في سورة القلم: ﴿

---

[1] الكافرون ، **1–6**.

وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴾[1] أي ودّوا لو أنّك تلين قليلا فيلينون كثيرا، فيبدأ التوجيه الإلهي لنبيّه، صلى الله عليه وسلم، لكي يخوض هذه المفاوضات في ثقة وعزيمة، بدءا من تسمية الطرف الآخر بالكافرين، فقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾، ثمّ أردف ذلك بقوله تعالى: ﴿ لا أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾، حيث أمر، صلى الله عليه وسلم، بأن ينفي احتمال أن يتّبع دين الكفار، ثم أعقبه بنفي أن يتّبع الكفار دينه، في قوله تعالى: ﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾، ليعود إلى تأكيد الجملة الأولى بعد أن قلب فعلها الأول إلى اسم، وفعلها الثاني من المضارع إلى الماضي، في قوله تعالى: ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴾، ثم يعيد تأكيد الجملة الثانية كما جاءت، في قوله، عزّ من قائل: ﴿ وَلا أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾، لتختم السورة بالتفريق النهائي بين الملّتين في قوله تعالى: ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾.

يتجلّى الجمال الأسلوبي في السورة من خلال التبديل الحاصل جرّاء تتابع ألفاظ وجمل متقابلة بين السلب والإيجاب، وتصريف الفعل بين المتكلم وجمع المخاطبين، (لا أعبد، تعبدون) (لا أنتم عابدون، أعبد) (لا أنا عابد ، عبدتم)، (لا أنتم عابدون، أعبد)، (لكم دينكم، لي دين)، مما يجعل ذهن السامع ينتقل بين الطرفين في متعة إيقاعية تحدثها الفاصلة الموحّدة، متمثّلة في (النون)، على طول السورة الكريمة.

[1] القلم ، 9.

خلاصة

يتبيّن في ختام هذا القسم من البحث أنّه يكثُر في القرآن الكريم ختم الفواصل بحروف المدّ واللّين، وإلحاق النون وفق الطّبيعة الإيقاعية للقرآن، ولذلك كان ورود النون بعد حروف المد كثيرا في القرآن، مبيّنا عن السّرّ الصوتيّ المتجلّي في جزء كبير في فواصل الآيات القرآنية، يقول مصطفى صادق الرافعي في هذا الشأن: "ما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامّة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى...وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها أو بالمدّ، وهو كذلك طبيعيّ في القرآن"[1].

والجمال التعبيري يتحقق بوجود حزمة من العوامل والشروط، نجملها في: "حسن الكلام في السمع، وسهولته في اللفظ، وتقبّل المعنى له في النفس، لما يرد عليها من حسن الصورة، وطريق الدلالة"[2]، وجمالية الإيقاع مردّها إلى حسن اختيار الألفاظ من حيث انسيابها في مسارها، وتلاؤمها مع أخواتها، وحسن توزيعها في الجملة، بما يحقق الانسجام في التأليف والوضوح في النطق والإخراج.

وتتجلّى أهمّية الفاصلة في التوفيق بين دلالة المعنى ودلالة الإيقاع في آن واحد، على أنّ الإيقاع هو الذي يخدم المعنى ويؤكّده، ولا يتمّ القلب الصوتي في القرآن الكريم إلا بعد أن تتظافر فيه المستويات الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية في وقت واحد، محدثا أثرا

[1] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص 56.
[2] النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص96.

جماليا ودلاليا، يقصد منه إلى تصوير المواقف في أسلوب محكم ودقيق يرقى بالخطاب القرآني ليجعل منه خطابا معجزا انطلاقا من البنية الصوتية لألفاظه وتراكيبه ووصولا إلى مراميه ودلالاته، لأنّ القيم البلاغية ليست عارضة؛ وإنّما هي جوهر العملية الإبداعية، بل هي كما يقول الدكتور محمد عبد المطّلب، "الإبداع ذاته"[1]، إذ ليس في القرآن مهمة لفظية على وجه، ومهمة معنوية على وجه آخر؛ بل هما مقترنان معاً في أداء المراد من كلامه تعالى دون النظر إلى جزء على حساب جزء غيره.

ومن الملاحظ، أيضا، أنّ آيات الكتاب العزيز وفي سيرورة القرآن الكريم كلّه تنتهي انتهاء هادئا مطمئنّا؛ لأنّ الآية هي التي دعت الفاصلة، وليست الفاصلة هي من تدعو الآية.

[1] **البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطّلب، ص280.**

الفصل الثاني:

جمالية القلب في المستوى التركيبي

1- **المبحث الأوّل: مفهوم القلب التركيبي**

2- **المبحث الثاني: التقديم والتأخير في الجملة النحوية**

3- **المبحث الثالث: التقديم والتأخير في غير العامل.**

1- المبحث الأوّل: مفهوم القلب التركيبي

نشأ القول بالقلب التركيبي نتيجة القول بفكرة الأصل والفرع، ونعني بالأوّل: القلب في مراتب الوحدات الدلالية في الجملة، فإنّ اللغة نشأت وتطوّرت باستثمار وإسقاط النتائج المنطقية على الأسلوب، أين كان يحكّم العقل، غالبا، في وضع القواعد النحوية والصرفية، مع الإبقاء على حرّية التبادل في المواضع مع وجوب عدم الإخلال بالمعنى، وعدم تجاوز ما يسمح التصرّف فيه من الترتيب، كتقديم الصلة على الموصول، والمضاف إليه على المضاف، وتوابع الأسماء، وتقديم المضمر على المظهر.

ويمكننا أن نحدّد القلب التركيبي بأنّه المفهوم الفعلي من حيث الدلالة اللغوية للتقديم والتأخير، لأنّنا إذا بدأنا بكلمة سابقة على غيرها فقد قدّمناها في الكلام، فتنشأ عن طريق تلك الظاهرة بنية جديدة بمقتضى تشويش الرتبة الأصل في الجملة، والذي يفعل هذا التشويش هو تبادل المواقع بين وحدات التركيب، إذ يعمل على تمكيننا من المحتويات الذهنية في الترتيب الذي تنتج فيه[1]، إلى جانب أن ذلك يشكل تنضيدا ملذّا خارقا للمألوف، يوفّر للقالب اللغوي قدرة على تحريك الصورة، ومن ثمّ عبّروا عن فعل التقديم والتأخير هذا بقولهم: "هو أحد أساليب البلاغة، فإنهم أتوا به على تمكّنهم في الفصاحة

[1]– ينظر: بنية اللغة الشعرية، جان كوهين، ص 188 .

وانقيادها لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق"[1]، وهذا ما يمكّننا من معرفة الله أكثر، ويتجاوز المتلقي مرحلة الاستغراب إلى مرحلة التذوّق والاستمتاع.

والقرآن الكريم لا يضع الألفاظ موضعها في التركيب إلا لتولّيها مهمة الإفصاح عن معنى محدّد، وهو ما تتيحه العربية من إمكانية استثمار التموضعات في توجيه الدلالة، فقولنا: (زيد المنطلق)؛ تخبر عن زيد بأنه المنطلق، وأمّا جملة: (المنطلق زيد) فإنها تخبر عن المنطلق بأنه زيد[2]، والفرق بين المعنيين واضح، وغرض المتكلّم في كلتا الجملتين مختلف.

كما أنّ وضع الألفاظ موضعها تقديما أو تأخيرا لا ينكره الاستعمال؛ بل على العكس من ذلك، فالتراكيب اللغوية تتّسم بالحياة بفضل حركيّة دوال الجملة سلبا وإيجابا، ومتى أمكن الإبقاء على المعنى الأساسي محفوظا كان المساس بمراتب الألفاظ مسموحا؛ بل ترتقي هذه الحرّيّة لتصبح مناط الإبداع والتفنّن في الكلام، فالألفاظ لم توضع لتجمّد في القواميس أو تخبّأ في الخزانات؛ بل "وضعت أو ولدت هناك لتكون الأرض الصلبة التي تنطلق منها إلى أجواء المشاعر ودنيا العواطف وربيع المعاني"[3]، إضافة إلى أنّ مخالفة الاستعمال في نظم أجزاء الجملة نجدها مكملة للوسيلة السابقة، أي مخالفة ما تعاهدته العرب من توظيفات للفظة نحويا ودلاليا.

---

[1]- البرهان، الزركشي، ج3، ص 233، و ينظر: الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، تعليق أحمد حسن سبيح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997.، ص208.

[2]ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص111.

[3] التصوير المجازي والكنائي، صلاح الدين محمد أحمد، ص55.

وقد أشار بعض الدارسين إلى المعايير الأساسية التي تحدد ترتيب المعاني بالقول: "ما تقدّم من الكلام فتقديمه في اللسان على حسب تقديم المعاني في الجنان، والمعاني تتقدّم بأحد خمسة أشياء: إما بالزمان، وإما بالطبع، وإما بالرّتبة، وإما بالسبب، وإما بالفضل والكمال، فإذا سبق معنى من المعاني إلى الخلد والفكر بأحد هذه الأسباب الخمسة أو بأكثرها، سبق اللفظ الدال على ذلك المعنى السابق"[1]، وعليه فإن العلم بمواقع الكلمات ونظام تسلسلها مما لا غنى عنه في بلوغ مقاصد البلاغة عموما، يقول الخطابي في هذا الشأن:" وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر، لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض، فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان"[2]، وبالطبع ليس بإمكانه أن يكون كذلك ما لم يعمد إلى تغيير على مستوى شكل التركيب.

كما يعدّ التقديم والتأخير وسيلة لتوليد الدلالات، فهو يؤثّر على حركة الوحدات بأن يقوم بتوجيهها توجيها غير منتظر، فيه ما يشبه الصدمة، محوّلا مسار خطّها المنتظم، وبهذه الصفة يخرج التركيب عن إيقاع النثر العادي، ويدخل في ضروب الإيقاع الفني، علما أن كثيرا من اللطائف البلاغية تتضمن إيقاعا، نحو (المقابلة، والالتفات، والتقديم والتأخير، والمبادلة...)، وعليه وجب التمييز بين التقديم والتأخير الذين يتسمان بالحرية، وهما ما يظهران في الجمل الاعتراضية، وأفعال الظن واليقين والرجحان، وفي الجار والمجرور والظروف

---

[1] **نتائج الفكر في النحو، السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992م ، ص 267.**

[2] **– إعجاز القرآن الخطابي، ضمن ثلاث رسائل، ص 36.**

وغيرها، وبين ما يسمّى: (التقديم الصلب)، أي المتمكّن في موضعه الذي إذا زحزح عنه فقد مكانته[1].

وقد أشار الآمدي، (ت370 هـ)، إلى مصطلح (الإساءة في النظم) بقوله: "واعلم أن ردئ اللفظ يكون على وجهين: أما أن يكون اللفظ من ألفاظ العوام سخيفة في نفسها، أو جيدة قد وضعت في غير موضعها فصارت رديئة بذلك الموضع خاصة "[2]، فقد عزا الإساءة في النظم إلى سببين أساسيين، هما: أن يسيء المتكلّم اختيار اللفظ، ثمّ لا يضعه الموضع اللائق بالغرض البلاغي الذي يرومه.

وهذا أبو عبد الله الأندلسي، (ت450 هـ)، يشترط في بلوغ الحسن من النظم أن يوفّق المتكلّم في استغلال مسألتي التقديم والتأخير، أين نجده يعرّف النظم بقوله: "هو تأليف الكلام على وجه دون وجه، منه ما يجوز فيه التقديم والتأخير، كتقديم المفعول على الفاعل حيث يكون أهم، والحاجة إليه أشدّ، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ ﴾[3]، ومنه ما يقبح، وهو الذي يؤدي إليه طلب وزن، ومنه مالا يصح بوجه كتقديم الخبر والمفعول حيث يشتبه، وتقديم الصلة على الموصول، والمضاف إليه على المضاف، وتوابع الأسماء، وتقديم المضمر على المظهر، وغير ذلك ممّا يطول تعداده، وتنبئ

---

[1] تحليل الخطاب الشعري، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص 76.

[2] الموازنة بين الطائيين، الآمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر)، تحقيق: السيد صقر وعبد الله محارب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1992،ج 4، ص 471.

[3] البقرة ، 124.

كتب النحو عنه"[1]، إلا أنّه لا ينبغي أن نحصر وجوه الحكم على الظاهرة في الجواز وعدمه والقبح، ونغفل جانب الحسن والجمالية في توظيف (التقديم والتأخير) واعتبارها سمة أسلوبية مستهدفة من خلال الخطاب البياني عموما.

وكأي متحدّث عن النظم، فإنه ليس هناك بدّ من أن نطرق باب إمام البلاغة العربية، ومهندس نظرية النظم، الإمام عبد القاهر الجرجاني، الذي ربط النظم بالنحو ليخلّص التأليف من العشوائية الموقعة في الهذيان، إذ يقول: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك، فلا تخل بشيء منها"[2]، وفي الكشف عن الفوائد الأسلوبية والجمالية للتقديم والتأخير، نجده يصرّح بقوله: "هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرّف، بعيد الغاية، لا يزال يفترّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثمّ تنظر فتجد سبب أن راقك ولطُف عندك، أن قدِّم فيه شيء، وحُوّل اللفظ عن مكان إلى مكان"[3]، مؤكّداً أنّ التعليق تنظّمه قوانين النحو، كما أنّ إمكانية التبادل في المواقع بين الكلمات يتمّ في الرتب غير المحفوظة دون الرتب المحفوظة، لأنّ المساس بالأخيرة يؤدّي

---

[1] **المعيار في أوزان الأشعار، أبو عبد الله الأندلسي (محمد بن أحمد)، تحقيق: د. عبد الله هنداوي، مطبعة الأمانة، القاهرة، 1987، ص179.**

[2] **دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص81.**

[3] **نفسه ، ص106.**

بالتركيب إلى أن يصبح بغير معنى مفيد، ناهيك عن فقدانه لأسباب الحسن ومقوّمات الجمال التعبيري.

فالقلب في الرتب، بالنسبة لأجزاء الجملة، يعدّ وسيلة أساسية في توليد الدلالات، تبدأ من الوقوف على ما اصطلح عليه النحاة واللغويّون على أنّه الأصل في الترتيب، بحيث نجد في هذا الأصل ما يدفعنا إلى فهم يختلف عمّا إذا حصل تشويش أو قلب في مواضع الألفاظ، وذلك أن العربية، وعلى الرغم من أنها تتميز بفسحة من الحرية في ترتيب أجزاء الكلام، فإنه لا يمكن بحال إلغاء جميع الثوابت والقوانين التي تختلف في درجتها وفي مدى ثباتها، ومن هنا فقد ارتأى بعض اللغويين[1] أن يَمِيّزوا في هذا الصدد بين نوعين من الرتب:

-رتبة غير محفوظة، وهي التي يجوز فيها التصرّف، كرتبة المفعول به، ورتبة الخبر، والظرف، وغيرها ممّا يسمح المنطق اللغوي بإجراء التبادل في المواقع بينها[2].

-رتبة محفوظة: وهي التي لا يمكن التصرّف فيها، بل إن المساس بها يدخل ضمن ما سمح به للشاعر دون غيره من أجل أن يحافظ على القالب الموسيقي لقصيدته، وقد عدّ القدماء —خلا بعضهم– التصرّف فيها واقعاً ضمن ما سمّوه (الضرورة الشعرية).

---

[1] **ينظر: اللغة العربية؛ معناها ومبناها، حسان تمام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979، ص207–210.**

[2] **ينظر: الخصائص، ابن جني، ج2، ص382.**

هذا؛ وفي العمل البياني، وفي البيان القرآني بدرجة خاصة، يعطى موقع الكلمة الأهمّية القصوى، بحيث لا مجال للاعتباطية والصدفة في التموقع داخل التركيب؛ بل إنّ المساس بالترتيب الذي رسمه الخطاب القرآني يؤدّي إلى المساس بجماليته وهيئته الإيقاعية فحسب، زيادة على المساس بمفعوله الدلالي أيضا، بحيث إن كل تغيير في تلك الوضعية يؤدّي إلى تغيير في المعنى[1]، وأنّ السبب في مخالفة أصل الوضع في التركيب هو حركية دوال الجملة سلبا وإيجابا، والقصد منه هو إحداث مثيرات أسلوبية[2]، تعمل على تنبيه المخاطب، وتوجيه فكره وعواطفه نحو مراد المتكلّم.

وعليه، فالمتكلّم البليغ يعمد إلى توظيف (التقديم والتأخير) كسمة أسلوبية لها قيمتها في التراكيب النحوية، ومن ثم البلاغية، ولكي نقف على بلاغة اللفظ في موقعه القرآني ونقيس حرارته المعنوية والأسلوبية؛ فإنّ الأمر يستلزم أن نتتبّع اللفظ في الآية، ثمّ نتابع الآية في سياق السورة، وتأثرها بما يسبقها وما يتلوها من الآيات.

كما أنّه ينبغي أن نقرّر أوّلا أن ليس في القرآن الكريم موضع يتمّ فيه تقديم ما أصله أن يؤخّر من دون أن يكون هنالك وجه لهذا التقديم إطلاقا، قد تتفاوت الأفهام في إدراكه، ممّا يوجب علينا أن لا نسدّ على غيرنا باب كشف محاور أخرى لجمال النظم في الآيات قيد الدراسة.

[1] ينظر: جوليا كريستيفا ، علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال، المغرب، 1991، ص 82.

[2] ينظر: الفواصل القرآنية، التناسب الإيقاعي والوفاء بحق المعنى، د. رافع محمد بيت المال، مقال ضمن المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد 1، العدد10، مارس 2018، ص42.

2- المبحث الثاني: القلب الجملة النحوية:

يعدّ النحو سرا من أسرار هذه اللغة العربية، إذ يمدها بروح وقوة وحيوية، إضافة إلى أن النحو في القديم كان يؤخذ من المجالس والمناظرات العلمية، التي قوامها القرآن والشعر والكلام[1]، وهذا ما نلمسه طرق التأليف القديمة، وقتئذ رُبط النحو بالمعاني، ففي مواضع كثيرة نجد سيبويه لا يعنى بالإعراب قدر عنايته بصوغ العبارات، وتأليف الجمل وفق ما تقتضيه دلالة الكلام.

ويتضمّن القلب في الجملة النحوية تقديم اللفظ على عامله، ومن هذا الباب: تقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم الفاعل على فعله، وتقديم المفعول به على فعله، وتقديم الحال على فعله، وتقديم الظرف والجار والمجرور على فعلهما، ونحو ذلك، أين نحدّد موقع القلب في الآية، ثمّ نقيسه على الأصل الذي يمثّل الشكل التركيبي المثالي، فالخبر يتقدم على المبتدأ وهو من المؤخّرات وجوباً، وكذلك المفعول، والحال، والتمييز، والمفعول المطلق، والمفعول له، والمفعول معه، ومعمولات المشتقات.

---

[1] سيبويه إمام النحاة ،علي النجدي ناصف ، مكتبة النهضة، القاهرة ، ص27

ومن مواضع الظاهرة في القرآن الكريم نذكر:

2-1- في الجملة الاسميّة:

أ- الخبر مفرد:

الأصل في الجملة الاسمية أن يتقدّم المبتدأ ويتأخّر الخبر، ومن أمثلة القلب التركيبي في أركان الجملة الاسمية ما ورد في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ** ﴾[1]، ف(متبّر) خبر مقدّم في الجملة الواقعة خبرا ل:(إنّ)[2]، و(باطل) خبر مقدّم للمبتدأ (ما) الموصولة، والتقديم يفيد أنّ "حال ما هم فيه ليست غير التبار، وحال عملهم ليست إلا البطلان، فهم لا يعدونهما"[3]، ومن صور الجمال الأسلوبي في الآية الكريمة حدوث التوافق بين التأكيد والاهتمام بمصير هؤلاء القوم الذين اتّخذوا أصناما آلهة، في الوقت الذي نلمس فيه إرادة الإيقاع الموافق لباقي الفواصل السابقة واللاحقة، تحقق بفضله الالتزام بالفاصلة الموحدة تماشيا مع الجوّ العامّ للسورة.

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ** ﴾[4]، تمّ قلب البنية التركيبية من (أهو حقّ؟) إلى (أحقّ هو؟)، من خلال تقديم الخبر، إيذانا من المشركين بالتكذيب لما جاء به

---

[1] **الأعراف ، 139.**

[2] **ينظر: فتح القدير، الشوكاني، ج2، ص274.**

[3] **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، تعليق: محمود شكري الآلوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج9، ص41.**

[4] **يونس ، 53.**

الرسول، صلّى الله عليه وسلّم، بتشكيكهم في حقيقة وقوع ما وعدهم به، بحيث جمع التعبير في هذه الآية بين الاستفهام والتخصيص، فكان تقديم المسند في محلّه يطلبه المعنى طلبا، فنتجت بفضله المزية البلاغية والجمالية من خلال الكشف عن نفسيّة السائلين يترجمها أسلوب الاستفهام بتقديم الخبر.

وفي قوله تعالى: ﴿ **قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى** ﴾[1]، فالأصل أن يتأخّر الخبر عن المبتدأ، فتكون الجملة (أأنت راغب عن آلهتي؟)، إلا أن زيادة الاهتمام بالخبر عملت على زحزحته من مرتبته ووضعه في مقدّمة السؤال، بغرض الإلمام بمجموعة من المعاني والدلالات لم تكن لتتألّق مع التموضع العادي للمبتدأ والخبر، إذ يحمل التركيب معنى التعجّب، والإنكار، والكشف عن اعتقاد أبي إبراهيم بأن الرغبة عن عبادة آلهته من أشنع الأفعال[2]، خصوصا إذا كان الفاعل ابنه، وعلى هذا بني التركيب بتقديم الخبر (راغب)، ليعبّر عن أنّ آلهته لا ينبغي لأحد أن يرغب عنها[3]، وكلّ هذا الزخم الدلالي سببه تقديم الخبر، وما كان ليتسنّى لنا التعبير عن تلك الدلالات إلا باللجوء إلى حزمة إضافية من الألفاظ، عمل التركيب القرآني على اختزالها، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟** ﴾[4]، أين قدّمت (شاخصة) للاهتمام والعناية.

---

[1] مريم ، 46.

[2] ينظر: الطراز، العلوي، ج2، ص69.

[3] دلالات التقديم والتأخير، عبد العظيم المطعني، وعلي جمعة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2005، ص480 .

[4] الأنبياء ، 97.

وفي قوله تعالى: ﴿ **أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ** ﴾[1]، تمّ تقديم الخبر على المبتدأ، لأنه السبب في التوبيخ الحاصل، وأصل الترتيب: (أهذا سحر)، إذ كان من اللازم عقلا على المشركين أن ينظروا في الآيات بعين التدبّر الذي يفضي بهم إلا حقيقة أن هذا القرآن هو رسالة الله تعالى إلى الناس، لما اشتمل عليه من البراهين والأدلّة، ولكنّ الكبر حجب عقولهم عن الاعتراف بهذه الحقيقة تماما كما كان موقف آل فرعون لماّ بهرتهم معجزات سيدنا موسى، عليه السلام، قال تعالى: ﴿ **قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ** ﴾[2]، والمعنى أنّ موسى، عليه السلام، أنكر عليهم قولهم إنّ الذي جاء به من المعجزات هو سحر، قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴾[3]، فقال موسى: (أتقولون للحق لماّ جاءكم هذا اللفظ، أي: (إنّ هذا لسحر مبين)، ثمّ قرّرهم، عليه السلام، بقوله: (أسحر هذا؟ ولا يفلح الساحرون)[4].

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ** ﴾[5]، فيما تقرّر خطّية الجملة النحوية أن يكون التركيب على الشكل التالي:

---

[1] **الطور ، 15.**

[2] **يونس ، 77.**

[3] **يونس ، 66.**

[4] **معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج3، ص29.**

[5] **سبأ ، 40.**

(أكان هؤلاء يعبدونكم؟)، أين يطفو الفرق الدلالي بين التركيبين بكلّ وضوح، مخلّفا تراجعا كبيرا في بيان المقصود واضمحلال المعنى المطلوب الذي تضمّنته الآية الكريمة، زيادة على الإيقاع الجميل والهادئ الذي تركته كلمة (يعبدون) بوقوعها فاصلة، وهو ما يحقق التناسب مع بقية الفواصل السابقة واللاحقة في السورة، ولعلّ السبب في تهدئة الموقف هو أن الشركين من الإنس والجنّ قد ادّعوا أنّ عبادة الملائكة قد ألْهتهم عن عبادة الله، فكان السؤال موجّها إلى الملائكة على سبيل التبرئة، وليس هنالك سبب لتهديدهم أو تخويفهم، لأنّ المشركين هم من يستحقون حقيقة أن يوجّه إليهم السؤال على سبيل الزجر والوعيد.

ب- الخبر شبه جملة

وإذا كان الخبر شبه جملة فغالبا ما تكون الغاية من تقديم الجار والمجرور، وبخاصة ما وقع منها ظرفا، هي إرادة الاختصاص والحصر، إضافة إلى غايات أخرى تتبيّن في مواضعها.

ففي قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ** ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ **وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ** ﴾[2]، تظهر جليّا دلالة الحصر، والمعنى: (ليس هنالك رجوع إلا إلى الله)، ويؤكد الله تعالى هذا المعنى في مواضع كثيرة من كتابه العزيز، من مثل قوله تعالى: ﴿ **قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ** ﴾[3]، إيمانا منهم بأن ليس الرجوع إلا إلى الله، ولقد عبّر السحرة عن هذا المعنى بعد أن أذعنوا لمعجزة موسى، عليه

---

[1] **الأنعام ، 164.**

[2] **الأعراف ، 141.**

[3] **الأعراف، 125.**

السلام، وفي قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾[1]، فقدّم الظرف على المبتدأ للغاية ذاتها، فإن المتلقي أكثر حاجة لأن يعلم بمصدر علم الساعة، مع بلوغ غاية التأكيد والحصر معا مع هذا التقديم، فإن البحث في أسباب التقديم يفضي إلى بيان أحوال المتلقي[2]، وما هو الأعرف لديه حتى يؤخّر، وما هو المجهول والأهمّ حتى يقدّم.

ومن أمثلة تقديم الظرف الذي يكون خبرا على المبتدأ قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾[3]، وذلك للتنبيه إلى أن معرفة الغيب من علم الله الخاص، الذي لا يطّلع عليه أحد من الخلق[4]، فعند الابتداء بالظرف يكون المعنى متعلّقا به، ويكون، أي الظرف، محلّ الاهتمام والعناية[5]، فقد أكّد هذا الاختصاص بقوله : ﴿ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾، إذ حسن التعقيب بها، بحيث تنطق النفس بهذه الخاتمة بعد الإمعان والتفكّر، فيتأكّد المعنى الذي افتتحت به الآية بالقصر المتضمَّن في آخرها[6]، وتتجلّى القسمات الجمالية في توالي المؤكّدات وتنوّعها، وتأديتها للمعنى بكل دقّة، وتنساق الكلمات إلى النفس في سلاسة، فتتذوّقها العاطفة وتتقبّلها، ثمّ تحال إلى العقل فيصدّقها ويثبّتها.

---

[1] لقمان ، 34.

[2] ينظر: البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، الميداني، ج1، ص356.

[3] الأنعام ، 59.

[4] ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج7، ص330.

[5] ينظر: نظرية المعنى في الدرس النحوي، مبارك عبد القادر، كنوز للإنتاج والنشر والتوزيع، تلمسان، ط1، 2011، ج1، ص122.

[6] ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص133.

كما قدّم الظرف في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1]، لإفادة الاختصاص والحصر معا، وهي صيغة كثيرا ما تتكرر في الأسلوب القرآني، نظير قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[2]،

وفي قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[3]، تقديم الجار والمجرور لإفادة الحصر؛ أي ليس هنالك مالك للكون وما فيه إلا الله تعالى، وتقديم الليل على النهار لتناسب السكون مع الليل، وباعتباره سابقا في الوجود، إضافة لما يحصل فيه من الهدوء والنوم والراحة عند الكائنات عموما،

كما تقدّم الجار والمجرور على مرتبته الأصلية في قوله تعالى: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴾[4]: لأنّ كفار مكّة أنكروا أن الله جلّ وعلا، خصّ نبيه محمدا، صلى الله عليه وسلم، بإنزال القرآن عليه وحده، ولم ينزّله على أحد آخر منهم، أو لم ينزل إليهم ملكا من السماء، وقد ذكر الله تعالى إنكارهم هذا في

---

[1] **الأعراف، 39.**

[2] **يونس، 26.**

[3] **الأنعام ، 12.**

[4] **ص ، 8.**

قوله، عزّ من قائل: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾[1].

وفي موضع آخر، استحبّ المشركون أن يكون صاحبَ الدعوة رجل عظيم، في قوله سبحانه: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[2]، يعنون بالقريتين: مكّة والطائف، وبالرجلين: الوليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود من الطائف، وذلك زعما منهم أنهما أحقّ بالنبوّة من محمد، صلى الله عليه وسلم[3]، وإنّما قالوا ذلك لينفّسوا عن أنفسهم شيئا من الغلّ الذي يكنّونه للنبيّ[4]، فالمكذَّب به هنا هو الرسول، صلى الله عليه وسلّم، بينما في قوله تعالى: ﴿ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾[5]، قدّم (الذّكر) على الجار والمجرور، لإفادة أنّ التّكذيب كان أشدّ للذّكر المنزّل على الرسول (صالح، عليه السلام)، وقد تبيّن ذلك من خلال سياق الآيتين قبلها، في قوله: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴾[6]، أي أنّ قوم صالح، عليه السلام، كذّبوا بما أنذرهم به نبيّهم، زيادة على تكذيبهم لنبوّته أصلا، إلا أنّ الاستخفاف كان أوضح في الوعيد، والتكذيب كان أشدّ في الذكر المنزّل على نبيّهم صالح، عليه السلام، وكان يومئذ صحفا مكتوبة

---

[1] ص، **4**.

[2] **الزخرف ، 31.**

[3] **أضواء البيان ، محمد الأمين الشنقيطي، ج6 ، ص 24 .**

[4] **ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محمد الدرويش، المجلد 8، ص331.**

[5] **القمر ، 25.**

[6] **القمر، 23.**

وألواح مسطورة، فاستعمل الإلقاء بدل الإنزال[1]، ولهذا كان جوابهم لدعوته بأن استعجلوا العذاب، أين تتجلّى المكنونات المتخفّية للنفس التي جبلت على العناد، عمل الترتيب في ألفاظ الاستفهام الإنكاري على كشفها.

وأما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ** ﴾[2]، فقد تقدّم الجار والمجرور في كلتا الآيتين: (بما أرسل به) في الآية الأولى، و(بالذي آمنتم به)، "ولماّ كان النظام النحوي هو النظام التركيبي الوحيد في اللغة، ولماّ كان هو المسؤول عن بناء الجملة بحيث تؤدّي معنى واحدا، كان ذلك النظام هو صاحب السلطان على سائر الأنظمة في اللغة؛ بل إنّ اللغة لم تنشئ سائر الأنظمة إلا من أجله؛ فهي جنّدت النظامين الصوتي والصرفي ليصوغا صيغا متعدّدة الاحتمالات في الاستعمال النحوي، ثمّ استودعت المعجم تلك الصيغ لتكون رهن إشارة النظام النحوي حين يطلبها"[3]، فإن تموقع اللفظ تقديما أو تأخيرا كان استجابة لحاجة المعنى إلى البروز والوضوح.

---

[1] ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، تح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، ط3، 1996، ج1، ص401.

[2] الأعراف، 75-76.

[3] نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، الشركة المصرية العالمية للنشر-مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1997م ، ص131.

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ** ﴾[1]، وهو رد نابع عن عدم الفهم الصحيح لدعوة النبيّ لهم، يترجم ذلك مجيء الجار والمجرور (**لك**)، ثم تقديمه على الخبر لتأكيد معناه، كأن الإيمان الذي هم مطالبون به إنما هو لموسى، عليه السلام، أو أن تسليمهم هو انصياع لأمر الرسول وليس لأمر الله، سبحانه، ويصوّر أسلوب التقديم والتأخير، في الجار والمجرور، حال الجفوة التي أحاطت بقلوبهم وحاصرت عقولهم، كما يشير إدراج (**لك**) في هذا الموضع إلى الاستخفاف بشخص موسى، عليه السلام، من قومه.

وأمّا في قوله تعالى: ﴿ **قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ** ﴾[2]، فقد جاءت الآية الكريمة لتقرّر شمولية رسالة الإسلام، وذلك بعدما سردت سورة الأعراف العديد من الرسالات السابقة بذكر الأنبياء وأقوامهم، بدء من سيدنا نوح، ووصولا إلى سيدنا موسى، عليه السلام، أين ظهرت الاختلافات بين طبيعة الرسالات تماشيا مع التقدّم الزمني، وتنوّع البيئات البشرية للمرسل إليهم، ربّما قد يوهم البعض ويجرّهم إلى الاستفسار عن هويّة المعنيّين برسالة نبينا محمّد، صلى الله عليه وسلّم، فكانت المبادرة في الآية بالتأكيد على أنّه رسول الله إلى الناس جميعا، وحاله ليس كحال من سبقه من الأنبياء الذين أتت السورة على ذكرهم، والذين أرسلوا إلى أقوامهم خاصّة، وهي دلالة أفصح عنها تموقع الجار والمجرور (إليكم جميعا) بين المنعوت ونعته.

---

[1] **الأعراف، 132.**

[2] **الأعراف ، 158.**

هذا، زيادة على أنّ البناء التركيبي للجملة يصعب المساس بترتيب أجزائه على غير هذا النحو دون تلاشي الدلالة المتوخّاة، إذ إنّ المعنى الأوّل الذي أساسه أصل الترتيب لا يكون متمكّنا إلاّ على هذه الصورة، ثمّ تتوالى المعاني الإضافية بناء على مقتضياته.

ولبيان اهتمام القرآن بحال النبيّ، صلى الله عليه وسلّم، وقع تقديم شأنه في قوله تعالى: ﴿ **كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[1]، في الوقت الذي يرسم فيه الأصل الترتيبي الجملة على الشكل التالي: (فلا يكن حرج منه في صدرك)، والمعنى: فلا يضيق صدرك من تبليغ ما أرسلت به مخافة من أن لا تقوم بحقه[2]، ويدلّ التقديم على الحرص والاهتمام بشخص النبيّ، صلى الله عليه وسلّم، من خلال التأكيد على أن يكون صدره سالما من الحرج أثناء الدعوة.

[1] **الأعراف ، 2.**

[2] **ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج4 ، ص267.**

2-2- في الجملة الفعلية:

أ- تقديم الفاعل

تفرض خطّية الجملة الفعلية أن يتأخّر الفاعل عن فعله، ولا يكون القلب في هذا الترتيب إلا لغرض بلاغي يتّضح حجمه بالأثر المعنوي الذي يحدثه في موضعه، "وإيّاك أن تظنّ بكون الحكم على المسند إليه مطلوبا استيجاب صدر الكلام له، فليس هو هناك فلا تغفل"[1]، فالتقديم والتأخير في أركان الجملة النحوية عموما ليس على الفرضية والوجوب، إنّما يجنح المتكلّم إلى تقديم ما هو به أعنى، وأحيانا يعمد إلى تأخير الكلام عنه للغرض نفسه، فلا قاعدة ثابتة توجّه المخاطب إلى مراد المتكلّم إلا أن يعتمد الحذق والبديهة، "فإن ملاك الأمر في علم المعاني هو الذوق السليم، والطبع المستقيم، فمن لم يرزقهما فعليه بعلوم أُخر، وإلا لم يحظ بطائل مما تقدّم وما تأخّر"[2].

وفي الاستفهام خصوصا، فإن تقديم الفعل يكون لبيان أنّ الشك قائم في وقوع الفعل من عدمه، وكان المراد معرفة ما إذا وقع أم لم يقع[3]، على عكس تقديم الاسم؛ فإنه يدلّ على أنّ الشك في الفاعل مع العلم بوقوع الفعل.

وتقديم الفاعل يأتي بناء على علم المخاطب بوجود الفعل، مع الخطأ في تحديد فاعله أو تفصيله، ويكون الغرض من التقديم هو ردّه إلى الصواب، ففي قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ

[1] مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987، ص219.

[2] المصدر نفسه، ص301.

[3] ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص64.

يَصۡطَفِى مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾[1]، لأنّ تشكيك المشركين كان دوما حول ما إذا كان الرسول هو الذي يأتي بالوحي من تلقاء نفسه، أو تكون ردّا عليهم في اعتراضهم على الله في اختيار رسله من البشر أو الملائكة، فمن كانت صفاته أنه، تعالى: ﴿ **يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ** ﴾[2]، فلا ينبغي لأحد أن يسأله عن فعله واختياره[3]، ومن تقديم الفاعل في الآية الأولى نستشف دلالة الإنكار والتوبيخ، كما نستشعر معنى التعظيم من ذكر اسم الجلالة (**الله**) في مطلع الآية، وفيه الحضّ على تعظيم الفعل الصادر عنه، عزّ وجلّ.

فمن تقديم الفاعل في الآية الكريمة تتفتّق دلالات عديدة، منها: التعظيم، والتأكيد، والاهتمام، وكلّها بسبب تقديم الفاعل على فعله، ينضاف إليها غرض التوبيخ الذي نستشفّه من السياق الممتدّ من الآية (73) قبلها، إلى الآية (76) بعدها، والتي نصّت على انفراد الله، تعالى، باستحقاق العبادة، والتصرّف في شؤون المخلوقات، وهو وحده من بيده أن يختار من يبلّغ عنه[4]، ولا ينبغي أن يُسأل عن فعله من كانت صفاته: العلم بأحوال المكلّفين ظاهرها وباطنها، وإليه مرجع الأمور جميعها، فكيف للمشركين أن يعترضوا على حكمه وتدبيره واختياره لرسله.

---

[1] **الحج ، 75.**

[2] **الحج ، 76.**

[3] **ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج17، ص702.**

[4] **ينظر: نفسه ، الصفحة ذاتها.**

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا** ﴾[1]، فإنّ تقديم لفظ (**الله**) زاد التعبير فخامة، بحيث يكون أوّل ما يستفتح به الكلام، فيتحقق من وراء ذلك غرض التعظيم لله، تعالى، من خلال عظم الفعل الخاص به، والأسلوب يتضمّن دلالة القصر، كونه يقطع على المخاطب أن يعتقد أن يكون هنالك غير الله من يستطيع أن يأتي بالفعل المذكور، وهو إخراج المواليد من بطون أمّهاتهم.

ويستمرّ التقديم في اسم (**الله**) الواقع فاعلا في السياق التالي للآية السابقة، على غرار قوله تعالى: ﴿ **وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ** ﴾[2]، إذ لا يتصوّر أن يكون منعم سوى الله تنسب إليه هذه النعم التي تحيط بالإنسان من أجل تيسير حياته وتجميلها، وفي تقديم (**لكم**) دلالة على اختصاص بني الإنسان بهذه النعم لشرفهم على باقي المخلوقات[3].

ثم يتواصل تقديم الفاعل للأغراض المذكورة في السياق ذاته، في قوله تعالى: ﴿ **وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ** ﴾[4]، إن

---

[1] النحل ، 78.

[2] النحل ، 80.

[3] ينظر: دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، منير محمود المسيري، ص460.

[4] النحل ، 81.

تقديم الفاعل (**الله**)، والتكرار في الفعل والجار والمجرور: (**جعل لكم**) ينبئ بتعظيم الفعل واختصاص الفاعل به، ويؤكّد على أن المخاطَبين هم المعنيّون بهذه النعم، وأنها خلقت من أجلهم، ويتجلّى هذا من خلال الاهتمام بالضمير العائد عليهم (**لكم**) بتقديمه وتكراره.

ولا تخفى الفخامة في التعبير في قوله تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ** ﴾[1]، فقد قدّم الفاعل (الله) تعظيما لفعل التنزيل، وإكراما للمنزّل، وقد أثار تقديم اسم الجلالة إحساسا في النفس بالخشوع والانبهار أمام عظمة القرآن المنزّل من قبل المولى، بحيث أن فعل التنزيل لا ينبغي أن يكون فاعله غير الله، تعالى، وإن المتعة الفنّية تنطلق من افتتاح الكلام بذكر اسم الجلالة (الله).

وفي تقديم الفاعل يكون الاعتناء به، فوجب تقديمه لوجود العامل البلاغي وما يجيزه من تصرّف في مراتب الأجزاء في التركيب بما يحقق بلوغ المعاني المستهدفة، كما في قوله تعالى: ﴿ **أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ** ﴾[2]، وهي صورة أخرى من صور الاستفهام الدال على الإنكار[3]، أين قدّم الفاعل (أنت) على فعله (تسمع)، لبيان أن ليس بإمكان أحد من الناس أن يُسمع أصمّا، والرسول، صلى الله عليه

---

[1] **الزمر ، 23 .**

[2] **الزخرف ، 40.**

[3] **ينظر: المرجع نفسه، ص603.**

وسلّم، رسالته مبنيّة على الدعوة الكلامية، وليس بيده إلا أن يبيّن للناس طريق الحق والنجاة.

ويتشكل الأثر الأسلوبي في تقديم الفاعل على فعله، في الآية، من خلال الإفصاح عن المعنى الأساسي للتركيب، وهو نفي قدرة الرسول، صلى الله عليه وسلّم، على أن يُسمع الصمّ أو يهدي العمي، واستصحابه –أي المعنى الأساسي– لحالة المعرضين عن الدعوة وتصويرها بحال الصمّ والعمي، فإنهم ومن كان في ضلال مبين سواء، ولا سبيل لأحد أن ينفذ بخطابه إلى قلوبهم، كما لا يستطيع أحد أن يسمع أصمّا أو يشير إلى الطريق لأعمى، ويزداد الجمال الأسلوبي في اختيار اللفظ الأخير في التركيب: (مبين)، وجرسها الهادئ الذي يتناسب مع جوّ الخطاب الداعي إلى تثبيت العزيمة، من خلال إراحة القلب من تبعات رفض المشركين وعنادهم.

ومن أمثلة إنكار الفاعل: قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ** ﴾[1]، فقد تضمّن السؤال الإنكاري توبيخا وتهديدا وتأكيدا.

أمّا التوبيخ؛ فمفاده تكذيب المشركين في زعمهم بأن يكون الله قد أعلمهم بأنه أحلّ هذا وحرّم ذاك.

---

[1] **يونس ، 59.**

وأمّا التهديد؛ فإن الآية الكريمة تحمل إشارة إلى عظم الجرم الذي يكون من خلال القول على الله بغير علم.

وأمّا التأكيد الذي نستشفّه من تقديم الفاعل على الفعل فمفاده أن الذي بيده أن يحلّ الحلال ويحرّم الحرام هو الله وحده، وليس غيره مخوّلا لذلك، والحاصل هو انتفاء الإذن من أصله نتيجة انتفاء الفاعل[1]، فإن قيل: فكيف قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[2]، فالجواب أنّ النبيّ، صلى الله عليه وسلم، لم يفعل ذلك من تلقاء نفسه؛ بل تبليغا لأوامر الله ونواهيه، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[3]، وقال، عزّ من قائل: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[4]،

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص72.
[2] الأعراف ، 157.
[3] النجم ، 3–4.
[4] يونس ، 15.

وما كان غرض المشركين من قولهم هذا إلا الكيد والمكر[1]، فلا يعدو الرسول، صلى الله عليه وسلّم، أن يكون مبلّغا للأحكام والشرائع عن ربّه، عزّ وجلّ.

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ** ﴾[2]، والأصل أن يقال: (أكان هؤلاء يعبدونكم؟)، فقدّم الفاعل والمفعول به في الآية، ومن ثمرات هذا التقديم: تحقير المشركين (هؤلاء) وتوبيخهم، والاهتمام بالملائكة والتأكيد على براءتهم[3]، وتخصيص السؤال عنهم، وليس عن عبادة المشركين لهم، ومراعاة الفاصلة[4]، وكلّها معان عمل الخطاب على تحقيقها، فيتزامن ورود المعنى المطلوب مع الإيقاع الجميل والمنسجم مع الإيقاع الكلّي للسورة.

وفي قوله تعالى: ﴿ **قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ** ﴾[5]، يقودنا الأسلوب التعبيري عن الاستفهام، والمبني على كسر النظام التركيبي المطّرد، إلى معرفة ملابسات المشهد، فتقديم الفاعل (أنت) على فعله كان بسبب أنّ فعل التحطيم كان قد وقع على آلهتهم، فلم يكن يلزم السؤال عن حقيقة حدوث الفعل من عدمه؛ وإنّما الغاية منه هي أن

---

[1] **ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج11، ص459.**

[2] **سبأ ، 40.**

[3] **ينظر: المرجع السابق، ص565.**

[4] **ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج7، ص273، ودلالات التقديم والتأخير، منير محمود المسيري، ص565.**

[5] **الأنبياء ، 62.**

يقرّ سيدنا إبراهيم، عليه السلام، لقومه بأنّ الفعل كان منه لا من غيره[1]، ويتمادى التحقيق في محاولة إثبات وقوع الفعل منه بالنداء الذي جعلوه آخر كلامهم، ولقد زاد على معنى الآية السابق إيقاعا يحمل دلالات التأنيب والتوبيخ، فاكتملت بذلك جوانب الصورة.

وأمّا في سورة الواقعة، فإننّا نلحظ تقديما مكثّفا للفاعل على الفعل، ففي الآيات الموالية، قال تعالى: ﴿ **ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ** ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿ **ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ** ﴾[3]، وقال، عزّ من قائل: ﴿ **ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ** ﴾[4]، وقال، عزّت كلماته: ﴿ **ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ** ﴾[5]: إذ إنّ الأصل، في الجملة النحوية العربية، أن يكون الابتداء بالفعل يليه الفاعل، ولكنّ التحوّل عن هذا الترتيب في الخطابات، لاسيما البيانية، كثيرا ما تتطلّبه قصديّة صانع الخطاب[6]، ومن ثمّ يحدث القلب في التركيب الأصلي من فعليّ: أتخلقونه أنتم؟ (استفهام + فعل + فاعل + توكيد الفاعل) إلى تركيب اسمي: (**أأنتم تخلقونه**) (استفهام + مبتدأ (يقوم بوظيفة

---

[1] ينظر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تح: بكري شيخ امين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص300.

[2] الواقعة ، 59.

[3] الواقعة ، 64.

[4] الواقعة ، 69.

[5] الواقعة ، 72.

[6] ينظر: البنية الإيقاعية في الخطاب القرآني، زواخ نعيمة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2012، ص260.

الفاعل) + الفعل + فاعل مستتر)، والغرض هنا هو تأكيد إنكار الفاعل (أنتم) من جهة[1]، والدفع بالمخاطبين إلى أن يقرّوا بأنّ الله وحده هو الفاعل من جهة ثانية.

ولقد ورد ترتيب الأحداث من خلال هاته الآيات كما يلي: خلق الإنسان، ثم إنبات الحبّ، وهما ممّا لا غنى للإنسان عنه في قوته وقوامه، ثم الماء الذي به يسقى ويعجن، ثمّ النار التي بها يطهى.

والأسلوب يكشف عن قسمات جمالية نتيجة التغيّر في مهامّ بعض الوحدات بمقتضى القلب المكاني الذي حدث في الجملة، ويكون التركيز على الضمير (أنتم) بتنزيله بداية التركيب، غاية تتمثل في تأكيد مفهوم الفاعلية القائمة على أفعال الخلق والزرع والإنزال والإنشاء، فمحور الاهتمام في هذا المقام هو (من الفاعل؟)، وليس الفعل في حدّ ذاته، وتمّ تعليق المسند إليه (ضمير الخطاب أنتم) باستفهام إنكاري يحمل استخفافا بمعلّقه أن يكون صاحب فعل من هذه الأفعال.

كما لا يمكننا إغفال العامل الموسيقي المنبثق من الإيقاع الكلّي للتراكيب في الشواهد الآنفة، أين تميّزت بفواصلها المتشابهة: (**الخالقون، الزارعون، المنزلون، المنشئون**)، والملاحظ أنّها وردت جميعها بصيغة اسم الفاعل، من الثلاثي والرباعي، حسن الوقوف عليها، فيكون للقارئ المجال فسيحا كي يتدبّر معانيها، ويعظّم من كانت هذه أفعاله وصفاته.

[1] **ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص72.**

ب- تقديم المفعول

من المعلوم أنّ التموضع الأصلي للمفعول به، في الجملة الفعلية ذات الفعل المتعدّي، هي بعد الفعل والفاعل، بيد أنّه يتصدّر، أحيانا، الجملة، ويكون ذلك من أجل بلوغ غاية بلاغية وأسلوبية، من ذلك ما ورد في قوله تعالى : ﴿ **فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۗ** ﴾[1]، فإنّ تقديم المفعول به على الفعل والفاعل المحذوف، ومجيء الجملة على هذا النحو من أجل القطع بأن لا ثالث لهذين الفريقين، مصداقا لقوله تعالى في آية أخرى : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٌ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ** ﴾[2].

كما نقول بأنّ المفعول به مقدّم على الفعل إذا لم يتعلّق آخر الفعل بما يدلّ على الاسم[3]، فإذا أعيد ذكره متعلّقا بالفعل لم يكن مقدّما، وعندئذ يكون مفعولا لفعل محذوف مفسر، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٍ** ﴾[4]، فإنّ إعادة ذكر المفعول به متعلّقا بالفعل في (خلقناه) ألغى صفة التقديم، وأحال السامع على تقدير فعل محذوف، ويكون الأصل: إنا خلقنا كلّ شيء خلقناه بقدر.

---

[1] **الأعراف، 30.**

[2] **الشورى ، 5.**

[3] **ينظر: الكتاب، سيبويه، ج1، ص72.**

[4] **القمر ، 49.**

إلا أنّه لا يمكننا أن نغفل الأثر البلاغي والأسلوبي في مثل هذه الحالات، بل نعدّه وجها من أوجه القلب في مراتب أركان الجملة، بما يضفي عليه من التكاثر في الدلالة والتألّق في الصياغة والنظم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾[1]، إذ يقودنا الأسلوب من خلال الابتداء ب(الأرض) في الآية الأولى، و(الجبال) في الآية الأخيرة، على تلمّس عظمة الخالق، عزّ وجلّ، وتصوّر الأرض والجبال في عظم جرمهما، طائعتين ومستسلمتين لقدرة الله، كما يدعونا أسلوب التقديم إلى التفكّر بداية في انتقال حال الأرض من الخلقة الأولى، أين كان لا يتأتّى للإنسان أن يعيش على ظهرها لعدم استقرارها، ثمّ سطحت وانبسطت، بفضل قدرة الله في دحيها وإرساء الجبال فيها، ليكون الإنسان هو المنتفع بذلك التمهيد والبسط[2].

كما أضفت النهايات الصوتية للآيات جوّا إيقاعيا متميّزا بفضل جرس الهاء ممدودة بالفتح وقبلها مدّ مفتوح، في (دحاها، مرعاها، أرساها)، والتي أنتجت التناغم مع الآيات الثلاث السابقة، والتي تشابهت معها في فواصلها المتمثلة في: (بناها، فسوّاها، ضحاها)، ممّا يقود المخاطب إلى أن يربط ذهنيّا بين الظواهر الكونية المذكورة، واستكشاف عظمة الربّ من وراء ذلك.

---

[1] النازعات ، 30 – 33.

[2] ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج8، ص415.

ويستمرّ التنبيه إلى قدرة الخالق، سبحانه، في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾[1]، كما تشير إلى أن الأمر، في أصله، هو أن الأرض هي موطن العيش والتمتّع بخيراتها في الدنيا، ويعمل الأسلوب، من خلال تقديمها في الذكر، على استنطاق التركيب والكشف عن المعاني والدلالات التي تحيط بالمشهد، والتي تفسر انبهار العبد بعظمها، وعدم جواز أن يتسلّل الشك إلى قلبه في أن يكون الله هو القادر على مدّها وتذليلها، وإحالتها إلى موطن للعيش والتمتع[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴾[3]، نستشف أن المشركين تعجّبوا من أن يأتيهم رجل واحد مثلهم بالوحي، ثم يؤمرون باتّباعه وطاعته؛ لأنّهم دأبوا على الاختلاف في عقائدهم ودياناتهم، كما "أنّهم بنوا كفرهم على أنّ من كان مثلهم بشرا لم يكن بمثابة أن يتّبع أو يطاع"[4]، فلمّا جاءهم الرسول، صلى الله عليه وسلّم، بالقرآن الكريم، وظهرت معجزته عليهم، ولم يستطيعوا مجابهة الخطاب الإلهي، تحوّلوا إلى الطعن في مسألة الرسول، وادّعوا أنّه لا ينبغي أن يكون بشرا تارة، وأن يكون عظيما تارة أخرى، أو ألا يكون رجلا واحدا حتى يقبلوا منه ما أتاهم به.

---

[1] **الحجر ، 19.**

[2] **ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج30، ص1177.**

[3] **القمر ، 24.**

[4] **دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص122.**

فجمالية التعبير تظهر في الموقف الذي رسمه أسلوب التقديم والتأخير، وهو أن يفصح عن جانب آخر من التخبّط الذي وقع فيه المشركون، ولا يزالون يكشفون عن الحقد الذي يعترض ملامسة الحق لقلوبهم وعقولهم، وتقديم المفعول به: (بشرا) ينمّ عن قصدية الخطاب في إظهار مكنونات النفوس المريضة، وطرق الاستدلال الواهية التي يعتمدها المشركون في ردّ الحقّ، إذ كيف ينصرفون عن التدبّر في الرسالة، وعرضها على العقل والمنطق، ويتوجّهون بالطعن في إمكانية أن يكون الرسول بشرا واحدا منهم.

وأمّا في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ** ﴾[1]، فقد تضمّنت الآية استفهاما إنكاريّا، قدّم فيه اللفظ الدالّ على عين الموضوع، وهو(غير الله)، والمعنى: أيعقل أن أتخذ وليّا غير الله، "وذلك لأنه قد حصل بالتقديم معنى قولك: "أيكون غير الله بمثابة أن يُتّخذ وليّا؟ وأيرضى عاقل من نفسه أن يفعل ذلك؟"[2]؛ فاكتسب التركيب خاصة معنوية لا تحصل بإعادة التركيب إلى أصله في الترتيب[3]، لأنّ اتّخاذ غير الله وليّا أمر منكر ولا يقبله عاقل؛ فالاهتمام متوجّه نحو المفعول به الأوّل (غير الله)، والمعركة قائمة حول توحيد العبادة لله، عزّ وجلّ، والشرك الذي يدعو إليه الكفار، ومنه نلمس البراعة في الأسلوب وإشعاع الجمال في الآية، إذ لو قيل: (قل أأتخذ وليا غير الله) لما لمسنا ذلك التشديد وتلك الفخامة التي في الآية الكريمة، ولاضمحلّت العديد من الدلالات التي انبثقت عن التركيب بفضل أسلوب التقديم والتأخير.

---

[1] **الأنعام ، 14.**

[2] **المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.**

[3] **ينظر: المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.**

وكذلك في قوله، عزّ وجلّ: ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]، تعبيرا عن تعجّب موسى، عليه السلام، وإنكاره طلب بني إسرائيل بأن يجعل لهم صنما يعبدونه من دون الله[2]، وهو الذي أنقذهم من بطش فرعون، وكانوا لمّا تجفّ رؤوسهم من ماء البحر الذي نجوا هم منه وأغرق فرعون فيه، لذلك كان استغراب موسى، عليه السلام، له ما يبرّره، خاصة وأنّ الآية تلت ذكر العديد من النعم التي أنعم بها الله سبحانه، على بني إسرائيل: نذكر منها: النجاة من فرعون، وإغراقه، ونجاتهم من الغرق، واستخلافهم في الأرض، وتفضيلهم على العالمين في زمانهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[3]، فهل يعقل بُعيد ذلك أن يتطلّع بنو إسرائيل إلى دعاء غير الله؟ وعبادة ما سوى الله؟ وقد دلّ كلام سيدنا موسى، عليه السلام، على التعجّب والإنكار، وأبان عن غضبه لما طلب منه قومه أن يجعل لهم إلها من الأصنام يعبدونه من دون الله، سبحانه.

وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[4]،

[1] الأعراف ، 140.

[2] ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج9، ص383.

[3] الأعراف ، 141.

[4] الأنعام ، 164.

قدّم (غير الله) على (أبغي) للأغراض السابقة، مع إضافة نكتة أخرى تتمثل في أن الآية بمثابة الجواب على دعوة المشركين للرسول، صلى الله عليه وسلم، بأن يتّخذ أصنامهم أولياء من دون الله[1]، ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ** ﴾[2]، لينتقل تقديم المفعول بعدها إلى دلالة الاختصاص[3]، في قوله تعالى: ﴿ **بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ** ﴾[4]، إذ تتجلّى إرادة الاهتمام والعناية، وهي إظهار أن المتكلّم يولي للمقدّم أهمّيّة أكبر من المؤخّر، يصاحبه إيقاع يتميّز بالخفوت والهدوء تعبّر عنه الفاصلة: (الشاكرين)، بعد أن كان الموقف يعكس حالة الغضب من خلال الفاصلتين السابقتين: (الجاهلون، الخاسرون) وما تحملانه من قوّة وغلظة في حروفهما، بخاصة منها الجيم والخاء والسين، إضافة إلى المدّ الواوي قبل الرويّ، والذي انقلب إلى يائي في الفاصلة: (الشاكرين)، أضفى على الفقرة جمالا إيقاعيا ومعنويا.

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾[5]، إذ كان الواجب على العباد أن يحفظوا أنفسهم ويزكّوها في الدنيا، وذلك بالابتعاد عمّا يؤدّي بها إلى الهلاك في الآخرة، فكانت الأنفس، دوما، محطّ الاهتمام والعناية، قال سيبويه: "إنهم

---

[1] **المصدر نفسه، ج2، ص9.**

[2] **الزمر ، 64.**

[3] **ينظر: دلالات التقديم والتأخير، منير محمود المسيري، ص590.**

[4] **الزمر ، 66.**

[5] **الأعراف ، 160.**

يقدّمون الذي بيانه أهمّ وهم به أعنى وإن كانا جميعا ممّا يهمّانهم ويعنيانهم"[1]، وفي هذا دليل على تفاوت الألفاظ من حيث الأهمّيّة والعناية بالتبليغ، فيكون ما هو أهمّ مقدّما، غالبا، على ما هو أخفّ تأثيرا في المعنى.

إضافة إلا دلالة القصر التي تتبع كل تقديم لمعمول على عامله، والمعنى: إن كان هنالك ظلم واقع بسبب أفعالهم فإنما يقع على أنفسهم لا يتعداهم إلى غيرهم[2].

هذا دون أن نغفل المزيّة الجماليّة للتقديم والتأخير؛ فقد أدّت كلمة (يظلمون) دورها الإيقاعي بوقوعها فاصلة تعمل على تحقيق الانسجام الصوتي مع باقي فواصل السابقة واللاحقة للسورة.

ومن أجل تأكيد نفي الفعل تمّ تقديم المفعول به في قوله تعالى: ﴿ **ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ** ﴾[3] والمعنى: إن كان هنالك ما قد حرّم فهو ما ذُكر، إلا أنّ ذلك لم يكن، فالنتيجة إذا هي عدم التحريم أصلا[4]، فمن خلال هذا التقديم تمّ التأكيد على نفي الفعل (حرّم)، إذ ليس ثمّة مفعولا به غيرهما، ولقد تولّد من هذه الصيغة معنى الإنكار والتوبيخ؛ لأن المشركين كانوا يحرّمون الذكور من الأنعام تارة، والإناث

---

[1] الكتاب ، سيبويه، ج1، ص34.

[2] ينظر: المرجع السابق، ص376.

[3] الأنعام ، 143.

[4] ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج4، ص241.

تارة، وما في بطون هذه الأنعام تارة أخرى، فردّ الله عليهم بإنكار التحريم مطلقا، فإن المراد هو إنكار التحريم أصلا، بينما يدل تقديم المفعول به على أنّه هو محل الاهتمام، وفيه مجاراة للمشركين فيما يدّعونه من أن الله تعالى حرّم هذه الأصناف من الأنعام، "وذلك أنّ الكلام وُضع على أن يجعل التحريم كأنه قد كان، ثم يقال لهم: أخبرونا عن هذا التحريم الذي زعمتم فيم هو؟ أفي هذا أم ذاك أم في ثالث؟)[1]، وعندما لن يجدوا جوابا يكون البطلان صفة لقولهم، ويظهر افتراؤهم فيما ينسبونه إلى الله من أنّه حرّم شيئا من ذلك.

كما يلاحظ تقديم الضأن على المعز، وذلك لغلاء ثمنه وطيب لحمه وعظم الانتفاع به[2]، فكان أشرف من الماعز.

وفي قول تعالى : ﴿ **وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ** ﴾[3]، فإنه من باب التقديم "للتنبيه على أنه مطلق لا مقيد"[4]، ومن فوائده "استعظام أن يتّخذ لله شريك سواء كان ملكا أو جنّيّا أو إنسيّا أو غير ذلك"[5]، كما قد يكون لغرض الاهتمام عند المخاطب، إذ المخاطب أكثر شغفا بمعرفة من هؤلاء الشركاء ، ليزدادوا لهم إنكارا واحتقارا.

وإذا ما حاولنا أن نعيد الصياغة إلى الأصل، بالقول: (وجعلوا الجنّ شركاء لله)؛ فإنها تفقد الإشعاع الدلالي والجمالي الذي ينبعث من التعبير القرآني، ولم يزد على الإخبار

---

[1] **دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص115.**

[2] **ينظر: المصدر السابق، ج4، ص242.**

[3] **الأنعام ، 100.**

[4] **ينظر : البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص798.**

[5] **التفسير الكبير، الطبري، ج13، ص120.**

بأن المشركين عبدوا الجنّ مع الله[1]، يقول ابن الزّملكاني: "وهذا يوجب أن يكون الإنكار وقع على جعلهم لله شركاء على الإطلاق، فتدخل شركة غير الجنّ في الإنكار دخول اتّخاذه من الجنّ"[2]، على غير ما يقتضيه الترتيب المعمول به في الآية، أين يستشف القارئ دلالتي الإنكار والإطلاق، زيادة على التأثير النفسي من خلال تأخير مركز الموضوع؛ وهو (الجنّ)، ممّا يجعل الأفكار تتشوّف لمعرفة ما يكون.

وفي قوله تعالى: ﴿ **سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ** ﴾[3]، فيه تصوير لمشهد العذاب يوم القيامة، وبيان حالة الإذلال التي تصيب الكفار حين تغشى النار وجوههم، وذكر الوجه وتقديمه هنا زيادة في التنكيل باعتبار الوجه أشرف أعضاء الجسم.

إضافة إلى أنّ تأخير (النار) جاء ليناسب ما بعدها[4]، وهو قوله تعالى: ﴿ **لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ** ﴾[5]، لأنّ النار جزء من الجزاء، وهي خاصة بالكفار والعصاة، كما لا يخفى حصول التناسب الصوتي بتأخير (النار) لتكون فاصلة، ومساهمة ذلك في تأجيج الموقف والمبالغة في التهديد والزجر.

---

[1] الإعجاز البلاغي في القرآن، دراسة تحليلية عند فخر الدين الرازي، عزيز الخطيب، دار قتيبة، للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2011م ، ص 299.

[2] التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، ابن الزّملكاني، تح: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1964 ، ص106 .

[3] إبراهيم ، 50.

[4] ينظر: دلالات التقديم والتأخير، منير محمود المسيري، ص447.

[5] إبراهيم ، 51.

وفي قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[1]، ورد في هذه الآية الكريمة تقديم المفعول به (آل لوط) على خلاف ما ورد في سورة هود في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾[2]، وفي سورة العنكبوت، في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾[3]، فالترتيب في هاتين الآيتين على حقيقته، ولقد تبيّن من خلاله الاهتمام بجانب الملائكة[4]، فلماّ كان سيدنا لوط، عليه السلام، في موضع الاهتمام قدّم، كما نلاحظ أنّ السياق الذي وردت فيه قد تطرّق إلى الحديث عن الملائكة المرسلين، فقد سبقه الحديث عن سيدنا إبراهيم، وكيف كان ردّه على البشرى، وسؤاله عن سبب مجيء الملائكة، فلماّ أخبروه عن مهمّتهم سارع في التشفّع لهم خوفا على لوط وأهله؛ لأنهم متواجدون بين ظهرانيهم، أين نستشف العناية بآل لوط وأنّهم مدار الحوار، فكان تقديمهم تماشيا مع ظروف المقام.

كما يحيلنا التقديم والتأخير على الجمال الصوتي الذي تؤديه كلمة (المرسلون) بوقوعها فاصلة، وفي استخدام فعل المجيء بدل الإتيان دلالة بلاغية وأسلوبية أخرى، من حيث إنها تحيط المشهد بدلائل القوة والإنذار من سبب قدوم الملائكة وما سيؤول إليه أمر قوم لوط، عليه السلام، ويتمثّل الأثر الأسلوبي في التدرج الفنّي الذي تتفتّق منه الإثارة

[1] **الحجر ، 61.**

[2] **هود ، 76.**

[3] **العنكبوت ، 33.**

[4] **ينظر: المرجع نفسه، ص449.**

والدهشة والإمتاع، يبدأ باستعمال فعل المجيء، ثمّ تقديم المفعول على فاعله، يصاحب ذلك دويّ الإيقاع المتسارع في سرد الأحداث.

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ** ﴾[1]، وردت الآية بعد قوله تعالى: ﴿ **خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ** ﴾[2]، وقد تضمّنت حقيقة خلق الإنسان، وكأن الآية التي تلتها وردت جوابا على قول قائل: والأنعام؟، فكان الابتداء بها للعناية والاهتمام، ومناسبتها لما سيأتي بعدها[3].

ويمكن اعتبار (**لكم**) متعلّقة بالجملة التي تسبقها، كما يمكن اعتبارها متعلّقة بما بعدها، بحيث يجوز الوقف على قوله تعالى: (**خلقها**)، فتكون (**لكم**) مقدّمة على ما بعدها لإفادة التخصيص، وأنّ السبب في خلقها هو من أجل تسخيرها للإنسان.

وأمّا قوله تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ** ﴾[4]، والمعنى أنّه لنا جمال في الأنعام، نتجمّل بها باقتنائها، وهي دليل على سعادة الإنسان وترفه[5]، بما تسهّله عليه من أعباء المعيشة، مأكلا وملبسا ومركبا، زيادة على علاقته الدائمة بها والتي تولّدت منها الألفة والمحبّة، فصار وجودها لغاية أخرى هي تحقيق السعادة والتجمّل.

---

[1] **النحل ، 5.**

[2] **النحل ، 4.**

[3] **ينظر: ينظر: المرجع نفسه ، ص452.**

[4] **النحل ، 6.**

[5] **ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج5، ص461.**

وأمّا تركيب الآية ففيه قلب للأحداث، بحيث ورد الترتيب على عكس ما يقتضيه السبق الوجودي، فزمن التسريح سابق لزمن الإراحة، وإنّما تكون الأخيرة عند انتهاء مدّة الرعي، ولكنّها قدّمت ههنا لأنّ الأنعام تكون أجمل منظرا خلال الإراحة، نتيجة حالة الشّبع التي تؤدّي إلى انتفاخ بوطنها وبروز ضروعها[1]، ويزداد جمالها حين تصل إلى أمكنة مبيتها، فتستقبلها صغارها بالركض نحوها يصاحبه الصياح، وهو مشهد يبعث السرور والمتعة في نفوس مالكيها.

ومنه تقديم المفعول به الثاني على الأوّل:

نحو قوله تعالى : ﴿ **أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ** ﴾[2]، يقول الزركشي: " أصل الكلام: (هواه إلهه) كما تقول: (اتّخذ الصنم معبودا)، لكن قُدّم المفعول به الثاني على الأول للعناية، كما تقول: (علمت منطلقا زيدا) لفضل عنايتك بانطلاقه"[3]، ونحو قوله تعالى: ﴿ **فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ** ﴾[4]، يقول الزركشي:" أي: أحوى غثاء، أي: أخضر يميل إلى السواد، والموجب لتأخير (أحوى) رعاية الفواصل"[5]، ولا ينبغي تقديم الغاية من إحداث إحداث الإيقاع الجميل على حساب المعنى، وإنّما يراعى الوزن، في القرآن الكريم، بما يخدم المعنى وينمّيه أوّلا، ومن ملامح الإعجاز في القرآن كلّه أنّه يوافق بين المعنى والإيقاع، إلى

---

[1] ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج2، ص571.

[2] الجاثية ، 23 .

[3] البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص798.

[4] الأعلى ، 5.

[5] نفسه، ص801.

الحدّ الذي بلغ ببعض العلماء إلى أن ينظروا في الأثر الصوتي بمعزل عن الأداء الدلالي في العبارة المتضمنة لأسلوب من أساليب القلب، وليس ذلك إلا بناء على أنّ المعنى، عندهم، قد تحقّق بجميع جوانبه ومؤثّراته.

ومن أمثلة تقديم المفعول به الثاني قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾[1]، والأصل في الترتيب أن يقال: (مخلف رسله وعده)، إلا أنّ المسألة تتضمّن التأكيد على أن الله، تعالى، لا يخلف الميعاد على أي حال، سواء مع رسله أو مع غيرهم، وكان التقديم لتأكيد هذا المعنى والاعتناء به وتذكير العباد به، وهو للرسل آكد، فهم صفوة الخلق، فإذا كان وعد الله، عموما، أمرا يقينيّ الحدوث؛ فلا مجال للتشكيك في حصوله مع أنبياءه.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[2]، وفيه تقديم المفعول به الثاني (مثلا) على المفعول به الأوّل (قرية)، ونستشفّ منه إرادة التشويق للمؤخَّر؛ لأن ضرب المثل ممّا يجعل السامع في حالة ترقّب لما قد يمثّل به، فيحصل لديه الاستعداد الذهني للتلقّي والإنصات، ومن الجانب التركيبي فإنّ دخول كلمة (مثلا) بين القرية وما يتعلّق بها ممّا يفسد النظم ويخلّ بالترابط بين أجزاء

[1] إبراهيم ، 47.
[2] النحل ، 112.

الجملة[1]، ويصبح التركيب: (وضرب الله قرية مثلا كانت آمنة)، ولا تخفى ركاكة التعبير على هذا النحو، بل تضيع الصلة بين القرية وصفتها، ويغيب الحسن الذي جرى بتناسق الكلمات في الآية.

وفي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾[2]، إذ أنّ (الجحيم) مفعول به ثان، وضمير الهاء في (صلّوه) مفعول به أوّل، وقال الزركشي: "ولو قال: صلّوه الجحيم لأفاد المعنى؛ ولكن يفوت الجمع"[3]، ومعناه تناسب الفواصل، فعمل التقديم على إفساح المجال للضمير (الهاء) كي يلتصق بالفعل الذي هو فاصلة متوافقة مع سابقتها.

ج- تقديم الحال:

الحال ممّا يعدّ من فضلات الكلام، فهو يؤدّي معنى زائدا، وإن كان ذا أهمّية فأهمّيته دون أهمّية باقي المكوّنات الأساسية في الجملة كالفعل والفاعل والمفعول، أو المبتدأ والخبر، وعليه فقد كان من المنطقيّ أن يؤخّر عنهم، وينزّل مرتبة متأخّرة عن مراتبهم، وإذا ما صادفنا تقديم له عن الباقي؛ فإنّ هذا ممّا يعدّ قلبا في المراتب الأصلية التي تواضع عليها المتكلّمون، وتواتر صوغ الكلام على أساسها، حتى أمست مقياسا ينظر إلى مخالفته بأنّه خروج عن المعهود وانقلاب على الأصل.

---

[1] ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ، ج3، 697.

[2] الحاقة ، 31.

[3] البرهان، الزركشي، ص797.

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾[1]، أي إلى الناس كافّة، عربهم وعجمهم وسائر الأمم، وعلى اعتبار القول بأن (كافّة) حال من (الناس)[2]، فتكون قد قدّمت عن مرتبتها، فحقّها التأخير عن صاحب الحال، ولعلّ الاهتمام، والعناية، والتأكيد كانت كلّها دوافع وغايات من هذا التقديم.

وعلى الرغم من أنّ (كافّة) لا تعدّ أساسية في بيان المعنى العامّ للآية الكريمة؛ إلا أنّها قد اكتسبت أهمّيّتها من خلال تموقعها غير العادي بين أجزاء التركيب، وهو التموقع الذي أثّر في دلالة القصر أيضا، إذ كان الأصل فيه: (وما أرسلناك إلا بشيرا ونذيرا للناس كافّة)، وعلى هذا يكون التأكيد على مهمّتي التبشير والإنذار فقط، وتكون وظيفة الرسول مقصورة على هاتين المهمّتين، ثمّ ينتقل الاهتمام إلى المعنيّين بالأمر، وهم الناس، فيتمّ تقديمهم ليصبح التركيب: (وما أرسلناك إلا للناس كافّة بشيرا ونذيرا)؛ لأنّ (كافة) متعلّقة بـ (الناس) فلا يجوز الفصل بينهما، ثمّ تتعاظم العناية بإظهار شموليّة الرسالة بتقديم (كافّة) على متعلّقها، زيادة على حصول مجاورتها لأداة القصر (إلا)، ممّا ضاعف من تأثيرها في المعنى، الذي أضحى يكشف ويؤكّد على عالمية رسالة الإسلام بالدرجة الأكبر، والآية تحمل دلالات ثلاث أساسية[3]، مرتّبة على حسب درجة الأهميّة كالآتي:

1- كافة: الدالّة على شمولية الرسالة.

---

[1] سبأ ، **28**.

[2] **ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج7،ص269.**

[3] **ينظر: الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلاّمي، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1980، ص115.**

2- بشيرا: الدالّة على السعادة والابتهاج بسبب الخروج من ظلمات الكفر والدخول في نور الإسلام

3- نذيرا: الدالّة على التخويف والتحذير من الانحراف عن صراط الله المستقيم.

ولا شك في أن هذا الانتقال صعودا لكلمة (كافّة)، ومزاحمتها للمركز الدلالي في التركيب قد أضفى جمالية أسلوبية لدى المتلقّى، من حيث إنّه يعمد إلى مجموعة من العمليات الذهنية، تبدأ بردّ التركيب إلى أصله الترتيبي، ثم قياس التغيّر الدلالي الحاصل في كلّ مرحلة من مراحل التشويش في الرتب، فيجد نفسه في متعة ونشاط فكري قد أسهم فيه تتبّعه للمعنى ومحاولته الوقوف على ما درجة الدقّة التعبيرية المعجزة، والتي حصلت نتيجة الانقلاب على أصل الترتيب.

ومن أمثلة تقديم الحال قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ** ﴾[1]، بحيث تعرض علينا الآيات مشهدا من مشاهد الحشر[2]، باستخدام الإيقاع السريع المفعم بالنشاط والإيحاء، من خلال تصوير أحوال الناس يومئذ بصفات ثلاث، هي: (خشّعا أبصارهم، كأنهم جراد منتشر، مهطعين إلى الداع) عمل التقديم في (خشعا أبصارهم) على حصول التوزيع المنتظم لهذه الأحوال في التركيب، وتمّ تحديد السمة الأساسية في بداية الوصف، فجاءت الصورة مكتملة من بدايتها.

---

[1] القمر ، 6-8.

[2] ينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم، جبير صالح حمادي، ص102، نقلا عن سيد قطب.

تقرّرا سابقا أن التقديم والتأخير لا يكون إلا في الرتب غير المحفوظة، لما يتيحه الاستعمال من حرّية في حركة الكلمات داخل التركيب تقديما وتأخيرا، ولا تتمّ هذه الحركة في الخطاب البليغ عموما، والقرآن على وجه الخصوص، إلا قصد تحقيق أغراض بلاغية تتعلّق بالمعنى، وأسلوبية تعود إلى استحضار العامل الجمالي في التعبير، لكنّنا نقف، من خلال بعض الأمثلة في القرآن الكريم، على مظهر آخر من مظاهر القلب المكاني، ذلك أنّه يعدّ قلبا في الرتب المحفوظة، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ** ﴾[1]، "أي سخروا منه وهو يصنع الفلك"[2]، أين قدّم الحال وحقّه أن يتأخّر على الفعل، ولعلّنا نجد مسوّغا لهذا التقديم إذا استقرأنا سياق الآيات السابقة، أين سبق الأمر الموجّه إلى سيدنا نوح، عليه السلام، بصنع السفينة في قوله تعالى: ﴿ **وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ** ﴾[3]، فكان الابتداء بالحال في الآية التالية لمناسبتها مع الآية السابقة، أين كان الحديث متصلا بصنع السفينة.

د- تقديم الظرف

---

[1] هود ، 38.

[2] الخلاصة النحوية، تمّام حسّان، عالم الكتب، مصر، ط1، 2000، ص20.

[3] هود ، 37.

قال تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾[1]، للتأكيد على انفراد الله، سبحانه، بامتلاك ذلك اليوم، وأنّه بيده وحده النفع والضر يومئذ، بعدما كانت الخلائق ممكّنة في الدنيا من أن ينفع بعضهم بعضا أو يضرّون بعضهم بعضا.

وتقدّم النفع لأنه المقصود أوّلا، فإن النجاة من العذاب هو أوّل ما يرجوه العبد يوم القيامة، فكان أوّل ما يواجههم هو التيئيس وإغلاق باب الأمل أمام طمعهم في شفاعة الشركاء لهم[2].

ومع أن الظروف وأشباه الجمل والاعتراضات وأفعال الظن واليقين، وغيرها من التراكيب المستقلة، تتمتع بحرية التموقع في الجمل تقدّما وتأخّرا، في الخطابات العادية، فإنه يعسر علينا الاقتناع بأن تحركها في فضاء النص البليغ هو تحرك عشوائي، على أن هذا الأمر لا يلغي وجود ما أسماه محمد مفتاح (بالتقديم الصلب)[3]، الممكّن في مكانه والذي من شأن زحزحته الإخلال بالمعنى، فهذا يجسّد الدرجة العليا في باب قلب الوضعيات، غير أن تأخير ظرف، مثلا، أو تقديمه، يقوم بوظيفته إذا لم ترتبط بمضمون الصورة، فبشكلها الجمالي المبتعد عن العادي الرتيب، "وذلك أن يكون نظمه لا يحسن إلا بالتقديم، وإذا أخّر المقدَّم

---

[1] سبأ ، **42**.

[2] **ينظر: دلالات التقديم والتأخير، منير محمود المسيري، ص566.**

[3] **تحليل الخطاب ، محمد مفتاح ، ص 76.**

ذهب ذلك الحسن"[1]، هذا المنحى الذي لم يستهن به ابن الأثير حين ذهب إلى أنه قد يجنح إلى تشويش الرتبة مراعاة لنظم الكلام.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ ﴾[2]، إن المعاني التي يحتملها التركيب سببها تأخير المعطوف (وابتغاؤكم من فضله)، إذ يمكّننا تموقعه بعد معطوف آخر، وهو (النهار)؛ من إمكانية تعليقه به، فيكون الابتغاء بالنهار، كما قد يكون متعلقا بما قبله جميعا؛ فيكون الابتغاء بالليل والنهار، كما أدّى تقديم (منامكم) إلى إمكانية تعليقه بالليل على اعتبار أنّه ردفه في الجملة، كما يمكن أن يكون متعلّقا بالليل والنهار إذا عملنا بمقتضى العطف بينهما بعيدا عن المعطوف الأخير (وابتغاؤكم من فضله)، والسبب في هذا الثراء الدلالي المنبثق من الآية الكريمة هو حسن التموقع لدى أجزائها، ووقوع (الليل والنهار) محصورتين بين المنام والابتغاء، وتقديم المنام لأنّه يعبّر عن السكون، وهو الأصل والأكثر ضرورة في الحياة[3]، ثمّ يكون الابتغاء الدالّ على الحركة والنشاط، وتقديم الليل على النهار جاء مناسبا لحقيقة السبق الوجودي[4]، هذه المعاني وغيرها قد بلغت بالآية حدّ الإعجاز ، توازيه السلاسة في تدفق كلماتها وموافقة الإيقاع الهادئ لمعنى التحبّب، ممّا بلغ بالخطاب أعلى مراتب الحسن والجمال الأسلوبي.

---

[1] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تع: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، مصر، ط2، دت، ج2، ص39.

[2] الروم ، 23.

[3] روائع البيان في إعجاز القرآن، محمد سالم محيسن، ص77.

[4] ينظر: الطراز، العلوي، ج2، ص59.

هـ- تقديم الجار والمجرور:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[1]، إذ لا يحسن التركيب إلا على الهيئة التي وردت في الآية، بسبب أن المؤخّر وهو (كتابا) فيه تفصيل لا نجد له مكانا في حال ما إذا قدّمنا المتعلّق به، فلو قيل (ولو نزّلنا كتابا في قرطاس عليك)، أو (ولو نزلنا كتابا عليك في قرطاس) لاختلّ المعنى، أو بالأحرى لتزاحمت معاني أخرى، هي في الأصل غير محتملة، مع المعنى المراد.

ومثله في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾[2]، فالجار والمجرور (عليهم) متعلّق بالفعل (لبسنا)، وقد ورد مقدّما على المفعول به (ما يلبسون) لتفادي احتمال المعنى الذي ينشأ من تعلّقه به.

وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[3]، فمن جانب المعنى، فإن تقديم (إن عصيت) وإلصاقها ب(إنّي أخاف) يعطي نصيبا من الخوف من المعصية نفسها، بغض النظر عن نتائجها في الآخرة، ويكون تموقع الشرط بين فعل

---

[1] **الأنعام ،7.**

[2] **الأنعام ، 9.**

[3] **الأنعام ، 15.**

ومفعوله لإثارة الاهتمام به عند السامع[1]؛ لأن المعاصي مذمومة في ذاتها حتى قبل أن يراعى جانب الجزاء حيال مقترفها.

ومن جانب الإيقاع، فكأنّ القارئ يكون قد ألف نطق الهمزة (وهي من الحروف الصعبة على جهاز النطق)، فنطق (أخاف) يكون أيسر بعد (إنيّ)، ويكون أكثر سهولة في (إن)؛ لأنّها جاءت بعد كلمتين متضمّنتين لهمزتين، يجعلنا نلمس في هذا التركيب سلاسة في تتابع الكلمات، وقد وقعت (إن) ضمن مسافة تعبيرية متساوية مع (أخاف) و(إنيّ)، وعلى العكس من ذلك، لو أخّرنا (إن عصيت) إلى آخر الجملة، فستكتنف الصعوبة جهاز النطق عند التلفّظ بالهمزة في (إن عصيت) لطول الفاصل بينها وبين الهمزتين الأوليين.

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ** ﴾[2]، يتجلّى الاهتمام بشخص الرسول، صلى الله عليه وسلم، ولقد وردت الصيغة على هذا المنوال تماشيا مع سياق السورة المتقدّم، أين كان تكذيب المشركين متمثّلا في نفي الرسالة عن شخص الرسول، وادّعائهم بعدم جواز أن يكون الرسول بشرا، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ** ﴾[3]، فكانت العناية لبيان الاستحقاق والتخصيص، وإظهار شرف تحمّل الرسالة وتبليغها إلى العباد.

[1] **ينظر: دلالات التقديم والتأخير، منير محمود المسيري، ص337.**

[2] **الأنعام ، 19.**

[3] **الأنعام ، 8.**

وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾[1]، قدم الفعل (آمنا) على الجار والمجرور (به)، وهو الأصل، وأخّر (توكّلنا) عن الجار والمجرور (عليه)، ذلك أن الإيمان لما لم يكن منحصرا في الإيمان بالله، بل لابد معه من الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر، وغير ذلك مما لا يصحّ الإيمان إلا بتوافره، بخلاف التوكّل؛ فإنه لا يجوز إلا أن يكون على الله وحده، لتفرّده بالعلم والقدرة والحكمة، فقدّم الجارّ والمجرور ليؤذن باختصاص التوكّل من العبد على الله دون غيره، فلا يتوكّل عليهم لانتفاء تلك الصفات عنهم، وأورد الزمخشري لفتة بلاغية أخرى، حين أخّر مفعول (آمنا) وقدّم مفعول (توكلنا)؛ تتمثل في التعريض بالكافرين حين ورود (آمنا) عقيب ذكرهم[2].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾[3]، فالله وحده مختصّ بصيرورة الأمور إليه دون غيره، وقوله: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾[4]، فإنّ الإياب لا يكون إلا إلى الله، وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴾[5]، وقوله سبحانه: ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾[6]، فالمساق إلى الله

---

[1] الملك ، **29**.

[2] ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج29، ص1128.

[3] الشورى ، **53**.

[4] الغاشية ، **26**.

[5] الرعد ، **36**.

[6] القيامة ، **30**.

وحده لا إلى ذات أخرى، من أجل إقامة الحكم[1]، وهذا التقديم ليس من أجل مراعاة المشاكلة لرؤوس الآي؛ بل القصد منه تخصيصه تعالى بالسوْق إليه، نظير قوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴾[2]، وقوله: ﴿ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[3]، وإن كان التوفيق بين الفواصل من أجل إحداث إيقاع خاص مطلبا وغاية من هذا التقديم؛ إلا أنّ مراعاة المعنى وبلوغ الدلالة المرجوّة تعدّ أساس الغايات جميعا، وبذلك يزيد الإشعاع الجمالي لأسلوب التقديم والتأخير في الآية بسبب التوفيق الحاصل بين هدفين كبيرين من أهداف أساليب القلب في القرآن الكريم: هما المعنى الدقيق والإيقاع الجميل.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾[4]، فعلم الساعة مختص بالله وحده، لا يعلمه أحد من خلقه، فإن الفائدة من تقديم الظرف هي بيان الحصر والتخصيص.

وفي قوله تعالى : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[5]، قدّم (من دونه)؛ لأنّ الشرك أكبر الكبائر، والتأكيد على وحدانية الله، سبحانه، هي أولوية الأولويات في الدين، ومن أجل أن يتقرّر في أذهان العباد أن الرّبّ وما يتصف به من صفات الربوبية المفعمة بالعطاءات هو أولى باتباع شرعه ومنهجه المسطّر

---

[1] ينظر: المصدر نفسه، ج29، ص1163.
[2] يونس ، 4.
[3] القصص ، 88.
[4] فصلت ، 47.
[5] الأعراف ، 3.

في قرآنه والمبلَّغ من طرف نبيّه، صلى الله عليه وسلّم[1]، كما نلحظ في رسم المصحف عند هذه الآية الكريمة إمكانية الوقف على "**أولياء**"، وهو ما يعطي للقارئ الفرصة لأن يمدّ الياء مدّا زائدا، لعلّه يوحي بشمولية الكلمة خاصة وأنها وردت نكرة للدلالة على العموم، إذ لا ينبغي للإنسان أن يتّخذ وليّا من دون الله مهما كان جنسه أو مكانته.

وفي تقديم (**لكم**) في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ** ﴾[2] إشارة إلى أنّ الله، تعالى، خصّ بني البشر بعمارة الأرض، وإقامة الخلافة عليها دون باقي المخلوقات، والتي تعدّ من معايشه وضمن ما سخّره الله له، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ** ﴾[3]، تمّ تقديم (**لكم**) للدلالة على اختصاص الإنسان بالاستفادة من النعم والأرزاق التي بثّها الله، عزّ وجلّ، في الأرض، ولا يردّ السبب في التحوّل الذي قد يطرأ على هذه النعم إلا إلى سوء استغلالها، والتفريط في المحافظة عليها من جانب الإنسان، لقوله تعالى: ﴿ **ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾[4].

---

[1] **ينظر: البلاغة العربية، الميداني، ج1، ص357.**

[2] **الأعراف ، 9.**

[3] **الأعراف ، 24.**

[4] **الروم ، 40.**

وفي قوله تعالى: ﴿ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴾[1]، تقديم الجارّ والمجرور في المواضع الثلاث، للدلالة على تخصيص المكان الذي هو الأرض، دون ما عداها، لتكون موطنا للحياة والموت والبعث[2]، ويؤكّد هذا قوله، تعالى: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴾[3].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[4]، فيه تلميح إلى اعتقاد الكفار بأن الفاحشة عمل لا ملامة عليه، وتقديمها في التركيب يقتضي استغرابهم من تحريمها، وأصل الترتيب أن يقال: (قالوا وجدنا آباءنا عليها)، فأنكر الله عليهم افتراءهم؛ وأبطل دعواهم، وإنّما بني أمرهم على الجهل المفرط[5]، إذ كيف يأمر بفعل يتنافى مع أفعاله وصفاته، عزّ وجلّ.

وفي قوله تعالى :﴿ تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ ﴾[6]، دلالة على الاهتمام بأمر الرسول، صلى الله عليه وسلّم، وأنّه هو المقصود من هذه القصص، تشريفا له، وتقوية

---

[1] – طه ، 55.

[2] ينظر: أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، ج4، ص530.

[3] الأعراف ، 25.

[4] –الأعراف ، 28 .

[5] ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج2، ص99.

[6] – الأعراف، 101.

لعزيمته في تحمّل أعباء رسالة الإسلام، وتكون العبرة لقومه بما مضى من أخبار الأمم السابقة.

وفي قوله تعالى :﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** ﴾[1]: أكّد سبحانه، على تجسيد معنى التوحيد والعبودية، ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين، وأظهر عظم قدرهما في غير ما آية من القرآن الكريم، وهما هنا مقدَّمان على الإحسان نفسه: (وبالوالدين إحسانا)، يجعلك تنحني لجلال قدرهما عند الله، عزّ وجلّ، ثم في تقديم (عندك) إظهار لفضل البارّ بوالديه، فلم يكْفِ ذكره في الآية، بل قدّم في الكلام، وجُعل محلَّ الاهتمام، فما أجمله من وصف لحال من كان أبواه أو أحدهما تحت جناحيه، يعولهما ويتحنّن إليهما بالرعاية والمودّة، كما نستشعر دلالة التحذير من الإساءة إليهما من تقديم (لهما) في (**فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ**)، فتتجلّى شناعة فعل العقوق وعدم المبالات بحاجاتهما في الكبر، ودلالة التحضيض من تقديمها في (**وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا**)، ليكتمل البناء الإيقاعي للآية الكريمة بما يتناسب مع إيقاع السورة من خلال جعل (كريمًا) فاصلة، تعكس الجوّ الهادئ الذي يتماشى مع غاية الاستعطاف.

---

[1] – الإسراء ، **23**.

ويتواصل التنبيه على فضل الوالدين في قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[1]، ليذكّرك الموقف بمثله عندما كنت صغيرا، لا تكاد تحسن فعل شيء لولا رعايتهما لك ورحمتهما بك، فأضحى أمر الله للإنسان بالإحسان إلى والديه أمرا بردّ الدَّيْن الذي على عاتقه تجاههما.

وفي قوله تعالى:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾[2]، لما كان طلب الرزق هو ما يشغل العباد، قد تحصل في إثره مخالفات كثيرة تصل، أحيانا، إلى حدّ الشرك بالله تعالى، إذ نجد فئة من الناس يعتقدون عدم الحصول على الرزق إلا إذا توفرت أسبابه، فيبالغون في الاجتهاد في طلبه على حساب مهمة العبادة التي من أجلها خلقوا، قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾[3]، فقد يقول قائل: (وكيف أتقوّت وأحصل على معاشي إذا لزمت العبادة؟)، فيأتي الجواب من الله تعالى:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا ﴾[4]، إيذانا بأن الرزق مكفول على وجه يشبه الواجب على الله تعالى[5]، إذ لا وجوب على الخالق سبحانه عند أهل الحق إلا على سبيل المجاز المبني على القلب في معنى (على)، كما

---

[1] الإسراء **23**.

[2] هود ، **6**.

[3] الذاريات ، **59**.

[4] هود ، **6**.

[5] روح المعاني ، الآلوسي، ج**12** ، ص**2**.

أن الآية لا تنفي مباشرة الأسباب التي يحصل بها الرزق، فالله هو خالق الأسباب، وما دام العبد متّبعا لها في طلب رزقه فهو في عبادة ، كما ورد ذلك عن النبي، صلى الله عليه وسلم، لما مرّ هو وأصحابه فرأوا شابا جلدا منهمكا في عمله فقالوا (لو كان هذا في سبيل الله)، أي لو استعمل هذا الشاب قوته في الجهاد لكان أفضل ، فيأتي التوجيه من النبي، صلى الله عليه وسلم، قائلا: "إذا كان خرج..."[1]، إعلانا منه عليه الصلاة والسلام بأن طالب الرزق مأجور إذا كان على وجه شرعي ولم يرتكب في ذلك معصية.

ولم تتوقّف دلالات الآية عند هذه الحدود، بل نستشف أيضا من قوله تعالى: ﴿ **إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا** ﴾: حمل العباد على التوكّل على ربهم، ليتحقّق توحيده في ربوبيّته، إلى جانب التأكيد على حصول الرزق حقيقة ويقينا، إلى درجة أن قرنه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بالأجل في قوله :"**لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**)[2].

إذا فالقلب الواقع في دلالة الحرف (**على**) وتقديمها مع مجرورها كان سببا في هذا الثراء من المعاني جعل من الآية الكريمة كالشجرة المثمرة أنواعا متعدّدة من الثمار.

---

[1] **سنن الترمذي، (الجامع الكبير)، أبو عيسى الترمذي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1996، باب الجهاد، ص 156.**

[2] **صحيح البخاري، ج2، ص 300.**

وفي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ** ﴾[1]، تقديم الظرف (**إلينا**) على المظروف (**المصير**) أدّى إلى دلالة الحصر التي تفيد أنّ مصير الخلائق كلّها عائد إلى الله وحده، وفي قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ** ﴾[2]، أي: "لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم إلا على القادر الذي لا يشغله شأن عن شأن"[3]، إذ نستشف دلالة التعظيم من خلال تقديم (علينا) في الآية الكريمة، وفيه تأكيد على المعنى، مع زيادة الأثر الإيقاعي في تأخير كلمة (يسير) وجعلها فاصلة، بما يتناسب مع باقي الفواصل، مثل (قريب، المصير، وعيد)، عمل على الحفاظ على الوحدة الصوتية على طول السورة المباركة، وبما تميّزت به من الإيقاع المتسارع والمعبّر عن قوّة موضوعها.

وفي قوله تعالى: ﴿ **لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** ﴾[4]، تقدّم ما حقّه التأخّر؛ لأنّ الأصل في نظم الكلام: (لتعبد قريش ربّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف)، وفي تقديم المتأخّر (لإيلاف) تذكير بالنّعم التي أسبغها الله، عزّ وجلّ، على أهل مكّة، وكان ذلك التقديم سبباً من أسباب أمرهم بعبادة الله، سبحانه، التي أعرضوا عنها بعبادة الأصنام[5]، والإيلاف: اسم

---

[1] ق ، **43**.

[2] ق ، **44**.

[3] **الكشاف، الزمخشري، ج4، ص384.**

[4] **قريش ، 1–4.**

[5] **ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، بيروت،** (د– ت)، **ج30، ص545.**

مشتقّ من الألف والاعتياد والتواصل[1]، وبذلك يكون المعنى: (لتألف قريش الرحلتين فتتصلا ولا تنقطعا)، ولقد كرّرت لفظة الإيلاف للدلالة على اعتياد الرحلتين واستمرارهما.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ** ﴾[2]، لإفادة التخصيص والاستحقاق[3]، إضافة إلى إرادة أن تكون البداءة بما يسوء[4]، وتكون صفة العذاب أوّل ما يقرع الآذان، ويتجلى الجمال الأسلوبي في تنوّع أوجه القلب في الآية الكريمة:

-ورد العطف ب(ثمّ) "للدلالة على التفاوت الزمني ما بين الغلّ والتصلية بالجحيم"[5]، بالجحيم"[5]، فالمعنى يتضمّن قصديّة بلاغية تتمثّل في التراخي، وإقامة الفصل بين الموقفين، والتركيب يبرز لنا الإشباع الحاصل في الأوّل قبل الانتقال إلى الصنف الثاني[6]، من خلال بيان طول المدّة التي يمكث فيها أصحاب الشمال في الجحيم قبل أن يتحوّلوا إلى صنف آخر من العذاب.

[1] ينظر: قاموس غريب القرآن حسب ترتيب السور :محمد الصادق قمحاوي، القاهرة، (د.ت)، ص**231**.
[2] الحاقة ، **32**.
[3] ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج**29**، صص**1137**.
[4] ينظر: المرجع السابق، ص**664**.
[5] البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج**8** ، ص**320**.
[6] فلسفة البلاغة بين التقنية والتطوّر، رجاء عيد، ص**78**.

-القلب الدلالي في معنى حرف الجرّ (في)، والذي يوصف الموقف من خلاله على أن العبد المجرم هو من يسلك في السلسلة، كما قد يكون المعنى أن السلسلة تلفّ حوله فيكون المعذَّب فيها[1]، وكلّ هذا يقصد به المبالغة في التنكيل.

-وفي تقديم الجار والمجرور (**فِي سِلْسِلَةٍ**)، فإنّ قراءة الآية على هذا الترتيب في أركانها يجعلنا نستعذب التقديم والتأخير، ونسلّط تركيز الذهن على هذه السلسلة ونستشعر عظمتها ونقف على وجه آخر من المبالغة والتأكيد معا.

-ومن جانب آخر، نقف على الإيقاع الذي يخلّفه تأخير جملة (فاسلكوه)، وجعلها فاصلة، بما تحمله الهاء الساكنة قبلها مدّ واويّ، من أثر صوتي يعكس جوّ التهديد والوعيد، إذ عمل تأخيرها على إحداث التناسب مع الفواصل السابقة؛ (غلّوه، صلّوه)، حصل بفضله التوازن الداخلي في الإيقاع[2]، ولقد تشابهت الفواصل الثلاث في المقطع الأخير بانتهائه بالمدّ العارض للسكون ثمّ هاء، أظهر حال التوتر والفزع، وترجم حال النفوس الخائفة والمرتعبة من المشهد المعروض.

---

[1] **ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج29، ص1137.**

[2] **ينظر: جمالية الخطاب في النص القرآني، لطفي فكري محمد الجودي، ص183.**

و- تقديم جواب الشرط على فعله:

كما في قوله تعالى: ﴿ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ ﴾[1]، فالترتيب الأصلي في الجملة الشرطية وشبه الشرطية أن يتقدّم فعل الشرط، بينما نجد هنا قلبا في المراتب، حيث بدئ الكلام بجواب الشرط، وأخّر فعله؛ لما يحمله الجواب من أهمّيّة الإشارة إلى رغبة الكافرين في أن يترك المؤمنون ما هم عليه من الإيمان بالله وحده ويعودون إلى الكفر، كما أنّ جواب الشرط المقدّم يتضمّن تيئيس الكافرين والتأكيد على عدم الرجوع في دينهم الباطل، وبيان عظم الجرم الذي يترتّب على المؤمنين إن هم أجابوهم فيما أرادوا.

وفي قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾[2]، وزيادة على الغرض المعنوي الذي يشمل العناية بجواب الشرط (أخاف)؛ فإنّ تأخير الشرط (**إِنۡ عَصَيۡتُ**) عمل على حسن توزيع الكلمات التي تحتوي على الهمزة في الآية؛ وهي: (إنّي، أخاف، إن)، مما أسهم في تسهيل النطق وجريان الألفاظ من خلال إعطاء الحظّ وافرا من الوضوح في السمع، ليتحقق بذلك الانسجام والتناسق وبلوغ المعنى في أبهى صورة.

---

[1] الأعراف ، **89**.

[2] الأنعام ، **15**.

تقديم المتحدَّث عنه

وهو أن يقدم موضوع الكلام، مع إثباته في السياق مرة أخرى، فيحصل التأكيد من جهتين: الأولى في تقديمه، والثانية في إعادة ذكره في الجملة نفسها، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ** ﴾[1]، فالهاء في (إنها) تعود على الأبصار، وهي موضوع الحديث في هذه الآية الكريمة، التي وقع فيها تقديم للمتحدَّث عنه، ممّا زاد في قوة نفي العمى أن يقع على الأبصار[2]، وبالتقديم كذلك حصل التنبيه إلى ما سيقرر نفي الفعل عنه.

وفي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ** ﴾[3]، نلمس التنفير من صفة الكفر الواردة مرّتين في جملة تتكوّن من فعل واسمين اثنين، أحدهما ضمير يعود على الثاني، وموضوع الحديث هنا "أنت به في حكم من بدأ وأعاد ووطّأ، ثمّ بنى ولوّح ثمّ صرّح"[4]، ليتّضح للمخاطب شدّة التأكيد على هذه الصفة التي تتسبب في كل خسارة يقع فيها العبد، سواء في الدنيا أو الآخرة، وفي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ** ﴾[5]، تأكيد على بلوغ الثواب من الله لمن يتقي ويصبر، وتضمّنت الآية تطمينا للمحسنين من خلال تكثيف المؤكّدات، على غرار (إنّ) وتقديم الضمير العائد إلى

---

[1] الحج ، 46.

[2] ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص133.

[3] المؤمنون ، 117.

[4] المصدر نفسه، ص133.

[5] يوسف ، 90.

الفاعل، ثم تفسيره بعد ذلك بـ (من يتق ويصبر)، ثمّ الإتيان بالفاء للدلالة على التعجيل بالثواب، ثمّ تأكيده بـ (إنّ).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا** ﴾[1]، فإن مجيء الضمير في أوّل الآية يعمل على تشويق المخاطب، وشغفه بمعرفة عود هذا الضمير، ثمّ يكشف عن مدلوله في كنف التعظيم لأمره.

وقدّم ضمير القصة في قوله تعالى: ﴿ **قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ** ﴾[2]، ليتمكّن المسموع بعده في ذهن السامع فضل تمكّن[3]، وتقرّر الآية أوّل ركن من أركان الإسلام وأهمّها، ألا وهو توحيد المعبود، فلقد كان الصراع قائما حول الوحدانية والتعدّد، وأوّل ما أمر به رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، أن يدعو به قومه هو عبادة الله وحده وترك ما كانوا يعبدون من الأصنام، ومن خلال تقديم ضمير القصة يبرز الاهتمام والعناية به على أنه يعود على القضيّة الأهم في السورة كلّها.

[1] مريم ، **61**.

[2] الإخلاص ، **1**.

[3] ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيدي، ج**1**، ص**111**.

المبحث الثالث: القلب في غير العامل:

ويتضمّن تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير العامل، أو ما قدّم في آية وأخّر في أخرى، فإنّ هنالك من الوحدات تكون على مرتبة واحدة في التموضع على حسب ما تقتضيه قوانين النحو، فيكون الاعتماد في تحديد المواضع في مثل هذه الحالات على السياق، إذ تعدّ المقاييس التفاضلية بين مدلولات الألفاظ عنصرا مهمّا في تحديد التموضعات داخل التراكيب، وهذا ما تبنى عليه النصوص عموما، فيتمّ التوزيع، أحيانا، على حسب ما تقتضيه المرتبة المعنوية في النفس بما جُبلت عليه من تفضيل الخير على الشر، والجميل على القبيح، والعظيم على الحقير، إضافة إلى اعتبارات أخرى كثيرة، كالسبق الوجودي، أو الترتيب الزمني، ومراعاة الصوت، إلى غير ذلك، فهي كلّها محدِّدات لمواقع الكلمات داخل الجمل لها أهمّيتها، تجعل من ترتيب معيّن أصلا يتمّ الحكم على أساسه.

ثمّ إن التموضع المنطقي للكلمات في التركيب يخضع لعدة عوامل ومسوّغات، منها ما هو متعلّق بالزمن، ومنها مهو متعلّق بالعدد، ومنها ما هو متعلّق بالشرف، إلى غير ذلك من المسوّغات التي تكون جزء من القانون الذي يخضع الكلمة ويضعها موضعها المناسب.

ومثال العامل المتعلّق بالزمن، قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ**

ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾[1]، أين نجد الأحداث قد رتّبت ترتيبا يتماشى مع توالى حدوثها في الحقيقة، وذلك بتقديم أصل الخلق وهو الطين، ثم النطفة، ثم العلقة، ثم المضغة، ثمّ العظام، ثم اللحم، ثمّ الخلق الآخر[2]، وهذا التسلسل ينمّ عن دقة خلقة الإنسان في نفسها[3]، ويعكس الإحكام المبني على متانة السبك وجمال النظم من خلال التتابع المنطقي في المعنى.

ومن أمثلة الترتيب الذي يخضع للتسلسل العددي قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ ﴾[4]، فالانتقال من الأقّل إلى الأكثر يضفي على التعبير جمالا أسلوبيا يتوافق مع الترتيب العددي في العقل[5]، بحيث يكون الأقلّ عددا سابقا في أن يدرك على الأكثر عددا، وموافقة الترتيب في الكلام للترتيب في المنطق يبعث في النفس الرغبة في تتبع المعاني ويحقق سهولة الإدراك ومن ثمّ يساعد على الحفظ والترديد.

ويسميه الزركشي الترتيب بالذات[6]، أين يكون الابتداء بالأقل ثمّ الأكثر، أو الأصغر ثمّ الأكبر، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ

---

[1] المؤمنون ، 12– 13–14.

[2] قال الزمخشري: ﴿ خَلۡقًا ءَاخَرَ ﴾: "أي خلقا مباينا للخلق الأول"، ينظر: الكشاف، ج8، ص704.

[3] ينظر: الإعجاز الفنّي في القرآن، عمر السلاّمي، ص130.

[4] الكهف ، 22.

[5] كما يتوافق مع الترتيب الزمني للأحداث، إذا ما عرفنا أن القائلين بالثلاثة هم اليهود، والقائلين بالخمسة هم النصارى، ليقول المسلمون آخرا هم سبعة. ينظر: الكشاف، ج15، ص616 ، والبحر المحيط، ج6، ص109.

[6] ينظر: المصدر السابق، ج30، ص799.

رُسُلاً أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[1]، ففي قوله تعالى: ﴿**مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُ** ﴾ تدرّج من الأقل إلى الأكثر، وهو تدرّج منطقيّ؛ لأنّ الأقلّ هو الأسبق بذاته من العدد الأكبر.

وأما في قوله تعالى: ﴿ ۞ **قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ** ﴾[2]، فقد ورد الترتيب على عكس ما يقتضيه مسوّغ تقديم الذات، وهو الابتداء بالأقل، وفيه بيان لأهمّية الاجتماع وأفضليتها على الانفراد في النصيحة لله[3].

إضافة إلى عامل مهمّ، وقد يكون الأكثر أهمّية مما سبق من دواعي تحديد الرتب بالنسبة للكلمات داخل التركيب، يتمثّل في عامل السياق اللغوي، وهو الموقع من الجملة الذي ترد فيه الكلمة، فتكتسب توجيها دلاليا يختلف عن دلالتها إذا ما وردت في موقع آخر في الجملة نفسها[4]، كما "يشمل، أيضا، كلّ ما يصاحب اللفظ من ألفاظ تساعد على توضيح المعنى، سواء أتقدّمت عليه، أم تأخّرت عنه، أم اكتنفته من جانبيه"[5].

---

[1] فاطر ، 1.

[2] سبأ ، 46.

[3] ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص779.

[4] ينظر: منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية، أحمد نصيف الجنابي، بحث ضمن كتاب: المعجمية العربية، مطبوعات المجمع العلمي العراقي،1412هـ/ 1992م، ص162 .

[5] التأويل اللغوي في القرآن الكريم، حسين حامد الصالح، ص48.

فالاستعمال هو الذي يحدّد دلالة الكلمة، ويكون بمثابة المخصّص والموجّه لها[1]، وهذا لا يعني بحال بأنها، أي الكلمة، تكون خالية الدلالة قبل دخولها في التركيب؛ وإنّما تكون ضمن دائرة دلالية تحوي العديد من الدلالات، فيعمل السياق على اختيار دلالة واحدة تكون هي المقصود من الكلام، إذ يتمثل دور السياق في إعطاء الكلمة قيمتها الحضورية[2]، بعد أن يضرب الذكر صفحا عن جميع الدلالات الأخرى التي تكون كامنة في جعبتها.

ويقصد بهذا النوع ورود اللفظة (مقدّمة) على كلمات أخرى في آية قرآنية، ثم ورودها مؤخرة في آية أخرى، على حسب التوجيه الذي يفرضه السياق، نحو قوله تعالى: ﴿ **وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ** ﴾[3]، وفي آية أخرى يقول تعالى : ﴿ **وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ** ﴾[4]، يقول الزركشي: "قدّم المجرور على المرفوع لاشتمال ما قبله من سوء معاملة أصحاب القرية الرسل، وإصرارهم على تكذيبهم، فكان مظنّة التتابع على

---

[1] **ينظر: الرسالة، الشافعي، محمد بن إدريس، تح: أحمد محمد شاكر، مطبعة: مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1940، ص62.**

[2] **ينظر: التأويل اللغوي في القرآن الكريم، دراسة دلالية، حسين حامد الصالح، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص48، نقلا عن جوزيف فندريس، في كتابه: اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي، ود. محمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1950، ص231.**

[3] **يس ، 20.**

[4] **القصص ، 20.**

مجرى العبارة تلك القرية، ويبقى مخيّلاً في فكره : أكانت كلّها كذلك، أم كان فيها خلاف لك، بخلاف ما في سورة القصص"[1].

ويقصد بالمجرور هنا (من أقصى المدينة) على المرفوع؛ الفاعل (رجلٌ)، ويقول: "من ذلك قوله في فاتحة الكتاب: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[2]، وفي خاتمة الجاثية، قال تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[3]، فتقديم (الحمد) في الأول جاء على الأصل، والثاني جاء على تقدير الجواب، فكأنه قيل عند وقوع الأمر: (لمن الأمر؟! ومن أهله؟) فجاء الجواب عن ذلك"[4].

فالسياق له الدور الأكبر في تحديد مواقع الكلمات داخل التراكيب، ليبقى المعنى هو سلطان البناء في الخطاب القرآني، وكل اعتبار آخر يعدّ ثانويّا أو تابعا، وإذا تعارض الدافع المعنوي في ترتيب الألفاظ مع باقي الاعتبارات فإنّنا نجد القرآن الكريم يُضرب عنها جميعا، ويعمد إلى ما تمليه خصوصية المعنى في السياق العام الذي أتى فيه ذلك التركيب، فتستمدّ الكلمة مرتبتها تقديما وتأخيرا من تيّار المعنى الذي يفرضه المقام، ويكون التقديم لمناسبة المعنى للسياق الداخلي أو الخارجي من خلال الآيات السابقة.

---

[1] البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص803 .

[2] الفاتحة ، 2 .

[3] الجاثية ، 36.

[4] المصدر نفسه، ص803

ويكون تحديد الرتبة بمقتضى السياق الداخلي على نحو ما نجده في قوله تعالى: ﴿ **فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ** ﴾[1]، وقوله، عزّ ممن قائل: ﴿ **وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ** ﴾[2]، فقد قدّم (من قومه) في الأولى، وأخرّها في الثانية، وإذا تفحصنا كلا التركيبين وجدنا أن في صلة (**الذين**) قد صنعت فرقا بين المعنيين؛ ذلك بأنها قد اقتصرت في الآية الأولى على الفعل والفاعل: (كفروا)، فكان الكفر هو الصفة الوحيدة التي اتصف بها الكفّار من قوم ذلك النبيّ، بينما في الآية الثانية؛ نجد أنّ الصلة قد طالت العديد من صفات ذلك الصنف من قومه، فزيادة على الكفر؛ قد ذكرت الآية أنهم كذّبوا بلقاء الآخرة، وأترفوا في الحياة الدنيا، ولو أخّرنا الجار والمجرور (من قومه) في الثانية، بحيث يصبح التركيب (وقال الملأ الذين كفروا وكذّبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا من قومه)، لالتبس المعنى، وإن جعلناها متوسطة فإن الأسلوب ينزل من على درجة الفصاحة[3]، ويصبح التركيب: (وقال الملأ الذين كفروا من قومه وكذّبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا)، كما قد تؤوّل الجملتان الأخيرتان أو إحداهما على الحاليّة، فيلغى معنى العطف ويضيع التساوي بين المعطوفات، وتتبدّد ملامح الجمال الكامنة في الآية من

---

[1] **المؤمنون ، 24.**

[2] **المؤمنون ، 33.**

[3] **ينظر: أسرار التكرار في القرآن، محمود بن حمزة الكرماني، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، (دط)، (دت)، ص183-184.**

خلال وضوح الصورة الجامعة لصفات الكافرين، والموقف الذي تعبّر عنه، والذي يبرز جحود النعم، ومقابلتها بالعناد والكفر بدل الشكر والاستجابة لدعوة النبيّ لهم.

ومن أمثلة الأثر الذي يحدثه السياق الخارجي في ترتيب الكلمات:

– التقديم والتأخير بين النفع والضر:

نسجّل أوّلا أنّ النّفع والضّرّ هما لفظتان متعاكستان دلاليا، في حين أن معنى النفع أدعى لأن يكون لفظه أسبق ترتيبا من لفظ الضّرّ، لاعتبار أنّ الأوّل يتضمّن صفات الخير والجمال، كما أنّه يبعث في النفس الانشراح عند ذكره، ولقد قدِّم في كثير من الآيات في القرآن الكرام على غرار قوله، تعالى: ﴿ **قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ** ﴾[1]، تماشيا مع سياق الآيات قبلها في ذكر النصر ورجاء الإنسان في الخير، في قوله تعالى: ﴿ **أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ** ﴾[2]: "فاحتجّ عليهم في المنع من عبادة الآلهة دونه، تعالى، أنها مخلوقة لا تخلق شيئا، ولا تدفع عن أنفسها ضرّا ولا عنهم"[3]، لأن النفس البشريّة تتشوّف دائما إلى الحصول على ما يحقّق لها السعادة والطمأنينة، وفي قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا**

---

[1] **الأعراف ، 188.**

[2] **الأعراف ، 191–192.**

[3] **أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1954، ج2، ص238.**

لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]، أين توجّه الخطاب إلى النبيّ، صلى الله عليه وسلّم، بأن يلتزم التوحيد في عبادته ودعائه ورجائه، فقد قدّم النّفع على الضّرّ لما في ذلك من بثّ الطمأنينة في قلبه المتشوّف إلى الفرج، والإشارة إلى أنّ الفتح قريب، كما أنّ الغاية الكبرى من الدعاء تتمثل في جلب الخير، والخير يشمل دفع الضرّ أيضا.

ومن جهة ثانية؛ فإنّ الآية وردت في سياق الحديث عن قوم يونس، عليه السلام[2]، في قوله تعالى: ﴿ **فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ** ﴾[3]، فكانت المناسبة في تقديم النفع على الضر، تماشيا مع ذكر النفع الذي حلّ بهم ونجاتهم من العذاب نتيجة إيمانهم بربّهم.

وفي الفرقان، قال تعالى: ﴿ **وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا** ﴾[4]، أين قدّم النفع على الضر لمناسبة السياق قبلها، فقد وردت الآية بعد أن عدّد، سبحانه، نعما كثيرة[5]، بداية من قوله تعالى: ﴿ **أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ**

---

1 **يونس ، 106.**

2 **ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج5، ص196.**

3 **يونس ، 98.**

4 **الفرقان ، 55.**

5 **ينظر: أسرار التكرار في القرآن الكريم، الكرماني، ص131.**

ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا ﴾[1]، ووصولا إلى ذكر خلق الإنسان، وجعل علاقتي النسب والمصاهرة رافدا أساسيا في صنع النسيج الاجتماعي، في قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا** ﴾[2]، فلما بلغ السياق إلى ذكر النفع والضرّ ناسب أن يقدّم النفع تماشيا مع معاني الآيات السابقة.

بينما انقلب الترتيب بين النفع والضرّ في سورة يونس، عند قوله، عز وجلّ: ﴿ **وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ** ﴾[3]؛ لأنها وردت في سياق مختلف مشحون بالأزمات، فقد قال، تعالى، قبل ذلك: ﴿ **وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ** ﴾[4]، أين تقدّم ذكر الضرّ على ذكر النّفع لبيان حال النّبيّ، صلى الله عليه وسلّم، في بداية دعوته، وما كان يلاقيه من الإعراض والأذى من قومه، فتقديم الضّرّ ههنا يسوّغه الواقع المعيش وتوالي الشدائد، ثمّ يأتي ذكر النّفع ليفتح بابا للأمل والانشراح، ويذكّر النبيّ، صلى الله عليه وسلّم، بأنّ الله، تعالى، قادر على أن يأتي بالفرج في أيّة لحظة تسلية له.

---

[1] الفرقان ، 45.

[2] الفرقان ، 54.

[3] يونس ، 28.

[4] الأنعام ، 17.

وكذلك تقدّم ذكر الضّر على النّفع؛ في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾[1]، والترتيب هنا أنسب للسياق؛ ذلك أنها وردت جوابا على استعجال العذاب من جانب الكفار، كما يفيد الترقي من الأخفّ إلى الأصعب، فإن الإضرار بالنفس أيسر من جلب النفع لها[2]، زيادة على أن المشركين كانوا يعتقدون أن الأصنام التي كانوا يعبدونها ستنزل بهم انتقامها إن هم انصرفوا عن عبادتها[3]، ولما كان المطلوب من المشركين هو الإقلاع عن الشرك؛ فإن القرآن الكريم سارع إلى نفي حصول الضر، فكان تقديمه أنسب.

كما أنّ سياق الآيات السابقة يتحدّث عن الإنسان عندما يصاب بضرّ أو مرض، فإنّه يلجأ إلى ربّه بالدعاء والتضرّع، قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝١١ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[4]، والترتيب بين الحالات التي يكون عليها الإنسان على حسب ما يكون فيه أكثر حاجة إلى عناية

---

[1] – يونس، 49.

[2] ينظر: دلالات التقديم والتأخير، منير محمود المسيري، ص413.

[3] ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج11، ص125.

[4] – يونس، 11– 12.

الله، فالمنبطح أكثر ضررا من القاعد ويكون أكثر إلحاحا في دعائه، وأخّر القائم لأنه أخفّ ضررا من سابقيه[1]، فكان الترتيب على حسب ما تقتضيه حال الداعي.

ثمّ ذكر، سبحانه، عناد المشركين وإعراضهم عن دعوة الرسول، صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾[2]

ثمّ ذكر ظلم الناس لأنفسهم عندما يقولون على الله الكذب ويكذّبون بآيات ربّهم، قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ** ﴾[3]، إلى أن يأتي على ذكر الضرّ والنّفع على هذا الترتيب في قوله تعالى: ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ** ﴾[4]، للدلالة على أنّ هاته الأصنام التي يعبدونها من دون الله ضرّها أقرب من نفعها لو كان لهم فعل يستطيعونه، ولأنّ نتيجة الشرك بالله هي الخسران المبين في الدنيا والآخرة.

---

[1] ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج 11، ص158.
[2] يونس ، 25.
[3] يونس ، 27.
[4] يونس ، 28.

أما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ ﴾[1]، فإنّ الترتيب يعود إلى تقديم الضرّ على الخير في ختام السورة، قصد التنبيه إلى أن طريق الدعوة لا زالت محفوفة بالمصاعب والشدائد، وأن الدعوة ما تزال في بدايتها، لكي تتبّت عزائم النبيّ، صلى الله عليه وسلّم، وتكون الرسالة الموجّهة إليه عبارة عن تهيئة نفسية لمجابهة ما يستقبل من الأحداث، هذا بالإضافة إلى أن في ذكر الضرّ وتقديمه على النّفع ما يعمر قلب الإنسان خوفا، فيتذكّر ربّه ويلتجئ إليه، على عكس الخير فإنّه كثيرا ما يلهي الإنسان عن خالقه ويصرفه عن الذّكر والعبادة، يؤكّد هذا قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾[2].

---

[1] يونس، **107**.

[2] الزمر ، **8**.

التقديم والتأخير بين (القرآن) و(الناس):

ففي قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا** ﴾[1] تقديم ذكر الناس على ذكر القرآن جاء تبعا للسياق الذي درجت عليه سورة الإسراء، إذ نلاحظ أن بداية الحديث كانت عن قصة الإسراء بالنبيّ، صلى الله عليه وسلّم، إلى السماء، ثم ذكر نبذة عن بني إسرائيل، ثم حال الإنسان يوم القيامة، ثم ذكر القرون من بعد نوح، ثمّ قصة آدم، عليه السلام، ثمّ ذكر التحدّي الموجّه إلى الثّقلين إنسهم وجنّهم[2]، في قوله تعالى: ﴿ **قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾[3]، إلى غير ذلك من المواضع في السورة التي تناولت العديد من الشخصيات، وكل هؤلاء من الناس، فكان من المناسب أن يقدَّم ذكرهم، فمن أجلهم أنزل، وهم المعنيّون بما فيه من أحكام ومواعظ.

وأمّا في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا** ﴾[4]، فإن سياق السورة بدأ بالثناء على الله، ثمّ ذكر القرآن مباشرة، ونبّه على صدقه وخلوّه من الاعوجاج والزيغ، قال تعالى: ﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ**

[1] الإسراء ، **89**.
[2] ينظر: أسرار التكرار في القرآن، الكرماني، ص**164**.
[3] الإسراء ، **88**.
[4] الكهف ، **54**.

ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ﴾[1]،

ومن جهة أخرى فإنّ سبب نزول هذه السورة العظيمة كان للإجابة على أسئلة كان قد وجّهها المشركون للنبيّ، صلى الله عليه وسلم، تتضمّن أمورا غيبية لا يمكن الإجابة عنها إلا عن طريق الوحي[2]، ويذكر المفسرون أن الوحي أبطأ في النّزول، فكان الرسول، صلى الله عليه وسلّم، متشوّقا ينتظر الجواب من ربّه عن القضايا التي أثارها المشركون طمعا في إسلامهم[3]، فلمّا ذُكر القرآن قدِّم تماشيا مع السياق العام للسورة الكريمة[4]، أين يبدو جليا دور التقديم والتأخير بين اللفظتين في بيان عامل الاهتمام، فكان تقديم الشيء على حسب تقدّمه في العناية، إن من جانب المتكلّم، أو من جانب المتلقي، وتبرز الجمالية في دقة التعبير ووضع كل كلمة موضعها، بحيث تؤدّي وظيفتها الدلالية، وتكشف عن أسرار تموضعها، ولا يمكن بحال أن تجد لها بدلا عنه، كما أنّ قضية العناية التي ترسم خريطة التموضع تعين على الحفظ من خلال التدبّر الذي يفضي بالقارئ للقرآن إلى استحضار أسباب التقديم والتأخير من خلال السياق الذي وردت فيه اللفظة.

التقديم والتأخير بين اللعب واللهو:

---

[1] **الكهف ، 1-2-3.**

[2] **ينظر: دلالات التقديم والتأخير، منير محمود المسيري، ص267.**

[3] **ينظر: البحر المحيط، أبو عبد الله الأندلسي، ج6، ص93.**

[4] **أسرار التكرار في القرآن، الكرماني، ص165.**

يقتضي مسوّغ السبق الوجودي تقديم ما كان وجوده أسبق، ومنه تقديم الظلمة على النور، وتقديم الليل على النهار، وتقديم المكان على الزمان[1]، وتقديم عاد على ثمود، وتقديم السنة على النوم...، إلى غير ذلك، ومنه، كذلك، تقديم السكون على الحركة في قوله، تعالى: ﴿ **وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ** ﴾[2]، تماشيا مع أسبقية الليل على النهار في الوجود، ومراعاة لتقديم الليل على النهار قبل ذلك، فالسكون عائد إلى الليل، والابتغاء يعود إلى النهار، ولا تكون الحركة والنشاط في سبيل ابتغاء الرزق إلا بعد السكون، كما كان تقديمه، هنا، ليتناسب مع تقديم الليل على النهار.

ومن الأمور التي تخضع للترتيب الوجودي؛ اللعب واللهو، إذ لكل منهما زمانه ومرحلته العمرية، ولا شك أن زمان اللعب مقدّم على زمان اللهو، وفي قوله تعالى: ﴿ **وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ** ﴾[3]، دليل على أسبقية اللعب على اللهو، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا**

---

[1] لما ورد في صحيح مسلم تحت رقم: (2789)، من حديث ابن عباس، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "إن الله خلق التربة يوم السبت، وخلق الشمس والقمر، وكان ذلك كله ولا ليل ولا نهار، إذ كانا إنما هما أسماء لساعات معلومة من قطع الشمس والقمر درج الفلك". وفي رواية أبي هريرة، رضي الله عنه: " وخلق الله النور يوم الأربعاء".

[2] القصص ، 73.

[3] الأنعام ، 30.

﴿وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾[1]، فالترتيب في الآيات بين اللعب واللهو جاء على حقيقته وأصله من حيث زمان وقوعهما من جهة الإنسان.

أمّا في سورة الأعراف، فقد قدّم اللهو على اللعب في قوله، تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾[2]، إذ إن السياق كان متوجّها إلى الحديث عن الآخرة وأحوال الناس فيها[3]، ابتداء من قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ﴾[4]، إلى قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[5]، أين انقلب الترتيب على غير ما تقرّر في الآيات السابقة، ولعلّ السبب المسوّغ لهذا الترتيب هو طول زمن اللهو، والتصاقه بما يكون آخرا من حياة الإنسان، وقريبا من زمن الآخرة.

وترتسم ملامح الجمال التعبيري من خلال الترتيب غير العادي بين الكلمات الدالة على الأحداث، ممّا يجعل السامع يشدّه الخروج على ما ألفه من ذكر اللعب قبل اللهو،

---

[1] الأنعام ، 70.
[2] الأعراف ، 51.
[3] ينظر: أسرار التكرار في القرآن، الكرماني، ص108.
[4] الأعراف ، 37.
[5] الأعراف ، 49.

زيادة على جلاء الدقة المتناهية في وضع الألفاظ موضعها تقديما وتأخيرا على حسب ما يقتضيه المقام.

التقديم والتأخير بين قوله تعالى: (لا إله إلاهو) و(خالق كلّ شيء):

قال، تعالى، في سورة الأنعام: ﴿ **ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ** ﴾[1]، فلمّا كانت قضيّتا التوحيد والشرك هما الموضوع الأساسي الذي عالجته الآيات السابقة، وتماشيا مع سياق السورة، فقد قدّم قوله تعالى: ﴿ **لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ** ﴾، التي تمثّل كلمة التوحيد، على قوله تعالى: ﴿ **خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ** ﴾، بينما نجد الترتيب مقلوبا في قوله تعالى: ﴿ **ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ** ﴾[2]، فقد جاءت الآية الكريمة وصفا لله، عزّ وجلّ، بعد أن عدّدت سابقاتها مجموعة من مخلوقاته سبحانه، مثل خلق السماوات والأرض والناس، في قوله تعالى: ﴿ **لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ** ﴾[3]، ثم تسخير الليل والنهار في قوله تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ**

---

[1] **الأنعام ، 102.**

[2] **غافر ، 62.**

[3] **غافر ، 57.**

فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾[1]، "فخرج الكلام على إثبات خلق الناس، لا على نفي الشريك"[2]، فناسب كل ذلك أن يخص مسألة الخلق بالتقديم على قضيّة التوحيد ههنا.

التقديم والتأخير بين موسى وهارون، عليهما السلام:

ففي سورة (طه)، قال تعالى: ﴿ **فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ** ﴾[3]، أين تمّ تقديم هارون على موسى في هذه الآية على غير ما درج عليه القرآن من تقديم موسى على هارون في سورة الأعراف والشعراء، إذ لا شك في أنّ موسى أشرف من هارون، عليهما السلام، وهو صاحب الرسالة أوّلا، وإنّما طلب ليكون هارون وزيرا له ومعاونا، كما أن ظهور المعجزات كانت على يديه، فقد استأثر، عليه السلام، باصطفاء الله له بتكليمه وجعله من أولي العزم، لهذا اكتفى البعض بذكر غرض مناسبة رؤوس الآي في تقديم هارون على موسى في سورة طه[4]، ولمكان السجع قيل: (**هارون وموسى**)، مع الجزم بأفضلية موسى على هارون[5]، وإنما قصد إلى التوفيق بين الفواصل لإحداث الوحدة الإيقاعية في السورة.

---

[1] **غافر ، 61.**

[2] **ينظر: أسرار التكرار في القرآن، الكرماني، ص113.**

[3] **طه ، 70.**

[4] **ينظر البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص785.**

[5] **ينظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تح: شعيب الأرنؤوط، تعليق: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، ط1، 2008، ص610.**

وذهب آخرون إلى اعتبار فارق السنّ بينهما؛ فقد قيل أن هارون أكبر من موسى سنّا[1]، إلا أنّ المسوّغ البلاغي في هذا التقديم يكمن في أنّ فرعون كان قد ربّى موسى، عليه السلام، ولو قدّم موسى لظنّ فرعون أنّه المقصود بالربوبيّة، فأخّروا موسى لإبعاد هذا التوهّم عن فرعون وقومه، ويكون تقديم موسى على هارون في باقي السور تقديما في الحكاية لتلك الحكاية.[2]

وممّا يعوّل عليه أيضا من جانب المعنى في الوقوف على السبب في ذلك التقديم هو السياق الذي سارت عليه القصة في سورة طه، فقد ذكر هارون، عليه السلام، في سورة طه أكثر ممّا ذكر في غيرها، على غرار قوله تعالى: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۝٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ۝٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴾[3]، والطلب كان من موسى، عليه السلام، أن يجعل الله له أخاه هارون، عليه السلام، وزيرا وسندا، ثمّ في قوله تعالى: ﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ۝٤٢ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ۝٤٤ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ۝٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا

[1] ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج6، ص242.

[2] ينظر: روح المعاني، الآلوسي، ج16،ص230.

[3] طه ، 29-30.

تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[1]، وكلّها آيات تضمّنت ذكرا لهارون، عليه السلام، مباشرا أو غير مباشر، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾[2]، يظهر من خلالها دور هارون، عليه السلام، في تحمّل نصيبه من الدعوة إلى جانب موسى، وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴾[3]، أين ورد العتاب والاعتذار بين موسى وهارون، عليهما السلام.

يتجلّى من هذا الذكر المكثّف لهارون، عليه السلام، في سورة طه، إظهار دوره في تحمّل أعباء الدعوة، على خلاف ما جاء في بقيّة السور التي ذكرت فيها قصة موسى، عليه السلام، والتي، في غالبها، تركّز على الأحداث من جانب موسى فقط، ولا يذكر فيها هارون إلا عرضا.

---

[1] طه ، 42–50.

[2] طه ، 90.

[3] طه ، 92–93.

ويمتدّ المعنى المذكور آنفا، إلى اعتبار أنّ تأخير موسى على هارون، عليهما السلام، لم يكن من أجل الفاصلة فحسب، فإنه قد أخّر ذكره في آية أخرى في السورة نفسها؛ قال تعالى: ﴿ **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ** ﴾[1]، أين نلاحظ تأخير الفاعل (موسى)، وتقديم الجار والمجرور والمفعول به عليه، ليؤدّي هذا الكسر في النظام التركيبي العادي إلى إبراز جملة من الدلالات، تتزامن مع ذكر حالة الخوف التي تلبّس بها، عليه السلام، لعلّ أهمّها هو إظهار نوع من العتاب على موسى، عليه السلام، بسبب أنه توجّس الخوف، فلما ذكر الخوف أخّر صاحبه، إلا أنّه عتاب لطيف لا يعدو أن يُطلعنا على طبيعة النفس البشرية التي جبلت على الخوف في مثل هذه المواقف الخارقة لما هو معهود في الطبيعة[2]، يتجلّى لطفه في اختيار اللفظ الرقيق وتأنيثه: (خيفة)؛ لتعبّر عن موقف الخوف مع التقليل من حدّته، سرعان ما يتداركه ربّه بالإيناس والطمأنة، في قوله تعالى: ﴿ **قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ** ﴾[3]، هذا دون أن نغفل المزيّة الصوتية في الإيقاع الجميل الذي نتج عن وقوع لفظ (موسى) فاصلة، محققة التناسب مع باقي فواصل السورة، والتي انتهت جلّها نهايات متشابهة من خلال الروي الممدود مدّا مفتوحا، ممّا أسبغ على موضوعها جوّا موسيقيا هادئا، يعكس اللطف الربّاني الذي يصحب إرسال الرسل لإنقاذ العباد من مهالك الكفر والطغيان.

---

[1] **طه ، 67.**

[2] **ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج16، ص661.**

[3] **طه ، 68.**

- **التقديم والتأخير بين موسى وإبراهيم، عليهما السلام:**

ممّا لا شك فيه أنّ تقديم موسى على إبراهيم، عليهما السلام، في قوله تعالى: ﴿ **أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ** ﴾[1]، لم يكن لبيان الأفضلية بينهما، أو الأسبقية في الرسالة، فإبراهيم هو أبو الأنبياء، وهو أفضل من موسى، وأسبق منه في النبوّة، ورسالته أشمل، فكان تقديمه على موسى أصلا في الترتيب لهذه الاعتبارات وغيرها، كما ورد في سورة الأعلى: ﴿ **صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ** ﴾[2]، وفي سورة الشورى: ﴿ **۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ** ﴾[3]، وإنما قدّم موسى في سورة النجم من أجل تحقيق هدفين أساسين هما:

-موافقة السياق؛ من خلال موضوع السورة الذي يتضمّن الدحض لمعتقدات المشركين الذين جعلوا الأصنام آلهة، وجعلوا الملائكة إناثا، وهم أقرب عهدا بموسى؛ بل إنّ آثاره مازالت تتلى في زمانهم وبجوارهم.

[1] **النجم ، 36-37.**

[2] **الأعلى ، 19.**

[3] **الشورى ، 11.**

-كما أنّ تأخير (إبراهيم) مكّن من جعل الفعل (وفّى)، المتعلّق بإبراهيم، عليه السلام، فاصلة وهو ما يتناسب مع إيقاع السورة، وتوحّد فواصلها بنهايات متشابهة؛ تتمثل في الألف الممدودة، كما في (هوى، غوى، الهوى، يوحى).

– التقديم والتأخير بين البشارة والإنذار

اكتسب الترتيب بين معنيي البشارة والإنذار شبه قاعدة في تقديم الأولى على الثانية، يكون قد نتج من عادة المتكلّمين في تقديم البشارة تلطّفا، زيادة على ما تمليه آداب التخاطب، خصوصا إذا كان المتكلّم في مقام الدعوة، ففي قوله تعالى: ﴿ **إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ** ﴾[1]، قد وردت البشارة في ترتيبها المناسب لها هنا، لتموقعها بمحاذاة المستحقين لها، وهم طائفة المؤمنين، والمعنى: "إلا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون"[2]، كما نسجل الانسجام الحاصل من وراء إتيان كلمة (يؤمنون) فاصلة إذ عملت على إذكاء الوحدة الإيقاعية في السورة.

ومن جهة ثانية، فإنّ تقديم الإنذار على البشارة كان تماشيا مع سياق السورة التي تناولت في مجملها عرض حال المكذّبين من الأمم السابقة وبيان إعراضهم عن دعوة الأنبياء لهم، فناسب ذلك أن يتقدّم الإنذار الذي يفيد التخويف بغية إقناع هذه الأمّة بأن لا تحذو حذو من سبقها من الأمم الكافرة.

---

[1] **الأعراف ، 188.**

[2] **الكشاف، الزمخشري، ج9، ص399.**

وأمّا في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[1]، فإنّها وردت في معرض الحديث عن نعم الله وأفضاله على خلقه، بداية من ذكر فضله على سيدنا داود، في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴾[2]، ثمّ على سيدنا سليمان، عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[3]، ثمّ ذكر، سبحانه، فضله على أهل سبأ، في قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴾[4]، إلى ذكر فضله، عزّ وجلّ، على الناس أجمعين في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ﴾[5] فحسن الابتداء بالبشارة في الآية تماشيا مع سياق الآيات السابقة، والتي تناولت ما ترتاح به النفوس من ذكر النعم والخيرات التي أسبغها المولى، عزّ وجلّ، على عباده.

---

[1] سبأ، **28**.

[2] سبأ، **10**.

[3] سبأ، **12**.

[4] سبأ، **15**.

[5] سبأ، **24**.

– التقديم والتأخير بين الأرض والسماء:

فإذا ذكرت السماء والأرض يكون الأصل أن تقدّم السماء على الأرض، على غرار قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ** ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا** ﴾[2]، لمراعاة السياق وما ورد فيه من ذكر الآيات العلوية، فتقديم (السماء) على (الأرض) هو الأصل؛ لأنه تقديم بالفضل والشرف، لكن العدول عن ذلك هنا كان مقصودا لمناسبة سياق الآية.

إلا أنه في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ** ﴾[3]، فقد ذكر شهادته على أهل الأرض وشؤونهم وأعمالهم، وناسب ذلك أن تقدّم الأرض على السماء[4]، يقول ابن الأثير: " إنّما قدّم الأرض في الذّكر على السماء، ومن حقّها التأخير، لأنّه لما ذكر شهادته على شؤون أهل الأرض وأحوالهم، ووصل ذلك بقوله: (وما يعزب)

---

[1] **سبأ ، 3.**

[2] **فاطر ، 44.**

[3] **يونس ، 61 .**

[4] **ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج11، ص467.**

لاءم بينهما؛ ليلي المعنى المعنى، فإن قيل: قد جاء تقديم الأرض على السماء في الذكر في مواضع كثيرة من القرآن، قلنا: إذا جاءت مقدمة في الذكر فلابد لتقديمها من سبب اقتضاه، وإن خفي ذلك السبب، وقد يستنبطه بعض العلماء دون بعض"[1].

كما في قوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ** ﴾[2]، فقد وردت في سياق ذكر أعمال العباد من خلال فعلي (نخفي، ونعلن)، ولمّا كانت الأرض هي مسرح الأعمال بالنسبة للعباد، فإن الإقرار بعلم الله يستدعي الإيمان بأن الله مطّلع على أهل الأرض واعمالهم أوّلا، فحسن بذلك تقديم الأرض على السماء، زيادة على الإيقاع الخاص الذي تركته كلمة السماء حين الوقوف عليها بجعلها فاصلة تتناسب مع مجموعة من الفواصل بعدها مشكّلة مقطعا صوتيا خاصا وجميلا يتوسّط السورة، بداية من الآية (38) إلى غاية الآية (41)، من خلال الفواصل: (السماء، إسحاق، الدعاء، دعاء).

كما أننا نجد المسوّغات السياقية ذاتها في تقديم الأرض على السماء في كل من سورة طه الآية (4)، والعنكبوت الآية (22)[3]، إضافة إلى فاطر، الآية (40).

---

[1] **المثل السائر، ابن الأثير، ج3، ص 146.**

[2] **إبراهيم ، 38.**

[3] **ينظر: أسرار التكرار في القرآن، الكرماني، ص213.**

- **التقديم والتأخير بين (*لَمْ يَلِدْ*) و(*لَمْ يولَدْ*)**

قال تعالى: ﴿**لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ**﴾[1]، بالترتيب الزمني مقلوب؛ لأن الوجود أسبق من الإيجاد، وكل ما تلبّس بالولادة من المخلوقات إنما يولد أوّلا ثم يلد، ولعل الفائدة من قلب الترتيب في الآية أن المشركين لم يكن تكذيبهم وكفرهم بسبب أنهم ادّعوا أن لله واجدا أو والدا؛ بل كان ادّعاؤهم أن نسبوا لله الولد، كما في قوله، تعالى، في أهل الكتاب من اليهود والنصارى: ﴿ **وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ** ﴾[2]، وقال في مشركي قريش: ﴿ **وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدًا** ﴾[3]، وقالوا أن الملائكة بنات الله ،سبحانه عما يقولون، فبدأ بنفي ما هم به متلبسون، فيكون أوّل ما يقرع آذانهم هو دمغ معتقدهم وما تعاطوه وتعارفوا عليه في أن لله أبناء، تعالى الله عما يقولون.

وينزع الطبري في تفسير آية الإخلاص إلى معنى الفناء في (لم يلد) ، ومعنى الحدث في (لم يولد) ، معلّلا هذا الاستنباط بأنه ليس هنالك شيء يلد إلا وهو فان بائد ، كما أنه ليس هنالك مولود إلا وهو محدث ، أي لم يكن فكان ، "ولكنّه، تعالى ذكره، قديم لم يزل

---

[1] **الإخلاص ، 3.**

[2] **التوبة ، 30.**

[3] **مريم ، 89.**

ودائم لم يبد ولا يزول ولا يفنى"[1]، ويرى الزركشي أنه "لماّ وقع في الأوّل منازعة الكفرة وتقوّلهم، اقتضت الرتبة بالطبع تقديمه في الذكر؛ اعتناء به قبل التنزيه عن الوالد الذي لم ينازع فيه أحد من الأمم"[2]، كما تمّ تقديم نفي الولد على نفي الوالد؛ لأنه أهمّ لما شاع بين المشركين وأهل الكتاب من نسبة الولد إلى الله، تعالى[3]، وتأخير اسم كان رعاية للفاصلة، فقد ناسب تأخير أحد لتوافق الفواصل السابقة: أحد، الصمد، يلد، يولد، وفي تقديم الخبر (كفؤا) مزيّة أن يكون أقرب إلى السمع بعد نفي الفعل[4]، فإذا انضافت هذه المؤكّدات على وحدانية الله إلى ما ورد في باقي السورة من آيات فإنّ هذه نهاية التنزيه[5].

ولقد زادت هذه المعاني تألقا نتيجة الجرس الذي أحدثته الفواصل المنسجمة من بداية السورة إلى نهايتها متمثلة في الدال، فأضفت على السورة كلها الصبغة الجمالية.

---

[1] **جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، دار الكتب العلمية، ط2، 1997، مجلد 12، ص 7.**

[2] **البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ص796.**

[3] **ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج30، ص619.**

[4] **ينظر: المصدر نفسه، ج30، ص620.**

[5] **المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، السجلماسي، أبو محمد القاسم، تح: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ط1، 1980م، ص419.**

ما لا يستحيل بالانعكاس:

وهو فنّ من فنون القلب، وحدّه: "أن يكون الكلام بحيث إذا قلبت حروفه لم تتغيّر قراءته، ولابدّ مع ذلك أن يكون جيّد السبك منسجم المعاني"[1]، بشرط أن لا يكون شائعا مبتذلا، "واعلم أن هذا النوع لا يحسن إلا إذا كان يسيرا، كالرقم في الثوب أو الشية في الجلد"[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿ **كُلٌّ فِي فَلَكٍ** ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ **وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ** ﴾[4]، مع ملاحظة أن الحرف المشدّد هو في حكم المخفّف؛ لأن العبرة في هذا الباب بالحروف المكتوبة[5]، ممّا يمكّننا من قراءة الجملتين طردا وعكسا[6]، وصنّفه العلوي ضمن المستوي من أنواع القلب[7]، وفيه دليل على التقدّم في الفصاحة، والاقتدار في البيان.

ويتجلّى أثره الجمالي في كونه زخرفة في ثنايا الكلام، ويزداد جماله في ندرة وقوعه، فإذا كان حصل به لدى السامع قبول واستحسان، مردّه أنه يتمّ خروج الحروف التي يتألّف منها التركيب، حتى إذا بلغت منتصفه عادت أدراجها إلى الحرف الأوّل، أو نقول: يرتدّ الشقّ الثاني من الجملة على الأوّل، ويمكن توضيح ذلك كما يلي: (**ك ل ف ي**)،

---

[1] التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط1، 1904 ، ص404.

[2] المصدر نفسه، ص406.

[3] الأنبياء ، 33.

[4] المدّثّر ، 3.

[5] ينظر: المصدر نفسه ، ص405.

[6] ينظر: الإحاطة في علوم البلاغة، د عبد اللطيف شريفي، د زبير دراقي، ص202.

[7] ينظر: الطراز، يحيى العلوي، ج3، ص96.

فتكون الياء هي نقطة الرجوع في القراءة نحو الحرف الأوّل، وفي (**ر ب ك ف**)، تكون الفاء هي نقطة الرجوع إلى الحرف الأول.

الفصل الثالث:

جمالية القلب في المستوى الدلالي

- تمهيد: مخالفة المعيار الدلالي

1-القلب الإسنادي

2-القلب الوظيفي

3-القلب الاستعاري

4-القلب عن طريق تأكيد المدح بما يشبه الذّمّ وعكسه

5- قلب التغاير

6- قلب الضمائر

7- القلب في الأساليب الإنشائية

8- قلب الفاعلية إلى المفعولية

9- قلب القصر

10- القلب بالالتفات

11- القلب بين الفعلية والاسمية

12- القلب بالافتنان

13- العكس والتبديل

14- القلب عن طريق الحذف

تمهيد: مخالفة المعيار الدلالي:

يعدّ المتلقي أهمّ عنصر سياقي في العملية التواصلية، وهو الذي يخوّل للمتكلم أن يستخدم الأساليب البلاغية المختلفة في التعبير، ويسمح له بممارسة أعراف لغوية متعدّدة، ولا يتمّ ذلك إلا بالاعتماد على فهم السامع أو المخاطب الذي ألف هذه الأساليب.

ومن هذه الأساليب المجاز، وقد ساير تطوّر اللغة، وكان من أهمّ وسائل تطوّرها؛ إذ بفضله استطاع المتكلّم أن يحوّل مدلول اللفظ من المعنى المحسوس إلى المعنى المجرّد الذي يدرَك بالتدبّر وإعمال العقل، فتوسّعت العربية إثر ذلك واستطاعت أن تحتضن مختلف الفنون والعلوم الجديدة منها والتي تلقّفها العرب عن غيرهم من الأجناس والحضارات.

ونعني بالقلب الدلالي: العدول عن المعنى الظاهري أو المعجمي للكلمة أو التركيب إلى المعاني الباطنية المرجوّة من الصيغ البلاغية المتنوّعة وعلى رأسها المجاز، ففي قوله تعالى: ﴿ **قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ** ﴾[1]، وقع القلب من معنى الحمل المادي إلى التحمّل المعنوي، حيث يأتي المذنب يوم القيامة وقد أصابه الانكسار والهوان والخوف الشديد، وهو ما عبّر عنه بالحمل، فهو كأنّه يحمل ثقلا على ظهره يجعله غير قادر على الاستقامة في الوقوف والسعي، والملاحظ أن المجاز هو العامل الأساسي في الانقلاب عن المعنى الظاهري إلى المعنى الباطني الذي هو المراد.

---

[1] الأنعام، **31**.

يقول العلوي: "إذا عبّر باللفظ الدالّ على الحقيقة حصل الكمال بالعلم به من جميع وجوهه، وإذا عبّر عنه بمجازه لم يُعرف على جهة الكمال، فيحصل مع المجاز تشوّق إلى تحصيل الكمال"[1]، فالمجاز يشحن الألفاظ لتحمل دلالات إضافية تتسع دائرتها على حسب قوّته وتمكّن المتكلّم من صياغته على الوجه اللافت والبديع.

ولا بد من الاجتهاد والتأمّل في استقراء المجاز واستنباط الدلالة منه، فالموقف المجازي يدعو إلى استحضار جملة من النشاطات الفكرية، تتمثل في الربط بين المعنى واللفظ وإعمال الفكر من أجل بلوغ المعنى، فالظاهر من قوله تعالى: ﴿ **كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ** ﴾[2]، يحثّنا على التفكّر في كلام الله الموجّه إلينا، والنظر فيه بعين ممحّصة عن معانيه ودلالاته، ليتمّ بذلك الفهم الصحيح لشرائعه وتوجيهاته.

ولا سبيل إلى إدراك المراد من قوله تعالى: ﴿ **وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ** ﴾[3]، لمن لا حظّ له في الفهم القائم على التفكر والتأمّل، وعلى غرار آيات كثيرة من مثيلاتها، فإن ظاهر هذه الآية الكريمة يحمل شيئا من المشابهة بين صفات الله سبحانه، وصفات المخلوقات، إلا أن المجاز قد صرف هذا الإيهام بالتناقض عن معرفتنا

[1] الطراز، العلوي، ج1، ص83.

[2] ص ، 29.

[3] الزمر، 67.

العقلية بصفاته عز وجل، فكان الاجتهاد وسيلة في رفع هذا التناقض والحيلولة دون الوقوع في المحظور.

فالمجاز لا بد له من حقيقة نستند إليها في الحكم على اللفظ أو التركيب بأنهما قد استعملا مجازا، وبعبارة أخرى؛ فإن الدلالة المجازية تسبقها الدلالة الوضعية باعتبارها الأصل والحقيقة قبل أن يتفرّع، ويدخل في النظم والتأليف، أو تؤثر فيه الأساليب البلاغية[1]، "وأما أصالة الجمال، فلأنّ اللّفظ لم يُبتر عن قديمه بترا؛ وإنما صار ببزّته التي نسجل الخيال جديدا وكأنّنا أحدثنا بالاستعارة أمرا قديما وجديدا معا، وهذه هي طرافة الجمال والجدّة حيث نحصل على عناصر ونماذج غير معروفة لدينا في جوانبها كالزهرة التي تختال وتتكلّم، والأسد الذي يحمل المدفع وغير ذلك"[2]، وتتعدد الأغراض من سلوك القرآن سبيل المجاز والترميز عموما، منها: بلاغة التلميح، والاتساع في الكلام، والتفنن في التعبير، وإيقاع الرهبة في نفس السامع عن طريق الإبهام، وإرادة تحقق الجمال الذي يمنحه الانقلاب عن المألوف والمطّرد من قوانين اللغة.

فإطلاق (البحر) على الرجل الجواد، يسبقه المعنى الحقيقي للبحر، وهي الدلالة الأصلية أو المعجمية للفظ التي من خلالها، وبمراعاة الملابسة أو المشابهة بين المعنيين، يتم الانتقال إلى الدلالة المجازية[3]، فمن شروط المجاز أن يكون مسبوقا بالوضع الحقيقي، ومتى

---

[1] ينظر: النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص **127**.

[2] التصوير المجازي والكنائي، صلاح الدين محمد أحمد، ص**55**.

[3] ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، شرح: محمد أحمد جاد المولى بك، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات الكتب العصرية، بيروت، لبنان، **1986**، ج**1**، ص **264**.

استعمل اللفظ في موضعه الأصلي كان حقيقة، أين يمكن تجاوزه إلى الوضع الثاني ليتمّ قلب الدلالة من الحقيقية إلى المجازية، أو الثانوية، ومن هنا فإنه لا يتأتّى لنا أن نستكشف الحسن، ونتذوق الجمال البياني في القلب الدلالي القائم على المجاز من دون أن نعود إلى الوضعيات الأولى للغة العادية، والانطلاق في المقارنة من التركيب الأصلي المفترض الذي قد حدّد سلفا الأجزاء الكلامية، ومواقعها في نظام التأليف[1]، والقوانين المنطقية التي يتمّ على أساسها هذا النظام، قبل التوجّه بالتعبير إلى البنيات الأسلوبية اللافتة من خلال طرق القلب في المستوى الدلالي عموما.

1- المبحث الأول: القلب الإسنادي

لا يكون هذا النوع من المجاز إلا في التركيب، فهو لا يقع في ذات الكلمة، وإنما نستنتجه من الإسناد، ويسمّى المجاز الحكمي، أو الإسناد المجازي[2]، أين يسند الفاعل إلى غير فاعله الحقيقي، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا** ﴾[3]، فقد أسند الفعل إلى غير فاعله الحقيقي، والذي هو عمال البناء لوجود علاقة بين الفاعل الحقيقي والفاعل المجازي.

ويكون أساس الحكم على المعنى، في التعبير المجازي، انطلاقا من العقل وقوانين التأويل، واللافت في المجاز العقلي هو القلب في نسبة الفعل أو ما في معناه إلى غير فاعله

---

[1] **ينظر: العدول في البنية التركيبية: إبراهيم بن منصور التركي، مقالة ضمن مجلة جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ج19، عدد 40، ربيع الأول: 1428هـ، ص 548.**

[2] **ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 194.**

[3] **غافر ، 36.**

الحقيقي، فالأمر لا يعود إلى اللغة من حيث الوضع؛ بل إلى منطق الوضع، يقول السكاكي: "ويسمى هذا النوع مجازا لتعدّي الحكم فيه عن مكانه الأصلي"[1]، فالأمر إذا متعلق بإسناد الأفعال إلى غير فاعلاتها، ممّا يوجب انحرافا في الدلالة، وانقلابا عن الأصل.

ومن آثاره الأسلوبية أنّ الفعل الذي أسند إلى غير فاعله يكتسب طاقة تعبيرية جديدة من خلال هذ الإسناد غير المطّرد، وتكون تلك الطاقة المتجدّدة كبيرة كلّما كان الإسناد مبتكرا ولافتا غير متفشّ في خطابات المتكلمين، ولقد كان عبد القاهر الجرجاني أول من تنبّه لهذا النوع من المجاز، فأخذ يبيّن حدوده وضروبه، وبذل فيه جهدا كبيرا حتى ميّزه عن غيره من أنواع المجاز[2].

ففي العلاقة الفاعلية يُسند الفعل إلى المفعول بدل الفاعل، كما في قوله، سبحانه: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾[3]، "مع كونه ساترا لك عن أن يدركوك حق الإدراك على ما أنت عليه، (مستورا) عنهم وعن غيرهم، لا يراه إلا من أردنا، وذلك أبلغ في العظمة وأعجب في نفوذ الكلمة"[4]، زيادة على أنّ إيراد الحجاب بصفة المفعولية بدل الفاعلية قد تمّ على أساس نقل معنى الفاعلية إلى المفعولية، فكون الحجاب ساترا فهذا هو الأصل والمراد الأوّل، ثمّ يأتي قلب الصيغة إلى

---

[1] مفتاح العلوم، السكاكي، ص 395.

[2] ينظر: الأسلوبية والبيان العربي، محمد عبد المنعم خفاجي، محمد السعدي فرهود، عبد العزيز شرف، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ط1، 1992، ص 36– 37.

[3] الإسراء ، 45.

[4] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج11، ص428.

المفعولية–ليضيف معنى آخر، هو أن الحجاب مستور لا يتمكّن الذين لا يؤمنون بالآخرة من رؤيته، فيترتّب عليه معنى ثالث يعود أثره على المعنى الأوّل، فيحصل تأكيده والمبالغة فيه، وهذا المعنى الأخير هو: إذا كان الحجاب مستورا عنهم لا يستطيعون رؤيته فالآكد هو عدم رؤية ما من أجله وضع الحجاب.

وفي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا** ﴾[1]، أين وردت فيه كلمة (مأتيّا) بدل (آت)، أي استعمل اسم المفعول بدل اسم الفاعل[2]، فلقد ورد المعنى على حقيقته، في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ** ﴾[3].

وفي إسناد الوصف المبني للمفعول إلى الفاعل تتجلّى العلاقة المفعولية، على عكس ما تقتضيه العلاقة الفاعلية، كما في قوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا** ﴾[4]، أين يكون الإحساس بالأمن صفة من صفات

الأحياء، والحرم مأمون بمعنى يؤمن فيه، فقد أسند الوصف المبني للفاعل إلى ضمير المفعول، كما في قوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ**

---

[1] مريم ، 61.

[2]– ينظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، شرح أحمد صقر، المكتبة العلمية، ط3، سنة 1981، ص 297.

[3]– الرعد، 31.

[4] القصص،57.

حَوۡلِهِمۡۚ ﴾[1]، أي مأمونا فيه[2]، أين لا تخفى المزيّة البلاغية في تأكيد وجود الأمن في الحرم واتصاله به، وإثبات أنّه هو الأصل فيه، كما يؤدّي التعبير دورا أسلوبيا في تشكيل صورة عن الحياة الآمنة في الحرم، على خلاف ما عهده الناس من حالة الخوف والخطر الدائم الذي يعيشونه بمحاذاته، فتتجلّى بذلك القدرة الإلهية في صرف الخطوب عن سكان الحرم دون غيرهم، مما يوجب عليهم التفكّر في هذه النعمة وشكرها.

وكما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ ﴾[3]، أي

لا معصوم اليوم من أمر الله[4]، كما يمكّننا التركيب من اعتبار الجملة على حقيقتها، فيكون المعنى على ظاهره، فقد ظنّ الابن العاصي أنّ بإمكان الجبل أن يعصمه من الغرق في الطوفان، فكان الجواب أن (لا يوجد ما يمكن أن يَعصم أحدا اليومَ من أمر الله)، أي أنّ النفي وقع على الفاعل الذي هو الجبل، بينما يعود الاستثناء (إلا من رحم) على المفعول به (أحدا)، وهم نوح وأتباعه الذين اعتصموا بالسفينة، فكانوا من المرحومين.

وفي قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴾[5]، والحقيقة أن الماء مدفوق، وإنّما تجوّز في الإسناد قصد المبالغة في إظهار سرعة الاندفاع[1]، أين يتمازج الغرض البلاغي مع الغرض

---

[1] العنكبوت، 67.

[2] ينظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص 296.

[3] –هود، 43.

[4] ينظر: معاني القرآن، الفراء، ج2، ص15–16.

[5] الطارق ، 6.

الأسلوبي والجمالي من خلال تحقق التناسب الإيقاعي بين الآية وما قبلها وما بعدها، إضافة إلى إعطاء الماء صفة الفاعلية التي تعبّر عن الرفعة في الشأن، وأنّه السبب في خلق الإنسان.

ومن خلال علاقة السببية، حصل القلب الدلالي في قوله تعالى: ﴿ **هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ** ﴾[2]، لأننا ندرك أن فكرة إتيان الله لا تجوز عقلا، ونعني به الإتيان الحسي الذي يترتب عنه إخلاء مكان والحلّ في مكان آخر، ولقد تمّ سرد الموقف على هذا النحو ليتطابق معناه مع ما ألفه الناس من أن دور صاحب السلطة هو الأمر بالتنفيذ، بينما ترجع حقيقة التنفيذ إلى من دونه من القائمين والعمّال الذين قد يتهاونون في إنجاز الأمر على النحو التامّ، نظرا لأنّ صاحب السلطة الآمر لا يقف شخصيا على تنفيذ أوامره من طرف عمّاله، فيكون الاحتمال بأن يقع النقص، فالآية أريد بها التأكيد على وقوع أمر الله تعالى على النحو التامّ، كما لو أنّه من الله مباشرة، وإنّما تمّ التعبير بهذه الصيغة خدمة لأغراض بلاغية وجمالية.

---

[1] ينظر: علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1998، ص69.

[2] الأنعام ، 159 .

ومثله ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴾[1]، إذ يعدل المتكلّم إلى مثل هذا التركيب بغية التأكيد والإيجاز من جانب المتكلم والمخاطب على السواء، فأمر البناء معلوم من طرف السامع أنه يعود إلى العمّال، ولو قيل: (يا هامان مر العمّال فليبنوا لي صرحا) لجاز، وإنما حذف من التركيب ما كان العقل مستغنيا عنه استغناء تامّا.

وتظهر العلاقة الزمانية في إسناد الفعل أو معناه إلى زمان وقوعه، قال عز وجل: ﴿ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾[2]، حيث أعطي اليوم صفة ما يقع فيه، أي مشهود فيه على الناس وكذلك في

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾[3]، فقد أسند الله، عز وجل، الفعل (يغشى) إلى الليل، والفعل (تجلّى) إلى النهار، على سبيل المجاز الذي علاقته الزمانية، إذ أن الليل والنهار يُعدّان زمنين لوقوع هذين الفعلين وإنّما يغشى الظلام الذي زمانه الليل، ويتجلّى الضوء والنور الذين زمانهما النهار.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ ﴾[4]، قال أبو عبيدة: "مجازه ما كان العمل والفعل فيه لغيره، أي يبصر فيه، ألا ترى أن البصر إنما هو في

---

[1] غافر ، 36.
[2] هود، 103.
[3]-الليل،1-2.
[4]النمل ، 86.

النهار، والنهار لا يبصر، كما أن النوم في الليل ولا ينام الليل، فإذا نيم فيه قالوا ليله نائم ونهاره صائم"[1].

أما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ ﴾[2]، فإن الإسناد على حقيقته، وهي حكاية عن الدهرين الذين يعتقدون أن الدهر هو الذي يهلك، وقد أبطل القرآن هذا الاعتقاد[3]، وإنّما ينسب المؤمن، أحيانا، الأفعال إلى الزمان متجوّزا لا على الحقيقة.

وفي علاقة المكانية يتمّ إسناد الفعل إلى مكان وقوعه، كما في قوله سبحانه: ﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾[4]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ ﴾[5]، أين أسند الجريان للأنهار وإنما هو للماء فيها[6]، والأنهار هي أمكنة الجريان، أسند الفعل إليها على سبيل المجاز العقلي لعلاقة المكانية، وفي قوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا ﴾[7]، والقلب وقع في إسناد السيلان إلى الأودية،

---

[1] مجاز القرآن، أبو عبيدة، ج2، ص96.
[2] الجاثية ، 24.
[3] ينظر: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيود، ص66 .
[4] الرعد، 36.
[5] الأنعام ، 6.
[6] ينظر: الإحاطة في علوم البلاغة، ص142.
[7] الرعد ، 17.

لملابسة المكانية أو المجاورة[1]، مع أنّ السيلان يكون للماء في الوديان، ويتجلّى الغرض الأسلوبي لهذا الإسناد في تصّور خاص للمشهد عند المتلقّي، ويتراءى له أنّ الأنهار والوديان تسيل أيضا مع المياه الجارية فيها زيادة في المبالغة.

وأما في قوله تعالى: ﴿ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴾[2]، فإذا صحّ أن نؤوّل هذه الآية على أن المراد منها هو (فما بكى عليهم أهل السماء وأهل الأرض)، فحينئذ يكون المجاز الواقع عقليا وعلاقته المكانية، إذ أسند، سبحانه، البكاء إلى مكان وجود الباكين، وهو (السماء والأرض).

إضافة إلى أن دور العلاقة يتجاوز ذلك إلى كونها تربط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، إذ من دونها يكون وضعا جديدا أو غير مفيد، إذ لا وجود للخلاف بين العلماء في أن استعمال أي لفظ في أي معنى غير أصله الحقيقي، لا يتم إلا بوجود علاقة تربط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي[3].

والمجاز يضفي على المعنى عمقا بوساطة المدّ التخييلي الكامن من وراء العبارة المجازية[4]، أين تتدافع قسمات الجمال التعبيري، ويتجلى الإبداع الفني من خلال تلك العلاقات بين معاني الإسناد الحقيقي والإسناد المجازي، وما يوقعه القلب الدلالي بينها من تفاعل، يجعل الكلام أبلغ والمعنى أشرف، لأنّ القرآن خاطب الناس بما يألفون حتى تصل

---

[1] ينظر: البلاغة العربية، الميداني، ج2، ص301.

[2] – الدخان، 29.

[3] – ينظر: الألفاظ والدلالات الوضعية، نذير بوصبع، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت، ص 254.

[4] ينظر: التصوير المجازي والكنائي، صلاح الدين محمد أحمد، ص24.

المعاني إلى عقولهم مع الرفق بهم[1]، إضافة إلى الفائدة العظيمة الكامنة في توليد المعاني الإضافية عن طريق سلوك الصياغة غير المألوفة في الكلام، وإحالة المعاني إلى العقول في استنباطها والكشف عنها.

وتتجلى قسمات الجمال الأسلوبي في المجاز العقلي فيما يكتسبه الفعل من قوة متجدّدة من خلال صرفه إلى غير فاعله الحقيقي، وهذا الإسناد يكون مخالفا للواقع والحقيقة، ممّا يجعل المخاطب في حيرة وتدبّر تربطه بالخطاب ربطا وثيقا في رحلة البحث عن العلاقة بين الإسناد الحقيقي (الأصل) والإسناد المجازي (الاستعمال).

2- المبحث الثاني: القلب الوظيفي: (المجاز المرسل):

كان من الممكن للألفاظ الحالية للّغة أن تدلّ على مسمّيات أخرى غير التي وضعت لها، إلا أنّها حدّدت لمسمّيات مخصوصة، ومن خلال الاستعمال اكتسبت معاني إضافية، والملاحظ أيضا أن اللغة تتطور وتنمو بوجود ظواهر لغوية، منها الانزياح والاقتراض والتعميم والتخصيص والقلب، وهي ظواهر اعتمدها المتكلم في عملية الإبداع اللغوي لأسباب تعود في الأصل إلى الفائدة الإبلاغية.

وإنّ أوّل ضابط يجب توفّره في عمليّة الإنتاج اللغوي هو إمكانية الفهم لدى المتلقّي، والأخذ في الحسبان المستوى العقلي لديه، بما يمكّنه من التجاوب مع المتكلّم بناء على فهم الخطاب، ولمّا كان فهم الإنسان محدودا، ممّا لا يمكنه من أن يستسيغ إسناد بعض الأفعال

[1] ينظر: الصورة البيانية وقيمتها البلاغية، بسيوني عرفة رضوان، ص**221**.

إلى ما أسندت إليه، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ** ﴾[1]، وقوله عز من قائل: ﴿ **ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ** ﴾[2]، فقد نسب الله سبحانه البكاء والكلام إلى السماء والأرض، وهو مما لا يستطيع عقل حمله على حقيقته، فعند هذه الحالات وما شابهها يتدخّل عمل القرينة العقلية، التي تحول الدلالة عن وجهتها إلى ما يتماشى مع حسن الاعتقاد بالله وصفاته وأفعاله، وهو مجال رحب، يدعو العقل إلى التفكر والتدبر وإيجاد الحلول لمثل هذه المشكلات في الفهم، ومدار القول في هذه القرائن هو المجاز بشتى أنواعه، إذ يحمل كلامه سبحانه في هذه الحالات على المجاز، ويتم التفسير على هذا الأساس.

ومن أمثلة ذلك؛ قوله تعالى: ﴿ **أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ** ﴾[3]، فكلمة (جنب) تحمل المعنى الحسي، وهو شق الإنسان، إلا أنّ وظيفتها في الاستعمال انقلبت إلى الدلالة على أمر الله[4]، فبإعمال القرينة العقلية التي تمنع نسبة الأعضاء والجوارح إلى الخالق، نصرف هذا الكلام عن دلالته الحقيقية إلى الدلالة المجازية، وهي المراد، ويصبح معنى الآية هو: "يا حسرتي على ما فرطتّ في الطريق الذي هو

---

[1] الدخان، **29**.

[2] فصلت، **11**.

[3] الزمر، **56**.

[4] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ج**24**، ص **13**.

طريق الله الذي دعاني إليه "[1]، أي أنها حملت على سبيل المجاز بغية الابتعاد بها عن المعنى الحسي الظاهر؛ لأن التفريط إنما يقع في تنفيذ الأوامر واجتناب المناهي والإتيان بالطاعات، ولا يقع في الجنب.

ومثله قوله تعالى: ﴿ **يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ** ﴾[2]، وقوله: ﴿ **وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** ﴾[3]، فالأكيد أن معنى (اليد) هنا غير حقيقتها اللغوية المعروفة بالجارحة، وإنما قصد بها سبحانه إلى القدرة والقوة[4]، فلا ينبغي إلا أن نحملها على المجاز.

وكذلك في التعبير عن الجزاء المترتّب عن المكر بما يماثله من حيث الظاهر في قوله تعالى: ﴿ **وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ** ﴾[5]، إذ المكر الثاني ليس على حقيقته وظاهره لارتباط معناه بما لا يليق بالذات الإلهية العليّة، قال ابن القيم: "وأما المكر الذي وصف به نفسه: فهو مجازاته للماكرين بأوليائه ورسله، فيقابل مكرهم السيء بمكره الحسن، فيكون المكر منهم أقبح شيء، ومنه أحسن شيء؛ لأنّه عدل ومجازاة"[6]، والقلب الحاصل في معنى المجازاة إلى المكر يوحي بدقة بالتكافؤ بين العمل المعبّر عنه بالمكر، من

---

[1] معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج14، ص 359.

[2] الفتح ، 10.

[3] الذاريات ، 47.

[4] ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج27، ص1053.

[5] العنكبوت ، 50.

[6] كتاب الفوائد، ابن قيم الجوزية، تح: أبي عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص227.

جهة الكافرين، والجزاء المستحقّ، زيادة على دلالة المبالغة في الثاني، والتي نستخلصها من التكرار في (**وَمَكَرُواْ مَكۡرًا وَمَكَرۡنَا مَكۡرًا**)، فيكون المكر الثاني أشدّ تأكيدا وأعظم وقعا في النفس، نتيجة إيقاعه السريع والمتكرّر، فقد وردت مادة (مكر) أربع مرات متواليات، يتعاظم معناها كلّما انتقل السامع من بداية الجملة نحو نهايتها، يصاحبه الإحساس بالقلق والرهبة من الوعيد الإلهي، خاصة إذا اكتنف هذا الوعيد الخفاء في كيفيّته وزمانه، يؤكّد ذلك ختام الآية بـ(**وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ**).

ويقع القلب في وظيفة الكلمة على أساس ملابسات كثيرة تكون المسوّغ للقلب من المعنى المعجمي إلى المعنى الوظيفي، ويكون أساسه هو انتقاء المفردات مع مراعاة النسق المعجز في الجملة أو الصورة القرآنية[1]، أين يتجلّى الأثر الجمالي انطلاقا من شكل اللفظ (الأثر الصوتي)، إلى حرارته داخل الجملة، من خلال تآلفه مع غيره من الألفاظ السابقة واللاحقة في الجملة.

ففي علاقة الكلّية، ومعناها تسمية الشيء باسم كلّه إذا ما أريد جزؤه، نحو: قوله تعالى: على لسان سيدنا نوح، عليه السلام: ﴿ **وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا** ﴾[2]، إذ يقع المجاز في كلمة (أصابعهم)، والمراد منها: أنامل الأصابع[3]، أو جزء من الأصابع، لأن الإنسان لا

---

[1] **ينظر: الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان، ص18.**

[2] **نوح ، 07.**

[3] **ينظر: التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص298.**

يستطيع إدخال إصبعه كلّها في أذنه، ويتمثل الدور الجمالي للمجاز في الكشف عن المخبوء من الإعراض الشديد الذي يمكن أن يوصف به قوم سيدنا نوح، عليه السلام، أين ذكرت الأصابع بدل الأنامل مبالغة في وصف شدة الإعراض عن الحق من خلال تعطيل الأسماع[1]، وتتجلّى الصورة التي تصف الإفراط في التكذيب والعناد، لتكون مسوّغا للنبيّ بأن يقطع الرجاء من انصلاح حالهم.

ولقد أبان الأسلوب المجازي في الآية عن طبيعة نفوس القوم، ورغبتهم في إدخال كلّ أصابعهم في آذانهم حتى لا يصل إليهم صوت الحق.

وأما علاقة الجزئية؛ فهي عكس الأولى، وتبنى على تسمية الشيء باسم جزء منه، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ** ﴾[2]، و"الوجه مجاز عن نفس الشيء وذاته"[3]، ولقد تواطأ الناس على أن الوجه هو أشرف الأجزاء في الأشياء كلّها، ولا يخلو التعبير بالوجه من استحضار الصفات الكلّيّة للذات المقصودة، ربّما كان ذلك مبنيّا على أساس أن الوجه عند الإنسان، كما عند أغلب الكائنات الموصوفة به، تتمّ من خلاله معرفة هويّته، كما أنه يتضمّن جميع الحواس الأساسية التي تنتج الكلام وتتفاعل معه في عملية التخاطب، (الفم والعين والأذن)، فالفم نتكلّم به، وهو من عناصر الوجه، والعين لها دور في الكشف عن شخصية المخاطب ؛ فإنّ المتكلّم، عادة، ينظر إلى عيني المتلقي قصد

---

[1] –ينظر: علم البيان، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، القاهرة،ط2، 2004، ص 137.

[2] الرحمن ، 27.

[3] التصوير المجازي والكنائي، صلاح الدين محمد أحمد، ص211.

تحديد وجهة خطابه، كما أن الأذنين، هما آلة السمع، زيادة على إشارات كثيرة تنطلق من الوجه وتلابس الكلام، وتعين على شحنه بدلالات إضافية.

وإذا كان الكلام دليلا على حياة الفرد، فإن الوجه هو المصدر المنتج له، فالعلاقة بين الوجه وحياة الذات علاقة لزوم وتكافؤ، وكانت عناية القرآن في توجيه دلالة الوجه إلى الذات بناء على ما تقرّر عند الناس من هذه العلاقة.

ومنه تسمية الصلاة بأسماء تخصّ أركانا وأفعالا هي جزء منها، ففي قوله تعالى: ﴿ **قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا** ﴾[1]، وفي قوله ، عزّ وجلّ: ﴿ **۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ** ﴾[2]، أراد بالقيام الصلاة، وهو جزء منها، وقد تتعدّاه إلى الانصياع والتواضع وطرح الاستكبار والتعنّت[3]، وذكر القيام لبيان شرفه كونه يتضمّن معنى العزم والمجاهدة، ومعنى القيام أوسع من معنى الصلاة؛ لأنّه قد يكون بفعل آخر غير الصلاة، كالقراءة والتفكّر والاستغفار، وغيرها من الأعمال التعبّديّة.

كما وفي قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ** ﴾[4]، أي أنّهم امتنعوا عن تأدية الصلاة التي هي حق الله على العباد، والركوع أحد أركانها، وفي قوله تعالى: ﴿ **فَسَبِّحۡ**

---

[1] **المزّمّل ، 2.**

[2] **المزّمّل ، 20.**

[3] **ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج29، ص1171.**

[4] **المرسلات ، 48.**

بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[1]، ذكر (الساجدين) للدلالة على المصلين، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلاً طَوِيلاً ﴾[2]، ذكر السجود والتسبيح وهما من أعمال العبد في الصلاة، ولقد وردت هذه الهيئات والأفعال، من قيام وركوع وسجود وتسبيح، وأُطلقت على الصلاة لكونها أمورا أساسية فيها، وللدلالة على شرفها وموقعها، ويتجلّى الأثر الجمالي في هذه الشواهد أنه في كل آية من الآيات التي ذكر فيها ركن من أركان الصلاة، يستشعر المخاطب قيمة الفعل المشار إليه، فيعامله معاملة الصلاة ذاتها من حيث التعظيم والمحافظة، كما تتضمّن تحذيرا من التفريط في الإتيان به على الوجه الصحيح، وتتجلّى المزيّة الأسلوبية في الأثر الذي يجده المصلّي حال بلوغه الركن الذي ذكر في القرآن بديلا عن الصلاة، أين يستشعر قدره وشرفه، والأهمّية المولية له من خلال الوصية الإلهية به، فيأتي به على أكمل وجه وأحسن أداء.

ومن خلال علاقة اعتبار ما يكون، ومعناها تسميّة الشيء باسم ما يؤول إليه، نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ﴾[3]، فالفاجر الكَفّار لا يكون كذلك إلا بعد انتهاء مرحلة الطفولة، فإطلاق المولود الفاجر الكفّار أريد به الرجل الفاجر الكفار، والمعنى: "لا يلدوا إلا من سيفجر ويكفر"[4]، فالمجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون، والتصوير يحتاج إلى "بصر سديد بدلالة الكلمة وأدائها للمعنى المراد

---

[1] **الحجر ، 98.**

[2] **الإنسان ، 26.**

[3] **نوح ، 27.**

[4] **الكشاف، الزمخشري، ج29، ص1144.**

بوضوح؛ حتى لا تكون غريبة في سياقها، نابية في تركيبها"[1]، ومنه فإنّ التعبير المجازي ينطوي على غايات بلاغية وأسلوبية، فالمراد إظهار الحالة التي سيؤول إليها مواليدهم، ثمّ عرض الأسس التي بني عليها الحكم، بناء على طول التجربة وبلوغ حدّ اليأس من الاستجابة لدعوته.

ونحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ ﴾[2]، فالمراد بالخمر: العنب؛ لأنّ الخمر لا يُعصر، وإنّما يُعصر العنب فيصير خمرا، وإنما ذكر الخمر لأن عصير العنب لا يستحيل خمرا دائما[3]، فتبيّن المقصود بدقة نتيجة أسلوب المجاز، زيادة على إرادة الاختصار في الكلام، والاقتصاد في الألفاظ لوضوح المعنى بدلالة الاقتضاء.

وفي علاقة المحلّيّة؛ وهي ذكر لفظ المحلّ وإرادة الحالّ فيه، مثل قوله تعالى: ﴿ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ﴾[4]، والمقصود بـ (ناديه) هم من في هذا المكان من عشيرة وأنصار[5]، فالمجاز مرسل أطلق فيه المحلّ وأريد الحالّ، وتتجلى اللمسة الأسلوبية في التعبير عن التحدّي إلى أبعد حدّ، بحيث يكون المتحدّى مدعوّا إلى الإتيان بناديه وما حوى، والتعبير ينمّ عن دلالة التحقير والاستصغار، وأنّ من يظنّ المتحدّى أنّهم أنصاره لا يعدون أن يكونوا ناديا للسمر.

---

[1] التصوير المجازي والكنائي، صلاح الدين محمد أحمد، ص16.

[2] يوسف،36.

[3] التشكيل البلاغي للصورة الفنيّة في القرآن الكريم، محمد محمود صالح قاسم، ص126.

[4] العلق،17.

[5] ينظر: الإحاطة في علوم البلاغة، ص141.

وبموجب علاقة الحلّيّة، يذكر الحالّ ويراد المحلّ، ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ** ﴾[1]، فالنّعيم لا يحلّ فيه الإنسان كونه معنى من المعاني، وإنّما يحلّ الإنسان في مكان وجود النّعيم، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **وإِنّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ** ﴾[2].

وفي علاقة الآلية، وهي ذكر اسم الآلة وإرادة الأثر الذي ينتج عنها، نحو قوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾[3]، فالمراد بكلمة (لسان): (اللّغة) التّي تنتج عن اللّسان، فذكر، تعالى، الآلة وأراد الأثر الذي ينتج عنها، ومثله قوله تعالى: ﴿ **وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ** ﴾[4]، أي ذكرا حسنا[5]، لأن اللسان آلة الذكر[6]، وذكر هنا تشريفا تشريفا له بسبب أنه يرتبط مباشرة بهذه المهمّة.

ومن علاقاته، أيضا، إطلاق الخاص وإرادة العامّ وعكسه: وهو من إطلاق كلمة ذات معنى عامّ يراد بها الخصوص، أو إطلاق خاص يراد به العموم: كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ**

---

[1] **الانفطار،13.**

[2] **الانفطار 14.**

[3] **إبراهيم ، 4.**

[4] **الشعراء،84.**

[5] **التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص299.**

[6] **ينظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة ، ص146.**

أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾[1]، وردت كلمة (أفّ)، وهي واحدة من العديد من الكلمات التي يكون فيها الإيذاء للوالدين، وخصّها القرآن بالذكر لأنها الأخفّ نطقا والأدنى إيذاء لهما، وكي يسدّ الطريق أمام الأبناء حتى لا يبدر منهم ما يسيء نحو الوالدين ممّا هو أشنع من قول (أفّ)، كالشتم والضرب.

وللنظر إلى صورة الحنان، أين تتشكّل مادّة الخيال مع سلسلة من الإشارات الكاشفة عن دلالتها، من مثل: (جناح الذل من الرحمة) (كما ربياني صغيرا)، والغاية دائما هي تحريك المشاعر الإنسانية، أو نقول: محاولة الاستماع إلى صوت مركز النفس البشرية الدفين، ومكاشفة الفطرة الإنسانية السليمة، من خلال التذكير بواجب ردّ الجميل والعمل بالقانون الإلهي القاضي: ﴿ **هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ** ﴾[2].

وأمّا الأثر البلاغي فهو التأكيد على الإحسان بالوالدين، واجتناب إذايتهما، ويعمل الأسلوب على تدريب المخاطبين على القياس الفكري للأمور[3]، فيعلموا أنّه إذا ورد النهي عن الأخفّ فإن النهي عن الأشدّ آكد.

إن خصوصية الكلمة في اللغة العربية ترشّحها لتحمل معناها الحقيقي السابق في الوضع الأصلي، فإذا رام المتكلّم تجاوز المعنى الظاهر القريب إلى معنى باطن بعيد؛ كان له أن يقلب وجهة الدلالة من دون أن يحصل تشويش في فهم المخاطب، وهي خصوصية

---

[1] **الإسراء ، 23.**

[2] **الرحمن ، 60.**

[3] **ينظر: البلاغة العربية، الميداني، ج2، ص278.**

نابعة من قدرة المخاطب على مسايرة المتكلّم في طريقة خطابه، ومتابعته في مراوغاته الكلامية، فالإنسان العربي جبل على التلاعب بوظائف الكلمات ليصل إلى المعاني التي تشرف عند المخاطب فيحصل منه التأثّر بمضمون الخطاب، كما تحصل لديه المتعة الفنّيّة التي تساعده على إعادة صياغة الخطاب مرارا.

3- المبحث الثالث: القلب الاستعاري

سنتطرق من خلاله إلى التوظيف الدلالي للمفردات الواردة في بعض التراكيب القرآنية، والتي نقلت دلالتها من المجال المجرّد إلى المجال المحسوس الذي كان أصلا لها وحقيقة، ولقد ركّزنا الاهتمام على الآليات التي يتمّ بوساطتها تركيب الكلام عن طريق استخدام الاستعارة كوسيلة لتلوين الخطاب، مع إبراز التجلّيات الجمالية من خلال الوقوف على الأسرار البلاغية والأسلوبية للقلب.

ففي قوله تعالى: ﴿ **وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا** ﴾[1]، قلبت دلالة (ربطنا) من معناها المحسوس إلى المعنى المجرّد، ويتوسع الانتقال ليشمل ما يحيط بحمولتها الدلالية حال كونها على الحقيقة وإسقاط هذه الدلالات على المعنى المقلوب إليه؛ فكلمة ربطنا المحسوسة تحمل معنى القوة في الفعل، إلى جانب معنى أحقّية الله، تعالى، وحده بالفضل، فلقد رسمت لنا العبارة صورة تعبّر عن دور المعيّة الإلهية، وأنّ من يتوكّل على الله فهو حسبه، وأنّ الله هو

[1] الكهف ، **14**.

صاحب الفضل في التثبيت على الحق، ليأتي بعد ذلك معنى القوّة في الثبات على الحق، والعزم على قول كلمة الحق والتوحيد من دون أن يخشى صاحبها في الله لومة لائم.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[1]، أين استعملت كلمة (ختم) على غير حقيقتها المحسوسة؛ فقد قلبت دلالتها في الآية إلى التعبير عن شدّة امتناع الحق من دخول قلوب المشركين[2]، ولأنّ التصوير في الاستعارة يؤدي إلى إنتاج معنى تخييلي "يوهم النفس ويريها ما لا ترى"[3]، فكأن مشهد الإعراض عن الحق من قبل المشركين يكون مدعوما بإحدى الحواس للزيادة في تأكيد وجوده وتحققه.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾[4]، فقد عوملت الأبصار، وهي من المجرّدات، معاملة المحسوسات من الأشياء التي يجوز عليها أن تسكر كما يسكر الإنسان جرّاء شرب الخمر، للدلالة على عدم وضوح الرؤية والتخبّط والتيه عن الطريق المستقيم.

---

[1] **الجاثية ، 22.**

[2] **ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج1، ص41، في حديثه عن (ختم) التي في سورة البقرة، وينظر: نفسه، ج29، ص1026.**

[3] **نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، تامر سلوم، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا، ط1، 1983، ص171.**

[4] **الحجر ، 14-15.**

كما نسجّل أن القرآن الكريم يستعمل ألفاظا تنبثق منها معاني القوّة لتحقّق الانفعال عند المخاطبين، كما هو الشأن في قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَن يَمۡشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ** ﴾[1]، يمكننا أن نسجّل قلبا في مواضع متعددة من الآية الكريمة:

- التعبير عن الحياة بالمشي.
- التعبير عن الكفر والضلال بالانكباب على الوجه.
- التعبير عن المؤمن بمن يمشي سويّا.
- التعبير عن الهدى بالصراط المستقيم.

أين تكاثفت هذه الاستعارات في بناء استعارة قويّة يتجلى فيها الفرق الكبير بين حال الكافر المخفق، وحال المؤمن السويّ[2]، من خلال بيان حجم الخسارة التي يتكبّدها المعرضون عن منهج الله، تعالى، وبالمقابل تظهر مزيّة الحرص على التشبّث بشرعه واتّباع منهجه وشريعته.

ومن شأن الاستعارة أن تسقط ذكر المشبه، وتدّعي له الاسم الموضوع للمشبه به، فإننا في هذه الحال نثبت المعنى للمستعار له أو ندّعيه، ففي قوله تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ** ﴾[3]، والبعثرة تحمل معاني التبديد والتفريق

---

[1] الملك ، 22.
[2] ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج19، ص1127.
[3] العاديات ، 9-10.

والتقليب، بينما يدلّ التحصيل على التفتيش والكشف[1]، فإنّ التحصيل هو إخراج اللّبّ من القشور، كإخراج الذهب من حجر المعدن، والبرّ من السنابل، فهو إظهار لما فيها كإظهار اللّبّ من القشر، أو كإظهار الحاصل من الحساب، بينما أريد به في الآية: كشف المكنون في الصدور، والتمييز بين خيره وشره[2]، فالصوت في صيغة الإرعاب، وفي سياق الوعيد، قد تلمس فيه نزع ما في القلوب من أسرار، واستخراج ما فيها من خفايا، تصاحبه الشدّة والحزم، ودون طواعية من أصحابها.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[3]، وحقيقة الفعل (تنفّس) هي : بدأ انتشاره، والجامع بينهما هو معنى الابتداء[4]، ولقد وقع القلب من خلال استعارة عملية التنفس للصبح الذي تنبعث منه خيالات شتى عن انبلاج الصباح، "وهي بعد جملة واحدة؛ بل لفظة واحدة تخلق هذا المثال النادر من الإشعاع، وتمدّ الخيال بذخيرة تنشط لها النفس الحية، وتستشعر التفتّح والاسترواح"[5]، وممّا زاد في نماء الصورة وتألّق المعنى أن مُزجت دلالة الصبح بأحد أهمّ روافد الحياة؛ وهو فعل التنفّس، وهو فعل من أفعال الإنسان والحيوان وكلّ ما هو كائن حيّ لا ينقطع، أين يتوقف استمرار الحياة عليه، من حيث هو إخراج للغاز الضّارّ من الجسم والذي يسبّب الضيق والاختناق، وإدخال للهواء المفيد الذي يحصل به الانتعاش والاسترواح واستئناف الحياة في كل مرّة.

---

[1] ينظر: التفسير البياني للقرآن، عائشة بنت الشاطئ، ج1، ص116.

[2] ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج30، ص1218.

[3] التكوير 18.

[4] ينظر: النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص90.

[5] -التصوير الفني في القرآن الكريم، جبير صالح حمادي، ص 51 نقلا من كلام سيد القطب.

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾[1]، لنلاحظ قوة العذاب المنزّل على هؤلاء القوم من خلال كلمة (وقع)، فيكون الأمر كأنّ له صوتا يبعث على الخوف والرهبة ساعة حدوثه، ويصوّر الوضع على أنّه صدام بين شيئين أحدهما علوي والآخر سفلي، تعمل المسافة بينهما على اشتداد قوّة الصدمة.

وتتميّز الاستعارة بالنشاط الأدبي، لما لها من آثار بلاغية وأسلوبية تجعل النص أكثر توهّجا وجاذبيّة ولذّة، ولعلّ سبب هذه الآثار يكمن في اختراق النظام اللغوي العادي، فالاستعارة تبنى على طريقة التعبير وتنظيم الكلمات اعتمادا على القلب في المواضع والأسانيد.

ومن خصائصها:

1-الإيجاز: إذ هو أهم مناقبها، لأنها تعطيك الكثير من المعاني بالقليل من الألفاظ، "حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر"[2].

---

[1] - **الأعراف ، 71.**

[2] **أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص41.**

2-الظهور والوضوح: يقول عبد القاهر الجرجاني: (إنك ترى بها المعاني الخفية بادية حلية)[1]، وهو نشاط جمالي يعطي الأشياء قيمة فنّيّة

3-الربط: و هو ملمح من ملامح الإبداعية، يتمثل في إيجاد روابط بين العناصر التي لا ترابط بينها في الأصل.

4-التأكيد: فالشيء المستعار يكون أكثر إثباتا من المستعار له، وإنما يميل المتكلّم إلى استعمال اللفظ المستعار من أجل أن يثبت ويدلّل، يقول ابن الزّملكاني:" اعلم أن الاستعارة فائدتها أن توجب حصول ما سيقت له إيجابا ذاتيّا يستحيل مع ما ذكرته أن يعرّى عنها"[2].

5-التشخيص: وهو نشاط كثيرا ما يلازم الاستعارة التي تقودك إلى أن "ترى منها الجماد حيّا ناطقا، والأعجم فصيحا والأجسام الخرس مبينة... وإن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقول كأنّها قد جسّمت حتى رأتها العيون"[3]، وهو ما حمل الأعرابي الذي سمع قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾[4]، أن يسجد ويقول: سجدت لفصاحته[5]، وكان موضع التأثير في هذه الجملة هو كلمة (فاصدع) في إبانتها عن الدعوة

---

[1] نفسه، الصفحة ذاتها.

[2] التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، ابن الزملكاني، ص42.

[3] نفسه، الصفحة ذاتها.

[4] الحجر ، 94.

[5] ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج1، ص107

والجهر بها والشجاعة فيها، والمعنى من أصل الصدع، وهو الفرق والفتح[1]، وكلمة (بما تؤمر) في إيجازها وجمعها[2]، ويكون اللجوء إلى ميدان المحسوسات لأنّ مادية الكلمة المستعارة تعمل في بناء التأثير[3]، والجامع بين المعنيين هو الإيصال، إلا أنّه يكون أبلغ في الصدع الذي يكون له تأثير كتأثير الصدع على الزجاجة[4]، أين تمّ الانتقال بالمخاطب من مجال فكري محض إلى مجال يدرك بالحواس.

وتتحقق بفضل الاستعارة أمور بلاغية جمّة؛ منها التخييل والتشبيه والإيجاز والتوسع، ومن خصائصها الأسلوبية حدوث الامتزاج بين اللفظ والمعنى إلى درجة الاتّحاد، كأنّما وضع ذلك اللفظ لذلك المعنى في الأصل، أين لا يظهر التنافر، ولا يتبيّن إعراض أحدهما عن الآخر.

ومن جمالية الاستعارة أنها تجمع بين النشاط العقلي في إقامة الروابط الذهنية بين المتشابهات البعيدة، والوجداني من خلال الانفعال العاطفي والأثر النفسي المترتّب عن ملامسة المشاعر، ليتمّ بعد ذلك صهر الناتج وصبّه في قالب متميّز[5]، "والحق أن فكرة التجسيم أو التصوير هامة في توضيح جماليات الاستعارة والشعر على الإجمال، وبخاصة إذا كانت دافعا إلى خلق حالة شعرية من ذلك التخيل أو التصوّر"[6]، كما أنّ التصوير يحتاج

---

[1] ينظر: تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة، ص240.

[2] التحرير والتنوير، ص107.

[3] ينظر: نظرية اللغة و الجمال في النقد العربي ، تامر سلوم ، ص303.

[4] ينظر: النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص87.

[5] فلسفة البلاغة بين التقنية والتطوّر، رجاء عيد، ص418.

[6] المرجع نفسه، ص 305.

إلى الدقة في استخدام الكلمات[1]، ففي قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾[2]: شبه، سبحانه، الشيب في البياض والإنارة بشواظ النار وانتشاره في الشعر وفشوّه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعالها، ثم أخرجه مخرج الاستعارة [3].

وفي قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾[4]شبه ، سبحانه، الصبر، الصبر، وهو شيء معنوي، بما يمكن أن يصبّ، نحو الماء وغيره، أين تمّ القلب من المعنى المجرّد إلى المحسوس، وحقيقة (أفرغ) هي: "افعل بنا صبرا، و(أفرغ) أبلغ منه؛ لأن في الإفراغ اتساعا مع بيان"[5]، ويتضمّن من الدلالات ما يعبّر به عن سعة الصبر الذي يحتاجون إليه، على سبيل الاستعارة، ويدلّ التنكير على إرادة عموم الصبر.

هذا، زيادة على الأثر الجميل الذي تثيره كلمة (أفرغ) في النفس، وما تحمله من دلالات الطمأنينة واللين والرفق المصاحبة لفعل الصبر المطلوب.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ

---

[1] التصوير المجازي والكنائي، صلاح الدين محمد أحمد، ص12.

[2] مريم ، 4.

[3] ينظر: روح المعاني ، الآلوسي ، ج16 ، ص60.

[4] الأعراف، 126.

[5] النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص90.

فَخُورٌ﴾[1]، أي أعطيناه ووهبناه من نعم كالصحة والأمن والمال، بحيث يكون اكتسابه لها كمثل من يتذوّقها في كل مرة فيجد لذّتها وحلاوتها فيتعلق قلبه بها.

ومن جانب آخر فإن كلمة (أذقنا) تعبّر عن قلّة النعيم في الدنيا وقصر زمانه إذا ما قورن بنعيم الآخرة، فليس التنعيم في الدنيا إلا إذاقة بالنسبة للآخرة، فقد سيقت هذه اللفظة على سبيل المجاز لتؤدّي هذه الأغراض وغيرها.

كما نلاحظ في الآية قلبا في الرتب في قوله تعالى: (**مِنَّا رَحْمَةً**)، يتمثل في تقديم الجار والمجرور، من أجل الحصر، فلا رازق ولا راحم إلا الله، وهي آية تعضد قوله تعالى: (**إلاّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا**)، حتى لا يُتوهّم أنّ هناك مُنعِما سوى الله، تعالى، إذ لا يزال معنى التوحيد سائرا مع آيات هذه السورة الكريمة.

ومن طرق أداء الاستعارة في التعبير:

1- ذكر لفظ المشبّه به، فتكون استعارة تصريحية[2]، ومثالها قوله تعالى: ﴿**كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ**﴾[3]، فقد استعيرت (الظلمات) للضلال، و(النور) للهدى والإيمان لعلاقة المشابهة.

---

[1] هود ، 9 ، 10.

[2] -ينظر: الإحاطة في علوم البلاغة، عبد اللطيف شريفي، وزبير دراقي، ص147.

[3] إبراهيم ، 1.

2- حذف المشبّه به أو المستعار منه، والتعبير عنه بشيء من لوازمه، فتكون مكنيّة، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ۝ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ** ﴾[1]، فلقد شبّه، سبحانه، الريح المرسلة على قوم عاد بالمرأة التي لا تلد، كونهما متشابهتان في خلوّهما من المنفعة التي ترجى من كليهما[2]، فذكر المشبّه (الريح العقيم) وحذف المشبه به (المرأة)، وبقي أحد لوازمه دالاّ عليه، وهو كلمة (عقيم)، ونلاحظ، في هذه الآية، اتحاد كلمة: (المرأة) وامتزاج معناها بمعنى كلمة: (الريح)، بوساطة عامل الاتحاد بينهما، وهو كلمة (عقيم)، لوجود صفة الشبه بين المرأة العقيم والريح التي لا تأتي بخير، ويكون معنى الإثبات هو أساس هذه الصياغة المجازية، وذلك من خلال تصوير الحالة في قالب يعكس التركيز على معلومية معناه لدى المخاطبين.

3- أمّا ما كان اللفظ المستعار فيها اسما مشتقا أو فعلا، أو حرفا، فالاستعارة تبعيّة، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ** ﴾[3]، فقد شبّه، تعالى، انتهاء الغضب عن موسى بالسكوت بجامع الهدوء في كليهما، ثم اشتقّ من (السكوت) الفعل (سكت)، "والمعنى: ولما طفئ غضبه"[4]، فقد عملت الاستعارة على تشخيص المجرّد من خلال إعطاء الغضب

---

[1] **الذاريات ، 41-42.**

[2] **ينظر: الإيضاح، القزويني، ص 303.**

[3] **الأعراف ، 154.**

[4] **الكشاف، الزمخشري، ج9، ص389.**

شخصية لها صفة الكلام والسكوت، والكلام مستنبط من معنى السكوت، فإنّه لازم لمعناه، فلا يكون سكوت إلا بانتفاء الكلام، ولا يكون الكلام إلا بانتفاء السكوت.

وقد يذكر في الاستعارة ملائم المشبّه به، فتكون مرشحة، كما في قوله، عزت كلماته: ﴿ **وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ** ﴾[1]، فيمكن للمتمعّن في الآية الكريمة أن يحصي عددا من الاستعارات، منها، استعارة التذوّق في اللباس، واستعارة اللباس في الجوع، واستعارة اللباس في الخوف، وهي استعارات متلائمة ومتناسقة، والشاهد فيها أن الله سبحانه أعقب ذكر المنّ والرغد من العيش بذكر ملائمه من الجوع والخوف، وهو ما جعلها استعارة مرشحة[2]، وحقيقتها: أجاعها الله وأخافها[3]، عملت الاستعارة على بيان دلالة الاستمرار في العذاب والتصاقه بمستحقيه، بعد أن منحه التعبير الشكل المحسوس المتمثّل في اللباس، قصد تقريب معناه وتثبيته في ذهن المتلقّي بما يجعله مشاهدا وملموسا، بدليل ملامسة اللباس للجلد.

وقد أدّت الاستعارة في قوله تعالى: ﴿ **يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ** ﴾[4]، إلى

---

[1] النحل، 112.

[2] ينظر: الطراز، العلوي، ج1، ص 211.

[3] ينظر: النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص90.

[4] الأعراف ، 26.

قلب دلالة اللباس، في (وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ)، من المعنى المحسوس، الذي هو الكسوة، إلى المعنى المجرّد الدالّ على المخالطة والملابسة[1]، بدليل أن التقوى ليست لباسا على الحقيقة.

وأما الأثر الأسلوبي المنبثق من هذه الاستعارة؛ فهو فيما تحدثه من أثر نفسي لدى المتلقي عندما يدرك علاقة اللباس بالتقوى، ويحظى بالتوفيق إلى فهم دور التقوى في حصول الزينة وبلوغ الحسن انطلاقا من الباطن، وأن العلاقة تنبثق من الشبه بينها وبين الغاية من اللباس الحقيقي في إرادة التجمّل من خلال الظاهر.

وإذا ما ذكر مع الاستعارة ملائم المشبه، فهي استعارة مجرّدة، ومثالها قوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾[2]، فقد شبّهت عملية انقضاء وقت النهار ودخول وقت الليل بالانسلاخ[3]، فذكر المشبه (الليل والنهار) وأعقبه بما يلائمه وهو (فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ)، والرابط بين المعنيين أن تعاقب الليل والنهار يتمّ "بحركة خافتة حثيثة لا مفاجئة، وذلك شأن نزع جلد الحيوان"[4]، إذ حصل، بفضل الأسلوب الاستعاري، الجمع بين الظاهرة الكونية، المتمثلة في تعاقب الليل والنهار، والظاهرة الحيوانية المتضمّنة لحقيقة السلخ[5]، وهما ظاهرتان متباعدتان، إلاّ أنّ الاستعارة تمكّنت من توحيدهما وتآلفهما حتى

---

[1] ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص37.

[2] يس،37.

[3] ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل السامرائي، ص8.

[4] التصوير المجازي والكنائي، صلاح الدين محمد أحمد، ص76.

[5] ينظر: المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

ظهرتا كأنّهما تنتميان إلى دائرة دلالية واحدة، وهو مكمن الإعجاب وداعي الانبهار، والسبب في ميل النفس إليه.

وفي موضع آخر، قال تعالى: ﴿ **وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ** ﴾[1]، فقد شبّه، تعالى، المرتدّ عن دينه بالحيّة تخرج من القشر[2]، أين تمّ القلب من الدلالة المجرّدة التي تعبّر عن الارتداد عن الدين، إلى الدلالة المحسوسة للسلخ، وإرداف التشبيه بما يلائمه من إتباع الشيطان له وصيرورته إلى الغاوين، والرابط بين المعنيين هو القوّة في النزع، لأنّ المرتدّ عن الحق يكون أشبه بمن يحاول أن يتعرّى من جلده، ويتخلّص من فطرته التي هي الأصل، فانهالت الآية على صاحب الموقف بالإنكار والتوبيخ والوعيد والسخرية.

وإذا ما ذكر فيها ما يلائم المشبه به والمشبه معا، أو ما خلت من ملاءمتهما معا، فهي الاستعارة المطلقة، كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِى ٱلۡجَارِيَةِ** ﴾[3]، فقد شبه، تعالى، فيضان الماء بالطغيان، كما نلاحظ أن هذه الاستعارة قد خلت من ملائمات المشبه به والمشبه معا، ولقد وظّفت كلمة (طغى) بما تحمله من معاني القهر والإهلاك، كما أن استعمالها في هذا الموضع حقيقي؛ لأن الطغيان في أصله هو الزيادة عن الحدّ، إلا أنّها

---

[1] **الأعراف ، 175.**

[2] **ينظر: معترك الأقران، السيوطي، ج3، ص34.**

[3] **الحاقة،11.**

خصّصت في الاستعمال بالظلم الذي يقع من الإنسان على غيره، فلمّا أعيد المعنى الأصلي إلى لفظه كانت العملية كمن يستعير معنى هو ليس له في الأصل.

والإتيان بالفعل (طغى) هنا يخدم المعنى الذي أريد من وراء ذلك؛ وهو إظهار الموقف العصيب الذي أحاط بالبشر، والذي خلّفه الطوفان العارم في عهد سيدنا نوح، عليه السلام، قال تعالى: ﴿ ۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢ ﴾[1].

ومثاله قوله، تعالى: ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[2]، أين شبه، تعالى، حال العبد المنقاد لهواه، المطيع له في كل أوامره بحال من له إله يعبده ويطيعه[3]، إذ لا يخفى الحسن في ضرب هذا المثل من الله، عزّ وجلّ، ويعود السبب في ذلك إلى أن النفس تأنس بالموقف الكلامي الذي يخرجها من خفيّ إلى جليّ، ويأتيها بالصريح بعد المكنيّ[4]، بالإضافة إلى الأثر الذي يحدثه في قلب السامع الذي يتجسّد له المعنى بجملته، وتتشكّل الصورة، إثر ذلك، في ذهنه في أسلوب خال من الإسهاب، يمزج بين

---

[1] القمر، 9–12.

[2] الجاثية ، 23 .

[3] الطراز، ج2، ص5.

[4] ينظر: دلائل الإعجاز ،عبد القاهر الجرجاني، ص 54.

الأغراض البلاغية في بلوغ المعاني، وجزالة الأسلوب، من خلال تعانق أجزاء التركيب وسهولة كلماته وانسيابها في إيقاع جميل.

جمالية التخييل

التخييل هو "اللفظ الدال بظاهره على معنى والمراد غيره على جهة التصوير"[1]، واستنادا إلى هذا التعريف فإنه قد ورد في القرآن الكريم ورودا كثيرا، ومن الأمثلة والشواهد الدالة على وقوعه، قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ** ﴾[2]، إذ يعلّق على هذه الآية ابن قتيبة بقوله: "لم يقل الله، ولم يقولا، وكيف يخاطب معدوما، وإنما هو عبارة لكوّنهما فكانتا"[3]، وهو ما يدلّ على أن هذا النوع من المجاز قد تنبّه له العلماء منذ القديم، إلا أنّ مصطلح التخييل لم يكن متداولا عند بعضهم، كما نجد ذلك عند ابن قتيبة الذي أسهب في الحديث عنه دون تسميته، إذ يقول: "وذهب قوم في قول الله وكلامه إلى أنه ليس قولا ولا كلاما على الحقيقة، وإنما هو إيجاد للمعاني، وصرفوه في كثير من القرآن إلى المجاز، كقول القائل: قال الحائط فمال، وقل برأسك إليّ، يريد بذلك الميل خاصة..."[4].

---

[1] **الطراز ، ج3، ص 05.**

[2] **فصلت،11.**

[3] **تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة، ص 106– 108.**

[4] **المصدر نفسه، ص 108.**

و يشير الزّمخشري إلى خطورة هذا النوع من المجاز في علم البيان ويعطيه مكانته الخطيرة في التأويل بقوله: "ليس ثمة باب أدق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب، ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات في كلام الله تعالى في القرآن وسائر الكتب السماوية، وكلام الأنبياء، فإن أكثره تخييلات، قد زلّت فيها الأقدام قديما، وما أتى الزالّون إلاّ من قلّة عنايتهم بالبحث والتنقير، حتى يعلموا أن في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدّروه حقّ قدره لما خفي عليهم أنّ العلوم كلّها مفتقرة إليه وعيال عليه..."[1]، وما هذا الاهتمام الكبير من العلماء قديما بهذا النوع من المجاز إلا محاولة للانتصار للعقل، والتأكيد على مبدأ تنزيه الذات الإلهية عن التشبّه بالمخلوقات.

ومن شواهد التخييل التي تعرّض لها علماء البيان قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ** ﴾[2]، إذ أن المراد هو التعبير عن سعة جهنم عن طريق تصوير مشهد الحوار، ونسبة الكلام إلى جهنّم يزيدها مهابة وإخافة للسامعين، ويعمل على تشكيل صورة خيالية في ذهن المتلقّي عن تلك النار التي تُسأل وتُجيب، والصورة على هذا التخييل تقطع طريق النجاة والرحمة أمام العصاة الذين يكون مصيرهم جهنّم.

ويعود الأثر الأسلوبي في الاستعارة عموما إلى تجسيم الأفكار والمشاعر الوجدانية حتى تكاد يمكن رؤيتها، "وتفعل فعلا شبيها بما يقع في نفس الناظر إلى التصاوير التي

---

[1] **الكشاف، الزمخشري، ج3، ص 409.**

[2] **ق ، 30.**

يشكّلها الحذّاق بالتخطيط والنقش، وبالنحت والنقر"[1]، وعن طريق التصوير يترسخ المعنى في ذهن المتلقّي، ويتذوّق براعة الانتقال من المجرّد إلى ما يمكن معاينته وتلمّسه.

وفي قوله تعالى: ﴿ **فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ** ﴾[2]، يحمل التعبير المخاطب على أن يشكّل في ذهنه صورة تخييلية للسماء وهي تبكي، وهي غاية الاستعارة هنا، أين يكون المشهد مستحيلا في الحقيقة، أو ليس بإمكان العقل البشري أن يستسيغه، وإن المتلقّي ليقابل مثل هذا الخطاب باستشراف وتذوّق، لما فيه من القوّة والخروج عن قوانين المنطق المشاهدة، فالأمر يستلزم نشاطا فكريا من أجل تشكيل صورة المشهد المعبّر عنه في الآية الكريمة، وقيل أن "العرب إذا أرادت تعظيم ملك عظيم العطية تقول: كسف القمر لفقده، وبكت الريح والسماء والأرض"[3]، .

الاستعارة التهكّمية

وهي استعمال الألفاظ الدالة على المدح في نقائضها من الذمّ والإهانة، أو هي استعارة أحد الضدّين أو النقيضين للآخر بواسطة انتزاع شبه التضاد وإلحاقه بشبه التناسب بطريق التهكم أو التلميح، ثم ادعاء أحدهما من جنس الآخر، والإفراد بالذكر ونصب القرينة[4].

---

[1] **أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص317.**

[2] **الدخان ، 29.**

[3] **تفسير السمرقندي، (بحر العلوم)، أبو الليث نصر بن محمد أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تح: علي محمد معوّض، وعادل أحمد عبد الموجود، وزكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ص57.**

[4] **مفتاح العلوم، ص 177.**

ففي قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1]، فإنّ كلمة (بشّرهم) من البشارة، وهي تستعمل في الإخبار عما يستقبل من الخير والنعم، وقد استعملت هنا للعذاب الأليم على سبيل التهكّم والسخرية من المستحقين له[2]، "فاستعيرت البشارة، التي هي الخبر السارّ، للإنذار الذي هو ضدّه"[3].

ومن جماليات الاستعارة، في هذا الموضع، أنها أدخلت الإنذار في جنس البشارة؛ فعبّر عن الإخبار بالهلاك بلفظ الإخبار عن النجاة، وهما ضدّان لا يجتمعان، ولقد عومل الكافر معاملة هي من جنس عمله في الدنيا، إذ جمع بين المعصية والأمل في النجاة التي هي ضدّها، في الوقت الذي لا يمكن الجمع بينهما.

ومن جانب آخر تصوّر لنا الاستعارة حجم الصدمة التي يتلقاها العصاة حينما يعاينون اليوم الموعود، ويأتيهم العذاب من حيث لم يحتسبوا، فإنّ الموقف بدا على عكس ما توقّعوا في الدنيا من أنّهم لن يبعثوا، أو أنّهم لن يحاسبوا على معاصيهم.

ومن أمثلتها كذلك: قوله تعالى: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4]، والقلب حاصل في استخدام كلمة (مهاد) للتعبير عن مكان العذاب بغية التهكم لحصول زيادة الألم والحسرة، ويتألق الأسلوب الاستعاري كلّما كان

---

[1] الانشقاق ، 24.

[2] ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص 296.

[3] الإحاطة في علوم البلاغة، د عبداللطيف شريفي، ود زبير دراقي، ص155.

[4] الأعراف، 41.

الاسم المستعار أثبت في مكانه وكان موضعه في الكلام أضنّ به وأشد محاماة عليه وأمنع لك من أن تتركه وترجع إلى الظاهر وتصرّح بالتشبيه؛ فأمر التخييل فيه أقوى، ودعوى المتكلّم له أظهر وأتمّ"[1]، ولقد ورد في تفسير كلمة (المهاد) بالفراش[2]؛ لأن من خصائص المهد الليونة، والدفء، والخدمة، والأمان، واللهو، والإحاطة بالحب والحنان، لتنقلب كلّ هذه النّعم إلى أضدادها، فيجد الكافر نفسه في مكان أُعِدّت له فيها من صنوف العذاب، وهو لا يستطيع الفرار منه ولا الفكاك، مغلوب على أمره ليس بيده حيلة للخروج منه.

وكما في قوله تعالى: ﴿ **بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ** ﴾[3]، والرفد: الموهوب المعان، فكأنه جعل اللعنة عطاء وإعانة لهم.[4]

كما تكون الاستعارة التهكّمية عن طريق الاستفهام التهكّمي، وذلك بإطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم، لأنّ الاستفهام عن الشيء يستلزم الجهل به وبفائدته، والجهل به يستلزم التهكم به[5].

---

[1] **أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص295.**

[2] **مجاز القرآن ، أبو عبيدة، ج1، ص71.**

[3] **هود ، 99.**

[4] **معارج الصعود إلى تفسير سورة هود، محمد الأمين الشنقيطي، دار المجتمع، جدّة، السعودية،ط1، 1988، ص239.**

[5] **بغية الإيضاح، عبد المتعالي الصعيدي، مكتبة الآداب، دار الفكر العربي، القاهرة، 1977، ج2، ص43.**

4- المبحث الرابع: القلب عن طريق تأكيد المدح بما يشبه الذّمّ وعكسه:

يولّد الترابط في الكلمات ترابطا في المعنى، وفي أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذّمّ، يحدث القلب في المعنى على عكس ما توحي به أجزاء الكلام، فيؤتى من الكلام ما يوحي بالمدح بغية التعبير عن معنى الذّمّ، وهي خاصية لغوية تعتمد على البراعة في إخراج الكلام على غير ظاهره، ففي قوله تعالى: ﴿ **وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ** ﴾[1]، فإنّ المراد من (وما نقموا) هو: (وما عابوا)[2]، أو (وما أنكروا وكرهوا)[3].

ففي هذه الآية المباركة، وبتضمّنها أسلوب تأكيد الذّمّ بما يشبه المدح، نلمس جانباً جوهرياً في الحياة البشرية؛ يتمثّل في ضيق الملوك الكافرين المتجبرين بالحق وأهله، ويصوّر هذا الأسلوب وسياقه عمق الكراهية والغيظ الذين ملكا هذا الملك وأعوانه حتى ارتكبوا جريمة تاريخية مروّعة من أجل ردّ المؤمنين عن اتّباع الحق ونصرته، لا لذنب ارتكبوه، أو لجريمة اقترفوها إلا إيمانهم بالله العزيز الحميد مَلِكِ السموات والأرض الشهيد على كل شيء، فهم لم ينقموا أن ينكروا إنكار المعاقب إلا أصل المناقب كلها وهو الإيمان بالله، عزّ وجلّ، فكأن الإيمان بالله تعالى— وهو أعظم الأعمال صفة ينقمها الكفار على المؤمنين،

---

[1] **البروج ، 1–8.**

[2] **ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج30، ص1192.**

[3] **تفسير البقاعي، ج21، ص357.**

وما هذه النقمة إلا رذيلة زادت في ذمّ الكافرين المنكرين لله ذمًّا آخر بإنكارهم إيمانهم بربّهم.

وقد صوّرهم الأسلوب القرآني في لوحة معبّرة "ملأت القلب بالروعة، روعة الإيمان المستعلي على الفتنة، والعقيدة المنتصرة على الحياة، والانطلاق المتجرّد من أوهاق الجسم وجاذبيّة الأرض"[1]، ففي هذا الجوّ المشحون بالغضب، والانتقام جاء هذا الأسلوب المتميّز بإيحائه النفسي وبنيته وسياقه ولغته، ليعبّر عن انتصار الحق البريء على الجريمة المنغمسة بالسفالة، إذ إن في نفي النقمة إيماءً إلى المتلقي بأن ما بعد (إلا) سيكون أمرا مستنكراً ممجوجاً، ولكنه جاء على عكس ذلك؛ أمرا يستحقون عليه جزيل الشكر، وعظيم التنويه، فضلاً عن أن هذا الأسلوب يؤكّد قوّة الإيمان وعظمته حتى ضحّى أهله بأنفسهم في سبيله.

[1] **في ظلال القرآن ، سيد قطب، دار الشروق، المجلد الأول، ط17، سنة 1990، ج8، ص 113.**

5-المبحث الخامس: القلب عن طريق التغاير

وهو قلب الحقائق، فتجد المتكلّم يحسّن ما هو سيئ أصلا وعرفا، أو ما شاع في الأذهان أنّه سيّئ، يقابله تقبيح الحسن، فالعلّة إمّا أن تكون عند المخاطب، بحيث أنّ فهمه يكون فيه سقم ونقص، كما قال الشاعر:

وَكَم مِّنْ عَائِبٍ قَوْلًا سَلِيمًا وَآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ

وإمّا أن يكون العيب عند المتكلّم الذي يكون قد خالطت ذهنه ملوّثات فكرية، تعيقه على حسن تقدير الأمور التي هي في طبيعتها وأصلها على عكس ما يعتقده، فيقلب الحسن إلى السيء والسيء إلى الحسن.

ومثال النوع الذي علّته فهم المتكلّم ما ورد في قوله، تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ** ﴾[1]، فإنّ المتكلّمين، وهم قوم سيدنا لوط، عليه السلام، قلبوا الحكم على معنى الطهارة ممّا يستحسن إلى ما يستقبح، ويبدو ذلك عندما ربطوا الأمر بإخراج قوم سيدنا لوط، عليه السلام، من القرية بعلّة أنهم قوم يتطهّرون، إيذانا منهم بأنّ الطهارة، ويريدون بها عدم الوقوع في المعاصي، هي ممّا يجلب السخرية والاستهزاء على أهلها[2]، وفي المقابل فإن قولهم هذا ينمّ عن افتخارهم بما هم عليه من القذارة والإسراف في الإتيان بالفواحش والمعاصي.

---

[1] **الأعراف ، 82.**

[2] **ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج8، ص372.**

ومن نتائج هذه العبارة أنها رفعت الحجاب عن جوانب مهمّة من جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والروحية التي ميّزت قوم سيدنا لوط، عليه السلام، وعمل القلب في الحقائق على الكشف عن طبيعة النفوس التي تشبّع أصحابها بالرذائل وأفرطوا في المعاصي، فكان من أهمّ البواعث الأسلوبية له هو الإفصاح عن المرحلة الأخيرة التي يبلغها المصرّ على المعاصي والمداوم عليها، بحيث تصير المعصية أمرا مستساغا في النفس لا تنكره الضمائر ولا يلام عليه صاحبه، بل أشدّ من ذلك؛ وهو أن يصير الذنب مستحسنا، وينقلب التنجّس إلى التطهّر.

ومثال التغاير الذي سببه علّة الفهم عند المخاطبين قوله تعالى: ﴿ **وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾[1]، فالقصد من وراء الخير أو الشرّ هو الابتلاء، والعباد معرّضون للفتنة بالنّعم، كما أنّهم معرّضون للفتنة بالنّقم، وقد تكون مسألة الشرّ أقرب في فهم فتنتها وأثرها على العباد من الخير الذي قد لا يُعتقد من حصوله إلا صلاح صاحبه أو أنه يستحقه، وهو الفهم الذي قاد قارون إلى الهلاك عندما قال: ﴿ **قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ** ﴾[2]، والصحيح ما ورد في قوله تعالى:﴿ **ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا** ﴾[3]، فإنّ فيه بيانا لشأن ما كان العباد

[1] **الأنبياء ، 35.**

[2] **القصص ، 78.**

[3] **الكهف ، 46.**

يفتخرون به من متع الحياة الدنيا[1]، والتي أساسها المال والبنون، ثمّ تصرف الأنظار نحو المتاع الحقيقي والذي يبقى مدّخرا لصاحبه رغم زوال الدنيا وانقضاء الآجال؛ وهو الأعمال الصالحات.

أما في قوله تعالى: ﴿ **وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ** ﴾[2]، فإنّ فيها بيانا وردّا إلى الحقيقة؛ لأن قضية العلم هي من الحقائق التي وقع فيها القلب عند أكثر الناس، فيحصل سوء تقدير الأمور لديهم، ويقودهم إلى ارتكاب السيئات وهم يظنّون أنّهم على حقّ، كما في قوله تعالى: ﴿ **قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا** ﴾[3]، وهم كلّ "من أتعب نفسه فأدّى تعبه به إلى النار"[4]، والعلّة في ذلك هي أن تُجعل معرفة الظاهر معيارا في الاتصاف بالعلم، ولقد ورد الحكم في الآية السادسة من سورة الروم بنفي العلم عن أكثر الناس، ثمّ في الآية بعدها استُدرك السبب في هذا الحكم؛ وهو الجهل بالآخرة والغفلة عنها، ولكن بإثبات الفعل الذي تمّ نفيه في الأولى: (لا يعلمون، يعلمون)، ويمكن القول أنه تمّ نفي العلم مطلقا عمّن ليس لديه علم مخصوص، وهو العلم بالآخرة.

---

[1] ينظر: روح المعاني، الآلوسي، ج15، ص286.

[2] الروم ، 6-7.

[3] الكهف ، 103-104.

[4] البحر المحيط، أبو عبد الله الأندلسي، ج6، ص158.

والوصل بين الآيتين يجعل المخاطب في ذهاب وإياب بين دلالتي العبارتين: (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا)، سببه التعاكس الحاصل بين النفي والإثبات الواقعين على فعل العلم في جملتين متتابعتين تركيبيا متعاكستين دلاليا، نلمس منه إرادة الذّمّ لمن كانوا عقلاء في أمور الدنيا بله في أمر الدين[1]، وإثارة المتلقي ودفعه إلى أن يعيد بناء أفكاره ومحدّدات العلم لديه، في أسلوب بديع اعتمد التقليب الدلالي من خلال عرض المفهوم وعكسه.

6-المبحث السادس: قلب الضمائر

يستعمل الضمير ليقوم مقام الاسم، والغرض من هذا الإبدال هو الإيجاز وعدم التكرار الذي يذهب بجمال اللغة، والأصل في الاسم أن يكون مذكّرا، والتأنيث فرع عن التذكير، وهو ثان له[2]، "ولكون التذكير هو الأصل استغنى المذكر عن علامة تدلّ على التذكير، ولكون التأنيث فرعا عن التذكير افتقر إلى علامة تدل عليه، وهيي التاء والألف المقصورة أو الممدودة، والتاء أكثر في الاستعمال من الألف"[3]، ويقول سيبويه: "واعلم أن المذكّر أخفّ عليهم من المؤنث لأنّ المذكّر أوّل وهو أشدّ تمكّنا، وإنّما يخرج التأنيث من التذكير"[4]، إلا أنّنا كثيرا ما نصادف، في القرآن الكريم، مواضع يتمّ فيها التعبير بالمؤنّث عن

---

[1] ينظر: الكشاف ، الزمخشري، ج21، ص825.

[2] المخصص، ابن سيده، ج16 ، ص79.

[3] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد، دار الطلائع، ط سنة: 2004، ج4، ص74.

[4] الكتاب، سيبويه، ج1 ، ص22.

المذكّر ، وبالمذكّر بدل المؤنّث، وفي مواضع أخرى بالجمع مكان الإفراد، وبالواحد بدل الجمع والتثنية، ومن شواهده نذكر:

قلب المؤنّث إلى المذكّر

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ** ﴾[1]، ذكر (قريب) بدل (قريبة)، والأصل في الرحمة التأنيث، بدليل قوله تعالى: ﴿ **وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ** ﴾[2]، إلا أنّ التأنيث هنا غير حقيقي، ولهذا قيل: لأنّ ما لا يكون تأنيثه حقيقيا جاز تذكيره، ولو كان دالاّ على النسب لم يجز، هذا بالإضافة إلى أن الرحمة ههنا ربما أريد بها المطر، لقوله تعالى بعدها: ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[3]، وقد تكون ذُكّرت على أساس الفضل بين المذكّر والمؤنّث، ولا شكّ أنّ التعبير بالمذكّر في الموضع الذي يوجب التأنيث يعطي الجملة نكهة فنّية خاصة، من خلال وجود ما يقلق ذهن المتلقّي حينما يحاول الربط بين عناصرها المتنافرة، أين نجد اسم (إنّ) مؤنّثا (رحمة)، وخبرها المفرد مذكّرا (قريب)، وهي صفة من صفات الرحمة، تفرض القاعدة النحوية أن يتتابعا تذكيرا وتأنيثا.

---

[1] الأعراف ، 56.

[2] الأعراف ، 156.

[3] الأعراف ، 57.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ﴾[1]، ذهب عدد من النحويّين والمفسّرين إلى أقوال أخر في النص القرآني، منها[2]:

أن يكون معنى قوله: (هذا ربّي): هذا الشيء الطالع ربّي، وإنما لم يؤنّث لما أن المشار إليه والمحكوم عليه بالربوبية هو الجرم المشاهد من حيث هو لا من حيث هو مسمّى من الأسامي[3].

ومهما يكن فإنّ التعبير بالمذكّر (هذا) قد أضفى على المعنى تفخيما يليق بذكر الرّبّ مع التذكير، في حين لم يكن يتوصل إلى هذه الدلالة مع اسم الإشارة المؤنّث (هذه).

وفي قوله تعالى: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾[4]، والقلب وقع في خبر (ظلّت) فقد قيل: (فظلت أعناقهم خاضعين)، والأصل ان يقال: (فظلّت أعناقهم خاضعة)، ويدل الفعل الماضي (ظلّت) على المستقبل لأنه معطوف على المضارع (ننزّل)[5]، ثمّ إنّ الآية الكريمة لها أصلان في تعبير كهذا[6]:

---

[1] **الأنعام ، 78.**

[2] **ينظر: إعراب القرآن، النحاس : ج1، ص559، والجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج7، ص27-28 ، وفتح القدير: ج2، ص134، ومعاني القرآن، الفراء، ج2، ص280.**

[3] **ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو سعود، ج3، ص154.**

[4] **الشعراء ، 4.**

[5] **ينظر: البحر المحيط، أبو عبد الله الأندلسي، ج7، ص6.**

[6] **ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج3، ص299.**

-أوّلهما أن يقال: (فظلّت أعناقهم لها خاضعة)، ولقد وردت (خاضعين) خبرا عن الأعناق، وهو قلب في الضمائر من المؤنث المفرد الذي يلائم جمع التكسير (أعناق) والتعبير عنه بضمير جمع الغائبين (هم).

-وثانيهما أن يقال: (فظلّوا لها خاضعين)، وأقحمت الأعناق لبيان موضع الخشوع والإذلال، وترك الكلام على أصله، كقولهم: ذهبت اليمامة.

قلب المؤنّث إلى المذكّر:

كما في قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴾[1]، فالهاء في الآية الكريمة تعود على القرآن[2]، ولهذا ذكّرت، بدليل قوله تعالى بعدها: ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾[3]، فالتذكرة على وزن (تفعلة)، وقد صيغت من أجل المبالغة في التذكير، والمبتدأ (ضمير الغائب) يعود على ما أصله أنه مذكّر، وإنه لماّ قال سبحانه: ﴿ بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ﴾[4]، فقد عنى بذلك أن المشركين، ومن أجل إخفاء عنادهم وإعراضهم عن سماع القرآن، طلبوا أن ينزّل عليهم مثله كما أنزل على الرسول، صلى الله عليه وسلّم، إيذانا بكفرهم بالقرآن.

---

[1] المدّثّر ، 54.

[2] ينظر: تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1978، ج29،ص498.

[3] المدّثّر، 55.

[4] المدّثّر ، 52.

وأماّ في قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴾[1]، فإن الهاء تعود إلى ما باشره النبي، صلى الله عليه وسلم، من التصدي للمشركين[2]، أو إلى الوصية التي أوصى الله، تعالى، بها نبيّه، صلى الله عليه وسلّم، وهي عدم الإعراض عن المؤمنين الذين يأتونه يسألون عن أمور دينهم مهما كانت درجاتهم الاجتماعية، وأن لا ينشغل بكبار القوم عن ضعفائهم، ولقد تناول مطلع سورة (عبس) تنبيه النّبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، على ما بدر منه من اهتمامه بمجموعة من المشركين وإرجائه الحديث مع الأعمى، فكانت تلك الموعظة هي التذكرة الواردة في قوله تعالى: ﴿ كَلا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾، لذلك جاءت مؤنّثة تبعا لدلالتها على ما كان مؤنّثا.

وفي قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴾[3]، أين وقعت (بصيرة) خبرا عن الإنسان، يعبّر عن وصف يتّصف به يوم القيامة، يقوده إلى الإقرار بأعماله، والمعنى: "أنه ينبّأ بأعماله وإن لم ينبّأ ففيه ما يجزئ عن الإنباء؛ لأنه شاهد عليها بما عملت لأن جوارحه تنطق بذلك"[4]، وقيل أن المعنى: "بل الإنسان على نفسه من نفسه بصيرة، جوارحه شاهدة عليه يوم القيامة"[5]، ويتمثّل الغرض الأسلوبي في تصوير مشهد من مشاهد يوم القيامة، أين يدعى الإنسان للشهادة على نفسه، فتنطق جوارحه بما عملت في الدنيا، فيكون الإنسان

---

[1] عبس ، 11.

[2] ينظر: التحرير والتنوير، ج30، ص115.

[3] القيامة ، 14.

[4] الكشاف، الزمخشري، ج29، ص1161.

[5] أحكام القرآن، الجصاص، (أبو بكر أحمد بن علي الرازي)، ج5، ص370.

أبصر بنفسه من غيره، وكأنّه كلّه عين على نفسه يراقبها ويحاسبها، وهو ما أسهم في تنامي الصورة.

قلب الجمع إلى المفرد:

كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]، ومع أنّ كلمة (عدوّ) ممّا يصلح للجمع كما للمفرد، فإنّ استعمالها بدل (أعداء) للتعبير عن الآلهة المتعدّدة التي كان يتّخذها قوم سيدنا إبراهيم، عليه السلام، ويعبدونها من دون الله، فيه بيان لوحدة الملل الكافرة، يقصد من وراء ذلك إلى الدفع بالأنبياء وأتباعهم إلى الاستعداد لمواجهة الكافرين دون تمييز بينهم؛ لأن كفرهم يدعوهم جميعا إلى محاربة الحق، ومن ثمّ كان حالهم إزاء الأنبياء ميزته العداوة والمواجهة.

ومن جانب ثان، فإن قول إبراهيم، عليه السلام: (**فإنّهم عدوّ لي**) يتضمّن التعريض، وذلك عندما أراد أن يبيّن لقومه حرصه على نجاتهم، فتحمّل العداوة بنفسه حتى يكون موثوقا بكلامه ونصحه، فيقولوا: (ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه، وما أراد لنا إلا ما أراد لروحه)[2]، فتكون النصيحة أدعى للقبول، ثمّ إنّ عداوة الأصنام وما تشتمل عليه من خطر فهو موجّه، في حقيقة الأمر، إلى قومه الذين هم في عرضة لانتقام الله وعذابه بسبب عبادتهم لها.

---

[1] الشعراء ، **75-77**.

[2] الكشاف، الزمخشري، ج**19**، ص**762**.

وفي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ ﴾[1]، فإن التعبير جاء من باب ما جاء لفظه لفظ الواحد الذي له جماع منه ووقع معنى الواحد على الجميع"[2]، فقد عبّر، تعالى، عن الجمع بصيغة المفرد، فجاءت (طفلا) بدل (أطفالا)، للدلالة على أنّ العملية يسيرة على الله، وأنّ إخراج الناس من بطون أمّهاتهم لا يعدو أن يكون كإخراج طفل واحد، وفي هذا المعنى يقول تعالى: ﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾[3]، فإنّ خلق الناس وبعثهم أمر يسير أمام قدرة الله، ولا يتجاوز أن يكون كخلق نفس واحدة وبعثها يوم القيامة.

ومنه ما جاء على لسان سيدنا نوح عليه السلام، في سياق دعائه على قومه بالهلاك، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ﴾[4]، ويتجلى الغرض البلاغي في أن سيدنا نوح، عليه السلام، عبّر عن الجمع بصيغة المفرد، من أجل أن يؤكّد على صفة الكفر والفجور التي يتصف بها قومه جميعا وحتى الذين سيولدون في المستقبل، فالصفتان: (فاجرا كفّارا) أصلها (فُجّارا كُفَّارا)، والصورة المتشكّلة عن هذا التعبير المقلوب هي أن قوم سيدنا نوح كأنهم سيلدون مولودا واحدا، والقلب من الجمع إلى المفرد أعطى انطباعا عن قوم سيدنا نوح، مفاده بأن لا اهتداء يرجى منهم، وأنّ

---

[1] الحج ، **5** .

[2] **مجاز القرآن، أبو عبيدة، ج1، ص10**

[3] **لقمان ، 27.**

[4] **نوح ، 27**

ذرّيّتهم قد طبعت على الكفر كحال مولود واحد، وما أقدم سيدنا نوح، عليه السلام، على هذا الاستنتاج إلى لطول تجربته فيهم، واستنفاذه لجميع أشكال الدعوة وسبل الإصلاح.

قلب المفرد إلى الجمع:

وقد يعدل إلى ضمير الجمع بدل ضمير الواحد للتفخيم، كما في قوله تعالى، على لسان سيدنا سليمان، عليه السلام: ﴿ **وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍ** ﴾[1]، وهذا عملا بعادة الملوك في إظهار الأبّهة ، إلا أن القلب في الضمير إلى الجمع هنا غرضه تفخيم ما أولي به سيدنا سليمان، عليه السلام، من النعم[2]، وإظهارها ونسبتها إلى المنعم، عز وجلّ، وهو ملمح من ملامح الشكر والعرفان.

وتتماشى ظاهرة القلب في الضمائر على حسب الدافع المعنوي والغرض البلاغي المقصود من وراء التقليب في الصيغ، ويظهر ذلك جليا في قوله تعالى، على لسان الرجل الصالح: ﴿ **أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ٨٠ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ٨١ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا**

---

[1] النمل ، **16**.

[2] كتاب التبيان في البيان، عبد الستار حسين مبروك زموط، ص**13**.

﴿لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾[1]، أين نلاحظ أنّ التعبير لم يثبت على صيغة واحدة، على الرغم من أنّ المتكلّم واحد، وهو العبد الصالح، إذ نجده في معرض حديثه عن السفينة يستخدم ضمير المتكلّم المفرد (أنا)، وعندما انتقل إلى الحديث عن الغلام جاء بضمير الجمع (نحن)، ثمّ انتقل إلى ضمير الغيبة (هو) عند حديثه عن الجدار.

فالتقليب في الضمير يساير الغرض البلاغي الخاص بالتعبير عن كل موقف؛ فعند الحديث عن السفينة نسب الرجل الصالح فعل الإعابة إلى نفسه تأدّبا، فقال : (أردت أن أعيبها)، وقد أدّى الضمير ههنا الغرض البلاغي والأسلوبي، فجاءت العبارة على أتمّ معنى وأبهى صورة.

بيد أنه لمّا كان فعل القتل يستلزم قوّة، والفاعل يشار إليه بالمهابة والتعظيم؛ قلب الضمير إلى الجمع (نحن) في قوله (أردنا)، زيادة على أن القصة قد تضمّنت وجهين للحقيقة، إذ إن ظاهر الأمر شرّ، وهو فعل القتل، ونسبته إلى الرجل الصالح، وأما الباطن المعبّر عن دوافع القتل والحكمة منه فإنها خير، وهي من علم الله وتدبيره، وعليه فقد استخدم الضمير الذي يحتمل المشاركة والتفخيم في آن واحد.

أما في قصة الجدار؛ فإنّ الأمر كلّه خير ظاهرا وباطنا؛ فظاهره إقامة الجدار، وباطن الأمر هو الحفاظ على الكنز الخاص باليتيمين، فكان من الأليق أن ينسب الرجل الصالح

[1] الكهف ، 79-82.

هذا الفعل إلى ربّه، عزّ وجلّ، تأدّبا وإظهارا لمعاني الحكمة والحفظ والرعاية التي يتّصف بها المولى، سبحانه وتعالى.

وقد استخدم الرجل الصالح أسلوبا خاصا في تبرير أفعاله وإيضاح الدوافع لسيدنا موسى، عليه السلام، أين كان له الأثر الجمالي، من حيث دوره في إضفاء جوّ من الحيوية من خلال التبديل في شخصية الفاعل؛ لأنّ التصريف في الضمير يعزّز النشاط الذهني عند المخاطب، زيادة على تحقّق التناسب التامّ بين الفعل وفاعله في كل موقف من المواقف الثلاثة بما يتماشى مع واجب التأدّب مع الخالق عزّ وجلّ.

وقد يكون الغرض من قلب الضمير إلى الجمع هو التنزيه عما لا يليق بالمتكلّم[1]، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً** ﴾[2]، فإنّ إضاعة أعمال العباد مما لا يليق أن ينسب إلى المولى، عزّ وجلّ، فكان من المناسب لأن يستخدم ضمير الجمع قصد الترفّع عن هذه الصفة التي تعبّر عن النقص والعجز عن الكتابة والحفظ وإقامة الحساب من أجل إعطاء صاحب كلّ عمل جزاء عمله.

---

[1] **كتاب التبيان في البيان، عبد الستار حسين مبروك زموط، ص14.**

[2] **الكهف ، 30.**

7-المبحث السابع: القلب في الأساليب الإنشائية

يعمد المتكلّم إلى استخدام الأساليب الإنشائية ويكون الغرض من كلامه هو طلب مطلوب[1]، وتكون الآلية في ذلك بإنشاء الكلام ابتداء، وسلوك سبيل إثارة المخاطَب فكرا ووجدنا، دون أن يكون له الحكم على كلام المتكلّم بالصحّة أو الكذب، على عكس الأسلوب الخبري الذي يكون دور المتكلّم فيه هو نقل لكلام موجود أصلا، والغاية منه هي الإخبار والإعلام فحسب؛ ويحكمه مقياس الصحّة والكذب.

هذا ما يتيحه الأصل في اللغة للمتكلّم ليصل إلى مراده من المخاطب، فإذا كانت تلك الإثارة المطلوبة أكبر ممّا يتحمّله الأصل فإنّه، أي المتكلّم، يجنح إلى التقليب بين الأساليب الإنشائية وأغراضها، فينتج غرضا ومعنى غير ما يقول به الأسلوب على الحقيقة.

ففي قوله، تعالى، على لسان زكريا، عليه السلام: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا** ﴾[2]، نلاحظ أن تركيب الجمل جاء على سبيل الإخبار في أصل الوضع، إلا أنّ النّبيّ زكريّا، عليه السلام، لم يكن يريد أن يقرّر واقعا لتعريف الله تعالى به، وإنّما كان مراده أن يظهر الضعف والخوف والرجاء من ربّه أن يجعل له مخرجا ممّا هو فيه، فكان قصده التوسل إلى الله[3]، من خلال إظهار الافتقار إليه والحاجة إلى رحمته.

---

[1] **ينظر: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيود، ص349.**

[2] **مريم 04.**

[3] **ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج16، ص632.**

ومنه كذلك خروج الأساليب الإنشائية عن حقيقتها، كاستعمال أسلوب في غير معناه الحقيقي بما يناسب الحال والمقام، كالإباحة في قوله تعالى: ﴿ ۞ **يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ** ﴾[1] والقرينة الدالة على أن هذا الأمر المراد منه الإباحة، هو أن الأكل والشرب يعدّان ممّا لا يستغنى عنه في حياة البشر[2].

وأما في قوله تعالى: ﴿**ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ**﴾[3]، فإن المعنى على عكس الظاهر تماما، بحيث ينقلب المطلوب عن طريق فعل الأمر (اعملوا) إلى النهي عن مضمونه، ففعل الأمر (اعملوا) ليس على حقيقته، فيكون المعنى بمثابة (لا تعملوا ما شئتم)، أو (إيّاكم أن تعملوا ما شئتم)، والغرض من قلب المعنى هو بيان شدّة الوعيد التهديد والزّجر من اتّباع الأهواء بدل الاستجابة لله وللرسول، صلى الله عليه وسلم[4]، زيادة على تضمّن الأسلوب لغرض التحدّي المطلق من خلال التنبيه على حرّيّة العباد في اختيار أفعالهم[5]، ﴿ **فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾[6]، بحيث لا تكون هنالك حجّة للكافرين على الله في كفرهم.

---

[1] الأعراف 31.

[2] ينظر تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص280.

[3] فصلت ، 40.

[4] ينظر: المنزع البديع، السجلماسي، ص418 ، وينظر: النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ضمن ثلاث رسائل، ص108.

[5] ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج15، ص619.

[6] الكهف ، 29.

كما لا يخفى المعنى الظاهري الدالّ على سعة علم الله، وأنّ عمل العبد، مهما كان، قليلا أو كثيرا، ظاهرا أو خفيّا، فإنّه لا يخفى على الله، سبحانه، وقد أشار مطلع الآية إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآ ﴾[1].

ومن أمثلة مخالفة الظاهر في الكلام، قوله تعالى: ﴿ أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ ﴾[2]، فالمراد من الاستفهام في هذه الآية الكريمة هو الإنكار، فقد أنكر الله تعالى على المشركين عبادتهم لغيره، والمعنى هو، (أأنزلنا على هؤلاء الذين يشركون في عبادتنا الآلهة والأوثان كتابا فيه تصديق لما يقولون)[3]، وتتمثل اللمسة الجمالية في اعتماد القرآن الكريم طريقة التنبيه والإثارة عند المخاطب، فلم يكن السؤال من أجل الاستفهام؛ وإنّما سيق الكلام على هذا النحو قصد الولوج إلى نفس المتلقي، بحيث يدفعه إلى عرض السؤال على نفسه، ثمّ يحاول أن يجد له جوابا، والذي سيكون بالنفي حتما، وعندئذ تتجلّى الحقيقة ساطعة أمامه فلا يكون منه إلا أن يستجيب أو يعاند بعد علم.

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ ﴾[4]، ومن أجل أن يوافق التركيب المعنى؛ فقد ادّعى البعض أنّ (لا) زائدة[5]، وهو ما ضعّفه الكثير من أهل العربية

---

[1] فصلت ، 40.

[2] الروم ، 35.

[3] تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط3، 1966، ج21، ص49.

[4] الأعراف ، 12.

[5] ينظر : أسرار النحو، ابن كمال الباشا، شمس الدين أحمد بن سليمان، تح: أحمد حسن حامد، دار الفكر، لبنان، ط2، ط2، 2002، ص297.

وأنكروه، إذ لا ينبغي القول بوجود الزيادة في كلام الله، فكلّ حرف أو كلمة لها دلالتها ووظيفتها المعنوية، وأوجدوا تخريجا آخر أكثر قبولا، وحملوا الأمر على أنه خارج على المعنى؛ وقيل أن المراد: "ما دعاك إلى ألا تسجد؟ ومن أمرك بألا تسجد؟ لأنّ من مُنع من شيء فقد دُعي إلى ألا يفعل"[1]، وإذا تتبّعنا ورود القصة في القرآن الكريم فإنّنا نجد لكل موضع صيغة خاصة به، ففي سورة الحجر قال عز من قائل: ﴿ **قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ** ﴾[2]، وفي (ص) قال تعالى: ﴿ **قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ** ﴾[3]، بزيادة النداء **(يا إبليس)** الذي يناسب البعد المعنوي المصاحب لزيادة (أبى) في الحجر و(استكبر) في (ص).

أما في الأعراف؛ فقد حذف النداء، وجمع بين لفظ المنع و(لا) للمبالغة في النفي، وإعلامًا أن المخاطب به هو إبليس، خلافا للتصريح باسمه الوارد في السورتين الأخريين[4].

كما نلاحظ أنّ أسلوب التعبير في الأعراف قد جمع ما ورد في سورتي الحجر و(ص): **(ما لك ألا تسجد)**، و**(ما منعك أن تسجد)**، وعبّر عنهما ب: **(ما منعك أن لا تسجد)**، فحصلت الزيادة في النفي مع الاختصار في اللفظ.

---

[1] **أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، الشريف المرتضى، ج2، ص357.**
[2] **الحجر ، 32.**
[3] **ص ، 75.**
[4] **ينظر: أسرار التكرار في القرآن الكريم، الكرماني، ص117.**

ويمكننا أن نسحب التخريج اللغوي نفسه على قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾[1]، إذ يؤدّي بنا ظاهر الآية إلى اعتبار ترك الشرك محرّما، فإن التحريم بمثابة المنع، والأصل أن يقال: (حرّم ربّكم أن تشركوا به شيئا)، ومن أجل أن نتجاوز التناقض الظاهر؛ كان لا بدّ من تقدير مضمر، فكأنه، تعالى، وصّى ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا، ويعضد هذا التأويل ما ختمت به الآية في قوله تعالى[2]: ﴿ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[3].

[1] الأنعام ، 151.

[2] ينظر: أمالي المرتضى، الشريف المرتضى، ج2، ص357.

[3] الأنعام ، 151.

8-المبحث الثامن: قلب الفاعلية إلى المفعولية

وأبو عبيدة في كتابه يبحث في أسلوب القرآن بعرضه على أساليب العربي، وتقرير أنه نمط منه – يقول: ومن مجاز ما يحوّل فعل الفاعل إلى المفعول – قول الله تعالى :﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ ﴾[1]، أي: مفاتح خزائنه، والمعنى: (ما إن العصبة ذوي القوة لتنوء بمفاتح نعمه)، ويقال في الكلام: أنها لتنوء بها عجيزتها، وإنما هي تنوء بعجيزتها، كما ينوء البعير بحمله، ومثله أن يقال: عرضت الناقة على الحوض[2]، وأدخلت الجورب في رجلي، والعرب تقول مثل هذا، قال الشاعر[3]:

فَدَيْتُ بِنفسِهِ نَفْسِي وَلَا آلُوكُ إِلَّا مَا أُطِيقُ

يريد: فديت نفسه بنفسي.

وقال آخر[4]:

وَنَرْكَبُ خَيْلًا لا هَوَادَةَ بَيْنَها وَتَشْقى الرِّماحُ بالضّياطِرَةِ الحُمرِ

يريد: وتشقى الضياطرة الحمر بالرماح.

---

[1] القصص : 76.

[2] ينظر: نفسه، ج1، ص466.

[3] هو عروة بن الورد، ينظر: بغية الإيضاح، ص124، هامش.

[4] هو خداش بن زهير، ينظر: المصدر السابق، ج1، 466.

وأما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ** ﴾[1]، فالأصل أن يقال: (فعمّيتم عليها)[2]؛ لأنّ العمى، (الحسي والمعنوي)، إنّما يصيب المخاطبين الذين كانت الرؤية من خصائصهم، ويكون العمى المعنوي نتيجته الإعراض وعدم الاستجابة، فيعيش المدعو مجانبا لمتطلّبات الدعوة، بسبب أنه لم يتبصّر في اختيار الطريق الذي يسلكه في حياته، وترك طريق الهدى؛ لأنّ الإيمان لم يتمكّن من قلبه، ﴿ **فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ** ﴾[3]، فيتجلّى أسلوب القلب في نقل الفاعلية من الفاعل الحقيقي وهو الضمير (أنتم) إلى المفعول به الحقيقي المتمثل في الضمير (هي)، ممّا أضاف في الآية معنى المبالغة، من حيث أنّه بسبب إعراضهم الشديد عن الهدى، صارت الهدى هي من يعرض عنهم.

---

[1] - هود ، 28.

[2] ينظر: جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1999، ص125.

[3] الحج ، 44.

9-المبحث التاسع: قلب القصر:

ومعناه قلب الحكم الذي عند السامع، فيكون معنى كلام المتكلّم عكس ما يعتقده المخاطب[1]، ويأتي على سبيل القصر، وتكمن جماليته الأسلوبية في مجيء الكلام من خلاله على هيئة الصدمة بالنسبة للسامع، إذ يعمل الخطاب على تحويل فكره إلى النقيض ممّا كان يعتقده، وهو يقوم على الأداتين[2]: (**إنّما**)، و(**ما** أو **إن**، و**إلا** مجتمعتين)، ومن أمثلته:

قوله تعالى: ﴿ **إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ** ﴾[3]، نقضا لما قد يعتقدونه من سلطة النبيّ على أتباعه، أو أنّه موكّل على حسابهم؛ بل إنّ أمر الحساب عائد إلى الله وحده، ولا مجال لأحد من الخلق أن يكون له فيه نصيب، وما النبيّ إلا منذر لا محاسب ولا مجازي[4].

وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا** ﴾[5]، فبعد أن اتّخذ بنو إسرائيل العجل إلها بإيعاز من السامريّ، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ** ﴾[6]، ثمّ رأوا كيف حرّقه الله، تعالى، ونسفه في البحر، قال، عزّ من قائل: ﴿ **وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ**

---

[1] **ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي، ص288.**

[2] **ينظر: نظرية المعنى في الدرس النحوي، مبارك عبد القادر، ص122.**

[3] **الشعراء ، 113.**

[4] **ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج19، ص765.**

[5] **طه ، 98.**

[6] **طه ، 88.**

عَاكِفًاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴾[1]، جاءت الحقيقة التي تنقض ما اقترفوه من جرم الاعتقاد بأن يكون هنالك إله سوى الله، ولقد استخدمت (إنّما) للدالة على القصر، والتي تثبت ما بعدها وتنفي ما سواه[2]، وتتجلّى جمالية القصر في كونه أسلوبا فريدا يستخدم في كسر اعتقاد المخاطب، إلى جانب أنه يقطع الطريق أمام إمكانية أن يتسلّل الشكّ إلى ذهنه، باعتماد قوّة الأسلوب في الإفصاح عن المعنى الصحيح الذي يحتل دائرة تموقع المعنى الخطأ الذي لطالما اعتقده المخاطب.

وفي قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾[3]، فالإنذار لا يكون ذا منفعة إلا مع من كان يؤمن بالله وبالبعث والنشور، وبالقيامة وأهوالها، ويخشى عقابها[4]، فالآية تتضمّن قلبا في اعتقاد المشركين، وتعرّض بآلهتم التي لا تملك أدنى مقوّمات الألوهية، وهو صفة السمع التي يتحدّد بها وصول الدعاء إليها، إذ لا يعقل أن ينتظر استجابة ممن ينتفى وصول الخطاب إليه.

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾[5]، ردّ على من كان يسأل النبيّ، صلى الله عليه وسلّم، أن يأتيهم بما هو خارج عن طاقته وما ليس بيده، وفيه إظهار لبشريّته، وتحمل

---

[1] طه ، 97.

[2] ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي، ص291.

[3] الأنعام ، 36.

[4] ينظر: نفسه، ص294.

[5] فاطر ، 23.

الآية معنى الإنكار على المطالبين له بالمعجزات، وإننا نجدهم هنا أسوأ حالا وأبعد جدالا من قوم موسى الذين كانوا يرجعون الأمر إلى ربّه في سؤال المعجزات؛ فقد دأب القرآن في عرض مطالبهم على الإشارة إلى قولهم: (ادع لنا ربّك)، بينما يحمل طلب المشركين من النبيّ محمّد، صلى الله عليه وسلّم، دلالات العناد والمبالغة في الكفر والجحود، يترجمه توجيه مطالبهم إلى شخصه، عليه السلام.

وأما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ** ﴾[1]، كي لا يبادر الرسول، صلى الله عليه وسلّم، إلى محاولة إثبات أفضلية الله الواحد على آلهتهم، طمعا في إيمانهم، فإنّهم لا يريدون من قولهم هذا إلا الجدال العقيم، وحتى لا يظنّ الرسول أنّه مدعوّ لأن يأتيهم بالحجة والبرهان على ما يدعوهم إليه، فإنّ ذلك كلّه لن ينفع معهم في شيء، ولو شاء الله أن يجيب المشركين على استفسارهم، فإن الجواب أبسط وأخفّ ما يكون، وهو الله الذي وسع كلّ شيء علما، ولكن لعلمه، سبحانه، بما يكنّونه من العناد والإعراض؛ أمر نبيّه بأن يضرب عنهم الذكر صفحا، وأن يدّخر جهده في دعوة من ترجى هدايتهم.

[1] الزخرف ، **58**.

10-المبحث العاشر: القلب بالالتفات:

بما أنّ الالتفات هو انتقال الكلام من حال إلى أخرى، أو من أسلوب إلى آخر، فإنّه جدير بأن نعدّه آلية من آليات أسلوب القلب التي نحاول تجميعها في عِقد واحد، وهو فنّ من فنون العربيّة ينمّ عن قدرة المتكلّم في تكسير رتابة الخطاب على وجه دائم ومستمرّ، ومن طبيعة أسلوب الالتفات أنه لا يساير القواعد اللغوية أو الشائع من أعرافها، بل إنه يكسر تلك القواعد وينحرف عن المألوف[1]، فتتفجّر منه طاقات تعبيرية وإيحاءات دلالية جديدة، لا يتوصّل إليها بركوب القواعد العادية في اللغة.

فيما يلي سنتوقف عند بعض الشواهد إظهارا للكيفية التي يتمّ على أساسها أسلوب القلب بالالتفات، فمن طرقه:

أوّلا- القلب في الضمائر:

يقوم أسلوب الالتفات على التقليب في معنى الخطاب من ضمير إلى آخر، أو نقول: إنّ المعنيّ من الكلام إمّا أن يكون هو المتكلّم نفسه، أو يكون هناك متلقّ حاضر يوجّه إليه الكلام، أو يكون معنى الكلام عائدا على غائب، وتشمل الضمائر كلاّ من ضمير المتكلم وضمير المخاطب وضمير الغائب[2]، وعليه؛ لا يكون الكلام إلا بصيغة من الصيغ الأربع: التكلّم، أو الخطاب، أو الغيبة، أو الأمر؛ فنقول مثلا: دَرَسْتُ، دَرَسْتَ، دَرَسَ، أُدْرُسْ، ويمكن لكلّ صيغة أن نقلّبها على أعداد مجموعتها من المفرد أو المثنّى أو

[1] ينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1998، ص40.

[2] ينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، د. عبد الفتاح لاشين، ص 189 – 190.

الجمع، وتتيح اللغة للمتكلّم أن يُدخل صيغتين أو أكثر في سياق واحد متّصل، فتنشأ على إثر ذلك تموّجات دلالية وآثار أسلوبية عديدة.

ثمّ إنّ المتكلّم، أحيانا، يعمد إلى الانتقال المفاجئ من ضمير إلى ضمير لأسباب وغايات بلاغية وأسلوبية تتباين بحسب الموقع والسياق الذي ورد فيه، وهذا الأسلوب، في نظر البلاغيين، لا يتوخّاه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي استطاع أن يطّلع على أسرارها ويفتّش عن دفائنها، وهو من دقيق علم البلاغة[1]، يستخدمه المتكلّم المتمكّن من الفصاحة من أجل بلوغ غايات بلاغية وأسلوبية متعدّدة، تقاس على حسب المقام الذي ورد فيه الالتفات.

إلا أنّنا نستطيع أن نعلن عن غاية أساسية تعمّ جميع حالات وقوعه في القرآن الكريم على وجه الخصوص؛ وهي تجديدٌ ونشاطٌ لحال السامع والمتكلّم، ووقاية له من السأم والضجر من اتباع أسلوب واحد[2]، على مثل ما أكّده حازم القرطاجنّي بقوله: "وهم يسأمون الاستمرار على ضمير متكلّم أو ضمير مخاطب، فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة، وكذلك ... يتلاعب المتكلم بضميره فتارة يجعله تاءً على جهة الإخبار عن نفسه، وتارة يجعله كافاً فيجعل نفسه مخاطباً، وتارة يجعله هاءً فيقيم نفسه مقام الغائب، فلذلك كان

[1] ينظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص243.

[2] ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج1، ص29

الكلام المتوالي فيه ضمير متكلّم أو مخاطب فقط لا يُستطاب؛ وإنما يحسُن الانتقال من بعضها إلى بعض"[1]، وهو ما استحسنه ابن قتيبة[1]، وأكّد عليه بقول أبي العتاهية :

لاَ يُصْلِحُ النَّفْسَ إنْ كَانَتْ مُصْرفَةً إِلَّا التَّنَقُّلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَال

ومنه :

1- **الالتفات من التكلّم إلى الخطاب**: أين يكون المتكلّم بصدد الحديث عن نفسه ثم يتحوّل إلى المخاطب، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ**﴾[2]، فنجد الخطاب قد انتقل من المتكلّم في (**مالي لا أعبد**) إلى المخاطب وهو (**ترجعون**)، ومراعاة للأصل، ولكي يتناسب الخطاب مع المتكلّم كان يقتضي أن يقال: (وإليه أرجع) ، والغاية من هذا الالتفات هي إظهار المناصحة والتحبّب من أجل أن يرغّب المتكلم مخاطبيه في الاستماع؛ وفي هذا دليل على اهتمام المتكلّم بالمخاطب وعنايته به، ومن أجل التلطّف أعلن المتكلّم أنه يناصح نفسه، والحقيقة أنّه يريد النصح لقومه، بدليل الالتفات إليهم بقوله (وإليه ترجعون) التي تتضمّن التذكير بيوم الرجوع إلى الله والحساب، والغرض هو تخويفهم[3]، زيادة على التطرية التي حصلت من خلال التلاعب بالمخاطب، وذلك بالتقليب في جهة الخطاب، أين يكون النصح للمتكلّم نفسه ثمّ ينقلب إلى تخويف المخاطبين وتهديدهم.

---

[1] منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجنّي، ص348.

[2] يس ، 22.

[3] ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج 3، ص328، وبغية الإيضاح، ج1، ص153.

2-الالتفات من التكلّم إلى الغيبة:

وهو نوع من الالتفات كثير الوقوع في القرآن الكريم، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ **هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ** ﴾[1]، ففي الآية الأولى نجد أن الله، تعالى، تحدّث عن نفسه بصيغة المتكلّم؛ (**كتابنا، كنا نستنسخ**)، ثمّ عدل إلى الغيبة في قوله: ﴿**فيدخلهم ربهم في رحمته**﴾، ولا شك أنّ ذكر الربوبية جاء مناسبا لذكر الرحمة التي وعدها الله عباده المؤمنين في دار الجزاء، كما تناسب الخطاب بصيغة التكلّم (نحن) مع ذكر الكتاب الذي ينطق على العباد بأعمالهم يوم القيامة، ذلك أنّ الأمر يتطلّب قدرة إلهية، وقد حسن استخدام أسلوب التعظيم في ذكر صفة القدرة والمراقبة، وتتجلى من خلال هذا الالتفات هنا عن براعة القرآن في استخدام الضمير المناسب خدمة للمعنى وتطرية للكلام.

وفي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ** ﴾[2]، جاء خطاب القرآن بأسلوب التكلّم فقال (**أعطيناك**) ثم انتقل إلى الغيبة فقال (**لربك**) ولم يقل (لنا)، والالتفات هنا من (**أعطيناك**) إلى (**لربك**).

---

[1] الجاثية ، **29-30**

[2] الكوثر ، **1-2**.

ووجهه أن يفهم السامع قصد المتكلم من كلامه حضر أو غاب، والسر البلاغي هو التحريض على فعل الصلاة لحق الربوبية؛ لأن من يربيك يستحق العبادة[1]، زيادة على أن فعل (أعطيناك) بصيغة الجمع يتناسب مع الموهوب؛ وهو (الكوثر)، والموهوب له؛ وهو الرسول، صلى الله عليه وسلم، كما يتناسب الأمر بإخلاص الصلاة للرّبّ، ذلك أنّ من أوجه العبادة إقامة الشكر على النعم، واسم (الرّبّ) جاء لينبّه على معاني الربوبية المتمثلة في العناية والرزق والتدبير والحفظ، ...، إلى غير ذلك من نعم الله تعالى، ومنه تتنامى الصورة باقتران ذكر الصلاة مع ذكر صفة الربوبية.

ومن هذا الأسلوب في الالتفات قوله تعالى:﴿ **قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾[2]، فالالتفات في الآية يظهر في الانتقال من قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾، وفيه تذكير بواجب الإيمان بالرسول، وأن الأمر ليس خاصا بشخصه، صلى الله عليه وسلّم، وإنما الغرض هو تحقيق أركان الإيمان من

[1] **ينظر: وجوه بلاغية ودلالية في سورة الكوثر، د. عمر الكبيسي، مجلة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا، العدد الثاني، ص184، والبرهان في علوم القرآن، ج3، ص317.**

[2] **الأعراف ، 158.**

خلال تصديق صاحب الرسالة، وتعظيم أمرها ومصدرها، وهو ما يقتضيه السياق القرآني المعجز، ومن آثاره البلاغية[1].

هذا زيادة على النشاط الذي يوقظه الالتفات في ذهن المخاطب لكي يتسنّى له أن يتابع المتكلّم، ويكون له حافزا على الانغماس في خطابه له.

3 – الالتفات من الخطاب إلى التكلم.

ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ **قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ** ﴾[2].

وتتنامى قسمات الجمال في الآية من خلال مراوغة المخاطب عن طريق الانتقال بين الضمائر في سياق واحد متّصل، كما هو الحال في الآية الكريمة، وهو ما يحفّز الذهن على النشاط ويبعد عن النفس السأم والملل الذي سببه الكلام المتواصل على صيغة واحدة.

4 – الالتفات من الخطاب إلى الغائب.

كما في قوله تعالى : ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ** ﴾[3]، فقد انقلب الكلام من الخطاب في (**إِذَا كُنتُمۡ**)، إلى الغائب (**وَجَرَيۡنَ بِهِم**)، وكان

---

[1] **ينظر: المثل السائر، ابن الأثير، ج2، ص179، والبرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3 ،ص317.**
[2] **يونس ، 21.**
[3] **يونس ، 22.**

مقتضى الظاهر أن يقال (وجرين بكم)، والعدول هنا من الخطاب إلى الغيبة من أجل المبالغة في إنكار حال فئة الكافرين، وتعريف المؤمنين بحالهم[1]، زيادة على التعظيم والتعجب من فعل الكفار.

ومن أسراره البلاغية أن الخطاب كان أولا مع الناس، مؤمنهم وكافرهم، بدليل قوله تعالى: ﴿ **ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ** ﴾، فلو قال (وجرين بكم) للزم الذمّ للجميع.

كما يفيد الالتفات في الآية أنهم وقت الركوب خافوا الهلاك وتقلّب الرياح بهم، فناداهم نداءِ الحاضرين؛ ولما جرت بهم الرياح ذكرهم الله بصيغة الغائب[2]، وهذا الأسلوب من الالتفات هو أول ما تنبه له البلاغيون القدامى منذ وقت مبكر كما ذكرنا، وإن لم يكن بهذا المفهوم.

ومن أمثلته كذلك قوله تعالى: ﴿ **يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝٦٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ** ﴾[3]، فقد انتقل الكلام من الخطاب في الآية الأولى، إلى الغيبة في الآية الثانية[4]، وقد جاءت الآية الأولى جاءت طمأنة للمؤمنين بأنهم لن يصيبهم الخوف ولا الحزن، فكان الكلام على ضمير المخاطب مناسبا لسياق الطمأنة

---

[1] ينظر: الكشاف الزمخشري، ج11، ص460

[2] ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص822

[3] الزخرف ، 68-69

[4] ينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، حسن طبل، ص206

والترؤّف، فلما انتقل السياق إلى ذكر السبب الذي به نال العباد هذه المرتبة من الله انقلب الكلام إلى ضمير الغيبة، وهو أنسب في المدح، لأن المدح يكون أجمل عندما يكون في ظهر الغيب.

5 – الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

ومن هذا الأسلوب قوله تعالى ﴿ **فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ** ﴾[1]، أين انتقل الخطاب من قوله (**وَأَوۡحَى**) وهو أسلوب غيبة، إلى قوله (**وَزَيَّنَّا**)، وهو أسلوب تكلّم بضمير الجميع، إيحاء بعظمة الفعل المعبّر عنه، وهو تزيين السماء الدنيا، وللأهميّة التي يوليها القرآن لموضوع الزينة فقد التفت من الفاعل المفرد الغائب (هو) إلى الفاعل الجمع الحاضر (نحن) إظهارا لشرف الفعل وأهمّيّته من خلال إسناده إلى ذات المولى، عزّ وجلّ.

ومن هذا القبيل أيضاً قوله تعالى ﴿ **ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ** ﴾[2]، التفت الخطاب من الغيبة: (أنزل) إلى التكلّم: (أخرجنا)، وهو يختص بالمتكلّم، والغرض البلاغي هو الإشارة إلى أنّ فعل الإخراج خاص بالله تعالى[3]، ومن بواعثه الأسلوبية أنّه يعطي لفعل الإخراج

[1] فصلت ، **11**.

[2] طه ، **53**.

[3] ينظر: المصدر السابق، ج**3**، ص**321**.

أهمّيّة فوق أهمّيّة باقي الأفعال المذكورة في الآية؛ لأن فعل إخراج النبات يعدّ من الأفعال المتعلّقة بالجمال، من حيث أنها تتعلّق بالزينة التي يسبغها الله تعالى على الكون، ومن أجل هذه الغاية السامية كان التنويع في أصناف النبات من حيث اللون والريح والطعم.

ومثله في قوله تعالى: ﴿ **أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ** ﴾[1]، فلقد انتقل الكلام من الغيبة: (خلق، وأنزل)، إلى التكلّم: (فأنبتنا)، ولعلّ السبب يعود إلى الاهتمام الخاص بالفعل الأخير، وممّا يرتقي بجمالية التعبير أن يسند فعل الإنبات إلى المتكلّم بصيغة الجمع (نحن) وموافقته لطبيعة المفعول به (حدائق ذات بهجة) وتأثيره الجمالي في الحديث عن المخلوقات في الكون[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ** ﴾[3]، تمّ الانتقال من الغيبة: (أنزل) إلى التكلّم (فأخرجنا)، للدلالة على الاهتمام بفعل الإخراج لارتباطه بإظهار الجمال في الموجودات: (**ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا**)، ويتمثل الغرض الأسلوبي للالتفات، هنا، في استدراج المخاطب إلى التفكّر في بديع صنع الخالق، وقدرته، سبحانه، على أن يخلق من

---

[1] **النمل ، 60.**

[2] **ينظر: الظاهرة الجمالية في الإسلام، صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت–دمشق، ط1، 1986، ص136.**

[3] **فاطر ، 27.**

الماء المنزّل من السماء كائنات متعدّدة ومختلفة في الشكل واللون[1]، مع أنّ الماء واحد، وتتعدّى قدرته ذلك إلى الاختلاف في الأذواق، قال تعالى: ﴿ **وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾[2]، إذ تتجلّى المعجزة في أنّ "الزروع والكروم والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الأجناس والأنواع، وهي تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر في الأشكال والألوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها"[3]، ومن أجل إظهار القدرة المعجزة في ذلك انقلب الكلام من صيغة البناء للمجهول في (يسقى)، إلى صيغة المتكلّمين (نفضّل)، أين تتنامى قسمات الجمال التعبيري، يتلمّس المتلقي من خلاله مواطن العظمة والإعجاز، بحيث يتماشى الحديث عن الجمال في المخلوقات مع تعظيم شأن الفاعل الذي أوجده، وبثّه في الكون كي يتمتّع به الإنسان.

أما في قوله تعالى: ﴿ **سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ** ﴾[4]، فقد استعمل ضمير الغائب عند الحديث عن الإسراء، ثمّ انقلب إلى صيغة التكلّم عندما ينتقل إلى الحديث عن البركة، ولقد ناسب ضمير الغائب السياق الذي ورد فيه، إذ كان الحديث عن أمر وقع للنبيّ،

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص137.

[2] الرعد ، 4.

[3] الكشاف، الزمخشري، ج13، ص534.

[4] الإسراء ، 1.

صلّى الله عليه وسلّم، ليلا، كما يحسن المدح في حال الغياب بالنسبة للممدوح، بينما تكمن قصدية الانتقال إلى التكلّم في إظهار الاحتفاء والتشريف بذكر البركة التي جعلها المولى، عزّ وجلّ، حول المسجد الأقصى.

6 – القلب من الغيبة إلى الخطاب.

هذا الأسلوب يأتي في مقدمة أساليب الالتفات التي نص عليها الزمخشري، وقد مثل له بقوله تعالى : ﴿ **مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ** ﴾[1] ، فقد التفت عن الغيبة، وهي ﴿ **مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ** ﴾ إلى الخطاب، وهو ﴿ **إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ** ﴾.

وقد اتنبّه الزمخشري إلى سرّ خفيّ من أسرار الالتفات في هذا الموضع بقوله: "لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلّق العلم بمعلوم عظيم الشأن...فخوطب ذلك المعلوم المتميّز بتلك الصفات فقيل: (إيّاك)"[2].

زيادة على أنه لماّ تحوّل الكلام من الثناء إلى الدعاء في الآية الخامسة، انقلب الكلام من الغيبة التي تناسب غرض الثناء والمدح، إلى الخطاب الذي يناسب مقام الدعاء، لأنّ الدعاء يقتضي الخطاب.

---

[1] **الفاتحة، ، 4-5.**

[2] **المصدر نفسه، ج1، ص29**

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾[1]، إذ عبّر عن المعنى أولاً بطريق الغيبة، فقال: "ربهم"، ثم التفت ثانياً فعبّر بطريق الخطاب فقال: "لكم"، وكان مقتضى السياق أن يقال: "لهم"، والسر البلاغي هنا هو لتعظيم شأن المخاطب، كما أن الكلام على صفة الخطاب جاء على سبيل التهنئة والسرور لهم[2].

ثانياً : الالتفات في صيغ الفعل.

ينتقل الالتفات في الأفعال من الماضي إلى المستقبل، ومن المستقبل إلى الماضي ومن المستقبل إلى فعل الأمر، ومن الفعل الماضي إلى فعل الأمر، .... وغيرها من أوجه التقليب في أزمنة الفعل، وفيما يلي عرض لبعض الأمثلة على ذلك :

1 – القلب من الماضي إلى الأمر.

كقوله تعالى ﴿ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** ﴾[3]، تتضمّن الآية وجهين للالتفات، أما الأوّل فباعتبار الجملتين: (**قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ**) و(**وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ**)، فيكون الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، أين كان الأمر بالقسط غير محدّد في جهته،

---

[1] **الإنسان ، 21–22.**

[2] **ينظر: البحر المحيط، ج8، ص392.**

[3] **الأعراف ، 29.**

للدلالة على وجوبه على جميع المكلّفين، ثمّ عدل بالخطاب إلى المؤمنين، ذلك أنّ الأمر بالصلاة والدعاء ممّا يكلّف به المسلمون دون غيرهم، فحصل بذلك تخصيص بعد عموم.

وإذا قلنا بأن الجملة الثانية معطوفة على مقول القول من الأولى: (**أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِ**)، فإن الالتفات يكون من صيغة الماضي: (**أمر**) إلى صيغة الأمر: (**أقيموا**) ولو جيء به على أسلوب واحد لقيل: (أمر ربي بالقسط، وأمركم أن تقيموا وجوهكم)، والالتفات هنا يفيد العناية بفعل الأمر المتعلّق بفعل الصلاة، وتوكيده في نفوس عموم المؤمنين، كما تنبّهنا الآية، باستخدام أسلوب الالتفات، على الأهمية التي تكتسيها الصلاة واعتبارها من أوكد فرائض الله على عباده، والغاية النهائية تكمن في الحثّ على إقامة الصلاة والتوجّه إلى الله بالعبادة الخالصة، زيادة على اللمسة الجمالية من خلال الانتقال بين الماضي والأمر، والمفرد والجمع.

القلب من المستقبل إلى الأمر :

كقوله تعالى : ﴿ **قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ** ﴾[1] .

الالتفات في الآية في (أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا)، ولم يقل (وأشهدكم) كما كان يقتضي سياق المساواة بين الفعلين، فلذلك عدل عن اللفظ الأول؛ لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الأمر، وهذا النوع يكون لسر بلاغي هو لغرض التفخيم والتعظيم، بحيث أنّ

[1] هود ، **54–55**.

طلب الشهادة أقوى في نفس المخاطبين من إعلامهم بأنها قائمة عليهم، حتى يكون موضوع البراءة من الشرك ممّا ينبغي أن يكون له شهود لعظمته، لهذا أكّد الرسول على قومه ليقوموا بها.

كما يمكن استنباط معنى التهكّم والسخرية إذا فرّقنا بين الشهادتين باعتبار إشهاد الله، عز وجلّ، هو الأصل والثابت، "وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم، ودلالة على قلّة المبالاة بهم فحسب"[1]، فالعدول عن الصيغة الأولى أفاد العدول عن المعنى الأوّل من حيث الصحة والحقيقة إلى الاستهزاء والسخريّة.

3 – القلب من الماضي إلى المستقبل :

كقوله تعالى﴿ **وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ** ﴾[2]، والالتفات في الآية هنا بين الفعل (أرسل) الدال على الماضي وبين الفعل (فتثير) الدال على المضارع، والسر البلاغي هو استحضار الصورة البديعية الدالة على قدرة الله وكأنها مشاهدة؛ لأن التعبير بالفعل المضارع عن الماضي يدل على الاستمرار والتجدد واستحضار الصورة، وكأنها مشاهدة.[3]

---

[1] **الكشاف، الزمخشري، ج12، ص488.**

[2] **فاطر ، 9.**

[3] **ينظر: نفسه، ج3، ص269، والطراز، ج2، ص138.**

4 – القلب من المستقبل إلى الماضي.

وهذا النوع يتساوى في بلاغته مع النوع السابق، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ** ﴾[1]. والالتفات في الآية هنا في الفعل المضارع (ينفخ) وفي الفعل الماضي (ففزع).

والغرض هو بيان تحقق الفزع وثبوته[2]، وأنه كائن لا محالة، واقع على أهل السماوات والأرض؛ لأنّ الفعل الماضي يدلّ على وجود الفعل وكونه مقطوعاً به، والتعبير عن الفزع بالماضي يحمل، إضافة إلى التأكيد، معنى التهديد والتخويف، فإن التفكّر فيما قد ولّى من الأمور أجلب للموعظة، وأحق بأن يكون عبرة، وعندما يُحمل مشهد الفزع من زمانه الحقيقي (المستقبل) إلى زمن الماضي يكون قد قُرّب إلى الأذهان تصوّر أحداثه وأهواله، وهذا كلّه من أجل أن يأخذ كل واحد من العباد ما يحتاط به، ويكون حبل نجاته وسبب دخوله في أهل المشيئة الإلهية المنجية من الفزع.

وعند قوله تعالى: ﴿ **قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ** ﴾[3]، نجد القرآن قد وظّف الفعل (ألقى) بدلا من (نلقي) لغرضين، هما: تحقيق الوحدة في الإيقاع الموسيقي للآية، تماشيا مع فواصل السورة المنتهية أغلبها بالمدّ المفتوح، مثل: (موسى،

---

[1] **النمل ، 87.**

[2] **ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج7، ص93.**

[3] **طه ، 65.**

يخشى، أبقى)، زيادة على التلميح إلى قرب إيمان السّحرة، فقد تأدّبوا مع موسى، عليه السلام، في الحوار، وكأنّ اللّه يهيّئهم للإيمان برسالة موسى، عليه السلام.

ثالثا– القلب بين الفعلية والاسمية:

يصادفنا هذا النوع من القلب في حالات يكون التعبير فيها بالجملة الفعلية ثم يتحوّل إلى الاسمية، أو يكون بالاسمية ثمّ ينقلب إلى الفعلية، وذلك في سياق واحد، وهذا التقليب يكون لأغراض بلاغية وأسلوبية بحسب حالة وقوعها، كما سيأتي في بعض الأمثلة.

ففي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ** ﴾[1]، وقع القلب في الآية من الاسمية (فالق الحب والنوى)، إلى الفعلية (يخرج الحيّ من الميّت)، ثم يعود التعبير إلى الاسمية: (ومخرج الميّت من الحيّ) في سياق واحد، أين تتجلّى الدقّ المتناهية في التعبير القرآني، إذ إنّ العناية بالمعنى لا تقتصر على اختيار اللفظ ومرتبته فحسب؛ بل تطال الوزن أيضا، وقد ذهب الزمخشري إلى أن جملة (يخرج الحي من الميّت) متعلقة بـ: (فالق الحبّ)، "لأن فالق الحَبّ والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس إخراج الحيّ من الميّت، لأن النامي في حكم الحيوان"[2]، وبذلك تكون جملة (مخرج الميّت من الحيّ) معطوفة على الجملة الأولى (فالق الحبّ).

---

[1] **الأنعام ، 95.**

[2] **الكشاف، الزمخشري، ج2، ص47.**

ويمكن أن ينضاف إلى ذلك أن السبب في التقليب من الاسميّة إلى الفعليّة هو ما توحي به كلّ منهما من الحركة والثبات، فمن خصائص الاسم الثبات والسكون، وهو ما يتلاءم مع استعماله مع ذكر الميّت، وأما الفعل فإنه يعبّر عن الحركة والنشاط فكان حريّا أن يستعمل في التعبير عن إخراج الحيّ، وفي هذا إضافة لطيفة في دقّة التعبير، تزيد في توهّج العبارة القرآنية بالكمال المعنوي والجمال الأسلوبي المنقطع النظير.

وأمّا في قوله تعالى: ﴿ **فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانًاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ** ﴾[1]، فإنّ الفعل (جعل) معطوف على (فالق)، وأما القلب من الاسميّة إلى الفعلية فذلك ما تستوجبه الدقة في التعبير[2]، ينتج عنه تشكل الصورة التي يرسمها الفكر من خلال تخيّل الحركة والنشاط المرتبط بالإصباح، ويقابله السكون والثبات المتلبس بالليل، كل هذا في اتساق تامّ مع تقلّب الجملة من الفعلية إلى الاسمية، يجعل الخطاب بديعا، والتنوّع لافتا ومثيرا.

ومن صور الفاصلة التي تغيّر فيها شكل التعبير، وهذا تماشيا مع السياق ووقوفا عند الدلالة، فإننا نجد في سورة الأعراف أنه قد استعمل اسم الفاعل: (ملقين) بعد استعمال الفعل: (نلقي)، في قوله تعالى: ﴿ **قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ** ﴾[3]، ففي هذا السياق تحلى السّحرة بأدب المعاملة معه، فاستخدموا اسم الفاعل لمراعاة

---

[1] الأنعام ، **96**.

[2] ينظر، الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلاّمي، ص**113**.

[3] الأعراف ، **115**.

الفواصل في الآيات السابقة[1]؛ (حاشرين، الغالبين، المقربين)، وهذا من إعجاز القرآن الكريم: يأتي باللفظ حسب المعنى الذي يقتضيه[2]، والعجيب في أمر السحرة أنهم في ظرف يسير انقلبوا من الكفر إلى الإيمان، فقد "ألقوا حبالهم وعصيّهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود"[3]، قال تعالى: ﴿ **وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۝١٢٠ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ** ﴾[4]، إيذانا منهم بأنّ معجزة موسى إلهية، ولا يمكن أن تصدر عن طريق السحر، كما لا يمكن للقرآن الذي قصّ علينا نبأهم أن يكون من عند غير الله.

وفي قوله تعالى: ﴿ **قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[5]، عطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية، ولو تتبّعنا الوحدة الدلالية واخترنا الجملة الاسمية لقيل: (إلا السجن أو عذاب أليم)، ولو اعتمدنا الجملة الفعلية لقيل: (إلا أن يسجن أو يعذّب عذابا أليما)، إلا أن نظم القرآن سلك سبيل التقليب بين الفعلية والاسمية في عبارة واحدة، مُزجت فيها الدلالتان المتباينتان في استخدام الفعل تارة، والاسم تارة أخرى، وفيه دلالة على إرادة الديمومة في العذاب، وذلك ممّا يدلّ عليه استعمال الاسم

---

[1] ينظر: أسرار التكرار في القرآن، الكرماني، ص128.

[2] ينظر، جمال الفاصلة في القرآن، د. عبد القادر بن فطة، مقال ضمن مجلة : عود الند، الناشر: د. عدلي الهواري، العدد: 94.

[3] الكشاف، ج16، ص661.

[4] الأعراف، 120-122.

[5] يوسف ، 25.

الدال على الثبات، كما يكشف لنا استخدام الاسم هنا عن درجة الغلّ والغضب التي بلغت بامرأة العزيز ضدّ يوسف، عليه السلام، جرّاء عدم انصياعه لنزواتها، وحذفت اسمه من الكلام ليكون أبلغ في التخويف[1]، أي أن السجن والعذاب هو جزاء كلّ من تسوّل له نفسه أن يعتدي عليها، ولقد حسن وقوع (أليم) فاصلة تتوافق مع باقي فواصل السورة، أين أحدثت الانسجام الصوتي، وأبقت على الوحدة الإيقاعية، ويكشف الأسلوب عن الرغبة الجامحة لدى امرأة العزيز بحيث يعكس التهديد والتخويف درجة الغلّ وإرادة الفاحشة بكلّ عزم وحزم.

وفي قوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ** ﴾[2]، و(صافّات) بمعنى: "باسطات أجنحتهنّ في الجوّ عند طيرانها...، (ويقبضن): ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهنّ"[3]؛ أين استعمل الفعل مع القبض والاسم مع الصّفّ، تجسيدا لدلالة الفعل على الحدث والتبدّل الذي يتلاءم مع فعل القبض، ودلالة الاسم على الثبوت والاستقرار المتوافقة مع معنى الصّفّ، والانتقال من الفعلية إلى الاسمية يحقق الانسجام بين آفاق المعنى وشكل العبارة، ممّا يتولّد عنه صدى فنّي وجمالي ممتع، إذ خلّف التوافق والانتظام في تصوير المظاهر والأحداث بتنظيم الحركة اللغوية في التعبير عن مشهد الطّير وهي تسبح في جوّ السماء، وتحافظ على علوّها من خلال تعاقب حركات أجنحتها بين الصفّ والقبض.

---

[1] **ينظر: تفسير النسفي، المجلد الثاني، ص515.**

[2] **الملك ، 19.**

[3] **الكشاف، الزمخشري، ج29، ص1127.**

وفي قوله تعالى: ﴿ **هَلْ أَتَنكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ** ﴾[1]، والالتفات يحيلنا على تلمس الفرق بين التحيّتين، فقول الملائكة بني على حذف الفعل والمعنى: (نسلّم سلاما)، بينما قول إبراهيم قد بني على الاسمية على أنّ معناه: (سلام عليكم)، أين يتبيّن أنّ سلام إبراهيم، عليه السلام، أفضل من سلام الملائكة؛ لأنّ سلامه قد تميّز بالثبوت وعدم التجدّد والحدوث[2]، كأنه قصد إلى إحداث تحية أحسن من تحيّتهم[3]، ويكون ردّ السلام أحسن من إلقائها عملا بالتوجيه الإلهي: ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ** ﴾[4]، زيادة على الحسن المنبثق من التبدّل في صيغة التحية بين الملائكة وسيدنا إبراهيم، عليه السلام، بما يجدّد النشاط لدى المخاطب.

---

[1] **الذاريات ، 24-25.**

[2] **ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج1، ص27، وذلك في معرض تفسيره لسورة الفاتحة.**

[3] **ينظر: نفسه، ج27، ص1052.**

[4] **النساء ، 86.**

12-المبحث الثاني عشر: الافتنان

يمكن إدراج الافتنان تحت مفهوم القلب على أساس أنه يتضمن نوعا من تلاقي النقائض، فهو الإتيان في كلام بفنّين متضادّين من فنون الكلام في جملة واحدة[1]، وافتنّ في الحديث: اتّبع فيه فنونا وأساليب حسنة من الكلام، وتتجلى جماليته في أنه يجمع بين معنيين متقابلين مثل المدح والذم، والفخر والتعزية، والبشارة والوعيد، والهناء والعزاء[2]، كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[3]، فقد تضمّن بشارة للمتقين بالنجاة من النار، وتهديدا ووعيدا للظالمين بإدخالهم فيها وإبقائهم هناك، إذ جمعت الآية بين الوعد والوعيد، والبشارة والإنذار في جملة واحدة[4]، ، وقد دلّ على البشارة فعل: (ننجّي)، ودلّ على الوعيد فعل: (نذر)، الدالّ على الترك مع عدم الاهتمام.

إنّ تلقّي مثل هذا الكلام يدعو الإنسان إلى التشبّث بالرجاء في ربّه، دون ترك الخوف من عقابه، فلقد صورت لنا آية واحدة مشهدين متناقضين، أحدهما يدعو إلى الفرح والاستبشار، والآخر يحملنا على الحذر وعدم الأمن من مكر الله سبحانه؛ قال تعالى: ﴿ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[5].

---

[1] ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، تح: حفني محمد شرق، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، دط، دت، ص588.

[2] ينظر: المعجم المفصل في علوم البلاغة، إنعام فوّال عكّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1996، ص189.

[3] -مريم ، 72.

[4] ينظر: تحرير التحبير، ابن أبي الأصبع، ص589.

[5] الأعراف ، 99.

وفي قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[1]، جمعت الآية بين الفخر والعزاء[2]، فالتعزية لجميع المخلوقات من إنس، وجنّ، وملائكة، ودوابّ، وكل ما دبّت فيه الحياة بأنهم جميعا هالكون لا محالة، بينما مدح نفسه، تعالى، بالبقاء متفرّدا بهذه الصفة التي لا يشاركه فيها غيره من المخلوقات، ونظير هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[3]، فقد تضمّن تعزية للمخلوقات، بأنّها هالكة، ولا سبيل لأحد منها إلى البقاء، في الوقت الذي يعلن فيه، سبحانه، عن دوام بقائه، بما يثبت صفات: الحياة، والقدرة، والقهر، وغيرها من الصفات التي لا تكتمل دلالتها إلا ببقاء صاحبها، ولعلّنا نستشف من هذه الآية أيضا، معنيي البشارة والإنذار، بحيث تساق الطمأنينة إلى قلوب المؤمنين والمستضعفين بأن معبودهم باق، وأنّ صبرهم على مشقة الحياة في كنف الإيمان لن يضيع سدى مادام أن معبودهم متّصف بالبقاء، ومن الجهة المقابلة فإنّ الآية تحمل إنذارا ووعيدا إلى الكافرين، وتدحض معتقدهم بقولهم إنّ الأمر سينتهي بهلاكهم؛ كيف وصاحب الأمر لا يناله الزوال ولا يطاله الفناء؟ إنها عبارة تتنزل من خلالها نسائم الرحمة القائمة على العدل في إقامة الحكم بين العباد يوم القيامة.

---

[1] –الرحمن ، 26 ، 27.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص589.

[3] –القصص ، 88.

13- المبحث الثالث عشر: العكس والتبديل:

وهو "من تبدّل الشيء وتبدّل ب: اتّخذ منه بدلا"[1]، وقال أبو هلال العسكري: "العكس أن تعكس الكلام فتجعل في الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول"[2]، وزاد عليه: "أن يذكر المعنى ثمّ يعكسه إيراد خلاف"[3]، ومن أمثلته ما ورد في قوله تعالى: ﴿ **مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ** ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ **يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ** ﴾[5]، إذ بني هذا التركيب القرآني على تكرار الألفاظ المتعاكسة دلاليا (الحيّ) و(الميّت)، ولعلّ المعنى البعيد يخرج من الدلالة المحسوسة للحيّ والميّت، إلى الدلالة المجردة، التي تعبّر عن كل معاني الحياة والموت، فالعلم حياة والجهل موت، والإيمان بالله حياة والكفر به موت، والسعادة حياة والشقاء موت.

ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ** ﴾[6] فإنما أنزل القرآن لينتفع به أحياء القلوب، فيزيدهم حياة إلى حياتهم، والقرآن حياة لكونه روحا ونورا، كما ورد في قوله،

---

[1] ينظر: المعجم المفصل في علوم البلاغة، إنعام فوّال عكّاوي، ص278.

[2] كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص234.

[3] المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

[4] فاطر ، 2.

[5] الروم ، 19.

[6] يس ، 70.

سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1]، وكل ما هو روح فهو حيّ، كما أن تقلّب ذهن السامع بين دلالة الحياة ودلالة الموت يستدعي استحضار هذه النقائض، التي تعمل على تنشيط العمل الذهني في تلقي الخطاب، حتى تكتمل بذلك عناصر التفاعل من جهة المخاطبين.[2]

وقد يمتدّ طرفا المقابلة ليشملا جملتين، كما قد يصل التقابل إلى حدّ أن يصير بين سورتين كاملتين، كما هو الشأن بين سورتي الماعون والكوثر، أين كان الحديث في الأولى عن شخصية المنافق، وأمّا الثانية فكان المقصود هو شخص النّبيّ، صلّى الله عليه وسلّم.

وتحدّثت سورة الماعون عن صفات أربعة، هي: البخل، وترك الصلاة، والرياء فيها، ومنع الزكاة، وأمّا في سورة الكوثر، فقد وردت أربع صفاة، تعاكس كل واحدة منها صفة ممّا ورد في سورة الماعون على النحو التالي:

سورة الماعون		سورة الكوثر	
البخل	﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ	الكرم	﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾

[1] الشورى ، 52

[2] يعبر عن هذا المعنى في اللسانيات الحديثة بالتداولية، وتتمثل عناصرها في المتكلم والمتلقي والخطاب.

	﴿ ... ٱلۡمِسۡكِينِ ﴾		
ترك الصلاة	﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴾	الأمر بالصلاة	﴿ فَصَلِّ ﴾
الرياء	﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ﴾	الإخلاص	﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾
منع الصدقة	﴿ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴾	التصدق	﴿ وَٱنۡحَرۡ ﴾

وقد بنيت دعوى وجود المقابلة بين أوّلي السورتين على أساس أنّ قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ يدلّ على الكثرة والكرم الرّبّاني[1]، وهو عكس معنى البخل المشار إليه في أوّل سورة الماعون.

وأمّا الغاية البلاغية من المقابلة بين نهايتي السورتين؛ فتتجلّى في بلوغ المراد من قوله تعالى: ﴿ وَٱنۡحَرۡ ﴾، وهو حضّ النّبيّ، صلى الله عليه وسلّم، على التصدّق وملازمة الكرم[2]،

---

[1] **البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص152، نقلا عن الزركشي.**

[2] **ينظر: المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.**

فلا يكون الغرض من فعل النحر هو الانتفاع بلحم الأضاحي انتفاعا ذاتيّا فحسب؛ بل المقصود هو تقسيم الأضحية على الفقراء والمساكين.

وتتمثل اللفتة الجمالية في الانتقال المفاجئ من الحديث في سورة كاملة إلى حديث آخر هو مقلوبه في موضوعه جزء جزء، ممّا يتيح للقارئ أن يعقد مقارنته بين الموضوعين، ويرتّب الصفات المذكورة في ذهنه على أساس الحسن والقبح.

ومن ملامح الجمال في هذا الأسلوب أنه قد وردت السورتان متآخيتين، بحيث يرتبط آخر سورة الماعون مع أوّل سورة الكوثر، فذكر المنع في آخر الأولى والعطاء في أوّل الثانية، على نحو من الارتباط الدلالي الذي يقود السامع إلى أن يتصوّر التقابل في الصفتين اللتين استغرقتا موضوعي السورتين، وهما البخل، من جهة المكذبين بالدين والتحذير منه، والذي دلّت عليه كلمة (فويل)، والكرم الربّاني والدعوة إلى الاتصاف به، من خلال فعل الأمر (وانحر)، كما توطّد المقابلة، على هذا النحو، المناسبة في الترابط والانسجام بين موضوعات القرآن الكريم، أين يكون الجانب الأسلوبي داعيا من دواعي التعاقب والتماسك بين السور، وهو مظهر آخر من مظاهر الإعجاز.

وفي قوله تعالى: ﴿ ۞ **مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴾[1]، فقد جمّعت الآية الكريمة الصفات القبيحة في جانب، والصفات الحميدة في جانب يقابله مثنى مثنى، وهو الأنسب في المقابلة والأتمّ في

[1] هود ، 24.

الإعجاز[1]، منه لو قيل: (مَثَل الفريقين كالأعمى والبصير والأصمّ والسميع)؛ لأنّ كلّ صفة تلازمها صفة أخرى من جنسها في النقص أو الكمال، والتفريق ههنا يضعّف المعنى، ويغيّب التلازم الحاصل بين العمى والصّمم، ويخفّف من حدّة القبح، والجمع يقوّيها، كما أنّ التفريق بين السمع والإبصار ينقص من مستوى الجمال، والجمع يرفعه، والتدبّر في هذا المثل يدعونا إلى استحضار شخص أصمّ وأعمى في آن، وآخر سميع وبصير في آن، ليتسنّى لنا بعد ذلك التوصّل إلى الفرق بين صفتي الكافر والمؤمن على أتمّ وجه.

وأمّا في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾[2]، فإن الكلمات وردت متقابلة تقابلا أحاديا، كما بين الإيجاب والسلب من التعاكس، تتبع كلّ صفة، على حدة، ما يعاكسها دلاليا، فالأعمى يقابله البصير، والظلمات يقابلها النور، والظل يقابله الحرور، والأحياء يقابلهم الأموات، فلا يمكننا أن نقول: (وما يستوي الأعمى والظلمات والحرور والأموات ولا البصير والنور والظل والأحياء)، لأنها مفاهيم مستقاة لا يمكن أن تجتمع في شيء واحد؛ بل إن كلّ صفة يمكن أن تكون بمثابة ذات مستقلّة، والعطف ما بينها هو عطف بين الذوات وليس بين

[1] ينظر، البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص912.
[2] فاطر ، 19-22.

الصفات كما في سورة هود[1]، وهو ما يمنع اصطفاف الكلمات ذات الدلالات الموجبة في جهة والسالبة في الجهة المقابلة.

ويتنامى الجمال الأسلوبي في الآيات من خلال حضور الغرض الإيقاعي، وذلك بإحداث التوافق الصوتي بين الفواصل، ولقد سلك التعبير أسلوب القلب في الرتب، الحاصل من تقديم الأعمى على البصير، والظلمات على النور، لتوافق ما قبلها وما بعدها من الفواصل ذات النهايات المتشابهة، مثل: (المصير، القبور، نذير).

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ** ﴾[2]، إن المعاني التي يحتملها التركيب سببها تأخير المعطوف (وابتغاؤكم من فضله)، إذ يمكّننا تموقعه بعد معطوف آخر، وهو (النهار)؛ من إمكانية تعليقه به، فيكون الابتغاء بالنهار، كما قد يكون متعلقا بما قبله جميعا؛ فيكون الابتغاء بالليل والنهار، كما أدّى تقديم (منامكم) إلى إمكانية تعليقه بالليل على اعتبار أنّه ردفه في الجملة، كما يمكن أن يكون متعلّقا بالليل والنهار إذا عملنا بمقتضى العطف بينهما بعيدا عن المعطوف الأخير (وابتغاؤكم من فضله)، والسبب في هذا الثراء الدلالي المنبثق من الآية الكريمة هو حسن التموقع لدى أجزائها، ووقوع (الليل والنهار) محصورتين بين المنام والابتغاء، وتقديم المنام لأنّه يعبّر عن السكون، وهو الأصل والأكثر ضرورة في الحياة[3]، ثمّ يكون الابتغاء الدالّ على الحركة والنشاط،

---

[1] **ينظر: روائع البان في إعجاز القرآن، تمام حسان، ص27-28.**

[2] **الروم ، 23.**

[3] **روائع البيان في إعجاز القرآن، محمد سالم محيسن، ص77.**

وتقديم الليل على النهار جاء مناسبا لحقيقة السبق الوجودي[1]، هذه المعاني وغيرها قد بلغت بالآية حدّ الإعجاز، توازيه السلاسة في تدفق كلماتها وموافقة الإيقاع الهادئ لمعنى التحبّب، ممّا بلغ بالخطاب أعلى مراتب الحسن والجمال الأسلوبي.

وأما في قوله تعالى: ﴿ **وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾[2]، فقد ذكر الليل والنهار وهما متعاكسان دلاليا في جهة، والسكون والابتغاء، وهما متعاكسان دلاليا، إذا أخذنا بالاعتبار أن الابتغاء يلازم الحركة التي تقابل السكون، وفي ذكر الابتغاء تنبيه إلى الجانب المنفعي والمصلحي من الحركة التي قد تكون للمفسدة أيضا[3]، ويعضد هذا ذكر الرحمة في مستهلّ الآية، ولا يمكن أن يكون الإفساد الناتج عن الحركة من دواعي الرحمة الربانية، وكذلك ختمت الآية بالعلّة الأساسية والمنفصلة عن هاتين العلّتين: (الحركة والابتغاء)؛ وهي فعل الشكر، ونسبة النعم إلى المنعم، تبارك وتعالى.

كما أن التناغم الحاصل بين توزيع الكلمات في التركيب سببه اعتماد القانون المنطقي في إلحاق كل لفظ من القسم الأول من الآية بما يلائمه من القسم الآخر، فيكون السكون خاصا بالليل، والابتغاء خاصا بالنهار، والجمع بين الأسباب في جهة، والمسببات في الجهة المقابلة فيه إشارة إلى إمكانية التداخل، بحيث قد يكون السكون نهارا، كما قد

---

[1] **ينظر: الطراز، العلوي، ج2، ص59**

[2] **القصص ، 73**

[3] **ينظر: بغية الإيضاح، عبد المتعال الصعيدي، ج4، ص10**

يكون الابتغاء ليلا، والترتيب على هذا في الآية لا ينفي هذه الاحتمالات؛ بل يشير إلى العادة والفطرة فقط.

إن الجمع بين المعاني المتعاكسة (الليل والنهار)، ثمّ (السكون والابتغاء) يسهم في بعث النشاط عند المخاطب، ينتج عن تقلّب الفكر عندما يستحضر المعنى ثمّ ينتقل إلى ما يقابله، ممّا يضفي على الكلام ذوقا خاصا ورونقا، ولا سيما عندما يوافق مقتضى الدلالة المرجوّة، من غير أن يحدث اللبس في فهم المخاطب.

أما في سورة الكافرون، قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾[1]؛ فقد كان الحديث عن شخصيتين هما: رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ويمثل من تبعه من المؤمنين برسالته، من جهة، والكافرون من الجهة الأخرى، نشأ من خلاله تقابل في شخصيات السورة، (على أنهما طرفا النزاع)، التي تتضمن تقابلا في صياغة الحوار بين الشخصيتين، نقول حوارا لأن قضية السورة نشأت حين حاول المشركون أن يفتكّوا من الرسول، صلى الله عليه وسلّم، اعترافا بآلهتهم، وذلك بأن يستلم بعض آلهتهم[2]، أو يؤمن ببعض بدينهم كي يؤمنوا هم بدينه.

[1] **الكافرون ، 1–6.**

[2] **ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج30،ص1225.**

كما توحي هذه المسألة بضعف المشركين وخوار عزائمهم في مجابهة الرسول الكريم المدعوم بالقرآن العظيم؛ دلّ على ذلك أنّهم كانوا هم من جاؤوا صاغرين إلى التفاوض، وكانوا هم أوّل من طلب إلى الحلّ الوسط، لكن هيهات أن يفرّط رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، في شيء من دينه، ولو أجابهم لأكملوا العهد، قال تعالى في سورة القلم: ﴿ **وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ** ﴾[1]، أي ودّوا لو أنّك تلين قليلا فيلينون كثيرا[2]، فيبدأ التوجيه الإلهي لنبيّه، صلى الله عليه وسلم، حتى يخوض هذه المفاوضات في ثقة وعزيمة، بدءا من تسمية الطرف الآخر بالكافرين، فقال تعالى: ﴿ **قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ** ﴾، ثمّ أردف ذلك بقوله تعالى: ﴿ **لا أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ** ﴾، أين أُمر الرسول، صلى الله عليه وسلم، بأن ينفي احتمال أن يتّبع دين الكفار، ثم أعقبه بنفي أن يتّبع الكفار دينه، في قوله تعالى: ﴿ **وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ** ﴾، ليعود إلى تأكيد الجملة الأولى بعد أن قلب فعلها الأول إلى اسم، وفعلها الثاني من المضارع إلى الماضي، في قوله تعالى: ﴿ **وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ** ﴾، **أي**: "الآن ما أعبد، أي لا أعبد الآن ما تعبدون ولا أجيبكم فيما بقي أن أعبد ما تعبدون"[3]، ثم يعود إلى تأكيد الجملة الثانية في قوله، عزّ من قائل: ﴿ **وَلا أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ** ﴾، لتختم السورة بالتفريق النهائي بين الملّتين في قوله تعالى: (**لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ** ﴾، المتضمّن للتأكيد على المعاني التي أسس لها التكرار في السورة الكريمة، من خلال التأكيد

[1] **القلم ، 6.**

[2] **ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة بنت الشاطئ، ج2، ص55.**

[3] **مجاز القرآن، أبو عبيدة، ص144.**

على نفي عبادة الأصنام عن نبيه، صلى الله عليه وسلّم، وكذا نفي عبادة الله عن الكفار[1]، والنفي يستغرق الأزمنة الثلاثة لكلا الفعلين.

ويتجلّى الجمال الفني والبياني لأسلوب التبديل، فيما يحدثه الجمع بين الكلمات المتعاكسة دلاليا من أثر شعوري في نفس المتلقي، فيشرف المعنى الذي يسري بين الأصوات المتناغمة في إيقاع جميل، وذلك من خلال التبديل الحاصل جرّاء تتابع ألفاظ وجمل متقابلة بين السلب والإيجاب، وتصريف الفعل بين المتكلم وجمع المخاطبين، (لا أعبد، تعبدون) (لا أنتم عابدون، أعبد) (لا أنا عابد ، عبدتم)، (لا أنتم عابدون ، أعبد)، (لكم دينكم، لي دين)، مما يجعل ذهن السامع ينتقل بين الطرفين في متعة إيقاعية تحدثها الفاصلة الموحّدة، متمثلة في (النون)، على طول السورة الكريمة.

12-القلب عن طريق الحذف:

تعتمد عملية الكشف عن مواطن الحذف وأسراره البلاغية والأسلوبية، أساسا، على ذوق المتلقّي وقدارته الفنّيّة، أين لا يمكن أن نتقيّد بقواعد محدّدة تعيّن لكل شكل من أشكاله غاية معنويّة أو جمالية؛ بل إنّنا نجزم أنّ هنالك من الشواهد، في القرآن أو غيره من النصوص الأدبيّة، ما وقع فيه الخلاف بين الباحثين حول وقوع الحذف من عدمه، بله المواطن التي ما زالت بكرا لم تصل إليها قرائح المنقّبين.

[1] ينظر: أسرار التكرار في القرآن، الكرماني، ص256.

والحذف قد يقع في الحروف أو الكلمات أو الجمل، ففي قوله تعالى: ﴿ **وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا** ﴾[1]، قد حذف من الجملة الفعل: (فضرب)، وفاعله المستتر (موسى)، ومفعوله (الحجر)، فالفعل (انبجست) مسبّب عن الضرب، والحذف ههنا بني على فهم المخاطب لسياق الكلام، ولو ذكرت الجملة (فضرب موسى الحجر)، أو (فضربه)، لكان زيادة لا فائدة منها سوى التطويل وإنزال الكلام من قدره وفصاحته.

ويعدّ الاختصار من أهم دواعي الحذف، ومن أهمّ آلياته حذف المضاف، ذلك أنه الأهمّ والأوسع[2]، ففي قوله تعالى: ﴿ **وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ** ﴾[3]، "إنما يريد أهلها، فاختصر وعمل الفعل في القرية، كما كان عاملا في الأهل لو كان هاهنا"[4]، ولأنّ الكلام لا يستقيم عقلا؛ إذ لا يعقل أن يكون السؤال موجّها إلى القرية، كما لا يمكن تصوّر إجابة منها[5]، فإنّ الأمر يقتضي سؤال أهلها، ولكن المخاطب يستغني بالقرينة على ذكر المضاف من أجل بلوغ المعنى[6].

---

[1] **الأعراف، 160.**

[2] **ينظر: الخصائص، ابن جني، ج2، ص 273.**

[3] **يوسف ، 82.**

[4] **ينظر: الكتاب، سيبويه، ج1، ص 212.**

[5] **ينظر: أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، مصطفى شاهر خلوف، دار الفكر، عمّان، الأردن، ط1، 2009، ص108.**

[6] **ينظر: تحرير التحبير، ابن أبي الأصبع، ص462.**

إضافة على أن المخاطب يستشف دلالة التأكيد، أين حاول إخوة يوسف أن يقنعوا أباهم على صدق ما ادّعَوْه على أخيهم بأنّه سرق؛ لأنّ سؤال القرية يقتضي أن يسأل سكانها جميعا، ثمّ البيوت والأزقة والأسواق، وكل ما يصحّ أن يدخل تحت مسمّى (القرية)، ولا شك أن المبالغة في الاعتذار في هذا الموقف نابعة عن تيقّن أبناء سيدنا يعقوب، عليه السلام، بأن أباهم سوف لن يصدّقهم كما لم يصدقهم في الموقف الأوّل حين ألقوا بأخيهم يوسف في البئر، ثمّ ادّعوا بأنّ الذئب قد أكله، فكان ردّه عليهم واحدا في كلا الموقفين، قال تعالى: ﴿ **قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾[1]، والرفع في صبر يجعل منه خبرا، وهذا يدفعنا إلى تقدير مبتدأ له، فيكون المعنى: (فصبري صبر جميل)، دلالة على الثبات والالتزام بصفة الصبر في كلّ حال، كما هو الحال عندما قابل سيدنا يعقوب، عليه السلام، مكر أبنائه بالصبر الجميل.

ومنه حذف جواب القسم في قوله تعالى: ﴿ **قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ** ﴾[2]، أين لا يكتمل المعنى من دون تقدير أن يكون هنالك جواب لجملة الشرط: (**أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا**)، والإحساس بالنقص من جانب المتلقّي يثير فكره إلى

1 يوسف ، 83.
2 ق، 3.

البحث عمّا لم يصرّح به، وعن بفضل النظر في سياق الآية التي ورد فيها الحذف يتبيّن أنّ المحذوف لا يخلو من أن يكون مضمونه مطابقا لما ورد في تعقيب الكافرين بقولهم: (**ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ**)، وقد أدّت كلمة (رجع) دورها في توجيه المخاطب نحو ماهية المحذوف، إذ بذكرها نستشفّ أنّ تكذيبهم كان لأمر البعث والرجوع إلى الله بعد الموت، فيكون المعنى: (أءذا كنا ترابا وعظاما نبعث)[1]، كما يصح أن نستبدل هذا التقدير بجميع الكلمات أو الجمل التي تؤدّي الدور الدلالي نفسه، مثل: (نرجع إلى الله، أو نحاسَب، أو نحيا بعد موتنا ...) إلى غير ذلك ممّا يسمح به السياق.

وقد يعدّ الحذف مجازا إذا ما أدّى إلى تغيير في الحركة الإعرابية، وانقلب المحلّ الإعرابي للكلمات، وإنما ألحق الحذف بالمجاز، في هذه الحال، لكونهما يشتركان في ظاهرة الانقلاب عن الأصل[2]، من أجل الترقي في أساليب الكلام، وإدراك المراتب العليا للفصاحة، و"لو ظهر المحذوف لنزل قدر الكلام من علوّ بلاغته، ... ولكان مبطلا لما يظهر على الكلام من الطلاوة والحسن والرقّة"[3]، ذلك أن النفس تكون لها الحرّيّة في ترشيح الألفاظ أو الجمل بما يناسب الموقف من خلال دلالة السياق، ولا يتمّ الحذف إلا بعلم المخاطب بماهية المحذوف، ويقين المتكلّم بعدم وقوعه في اللبس أو سوء الفهمّ.

---

[1] **ينظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص 225.**

[2] **ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي، ص 392.**

[3] **الطراز، يحيى العلوي، ج2، ص92.**

ففي قوله تعالى: ﴿ وَيَسَمَآءُ أَقۡلِعِي ﴾[1]، فإن المعنى: يا مطر السماء، أو يا سحاب السماء[2]، فحذف المضاف (مطر)، وأسند الفعل إلى المضاف إليه (سماء)، أين لا تخفى الطلاوة في التعبير على هذا النحو، ولو ظهر المحذوف لصار الكلام غثّا لا يتساوى مع ما كان عليه من البهجة والحسن ولذة الإيجاز.

ومنه حذف (لا) النافية، في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَا ﴾[3]، أي لا تزول [4]، إلى غير ذلك من الأمثلة ، فإن الحذف إذا لم يصحبه تغيير في حكم من أحكام الباقي لم يجز تسميته مجازا[5]، وإنما ألحق النوع الأول من الحذف بالمجاز لكونهما يشتركان في ظاهرة التحول عن الأصل[6].

وبغية تحديد مواضع الحذف وتقدير المحذوف؛ فإنّه لا مناص من الوقوف على أصول النظام النحوي للجملة، إذ لابد من وجود تركيب أصلي قبل أن يعتريه الحذف، وبذلك نتمكن من مقارنة الدلالة الجديدة مع الدلالة الأصلية، بغية تذوق الأسرار البلاغية والأسلوبية للكلام، فالتركيب الحالي القائم على الحذف يحيلنا على التركيب الأصلي،

---

[1] هود ، 44.

[2] ينظر: تحرير التحبير، ابن أبي الأصبع، ص458.

[3]- فاطر ،41.

[4]- ينظر: المصدر السابق، ص 225.

[5]- ينظر: أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص 337.

[6]- ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي، ص 392.

ويمكّننا من استحضار المحذوف من العبارة، وملاحظة درجة القلب الدلالي المتحقق من وراء ذلك،

كما يرتكز الحذف، أحيانا، على وجود القرينة اللفظية الدالة على ماهية المحذوف، كما هو الشأن في قوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾[1]، أين حذفت المفاعيل الخاصة بالأفعال: (يسقون، تذودان، لا نسقي، فسقى)، فالسياق الكلّي يدلّ على ماهية المحذوفات؛ فلقد تقرّر في مطلع الآية أن موسى قد ورد ماء مدين، فالأحداث تدور حول سقاية الماء، ثمّ إن وجود كلمة (الرعاء) في الأخير دلّ على مفعول (تذودان)، إذ لا مناص من كون المسقي إمّا غنما أو إبلا أو غيرهما ممّا يُرعى[2]، ومن خلال الربط بين أوّل الآية ووسطها وآخرها تتبيّن الدلالات التي أخفيت أشكالها[3]، وصار يرمز إليها في مواطن أخرى من النسيج التركيبي، وعندئذ يصبح من الأكيد أنّ ذكر المفاعيل يجعل في الكلام تكرارا لا زيادة معنوية فيه، ويكون الحذف سلوكا أسلوبيا ينتج عنه الاقتصاد في الكلام لوضوح المعنى.

---

[1] القصص ، 23–24.

[2] ينظر : الكشاف، الزمخشري، ج20 ، ص797.

[3] ينظر: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطوّر، رجاء عيد، ص87.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] ، أين حذف جواب الشرط للفعل (ولو ترى)، والغرض منه الإشارة إلى أنه موقف لا يحيط به الوصف[2]، والإضراب عن ذكره يجعل النفس تذهب فيه كلّ مذهب، ويستغرق الفكر كلّ ما يمكن من الأوجه في رسم الجواب، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ﴾[3]، إذ يعمل الإضراب عن ذكر الجواب للفعل (ولو ترى) على تنبيه المخاطب إلى تدبّر الموقف، والتنبيه يكون نتيجة عدم اكتمال المعنى من ظاهر الآية، وهو ما يخلق إشكالا معنويا يؤدّي إلى استدراك ما نقص من التركيب من خلال ما يحمله فعل الشرط من دلالات التهويل والفزع.

قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾[4] ، والمعنى: أفمن هو قائم على مخلوقاته بالحفظ والتدبير والمراقبة، كالآلهة التي يعبدونها وهي لا تملك لهم نفعا ولا ضرّا[5]، وقد خرج الاستفهام عن حقيقته إلى الاستنكار، إذ كيف لهؤلاء المشركين أن يعدلوا بين من كانت تلك صفاته وأفعاله وتلك الآلهة التي تستطيع شيئا منها، وزيادة على غرض الاستنكار المراد من هذا الاستفهام؛ فقد أفصح حذف الشقّ الثاني من هذا التشبيه عن

---

[1] الأنعام ، 27.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص92.

[3] الأنعام ، 93.

[4] الرعد ، 33.

[5] ينظر: أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، مصطفى شاهر خلوف، ص118.

دلالتين متقابلتين في آن واحد؛ هما دلالة التعظيم للمذكور (هو)، العائد على اسم الله، تعالى، ودلالة التحقير للمحذوف (المعبودات الأخرى).

ومن البواعث الأسلوبية للحذف في الآية الكريمة، أنّه يدخل المخاطب في دائرة الحيرة، بسبب أنّ السؤال لم تكتمل أجزاؤه، والتشبيه لم تحدّد أركانه، ممّا يدفع على التدبّر والبحث عن هذا المحذوف ومحاولة تعيينه، ليكتشف أنّه لا مجال للمقارنة بين هذا المحذوف وبين من هو قائم على أمور العباد، سبحانه.

ومنه قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ** ﴾[1]، فمن أجل بلوغ المعنى كان لا بدّ من تقدير أنّه تمّ حذف ما يصلح لأن تستقيم الدلالة بوجوده، إذ أنّ مطلع السؤال يحتمل أن يكون المحذوف جوابا[2]، فيكون المعنى: (أفمن زيّن له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرات)، لدلالة النهي بعدها، في قوله تعالى: ﴿ **فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ** ﴾[3].

كما تحتمل الآية أن يكون المحذوف هو الطرف الثاني من التشبيه: (كمن لم يزيّن له سوء عمله)، أو (كمن هداه الله)، وعليه وجب تقدير محذوف الجواب، فكأنّ الرسول، صلى الله عليه وسلم، قال: (لا)[4]، ثمّ يقول الله تعالى: ﴿ **فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ**

---

[1] فاطر ، 8.

[2] ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج22، ص881.

[3] فاطر ، 8.

[4] ينظر: المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

﴾[1]، فقد جاء الكلام تاماّ في معناه عند المتلقّي، موجزا في ألفاظه، محتملا للعديد من التقديرات التي تتناسب مع السياق، وهو ما زاد من دقّة المعنى وجماله وقوّته، بسبب الاختصار والإيجاز.

إن هذا الثراء الدلالي سببه الحذف الذي أدّى بالمخاطب أن يذهب كلّ مذهب في استحضار ما يمكن من المعاني الفرعية التي يستقيم بها المعنى الكلّي للآية الكريمة، وقد أتت الدلالة واضحة في أسلوب بديع وموجز إلى أقصى حدّ.

يؤدّي حذف جزء من الكلام بالمخاطب إلى محاولة تعيينه، وعندئذ يعمل الذهن على استدعاء المعنى المحذوف من الدائرة الدلالية التي تضمّ جميع الدلالات المحتملة، إضافة إلى أن تعدّد الأفهام من خلال تعدّد المخاطبين يؤدّي إلى التنوّع والتكاثر في تقدير المحذوف من الكلام، ويكون للمستوى الفكري للمخاطب ولمدى فصاحته الدور الكبير في ذلك.

أمّا من الناحية الأسلوبية؛ فإنّ الحذف يجعل المخاطب طرفا مشاركا في الخطاب، من خلال محاولة تحديد ماهية المحذوف، وإسهامه في بلوغ المعنى، ممّا يبقي على الذهن متيقّظا ومشدودا نحو الكلام الموجّه إليه، وبذلك يتحقّق التفاعل بين المخاطب والخطاب.

ومن جانب آخر؛ فإنّ من أهمّ الدعائم الأسلوبية للحذف، والتي تتحقق بها قسمات الجمال، عنصر المفاجأة الذي يتحقّق بسبب عدم الاستعداد الذهني عند المخاطب، ولا يكون حذف العنصر الأساسي من الكلام من احتمالاته، فتحصل لديه

---

[1] فاطر ، 8.

الإثارة، وهي عامل مهمّ يجعل المخاطَب حاضر الذهن مع المتكلّم، ويكون الحذف عامل نشاط ودافعا مهمّا إلى محاولة إنتاج المحذوف عن طريق إعمال الفكر.

ثمّ إنّ عملية الكشف عن مواطن الحذف وأسراره البلاغية والأسلوبية تعتمد أساسا على ذوق المتلقّي وقدارته الفنّيّة، أين لا يمكن أن نتقيّد بقواعد محدّدة تعيّن لكل شكل من أشكاله غاية معنويّة أو جمالية؛ بل إنّنا نجزم أنّ هنالك من الشواهد، في القرآن أو غيره من النصوص الأدبيّة، ما وقع فيه الخلاف بين الباحثين حول وقوع الحذف من عدمه، بله المواطن التي ما زالت بكرا لم تصل إليها قرائح المنقّبين

15- المبحث الخامس عشر: تقديم النتيجة على السبب:

تتجلّى الظاهرة في قوله تعالى: ﴿ **وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ** ﴾[1]، ففي الآية قلب في ترتيب الأحداث، إذ من المعلوم أن البأس هو سبب الإهلاك، والأصل أن يقال: (وكم من قرية جاءها بأسنا فأهلكناها)، إذ أن السبب مقدّم في الوقوع على المسبّب، إلا أنّ في تقديم الإهلاك دلالة على سرعة وقوعه، وفي تسبيقه تخويف وإنذار، كما يتضمّن إشارة إلى أن الإهلاك هو موضع الاهتمام والعناية بالإخبار عنه.

---

[1] **الأعراف ، 4.**

كما يصلح أن يكون معنى (أهلكناها): (أردنا أن نهلكها)، أو (قدّرنا إهلاكها في الأزل)، وكان أمر الإهلاك مكتوبا في اللوح المحفوظ[1]، فيكون ترتيب الآية على حقيقته وتتابعه الزمني، والغرض منه هو التخويف والتهديد[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا** ﴾[3]، نجد قلبا في الترتيب بين الجملتين: (**لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا**)، فقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هيئة الفتية وهم في كهفهم نيام تثير الفزع في الرّائي لهم[4]، والشاهد في ذلك قوله تعالى: (**لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا**)، إلا أنّ الفرار يكون نتيجة الرّعب وامتلاء القلب به، بينما نلاحظ تقديم النتيجة على السبب، قصد التأكيد على فعل الفرار والإشارة إلى العناية به، وفيه دلالة على أنّ من يطّلع عليهم وهم في تلك الحالة سيهمّ بالفرار وقد لا يتفطّن لداعي فراره، وذلك بسبب شدّة الفزع الذي يؤدي إلى ذهول العقل وتوقفه عن التفكير في ماهية ما رأى، إضافة إلى أن الآية الكريمة قد عبّرت عن الحالة النفسية للرائي والتي قد ملئت رعبا وخوفا، ممّا يجعل الموقف متجسّدا في صورة يصنعها الخيال انطلاقا من المعنى.

---

[1] ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج8، ص356.

[2] ينظر: أضواء البيان، الشنقيطي، ج2، ص340.

[3] الكهف ، 18.

[4] ينظر: روح المعاني، الآلوسي، ج15 ، 227.

وكلّها دلالات واردة يحملها هذا التركيب المتضمّن قلبا في ترتيب أجزاء الكلام، دون أن نغفل دور هذا القلب في بلوغ الانسجام الصوتي في سيرورة الآيات السابقة واللاحقة من خلال مراعاة الفاصلة القرآنية، لتعطي بذلك إيقاعا متصلا بين جميع الآيات في هذه السورة المباركة، ممّا تولّد عنه مزايا بلاغية وفنية بديعة تشدّ المتلقي بسلاسة الانتقال من آية إلى أخرى، يتدبّر في المعاني ويتذوّق وقع الأصوات التي تحملها في تعاضد وانسجام.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴾[1]، فإنّ القلب حدث بتقديم الفعل (دنا) على الفعل (تدلّى) في قوله تعالى: (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ)، إذ أن الدنوّ مسبّب عن التدلّي، فكان حقّه أن يتأخر عنه.

وقال الزمخشري في تفسير هذه الآية: "(ثمّ دنا) من رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، (فتدلّى)، فتعلّق عليه في الهواء، ومنه تدلّت الثمرة.."[2]

ولو تأمّلنا السياق الذي وردت فيه هذه الآيات الكريمة لوجدنا أنّها تقرّر قضيّة أساسيّة في القرآن كلّه، وهي قضيّة نسبة القرآن إلى الله، عزّ وجلّ، فقد ابتدئت السورة بالقسم في قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾[3]، للتأكيد على أن القرآن من عند الله، وليس من

---

[1] النجم ،7–9.

[2] الكشاف، الزمخشري، ج27، ص1059.

[3] النجم ، 1–4.

كلام الرسول، صلى الله عليه وسلّم، ومن خلال دراسة أسباب النزول يتجلّى لنا الشوق الذي كان يعيشه، صلى الله عليه وسلّم، بعد أن ذاق حلاوة القرآن، فكان يخرج إلى الصحراء ويرتقي قمم الجبال ينتظر جبريل ليأتيه بالمزيد، يعتريه الخوف من أن ينقطع عنه الوحي إلى الأبد[1]، فكان همّه القرب من مصدر القرآن لكي يرتوي منه، فجاءت البشارة بالدنو تسبق مراحل حدوثه استجابة لشوقه وولعه بسماع القرآن وفرحته بأن يكون نبيّ هذه الأمّة.

[1] ينظر: أسباب النزول، أبو الحسن النيسابوري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2001 ص7.

الفصل الرابع:

الأغراض البلاغية والأسلوبية للقلب

أ-الأغراض العامّة:

1-تطرية الكلام 2-التأثير 3-تحقيق التناسب السياقي

4- التوليد الدلالي 5-تحقيق التناسب الصوتي

ب-الأغراض الخاصّة:

1-التوكيد 2- المبالغة 3-التخصيص 4- التهكم 5-التشويق

6-التفاؤل 6-التخويف والوعيد 8-الإنكار 9-التقليل

10-التحضيض 11-الاستعطاف 12-التلطّف 13-الاهتمام

14-التعظيم 15-التوبيخ 16-المدح 17-الإيجاز

18-التقرير 19-التهويل 20-التبرّك.

1- المبحث الأوّل: الأغراض العامّة

يخرج الكلام من صيغة إلى أخرى لفوائد بلاغية عامّة وخاصّة:

فأمّا العامّة، فمنها:

1- 1- **تطرية الكلام:** من خلال صيانة السمع عن الضجر والملل، لما جبلت عليه النفوس من حب التنقّل والترحال، وفي التفنّن في انتقال الكلام من أسلوب إلى آخر تنشيط للسامع، واستجلاب لصفائه، واتساع لمجاري الكلام عنده، وتسهيل للوزن والقافية.

والجمال سبب في حفظ القرآن الكريم: "وأما ما يوجد في القرآن ولا يوجد في غيره من الكلام فهو المزية الجمالية التي تمنعك أن تغيّر حرفا عن موضعه، أو تأتي بكلمة مرادفة لكلمة الأصلية، والتي إن تجاسرت وتجرّأت في التصرّف خرجت عن مزيّة فيه لا توجد في غيره، وخرجت إلى معنى آخر غير المقصود"[1]، ثمّ تكرار الكلام على عادته الحقيقية يولّد السأم عند المتلقين، عندئذ فإنّ المجاز بشتى أنواعه، من حيث هو خروج وانقلاب عن الاستعمال العادي والمطّرد للألفاظ والمعاني[2]، وهو ما يولّد حالة من تجدّد الطاقة الاستيعابية لدى المستمعين.

---

[1] الأسلوبية والبيان العربي، ص159.

[2] الإبلاغية في البلاغة العربية، سمير أبو حمدان ، منشورات عويدان، بيروت، ط1، 1991، ص 175.

كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[1]، حيث أن المجاز الواقع من خلال استعارة عملية التنفس للصبح الذي تنبعث منه خيالات شتى عن انبلاج الصباح: "وهي بعد جملة واحدة بل لفظة واحدة تخلق هذا المثال النادر من الإشعاع، وتمدّ الخيال بذخيرة تنشط لها النفس الحية، وتستشعر التفتّح والاسترواح"[2]، وخير شاهد على ذلك أنّ الإنسان دائم التقلّب، وقلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلّبه كيف يشاء، فالإنسان يكون غائباً، فيحضر بكلمة واحدة، ويكون حاضراً فيغيب، والدليل على ذلك ما تقدّم ذكره في هذا البحث من أساليب، خاصة منها الالتفات، والذي يعني الانتقال من أسلوب إلى آخر.

1-2- التأثير:

تتميّز النفس الإنسانية بالجموح وعدم الثبات على حال، فلا يسهل توجيهها إلا أن يكون النص ذا جودة عالية، وبمقدوره أن يهيّئ لها المناخ المناسب لكي تقبل عليه، فيعمد إلى إثارتها من خلال العاطفة وإذكاء الشعور في حالتي الترغيب والترهيب[3]، إلى جانب توسيع دائرة المعنى فإنّ المتكلّم يروم، أحيانا، التأثير على المتلقّي، فينتقي في خطابه

---

[1] التكوير 18.

[2] التصوير الفني في القرآن الكريم، جبير صالح حمادي، ص 51 نقلا من كلام سيد القطب.

[3] مجاز القرآن، خصائصه الفنية وبلاغته العربية، محمد حسين علي الصغير، دار المؤرّخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ص96.

الأساليب البلاغية المختلفة، مقصودة كانت أو غير مقصودة[1]، والتي تعمل على إيقاظ ذهن المتلقي ودغدغة مشاعره وأحاسيسه، حتى يتمّ التفاعل مع الخطاب، ويبلغ المتكلّم هدفه في إيصال الفكرة كما تبدو له إلى المخاطب.

وفي هذا الصدد يقول ابن المدبّر: "أدِرِ الألفاظ في أماكنها، واعرضها مع معانيها، وقلّبها على جميع وجوهها، حتى تقع موقعها، ولا تجعلها قلقة نافرة، فمتى صارت كذلك هجنت الموضع الذي أردت تحسينه، وأفسدت المكان الذي أردت إصلاحه، واعلم أن الألفاظ في غير أماكنها، والقصد بها في غير مظانها، كترقيع الثوب الذي إذا لم تتشابه رقاعه، ولم تتقارب أجزاؤه، خرج عن حدّ الجدّة، وتغير حسنه"[2]، فالترتيب في أركان الجملة يعكس المعنى المراد، فيصير كلّ تركيب مخصوص له معنى مخصوص، ويؤدّي التغيير في مواقع الكلمات إلى نشوء معنى آخر، تتحدّد المسافة بينه وبين الأوّل بحسب درجة التقليب في المراتب وبُعد الكلمة عن موقعها الأوّل، وتتجلّى جمالية التقديم والتأخير في قوّة تأثيره على المتلقّي وقدرته على الكشف عن دقائق المعاني، وإظهار المخبوء منها وراء الألفاظ[3].

والقرآن، بوصفه على أنه كلام الله المعجز، له تأثيره الخاص في نفوس القارئين والمستمعين له، كيف لا وقد ظهر تأثيره على الجمادات، فقوله تعالى: ﴿ **لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا**

---

[1] قلنا: غير مقصودة؛ لأنّ هنالك من الأساليب البلاغية، والاستخدامات اللغوية التي أمست شائعة بين المتكلّمين، إلى درجة أنها أضحت أصلا، لا يؤدّي إلى غرض بلاغي مهمّ، بسبب ذهاب حرارتها الناتج عن كثرة دورانها واستعمالها.

[2] الرسالة العذراء، ابن المدبّر(أبو اليسر إبراهيم بن محمد)، تحقيق: د. زكي مبارك، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1931، ص30.

[3] ينظر: نظرية المعنى في الدرس النحوي، د. مبارك عبد القادر، ص122.

ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[1]، يستوجب القول بأن تأثيره في نفوس الأحياء أولى، ولذلك قيل أنّ المطلوب شرعًا إنما هو تحسين الصوت، وهو الباعث على تدبر القرآن وتفهمه، والخشوع والخضوع، والانقياد والطاعة، قال تعالى: ﴿ **وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ** ﴾[2]، ومما يعين على تدبر القرآن تحسين الصوت في قراءته.

وقد أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها، وعن أبي هريرة: أن رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، قال: (**ما أذن الله لشيء** – أي استمع– **ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنّى بالقرآن يجهر به**)[3]، فالنفوس أحق بالتأثّر بكلام الله، مما يوجب التدبّر والتفكّر، قال عز من قائل: ﴿ **ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ** ﴾[4]، ومن مسبّبات اللين في القلوب أنّ القرآن "يورد المعنى الواحد بصور مختلفة وبطريقة فنيّة معجزة تستهدف الإقناع

---

[1] الحشر ، **21**.
[2] يس ، **69– 70**.
[3] رواه البخاري ومسلم.
[4] الزمر ، **23** .

والإمتاع"[1]، فمن الطبيعي أن تتأثّر النفس وتتحرّك لكونها غير معتادة على سماع مثل هذه التعابير، والتعبير غير العادي يعمل على انفعالها وقيادتها إلى هذه المعاني المعبّر عنها.

يقول عبد القاهر الجرجاني في هذا الصدد: "إن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفيّ إلى جليّ، وتأتيها بصريح بعد مكنيّ، وأن تردها في الشيء، تعلمها إيّاه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، وعمّا يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع..."[2]، وأما المعيار في قبول أسلوب من الأساليب الآنفة الذكر فهو زيادة الفائدة المعنوية والأسلوبية[3]، إذ لا ينبغي العدول عن الأصل إن لم تكن هناك زيادة فائدة.

ومنه فإنّ السبب الحقيقي في تأثر النّفس بأساليب القلب، هو كسر قاعدة الأصل، والخروج عن المألوف، باعتبار عملية القلب هي اختراق لقوانين اللغة، تنتج عنها مزايا معنويّة، وأخرى فنّية أساسها إرادة الجمال وتربية الذوق عند المتلقي.

---

[1] التشكيل البلاغي للصورة الفنية في القرآن الكريم، محمد محمود صالح قاسم، ص128.

[2] أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص106.

[3] –ينظر: المثل السائر، ابن الأثير ،ج1، ص 73.

1-3- تحقيق التناسب السياقي:

إن اختيار الكلمات في القرآن الكريم وترتيبها في الجملة يخضع أوّل لمتطلبات السياق وما يقتضيه المعنى العام في السورة أو الفقرة الدلالية، وتحقيق التلاؤم والتوافق الدلالي ممّا لا يتنازل عنه أو يفرّط فيه، فلا يعمد القرآن الكريم إلى تحقيق غاية صوتية أو شكلية أخرى على حساب المعنى الذي يوجبه السياق، وهو أمر أجمعت عليه جميع الدراسات والآراء قديما وحديثا، ومراعاة التناسب السياقي في ترتيب ألفاظ التركيب نلمسه في القرآن الكريم كلّه، ويظهر جليّا في قوله، تعالى: ﴿ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾[1]، إذ تصوّر لنا هذه الآية الكريمة حال المجرم وهو في صراع مع نفسه، قد أيقن بالهلاك، وعلم أن الأمر يتطلّب فدية عظيمة، عظم المهروب منه، إنه الخلود في نار جهنم، عندها سيفكر في تقديم أعزّ ما لديه ، وأقرب الناس إليه الذين هم أبناؤه، لكن يبدو أن هذا الأمر لا يكفي فيفكّر في أنه سيدفع بزوجته أيضا ثم إخوته، فإذا استنفذ الأحباء والأقرباء فلا جدوى من بقاء الناس جميعا وما يصنع بالناس جميعا إذا لم يكن بينهم ابن وصاحبة و إخوة.

وأما في قوله، سبحانه: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾[2]، فإنّ السياق مختلف؛ بل إنّ المشهد سابق عن الأوّل، وهو تصوير لحال الإنسان وهو في انتظار

---

[1] المعارج ، 11-14.

[2] - عبس ، 33-37.

الحساب[1]، يعُدّ سيئاته وحسناته، ويبحث في سجلّات ديونه مع الخلق، يخاف أن تضيع منه حسنة واحدة، والناس في هيام، لا يدري أحدهم أين يتّجه، ومن أين له بحسنة يثقّل بها موازينه، وقد يأتي إليه يطلب الحسنات من قد يستحيي منه، لقد كثرت المسألة، فلا منجى من هذا الموقف إلا الفرار، وسيبدأ بالأبعد الذي هو الأخ، ثم يبالغ في اعتزاله الناس حتى يصل الأمر به إلى الهروب من أمّه التي حملته وأرضعته وسهرت عليه، ثم الأب الذي عاش وعانى من أجله، ثم أبناؤه أخيرا أصبحوا لا يرونه، لقد فرّ منهم أيضا، أين يصعب التجاهل بأهمّية الترتيب في تشكّل المعنى السياقي المراد من وراء تصوير المشهدين؛ ففي حال الفداء: يتم الأمر على هذا الترتيب : أبناء، ثمّ صاحبة، ثمّ إخوة، وفي حال الفرار : ينقلب الترتيب إلى : إخوة، ثمّ أمّ، ثمّ أب، ثمّ صاحبة، ثمّ أبناء.

كما نلاحظ القلب في الترتيب بين قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ** ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا** ﴾[3]، فقد قدّم المخاطبين في الأولى لأنهم محلّ الاهتمام، فالخطاب موجّه إلى الفقراء الذين ضاق عليهم رزقهم، فنهاهم الله، عزّ وجلّ، أن يقتلوا أولادهم بسبب إملاقهم، ووعدهم بأنه تكفّل برزقهم أوّلا ثمّ برزق أولادهم، وأمّا في الآية الثانية فإنّ الخطاب كان موجّها إلى الأغنياء الذين يخشون الفقر أن يلحق بأولادهم

---

[1] **ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرّائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط3، 2003، ص193 وما بعدها.**

[2] **الأنعام 151.**

[3] **الإسراء ، 31.**

وليس بهم، فقدّم، تعالى، رزق أولادهم لأنه محلّ الخشية، وأخّر الحديث عن رزقهم، فالله تعالى يقدّم الذي أهمّ عبادَه وهم إليه أحوج.

كما يكشف التبادل في المواضع بين الآباء والأبناء، في هذا الموقف عن معنى شمولية العناية الإلهية لكليهما، فيقدّم أحدهما تارة ويقدّم الآخر تارة أخرى، إشارة إلى تساوي الطرفين في حظّ الحصول على الرزق، وينتج عن هذا التبادل بين مراتب الألفاظ في الآيتين انشراح النفس بوقوفها على حقيقة الدقة والتناسق العميق مع السياق[1]، فيعمل على استمالة القارئ إلى التدبّر، وإكسابه ذوقا تعبيريا، ويدعوه إلى إعمال الفكر والمنطق في ترتيب ألفاظ عبارته تماشيا مع ملابسات السياق والموقف.

1-4-التوليد الدلالي

يؤدّي الخروج عن القاعدة في تأليف الكلام وخرق قوانينه دورا كبيرا في بلوغ المعاني الجديدة، من حيث هو كسر لأسوار المعجم، كما في المجاز اللغوي، أو اختراق القواعد المنطقية في الإسناد، كما في المجاز العقلي، أو مجاوزة نظام التركيب، كما في التقديم والتأخير، بحيث لا يمكّننا الخطاب في مستواه الحقيقي من بلوغ تلك المعاني، فيعمل القلب في القواعد على توسيع الدائرة الدلالية، واستحضار جوانب أخرى من المعاني، تكون ذات أهمّيّة على حسب درجة الانقلاب على القاعدة، كما هو الشأن في قوله تعالى: ﴿ **قُل لَّا**

[1] ينظر: الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلاّمي، ص111.

﴿تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1]، أين نجد قلبا في وصف أعمال كلا الفريقين، فما يصنعه المؤمنون وصف بالجرم، وما يصنعه الكافرون وصف بالعمل، والحقيقة عكس ذلك؛ لأن ما يصنعه الكافرون هو الجرم، "وهذا أدخل في الإنصاف وأبلغ فيه من الأوّل حيث أسند الإجرام إلى المخاطِبين والعمل إلى المخاطَبين"[2]، وإنما سلك القرآن أسلوب المداراة مع المعارضين والمنكرين ليوم البعث والحساب، فدعاهم سبحانه لأن يحتفظوا بأعمالهم لأنفسهم، فإنه لن يتحملها عنهم غيرهم يوم القيامة، كما أنهم لن يتحمّلوا أوزار غيرهم، وما دام الأمر كذلك فلا بأس أن يقال بأنهم على صلاح والمؤمنون على ضلال، كما يزعم: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[3]، فإنّ ذلك لن يغيّر من الأمر شيئا، وإنّهم سيقولون يوم القيامة: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾[4]، أي غير الذي كنا نحسبه صالحا، وإنما ذكر (الذي كنا نعمل)[5]، مع دلالة الأوّل عليه زيادة في التحسّر على ما كانوا يقترفون من المعاصي في الدنيا.

كما نلمس من أسلوب التهكم هنا استدراجا من الله، عز وجل، للكافرين حتى يبقوا على كفرهم، فيكون مصيرهم إلى النار، وقد أوهمهم، قبل ذلك، قوله تعالى، على

---

[1] سبأ ، 25.

[2] الكشاف، الزمخشري، ج22، ص874.

[3] الكهف ، 104.

[4] فاطر ، 37.

[5] ينظر: المصدر نفسه، ج22، ص888.

لسان نبيّه: ﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[1]، احتمال أن يكونوا على هدى رغم حقيقة ضلالهم، وإنّما الغرض من هذا هو مجارات الكفار فيما يعتقدونه، ويحمل التعبير استدراجا للمشركين[2]، من دون إبداء ضلالهم لهم، وقد تمّ "إخرج الكلام مخرج الشكّ قصد المبالغة في العدل والمظاهرة في الحجاج"[3]، حتى يكون أجدى للإنصات وأدعى للقبول.

إضافة إلى ملمح آخر في الآية الكريمة، وهو أن الله، تعالى، يدعو رسوله، صلى الله عليه وسلم، إلى أن يكفّ عن رجائهم واستمالتهم؛ بإعلامه أن لا فائدة ترجى منهم، ولقد ورد هذا المعنى في مواضع أخرى كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾[5]، وقوله سبحانه : ﴿ ۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ ﴾[6]، ﴾[6]، وقوله، عز وجل: ﴿ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴾[7]، وما يتضمّنه من من دلالات التهديد والوعيد[8]، وتظهر البراعة الأسلوبية في كونها جملة واحدة أثمرت حزمة

[1] سبأ ، 24.
[2] ينظر، البحر المحيط، ج7، ص267.
[3] النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ضمن ثلاث رسائل، ص105.
[4] الأعراف ، 199.
[5] عبس ، 7.
[6] البقرة ، 272.
[7] المزّمّل ، 11.
[8] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج21، ص18.

من المعاني، نتيجة القالب الذي صيغت فيه، كالجذع الواحد تتفرّع منه أغصان كثيرة، فتتوسّع بذلك دائرة الظلّ الذي يتشكّل على الأرض.

وفي قوله، عزّ وجلّ: ﴿ **وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ** ﴾[1]، إن المعاني التي يحتملها التركيب سببها تأخير المعطوف (وابتغاؤكم من فضله)، إذ يمكّننا تموقعه بعد معطوف آخر، وهو (النهار)؛ من إمكانية تعليقه به، فيكون الابتغاء بالنهار، كما قد يكون متعلقا بما قبله جميعا؛ فيكون الابتغاء بالليل والنهار، كما أدّى تقديم (منامكم) إلى إمكانية تعليقه بالليل على اعتبار أنّه ردفه في الجملة، كما يمكن أن يكون متعلّقا بالليل والنهار إذا عملنا بمقتضى العطف بينهما بعيدا عن المعطوف الأخير (وابتغاؤكم من فضله)، والسبب في هذا الثراء الدلالي المنبثق من الآية الكريمة هو حسن التموقع لدى أجزائها، ووقوع (الليل والنهار) محصورتين بين المنام والابتغاء، وتقديم المنام لأنّه يعبّر عن السكون، وهو الأصل والأكثر ضرورة في الحياة[2]، ثمّ يكون الابتغاء الدالّ على على الحركة والنشاط، وتقديم الليل على النهار جاء مناسبا لحقيقة السبق الوجودي، هذه المعاني وغيرها قد بلغت بالآية حدّ الإعجاز ، توازيه السلاسة في تدفق كلماتها وموافقة الإيقاع الهادئ لمعنى التحبّب، ممّا بلغ بالخطاب أعلى مراتب الحسن والجمال الأسلوبي.

---

[1] **الروم ، 23.**

[2] **روائع البيان في إعجاز القرآن، محمد سالم محيسن، ص77.**

1-5- تحقيق التناسب الصوتي:

كما في قوله تعالى: ﴿ **فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ** ﴾[1]، والأصل أن تؤخّر (أحوى)، أي أحوى غثاء، والمعنى: أخضر يميل إلى السواد[2]، وأخّرت (أحوى) لتناسب سابقاتها من الفواصل من مثل: (الأعلى، سوّى، هدى، ...).

وفي قوله تعالى: ﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا** ﴾[3]، إذا كان التكذيب خاص بالعقر، فإن الآية فيها قلب في ترتيب الأحداث، بحيث يكون العقر سابقا للتكذيب، فيكون الأصل: (فعقروها فكذّبوه)، وإنما أخّرت (فعقروها) لتتناسب الفواصل المتحدة والمتشابهة في سورة الشمس.

كما يحتمل أن يكون المعنى حقيقيا على الترتيب الحالي، إذا كان التكذيب متعلّقا برسالة النبي صالح، عليه السلام، فيكون التكذيب بالرسالة أوّلا ثمّ يتبعه عدم الامتثال للأوامر الإلهية، فقد أمرهم الله، عزّ وجلّ، بعدم التعرّض للناقة بسوء، إلا أنّهم خالفوا نبيّهم وعصوا أمر ربّهم، وقتلوا الناقة تكذيبا منهم للوعيد الذي هدّدهم به نبيّهم[4]، في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣** ﴾[5].

---

[1] الأعلى ، 5.

[2] ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص801.

[3] الشمس ، 14.

[4] ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج30، ص1206.

[5] الأعراف ، 73.

كما أننا نلمس الدفع إلى المناسبة بين رؤوس الآي جليّا في قوله، تعالى، ﴿ **قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ** ﴾[1]، فقد سبقت هذه الآية وأتبعت بآيات ذات نهايات متشابهة في الوزن، من مثل: (البوار، القرار، الأنهار، النهار)، وعليه فقد عدل عن المفرد إلى الجمع في كلمة (خلّة)، لتصبح (خلال)، ودليل وقوع القلب في صيغتها أنها وقعت معطوفة على مفرد (بيع)، وقد توافق الإيقاع مع إمكانية الجمع في (خلال) من دون المساس بالغاية المعنوية التي دفع التركيب إلى تحقيقها، إذ لا يكون الكمال في الخطاب البليغ إلا بحصول التمازج بين الأثر الدلالي المطلوب والمتعة الفنية من خلال الإيقاع.

وفي سورة الليل: قال تعالى: ﴿ **وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْأَخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا**

---

[1] إبراهيم ، **31**.

ٱلۡأَتۡقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾[1].

لقد بنيت هذه السورة على التقابل والتناظر في موضوعها، بما يحقّق الغاية الدلالية، والذائقة الفنّية، من خلال اختيار الألفاظ المتشابهة موسيقيا من حيث الطول والنهاية، فلقد ختمت آيات هذه السورة المباركة جميعها بنهايات متشابهة ومتجانسة، تتمثل في حرف ممدود مدّا مفتوحا، من مثل:(يغشى، تجلّى، الأنثى).

ومن الجانب الدلالي فإنّنا نجد ذكر الشيء ثم ما يقابله ويعاكسه، (فالليل) يقابله (النهار)، و(يغشى) يقابلها (تجلى)، و(الذكر) يقابله (الأنثى)، و(أعطى) يقابلها (بخل)، و(اتّقى)يقابلها (استغنى)، و(صدّق) يقابلها (كذّب)، و(اليسرى) يقابلها (العسرى)، و(الآخرة) يقابلها (الأولى)، و(يصلاها) يقابلها (يجنّبها)، و(الأشقى) يقابلها (الأتقى)، و(كذّب وتولّى) يقابلها (يؤتي ماله يتزكّى).

وبين قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴾، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴾، تمّ رعاية التعادل بين الشرطين، والتقابل بين المعنيين[2]، فالشرطان متقابلان دلاليا، والجوابان متقابلان كذلك، ممّا منح التركيب ميزة جمالية خاصة، تحفّز المخاطب على

---

[1] الليل ، **1– 21**.

[2] الأسلوبية والبيان العربي، ص**53–54**.

الانتقال بفكره من فئة إلى أخرى على أساس المقارنة، ليتمّ عنده اختيار أن يسلك إحدى السبيلين، ولقد عنيت الصورة الأدبية في القرآن بالمقابلة الواضحة القوية، والمقارنة العميقة الدقيقة فيكتسب التعبير قوّة تأثيرية عجيبة[1].

وتتمثل القيمة الجمالية لأسلوب التقابل فيما يحدثه التّضاد في تجلّي المعنى ووضوح الدلالة، وذلك بفضل ما يتشكّل من "صور ذهنية ونفسية متعاكسة يوازن فيما بينها عقل القارئ ووجدانه، فيتبيّن ما هو حسن منها ويفصله عن ضدّه"[2]، فالملاحظ في الصورة المنقولة من هذا النظم في سورة الليل هو التعدّد في المظاهر، ينقل السامع من حال إلى حال هو عكسه، فالكون إمّا مظلم وإمّا مضاء، والناس إمّا ذكر وإمّا أنثى، والعباد إمّا مصدّق وإمّا مكذّب، والجزاء إمّا نار وإمّا جنّة، وما أوتي بالمتضادّات مجتمعة إلا بغية التفريق بينها، إذ أنّ "الضّدّ يعرف بضدّه"[3]، والسياق مفعم بأسلوبي الترغيب والترهيب، وهو الشأن في جميع مواضيع القرآن الكريم، فالدعوة تبنى على الحضّ على الإيمان وفعل الصالحات تارة، والتخويف من عاقبة الوقوع في المحظورات تارة أخرى.

---

[1] **الصورة الأدبية في القرآن الكريم، صلاح الدين عبد التواب، ص135.**

[2] **البلاغة العربية، تأصيل وتجديد، مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1985، ص69.**

[3] **البديع ، تأصيل وتجديد، الدكتور: منير سلطان، الإسكندرية، 1976، ص118 .**

2- المبحث الثاني: الأغراض الخاصّة:

وأمّا الخاصّة، فإنّ لكلّ موضع للقلب نكتته البلاغية التي دعت إليه، كالتعظيم، والتحقير، والبشارة، والإنذار، والتوكيد، والإشارة، والإيضاح، ولطائف جمالية أحاطته، نتجت عن بلوغ ذروة الإقناع ورصد المعنى بدقة متناهية، إضافة إلى حسن الرصف وجرس الوقع على الأسماع، كما قد يلاحظ من كثرة الشواهد في هذا الباب أنه تطويل وتكثير لا طائل منه، ولكن بإمعان النظر والتدبر في كل شاهد سيقف القارئ على نكتة بلاغية جديدة تطعم خاصية القلب في اللّغة القرآنية، ومن خلال هذا الكمّ من الشواهد التي توقفك على مختلف الأوجه والفوائد تتجلّى الظاهرة و يتشبّع الذّوق و الحسّ.

ويظهر الجمال الفني "فيما تراه من الصناعات وسائر الأعمال التي تنسب إلى الدقّة، فإنّك تجد الصورة المعمول فيها، كلّما كانت أجزاؤها أشد اختلافا في الشكل والهيئة، ثمّ كان التلاؤم بينها مع ذلك أتمّ، والائتلاف أبين، كان شأنها أعجب، والحذق لمصورها أوجب"[1].

وإنّ أهمّ البواعث التي رافقت أسلوب القلب في القرآن الكريم، والتي نجدها قد وردت تترا وتشبّع الخطاب القرآني بها، نذكر:

---

[1] أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني، ص 136.

1-التوكيد:

إننا نجد القرآن الكريم يدفع بشتى أساليب التعبير فيه من أجل تحقيق هذه الفائدة، وهو ما نلمسه، بصفة خاصة، في المجاز المرسل، إذ أن الهدف الرئيس من الاستخدام المجازي للفظ هو محاولة ترسيخ المعنى في ذهن المتلقي، ويضطلع المجاز في إيجاد حالة من الانفعال والتفاعل بين المتكلم والسامع، أو بين النص والمتلقي، إذ أن المعنى المجازي، أو صياغة الكلام على سبيل المجاز يؤدي إلى إقبال المخاطب واستدراجه إلى الإصغاء، كونه يتفاعل مع الموقف الكلامي، فينغرس المعنى المراد إيصاله إليه في ذهنه.

هذه الوظيفة التي تظهر جلية في القرآن الكريم، من حيث أن القارئ له يجد نفسه مشدودا إليه بفعل ما يحتويه من الأساليب البلاغية ، وبخاصة البيانية منها وعلى رأسها المجاز، فالإنسان بطبيعته ينجذب نحو ما هو غير مألوف من الكلام، فالمعاني المجازية تجد لها الإقبال المطلوب من أذهان المستمعين أو المتلقين عموما، فيحصل لديهم رسوخ لهذه الأفكار في أذهانهم.

إضافة إلى أن المجاز عبارة عن تحول من الملزوم إلى اللازم، ومن ثم فإن الإشارة إليه تكون ببيّنة، فذكر الرزق في قوله تعالى: ﴿ **وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا** ﴾[1] فهو دالّ بالضرورة على اللازم الذي هو الغيث، لامتناع انفكاكهما[2]، إضافة إلى أسباب أخرى

---

[1] **غافر،13.**

[2] **- ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي، ص 412، 413.**

تنطوي تحت مفهوم الرزق كضوء الشمس[1]، وحرارتها، وكل ما ينزل من السماء ويكون سببا في إنبات الزرع، وتلبية حاجات الإنسان من الطعام واللباس وغيرهما، وفي هذا تأكيد إلى أقصى حدّ، وتتمثّل الإفادة الأسلوبية للمجاز في تأدية هذه المعاني كلّها بإيراد كلمة واحدة هي (رزقا) ممّا يدلّ على كمال الإيجاز وبلوغ أعلى مراتب الحسن في التعبير.

وفي قوله تعالى: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[2]؛ فإن صفة(مفتريات) تعود على المثل، وليس على القرآن، دلّ على ذلك تموقعها عقب كلمة (مثله) وفي آخر الجملة.

وإن قيل إنّ القرآن حقّ، ومثله لا ينبغي أن يكون مفترى، فكيف نعت مثل القرآن، إن كان، أن يكون مفترى؟ فإن الجواب على هذا هو أن القرآن الكريم يتّخذ، أحيانا، طريقة التحدي المطلق[3] لإثبات أمر لا يكون الإيمان به أو إنكاره شيئا مما يمكن أن يختلف فيه عاقلان، أو تتناطح عليه عنزتان، فإن رؤوس الشرك زعموا أن القرآن مفترى، أي من عند غير الله، وعليهم أن يفصحوا عن مصدره ويجدوا لأتباعهم وأذنابهم بديلا ومخرجا،

---

[1] **ينظر: البلاغة العربية، الميداني، ج2، ص275.**

[2] **هود ، 13.**

[3] **سميته مطلقا؛ لأني اهتديت إلى نوعين من التحدي في القرآن الكريم: أما الأول فهو تحدّ عادي، يكون بدعوة المتحدَّى إلى جمع براهينه وحججه دون أن يسايره القرآن في رأيه بداءة أو يوهمه بأنه معترف به، كما في قوله تعالى:" وإن كنتم في ريب مما نزلنا... "، وفي قوله سبحانه:" قل لإن اجتمعت الجن ...."، أو في قوله تعالى:" قل يأيها الذين هادوا إن زعمتم...."، وقوله تعالى:" من ظن ألن ينصره الله في الدنيا والآخرة.."، وغيرها من الأمثلة كثير.**

وأما في التحدي المطلق فإن الأسلوب القرآني يجنح إلى متابعة المتحدَّى في قوله، ثم يطلب منه أن يأتي بأدلته، ولا تكون المتابعة ههنا اعترافا أو تقريرا، و إنما تهكّما وتبكيتا.

فقالوا: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾[1]، ترى من هذا البشر الذي ألّف هذا القرآن الذي أعجزهم رغم بلاغتهم وفصاحتهم؟ إنه عبد رومي، أرادوا به غلاما أعجميّا يقرأ التوراة والإنجيل، وقال أهل مكة أن النبيّ، صلى الله علبه وسلّم، كان يقف عنده يتعلم منه ما قرأ عليهم من القرآن الكريم[2]، حقا لقد صدق من قال (ربّ عذر أقبح من ذنب)، لقد سخروا من أنفسهم قبل أن يسخر القرآن منهم، وسفّهوا أحلامهم قبل أن يسفّههم : ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[3]، ثم عدلوا عن ذلك في قوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾[4]"، وفي قوله، عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ ﴾[5]، أين استقر الرأي، عندهم، أخيرا، وبتّوا في أمر القرآن الكريم بأنه سحر[6]، إنّ الذي يرى ترددهم وتخبطهم هذا ليوقن أنهم لم يأتوا ببديل ولم يقفوا على دليل، استوجبوا بذلك على أنفسهم العار، واستحقوا أن يعاملوا معاملة الاحتقار.

---

[1] **النحل ، 103.**
[2] **ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج14، ص584.**
[3] **النحل ، 103.**
[4] **الأنبياء ، 5.**
[5] **سبأ ، 43.**
[6] **ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج22، ص877.**

كما ورد تقديم المسند إليه في قوله تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾[1]، لإفادة تأكيد الخبر مع غرابته بالنسبة المخاطبين[2]، إذ من الغريب لدينا أن يتجمّع جيش مكوّن من الجنّ والإنس والطير في مكان واحد، ويكون تحت إمرة شخص واحد، ثمّ إن هذا الشخص بشر، فهو سيدنا سليمان، عليه السلام، وهي كلّها أسباب تجعل الأمر غريبا بالنسبة إلى المخاطبين، من أجل ذلك كانت المسارعة في تقديم المسند إليه (هم) العائد على الجيش على المسند، وهو فعل (يوزعون).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴾[3]، تحمل صيغة اسم الفاعل دلالة وقوع الفعل وتحقّقه[4]، مع ملاحظة أنّ الخطاب كان موجّها إلى فئة المشركين ولما يزالوا يزالوا أحياء، والأكيد أنّ زمن الوعيد هذا خاص بيوم القيامة، أو بما يستقبل من الوقت، والأصل أن يقال: (إنكم ستذوقون العذاب الأليم)، إلا أنّ التعبير عن الفعل بزمن الحاضر يتجاوز مهمّة الإخبار عن وقوعه في المستقبل إلى التأكيد على ذلك، ومن آثاره البلاغية أنه يحمل المخاطب على استحضار الموقف الموعود، فيعيش محاصرا في دائرة التهديد، مرتقبا وقوعه في أية لحظة.

---

[1] النمل ، 17.

[2] ينظر: البلاغة العربية، الميداني، ص371.

[3] الصافات ، 38.

[4] ينظر: الكتاب، سيبويه، ج1، ص171، وينظر: الجمل في النحو، الزجاج، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة ودار الأمل، بيروت، وإربد، (الأردن)، ط2، 1985، ص84.

ومن الإضافات الأسلوبية التي يتميّز بها التعبير في توظيفه لاسم الفاعل بدل الفعل المضارع، أنه يختزل زمن التلفظ بالجملة، ويقتصد في حروفها، تماشيا مع الجوّ المتسارع للأحداث المعبّر عنها في سورة الصافات، من خلال الآيات القصيرة، والاستخدامات المتكرّرة للفاء في الآيات السابقة، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ** ﴾[1]، ويتأكّد الأمر باعتراف فئة المضلّين، في الآية (31)، عندما يعاينون المشهد يوم القيامة، ويقفون على حقيقة وقوع ما وعدهم به ربهم في الدنيا من أنهم سيذوقون العذاب الأليم.

وفي قوله، تعالى: ﴿ **ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ** ﴾[2]، والمعنى: (إن كان هنالك ما قد حرّم فهو ما ذُكر، إلا أنّ ذلك لم يكن، فتكون النتيجة هي عدم حصول التحريم أصلا)، إذ ليس ثمّة مفعولا به غيرهما، ولقد تولّد من هذه الصيغة معنى الإنكار والتوبيخ؛ لأن المشركين كانوا يحرّمون الذكور من الأنعام تارة والإناث تارة وما في بطون هذه الأنعام تارة أخرى، فردّ الله عليهم بإنكار التحريم مطلقا، كما يلاحظ تقديم الضأن على المعز، وذلك لغلاء ثمنه وطيب لحمه وعظم الانتفاع به[3]، فكان أشرف من الماعز.

---

[1] **الصافات ، 31-33.**

[2] **الأنعام ، 157 .**

[3] **ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج4، ص242.**

ومنه قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ** ﴾[1]، فإن قوّة نفي الفلاح عن الكافرين مستفادة من تقديم ضمير (الهاء) في (إنّه) العائد على القصة، وتتجلّى المزيّة الأسلوبية في التنبيه الحاصل من ذكر الأمر بداءة، ثم إعادة ذكره مرة أخرى، أين يحصل به التنبيه أوّلا، ثمّ التأكيد ثانيا[2]، فإننا نجد روعة في الآية لا يخالجنا شيء منها إذا قيل: (إن الكافرين لا يفلحون)، إذ لم تستفد هذه المزية، ولم يحصل التأكيد على كفايته كما في التركيب القرآني، ويبقى الكلام في الآية أفخم، والمعنى آكد.

ومن أجل التأكيد عبّر عن المستقبل بالحاضر في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ** ﴾[3]، إذ لا يكون الوصف ب: (ميّت وميّتون) إلا لمن وقع عليهم فعل الموت حقيقة، والمجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون، الهدف منه التأكيد على وقوع الموت لا محالة، ولقد بلغ التأكيد أقصاه من خلال التكثيف في أدواته: (إنّ)، واستعمال الجملة الاسمية الدّالّة على وقوع الفعل، والحقيقة أنّ الفعل لم يقع بعد، فالمخاطب لمّا يزل حيّا، والمعنى: "إنك وإيّاهم وإن كنتم أحياء فأنتم في عداد الموتى لأن ما هو كائن فكأنّ قد كان"[4]، وإطلاق صفة الموت على الحي ممّا لا يدع مجالا للشكّ بأنّ المخاطب سيتلبس بتلك الصفة لا محالة، والغرض البعيد هو الحضّ على الاستعداد للموت

---

[1] المؤمنون ، **117**.

[2] ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص**133**.

[3] الزمر ، **30**.

[4] الكشاف، الزمخشري، ج**24**، ص**940**.

2-المبالغة

كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾[1]: أي عليها، وإيثار كلمة (في) للدلالة على إبقائهم عليها زمانا مديدا، تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار الظرف في المظروف[2]، زيادة على معنى المبالغة في التنكيل، بحيث يكون العذاب مضاعفا لهم إلى درجة أن شبّه بفعل الإدخال في جذوع النخل، وإننا نتصوّر صعوبة الأمر على القائم على التعذيب، فكيف بمن وقع عليه العذاب.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[3]: إذا سلّمنا بأنّ كلمة (مكر) تدل على (الاحتيال والخداع)[4]، فإنه لا تفهم صيغة (ومكرنا مكرا)، إلا على سبيل المجاز المبني على قلب المعنى في الردّ على مكر قوم سيدنا صالح، عليه

---

[1] طه ، 71.

[2] :وقيل أن الصلب في جذوع النخل كان على الحقيقة، لأن فرعون نقر الجذوع وصلبهم في داخلها ليموتوا جوعا وعطشا، (ينظر: تفسير الآلوسي، ج16، ص232.

[3] النمل ، 52.

[4] معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، بدون تاريخ، ج1 ، ص345.

السلام، فمكر الله: إهلاك القوم من حيث لا يشعرون، ورد على سبيل الاستعارة[1]، وفيه فوائد بلاغية نذكر منها:

_عظم مكر المجرمين بدليل تكراره في قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا﴾، فلفظة (مكرا) هي مفعول مطلق يبيّن شدة الاحتيال، ودقة التخطيط، إلا أنه لا يرقى في شدته ودقّته إلى عظم القوة والجبروت بالنسبة للخالق، سبحانه؛ وما أشدّ مكر الله على مكر القوم الكافرين.

_طمأنة المؤمنين، بقلب تفكيرهم في أنفسهم وخوفهم من مكر أعدائهم إلى أولوية أن يفكروا ويتيقنوا هم بهلاك عدوهم ، فالحرب ليست بين صالح وقومه، وإنما هي بين الله تعالى والمكذبين من قوم سيدنا صالح، عليه السلام، فإذا كان الأمر كذلك فإن في الآية الكريمة تسلية وترويحا على المؤمنين وبشارة لهم بالنصر والظهور على أعدائهم.

ويظهر هذا المعنى جليا في الاستعارة بأنواعها، حيث يحذف أحد طرفي التشبيه مع أداته، كما في قولنا (رأيت أسدا)، والمراد بالأسد هو الرجل الشجاع، إلا أن التشبيه هاهنا مبالغ فيه، إلى درجة أننا جعلنا الشجاعة التي هي أخص أوصاف الأسد[2]، صفة في الرجل لا تفارقه، مع بلوغ تصورنا لمنتهى الشجاعة التي يتصف بها.

[1] ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج20، ص786.

[2] أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص 316.

ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَا ﴾[1]، فقد تجوّز بلفظ (السيئة) عن العقوبة لأنه سبب لها[2]، وعمل القلب في دلالة المكر والسيئة على تقريب المعنى إلى ذهن المتلقي، أو تقريب حقيقة معينة عن الجزاء المشار إليه،.

من أجل المبالغة، أيضا، تكون الاستعارة التي يتمّ من خلالها الإتيان بلفظ لمعنى أوضح في ذلك المستعار منه[3]، على عكس التصريح بالتشبيه الذي يتم من خلاله الإشارة إلى أن المشبه به أكمل من المشبه في وجه الشبه[4].

ومن أجل المبالغة ورد الفعل (قدمنا) في قوله تعالى: ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٍ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[5]، إذ أنّ حقيقة (قدمنا) هي (عمدنا) ، إلا أن كلمة (قدمنا) أبلغ، لأنها تدل على معاملة الغائب، ثم قدم فوجدهم على خلاف ما أمرهم[6]، ويتضمّن التعبير المجازي دلالة التحذير من الاغترار بالإمهال.

كما يتجلى غرض المبالغة في قوله، عز اسمه، على لسان سيدنا نوح: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ

---

[1] الشورى ، **40**.

[2] ينظر، البلاغة العربية، الميداني، ص**478**.

[3]– ينظر: البلاغة عند بهاء الدين السبكي، محمد بركات حمدي أبو علي ، دار الفكر للنشر، عمان، ط**2**، **1983**، ص**28–29**.

[4]– ينظر: مفتاح العلوم ، السكاكي، ص **413**.

[5]–الفرقان، **23**.

[6]– ينظر: النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص **86**.

ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴾[1]، أين ذكرت الأصابع بدل الأنامل ، وذلك من أجل المبالغة في وصف شدّة الإعراض عن الحق من جهة قوم سيدنا نوح، عليه السلام، من خلال تعطيل الأسماع[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ ﴾[3]، في تحليلنا للاحتمال القائل بوجود القلب في الآية الكريمة، يكون الغرض منه هو المبالغة، ولقد ذهب إلى ذلك صاحب البرهان في قوله: "والعصبة مستصحبة للمفاتح لا تستصحبها المفاتح، وفائدته المبالغة بجعل المفاتح كأنها مستتبعة للعصبة القوية بثقلها"[4].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴾[5]، والحجاب يكون ساترا لا مستورا[6]، وحصول القلب قد أفاد معنيين:

الأوّل: من جهة الكفرة والمعاندين للقرآن، إذ لشدة جحودهم وطغيانهم، تعدّى الحجاب الصفة في كونه ساترا لهم عن الحق، إلى كونه مستورا[7]، لبيان أنهم بلغوا حدّا

---

1 -نوح، **07**.

2 -ينظر: علم البيان، بسيوني عبد الفتاح فيود، ص **137**.

3 القصص، **76**.

4 البرهان في علوم القرآن ، الزركشي، ج3، ص806.

5 الإسراء ، **45**.

6 العدول في البنية التركيبية، قراءة في التراث البلاغي، إبراهيم منصور التركي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة واللغة العربية وآدابها، العربية السعودية، ج19، عدد40، ربيع الأول، 1428هـ، ص561.

7 ينظر: علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيود، ص70.

عظيما في المكابرة والعناد، أو يكون مستورا كونه حجابا كي لا يدري كفار قريش أنهم لا يدرون[1]، فيبقون على ما هم عليه من الضلال.

الثاني: من جهة الرسول، صلى الله عليه وسلّم، بحيث يكون الحجاب حاجزا عنه لما قد يتعرض له من الأذى حين يقرأ القرآن ويدعو به، وفي كلا الوجهين فإن الغاية البلاغية من قلب الفاعلية إلى المفعولية هي المبالغة، وتمتدّ إلى إرادة إظهار أن الحجاب أمر معجز، يحمل صفتين متقابلتين دلاليا أو متناقضتين، إذ كيف يكون المستور ساترا؟

ومن جهة ثانية؛ فإنّ وجود الحجاب بصفة مرئية يبعث على القلق عند الرسول، صلى الله عليه وسلّم، بل قد يتسلّل الخوف إلى قلبه من أن يَظهَره الأعداء فيصلوا إلى شخصه فيؤذوه، كما أنّ وجود الحجاب الساتر قد يدفع بالمشركين إلى محاولة فعل ذلك، فمن أجل قطع الطريق أمام هذه التوهّمات أصبح الحجاب مستورا، مع الإبقاء على إمكان الطرفين أن يتراءيا.

لقد أضفى القلب من الفاعلية إلى المفعولية في (مستورا) تألّقا أسلوبيا، وأنتج نشاطا تأويليا، يعتمد فيه المخاطب على العمل الذهني من أجل التوفيق بين المعطيات الدلالية التي يتيحها التركيب وسياق الحال الذي يوجّه الفهم نحو معاني محدّدة تتماشى مع الموقف الكلامي.

[1] ينظر: روح المعاني، الآلوسي، ج15، ص87.

ثمّ إن ورود الكلمة على وزن (مفعول) قد ناسب تموقعها فاصلة، وأضفى جمالا إيقاعيا نتيجة التناسب الحاصل بين الآية وما سبقها وما تلاها من الآيات، فقد توسطت الفواصل التالية: (مكروها، مدحورا، عظيما، غفورا)، ثمّ (نفورا، مسحورا، سبيلا)، ولو قيل (حجابا ساترا) لاختلّ الإيقاع الجميل والمتّصل في السورة كلّها.

وفي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا** ﴾[1]

فإنّ القارئ لكلمة (فاجرا) و(كفارا) يلاحظ تناسقا صوتيا مع ما سبقها من فواصل مثل(كبارا، أنصارا، ديارا) ينتج إيقاعا خاصا يعبر عن درجة اليأس التي بلغها سيدنا نوح عليه السلام، من قومه، حين أيقن أنهم لن يلدوا إلا من يكون مآله الفجور و الكفر[2]، وهذه القناعة نبعت من طول المدة التي لبثها فيهم ، ومن استنفاد جميع السبل في دعائهم ، قال الله تعالى على لسانه ، عليه السلام: ﴿ **ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا** ﴾[3]، إلا أن عقولهم وقلوبهم و حواسهم معطلة لا تعمل ولا يرجى برؤها، ومن كانت هذه صفته فلا خير يرتجى منه.

ومن أجل الوفاء بهذه المعاني المزدحمة في الآية، نشعر أن كلمتي (فاجرا كفارا) قد سحبهما تيار المعنى إلى موقعها الذي لا يغني غيرهما عنهما فيه، ولو قيل مثلا (ولا يلدوا إلا صبيانا يصيرون فجارا كفارا) لما كان لها الوقع نفسه، فقد يقال : المولودون كثيرون، فكيف

---

[1] **نوح ، 27.**

[2] **ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج29، ص1144.**

[3] **نوح ، 8.**

يمكن إصدار حكم على الجميع بالكفر والفجور من دون تفحّص لحال كل فرد على حدة؟ فجاء قول نوح، عليه السلام، بأن المولودين حالهم حال مولود واحد، ولا مجال لاحتمال وجود اختلاف بينهم من حيث الكفر والإيمان ، ثم إنّ الطول في العبارة الثانية قد يفسح المجال أمام السامع لأن يناقش الأمر، لكنّ سيدنا نوح لم يفتح المجال لذلك نتيجة اليأس وانقطاع الرجاء من انصلاح الحال لدى قومه، إذ قد بلغ التعبير أقصى درجات المبالغة والتأكيد، من خلال رسم الصورة النهائية لمستقبل القوم، وقد أسهم في ذلك اختيار الكلمات المناسبة من حيث وقعها في نفس السامع، فالدوّي الذي يحدثه الحرفان (الجيم والراء) في (فاجرا)، والتشديد في الفاء وإخراج صوتها بالضغط على المخرج بالإضافة إلى الراء الممدودة في (كفّارا)؛ قد نتج عنه اتّساقا عجيبا بين المعنى والإيقاع.

ومن أجل المبالغة ورد الالتفات في قوله تعالى : ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ** ﴾[1]، وقد قال الزمخشري في هذا " فإن قلت : ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة ؟ قلت : المبالغة؛ كأنّه يذكر لغيرهم حالهم ... ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح "[2] ، فمن جماليات الالتفات في الآية أنّها معنى الإخلاص، وهو شيء مجرّد، في مشهد محسوس، هو حال من يكون في عرض البحر ثمّ

[1] **يونس ، 22.**

[2] **نفسه، ج 2، ص131.**

يهيج عليهم بأمواجه ويتحقّق لديهم الهلاك، فيوقنوا أنّ لا نجاة ترجى إلا بدعاء خالص إلى الله القادر على إنجائهم ممّا هم فيه، في الوقت الذي يتلطّف القرآن مع فئة المؤمنين، وهم في مقام المخاطب، لتتحوّل وجهه الخطاب إلى فئة الغائبين، رحمة بالمؤمنين من أن يصيبهم هذا الكرب، أو يضرب بهم هذا المثل.

وفي قوله تعالى: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾[1]، "وإنّما يرضى بها الذي يعيش فيها"[2]، فالفاعل المجازي يعود على العيشة، بينما الأصل: (في عيشة رضي بها صاحبها)، ويدل القلب هنا على المبالغة في وصف رضى أهل الجنة بعيشتهم فيها إلى الحد الذي أصبحت فيه العيشة راضية بصاحبها[3]، وانتقل الرضى إليها نتيجة الألفة والمحبة بين الحالّ والمحلّ، وينضاف إليه معنى الشمولية في الرضى، فلا يخلو جزء زماني ولا مكاني من أجزاء العيشة من الرضا[4]، وهو ما زاد في نماء الصورة.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾[5]، عُبّر عن إخراج الماء من الأرض بالتفجير، ثمّ استخدم على هيئة المبالغة (فعّل) الدالّ على التكثيف[6]، من أجل إبراز معنى القوّة والمبالغة، ثمّ إنّ التفجير للعيون على الحقيقة، وأُوقع

---

[1] القارعة ، 7.

[2] مجاز القرآن، أبو عبيدة، ج1، ص279.

[3] ينظر: علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيود، ص69.

[4] ينظر: البلاغة العربية، الميداني ج2، ص300.

[5] القمر، 12.

[6] ينظر: الصورة الأدبية وخصائصها اللغوية بين البلاغيين والأسلوبيين، خالد بوزياني، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر يوسف بن خدّة- 2007م ، ص355.

على الأرض في اللفظ لبيان الشمولية، فإنّ الأرض كلّها صارت عيونا، بينما لو قيل: (وفجّرنا عيون الأرض)، أو (العيون في الأرض) لما دلّ على ذلك[1]؛ لأنّ العيون لا تعدو أن تكون معدودة في الأرض، بينما تدلّ الآية على أن الأرض كلّها صارت عيونا، عملت الاستعارة فيها على تشكيل صورة المشهد في الخيال من خلال المبالغة، والدفع إلى الاستحضار الذهني لمعنى العظمة، وإحداث الرهبة والدهشة في نفس المخاطبين.

3-التخصيص:

يعدّ التخصيص من الأهداف الأساسية لأسلوب القلب في اللغة، ولعلّه أهمها، وهو، في الغالب، لازم لأسلوبي التقديم والتأخير[2]، فهو يحدث دورا بلاغيا وأسلوبيا من خلال اختراق القاعدة والخروج عن الاطّراد في تنظيم أجزاء التركيب، ومنه تقديم المفعول به، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾[3]، فقد قدّم المفعول به "**إيّاك**" على فعل العبادة وعلى فعل الاستعانة، ولم يقدّم على فعل الهداية، فإنّ الاختصاص فيه، بالنسبة إلى المفعول به، غير مطلوب؛ لأن العبادة والاستعانة مختصّتان بالله، تعالى، فلا يعبد أحد

[1] **ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص102.**
[2] **ينظر: بغية الإيضاح، عبد المتعال الصعيدي، ج1، ص177.**
[3] **الفاتحة ، 5.**

غيره ولا يستعان إلا به، فقد أدّى تقديم الضمير على عامله إلى انفصاله[1]، والمعنى: نخصّك بالعبادة لا نعبد غيرك، ونطلب منك العون لا نطلبه من غيرك[2].

ويفيد التكرار في (إيّاك) التنبيه على تخصيص الاستعانة به، سبحانه، كما خصّ العبادة له، فلو قيل (إياك نعبد ونستعين)؛ لأفاد التخصيص بالعبادة ولم يفده في الاستعانة[3]، والتعبير في الآية أقوى، والمعنى أثبت وآكد في ذهن المتخاطب.

ومن بلاغة تكرار (إياك)؛ إثبات الفصل بين فعل العبادة وفعل الاستعانة، حتى لا يتوهّم متوهّم أنه لا ينبغي إلا الجمع بينهما حتى يكون العمل ممّا يتقرّب به إلى الله[4]، هذا فضلا عن الاستئناس الحاصل من إعادة ذكره، تعالى، في كلا الفعلين، وهو ما زاد في بلاغة الآية وبراعة الأسلوب.

وأمّا فعل الهداية فلا يصحّ فيه الاختصاص، فلا يصح من العبد أن يقول: (اللّهم اهدني وحدي ولا تهد أحدا غيري)، أو يقول: (اللهم خصّني بالهداية من دون الناس)، ومثيلاتها أن تقول (اللهم ارزقني واشفني وعافني)، فهذه المطلوبات مرغوب فيها عند جميع الناس؛ بل جميع المخلوقات، وهو ما أسهم في نماء الصورة.

---

[1] ينظر: أسرار النحو، ابن كمال باشا، ص173.

[2] ينظر: التبيان في البيان للإمام الطيبي، تحقيق ودراسة: عبد الستار حسين مبروك زموط، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، 1977 ، ص48.

[3] ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل السامرائي، ص42.

[4] ينظر: روح المعاني، الآلوسي، ج1، ص90.

وهذا نظير قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[1]، أين يقودنا تقديم المفعول إلى الوصول عدّة معاني تتضمّنها الآية، تتقدّمها دلالة التخصيص؛ والمعنى: "لا تعبد ما أمروك بعبادته؛ بل إن كنت عاقلا فاعبد الله"[2]، زيادة على إفادة التقديم للإيجاز والاقتصاد في الألفاظ، مع تحقيق التناغم الإيقاعي مع الفواصل السابقة واللاحق في السورة[3]، فإن الثراء في فوائد التقديم في القرآن عموما لا يحدث زحاما بين الأغراض الدلالية والأسلوبية[4]؛ بل يشكّل مزيجا بديعا عن طريق تعانق المعنى الاصيل مع الإيقاع الجميل.

وفي قوله: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾[5]، قدّم الجار والمجرور للدلالة على الاختصاص، وذلك لأن التوكّل لا يكون إلا على الله، والإنابة ليست إلا إليه وحده، وعمل تأخير الفاعل (المتوكّلون) .

وفي قوله تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾[6]: قلب في التركيب بتقديم الخبرين (الجار والمجرور) على المبتدأين، لإفادة التخصيص، للعلم أن هاتين الصفتين لا تجبان إلا لله وحده، "فقدّم

---

[1] **الزمر، 66.**

[2] **الكشاف، الزمخشري، ج24، ص947.**

[3] **ينظر: الطراز، العلوي، ج2، ص67.**

[4] **ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط2، 1988، ص340.**

[5] **إبراهيم ، 12.**

[6] **الجاثية ، 36–37.**

مستحق الحمد"[1]، فالحمد المطلق والكبرياء لا ينبغي لأحد من المخلوقات أن يدّعيهما لنفسه.

ومن قال إنّ التركيب على هذا النحو يفيد التخصيص فقط فقد أجحف في حق المعنى المراد، فالجملة اسمية تفيد الثبات، وأن الحمد ثابت موجود بوجود الحامد والمحمود في الوقت نفسه، وهو الله سبحانه، فقد أثبت الحمد لنفسه وفيه إشارة بالأمر بالحمد الموجّه إلى عباده، زيادة على فائدة الإعلام والإخبار بذلك، كما نلاحظ تناسب ختام السورة مع مطلعها، فقد عدّد ربنا، سبحانه، بعض نعمه على عباده في ذكر آياته الكونية وتفضّله عليهم، وتسخيره للكون لصالح الإنسان.

ومنه فقد أسهم أسلوب التقديم والتأخير في الآيتين في تكثيف الدلالات وترتيبها في نفس المخاطب، وإحالته إلى تركيز الفكر على أوّل ما يقع على سمعه من ألفاظ الجلالة الواقعة خبرا، وتتمثل الجمالية في التنبيه الحاصل من هذا التقديم غير العادي لأجزاء الجملتين، إضافة إلى الإيقاع الجميل المرتد عن توالي كلمات (السماوات والأرض)، ثم تختم ب(العالمين)، ممّا أضفى على الآية رونقا في التعبير، حسن بصوت النون والمدّ اليائي قبلها.

وأما قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾[2]، فقد عدلت الآية هنا عن لفظ الغيبة إلى التكلم؛

---

[1] **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل السامرائي، ص20.**

[2] **فاطر ، 9.**

لأنه أدخل في الاختصاص، والدليل على ذلك ورود الفعلان: (فسُقنا) و(أحيينا)[1]، ويعمل الأسلوب على إضفاء جوّ الحرّية عند السامع في الانتقال ضمير إلى ضمير، وقد أدّى الالتفات في الآية إلى التبدّل في شخصية أحد طرفي الخطاب، وهو المتكلّم، أين كان بصدد الحكاية عن الغائب في أوّل الآية، ثمّ تحوّل إلى صيغت المتكلّمين (نحن)، ليكتسي التركيب في شقه الثاني دلالة التعظيم للخالق، سبحانه.

كما يمكن للآية أن تشعرنا بوجوب توافر الأسباب وحضورها في تدبير معيشتنا، فقد نبّهنا تعالى، من خلال هذه الآية، إلى أنّ النتائج لابد لها من أسباب، كما أن السحاب لابد له من ريح تسوقه، والإنبات لابدّ له من رعاية، وتمهيد للأرض، وتوفير العوامل المساعدة عليه.

4-التهكّم:

يعدّ التهكّم باعثا ذا أهمّية من حيث وروده بكثرة في مواقف تعامل القرآن الكريم مع الكفار، وغالبا ما يكون نتيجة لتهكّمهم من الدين أو من المؤمنين، ولم ينح القرآن هذا النحو إلا جزاء لهم على تماديهم، إذ إنّهم لم يكتفوا بالكفر وعدم التصديق؛ بل تجاوزوه إلى الاستهزاء بأهل الإيمان، فكانت المعاملة بالمثل جزاء وفاقا.

ففي قوله، سبحانه، على لسان قوم سيدنا شعيب، عليه السلام: ﴿ **قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ**

[1] ينظر: **البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3، ص301.**

﴿ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾[1]، بدل السفيه الغوي[2]، ويقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به[3]، ولقد عنوا بها نسبته إلى السفه والغيّ على طريق التهكم[4]، لأنّ سياق الآيات التي سبقتها يدلّ على أنّ قوم سيدنا شعيب–عليه السلام–إنما قالوا هذا الكلام استهزاء وسخرية منه، فكانت استعارة تهكمية، من حيث أنهم لم يريدوا المعنى الحقيقي من قولهم (الحليم الرشيد).

كما أن في الآية الكريمة ما يعرف بالمفارقة البنائية التي تعتمد على معرفة مقصد المتكلم الساخر، الذي من نصيب المستمع، ولكنه مجهول عند المتكلم، ووظيفتها تدعيم بنية الدلالة في النص وتأكيدها، والتهكم الذي في هذه المفارقة يحمله المنطوق بصياغته وبنيته الخاصة، وقد ورد في الآية الكريمة تسفيه المتهكم به في الحقيقة، ومن هنا تصبح المفارقة البنائية أداة لتأكيد ظهور المعنى بوجهين مختلفين، أي لعرض مستوى من مستويات المعنى، هو الظاهر، بغية الوصول إلى مستوى آخر، هو المعنى الباطن الذي ترمي إليه الدلالة العميقة للمنطوق أو عدد من المنطوقات التي ذكرتها في الآية الكريمة، فالمفارقة ظاهرة في التضاد بين المنطوق الأخير: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾، والمنطوقات السابقة في الآية، وإذا علمنا أن تهكمهم بنبيهم (شعيب)، عليه السلام، من أجل أنه يأمرهم باستيفاء المكيال والميزان بالقسط، وبألاّ يبخسوا الناس أشياءهم، وبألاّ يعثوا في الأرض مفسدين، وبأن يتركوا ما يعبد آباؤهم، ندرك أنّ للدلالة مستوى ثالثا، يبدو في جعل تهكّمهم بشعيب

---

[1] هود،87.

[2] ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي ، ص 376.

[3] انظر الكشاف،ج1، ص444.

[4] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي ، ج3، ص567.

–عليه السلام–أداة للتهكّم بهم في أنفسهم، وكشفا عن جهالتهم [1]، وبيان لشدّة العناد والبغض الذي يحمله قوم سيدنا شعيب لنبيّهم، عليه السلام، بلغ حدّ الاستهزاء به والسخرية منه، معتقدين بأنّ النبي لا ينبغي أن يكون كذلك إلا إذا كان عزيزا في قومه، وأنّهم لن يقبلوا النصح ممّن هو أقلّ منهم قوة وعزّة في قومه، ومع وجود المؤكّدات في كلامهم: ﴿ **إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ** ﴾، وهي: (إنّ، ولام التوكيد)، وهي في الحقيقة ليست تأكيدا على حقيقة قولهم، وإنما تأكيد على عكس ما صرّحوا به من الذلّة والهوان والضعف الذي نعتوا به سيدنا شعيبا عليه السلام.

وفي قوله تعالى: ﴿ **قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ** ﴾[2]، وصف سبحانه، على لسان الكفار، زمن المكوث في القبر بالرقاد، فأردف الوصف بالإنكار على طريقة تفجعهم وتسيء بها إلى قلوبهم[3]، في قوله تعالى: ﴿ **هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ** ﴾[4] لغايات منها:

– التنبيه إلى عظم أمر البعث وما يليه من الحساب والعقاب، دلّ على ذلك تحقير أمر القبر وتشبيهه بالمرقد مع ما ينطوي عليه من العذاب والأهوال.

---

[1] ينظر: المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، محمد العبد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2006م، ص143.
[2] يس ، 52.
[3] ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج23، ص897.
[4] يس ، 52.

-الاستهزاء بالكفار والتهكم منهم، وذلك بأن طمأنهم من القبر، وأنه مكان للرقاد، وإلا فإن الأخبار عن عذاب القبر ونعيمه متواترة لا ينكرها مؤمن، والقبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار، وبما أنهم ينكرون ذلك فلا مشكلة من تسميته بما يسمونه به.

وأما في قوله تعالى : ﴿ **وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾[1]: فإن فرعون وحزبه لم يسمّوا معجزة موسى، عليه السلام، بالآية اعتقادا منهم بذلك، بل استهزاء بما جاء به[2]، فقد علّلوا إتيانه بها من أجل أن يسحرهم، وإلا لما صحّ كفرهم بها واعتقادهم بأنها آية حقا في وقت واحد.

وقد يكون قولهم بأنها آية حقيقةً أنطقهم الله تعالى بها ليتبيّن تخبّطهم وعدم ثباتهم على أمر، ومثل هذا التناقض الذي وقع فيه الكفار نجده في مواطن كثيرة من القرآن الكريم، ففي قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[3]، فقد أعماهم الكِبْر وأصمّهم الجهل حتى وصل بهم الأمر إلى أن يؤمنوا بربّهم في لحظة غفلة، بقولهم: (اللّهمّ) من أجل أن يدْعوا على أنفسهم بالعذاب في الدنيا.

---

[1] **الأعراف ، 131.**

[2] **ينظر، الكشاف، الزمخشري، ج 9، ص381.**

[3] **الأنفال ، 32.**

ثم إنّ الإيمان بالله فطرة سابقة، أعيت الكفار والملحدين في جحودهم لها، إذ في كل مرة تسبق تلك الفطرة تفكيرهم، وتخرج كلمة التوحيد من أفواههم رغما عنهم، تصديقا لما جبلت عليه الكائنات من الانصياع الفطري لله، عزّ وجلّ، وكلّ مخلوق لا يسبح الله طوعا يسبحه كُرْها، قال تعالى: ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا** ﴾[1]، فهم من جهة يقولون هو سحر، ومن جهة ثانية يعترفون بأنه معجزة لا قبل لهم بها.

وفي قوله تعالى: ﴿ **فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ** ﴾[2]، أي: "فعرّفوهم طريق النار حتى يسلكوها"[3]، أين استُخدِم الفعل (اهدوهم) على غير حقيقته العرفية والاصطلاحية، مع بقاء المعنى الأصلي لفعل الهداية صحيحا في الآية الكريمة، بيد أنّه قد تواتر عند العرب، منذ مجيء الإسلام، تخصيص معنى الهداية للإرشاد إلى طريق الله المستقيم، وهو الإيمان بوحدانيّته والعمل بشرائعه، وهو الصراط المستقيم الذي أُنزل من أجله القرآن الكريم، وبُعث خاتم النبيّين، بينما يقصد به هنا الإلقاء بالكافرين في الجحيم، وكان الاستهزاء بقدر تخلّفهم عن الاهتداء إلى الصراط المستقيم في الدنيا، فقد عكس أسلوب القلب في دلالة (فاهدوهم) الجوّ الانفعالي المشحون بالتوتّر والرهبة من جهة، وبالاستهزاء والتهكّم من جهة ثانية.

---

[1] **الإسراء ، 44.**

[2] **الصافات ، 23.**

[3] **الكشاف، الزمخشري، ج 23، ص904.**

وأما قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾[1]: فإنها آية مشحونة بالإيحاء والإثارة، من خلال الإشارة إلى دويّ الصدمة التي أصابت المكذبين للرسل والمعرضين عن آيات الله، تحمل أغراضا فنّيّة جماليّة تقود إلى مقاصد نفسية واجتماعية ودينية، فصيغة الماضي تؤكّد الحدث وكأنه وقع وانتهى الأمر، ولا مجال للتشكيك في إمكانية وقوعه، ثم جملة (ننساكم) وما تحمله من زجر وتهديد، فيقول المكذبون (كيف ينسانا الله؟)، إنّ الأمر فيه خفاء قدر ما أخفي عنهم من العذاب، لطول المدّة التي يمكثونها في النار وهم يصيحون ويصرخون، ولا أحد يستصرخهم، فكان حالهم كحال من أدخلوا إلى مكان وأغلقوا عليهم فيه ثم نسيهم الذي أدخلهم وتركهم من دون أن يسأل عن حالهم وحاجاتهم، أو كالشيء يطرح نسيا منسيا[2]، ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾، وهي معاملة من الله لأعدائه، تفوح باللامبالاة والمهانة والاحتقار، مقابل استهزائهم بآيات الله وبرسله.

---

[1] الجاثية ، 34-35.

[2] ينظر، الكشاف، الزمخشري، ج26، ص1008.

وأمّا في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾[1]، فقد استعير لفظ (نفحة) للتعبير عن الشرّ، وهو نقيض معناها الأساس، بحيث إنها تستعمل للخير، يقال: (نفح الريح ينفح نفحا، وله نفحة طيبة، أي هبوب من الخير)[2]، كما نلاحظ أن كلمة (نفحة) تجاور صوتيا كلمة (لفحة) التي تعبّر حقيقة عن العذاب، وقد وردت في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾[3]، وقد أدّى العدول المعجمي لكلمة (نفحة) وانتقالها إلى التعبير عن حقيقة (لفحة) يعطي للمتلقي انطباعا بالتهكّم بهذا الصنف من الناس، والإشارة إلى أنّهم لن يتحمّلوا العذاب حتى وإن كان مخفّفا، وأنّ تلك البداية ومقدّمة العذاب فحسسب، وقد سمّيت نفحة للتنبيه على أنّ ما سيأتي بعدها سيكون أدهى وأمرّ.

وكذلك ورد التهكم في قوله تعالى: ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾[4]، يقال: (وارد) لمن يقصد الماء، والورود: قصد الماء[5]، وقد استعمل في الآية على عكس دلالته الحقيقية، للتعبير عن شدّة العطش التي بلغت بالمجرمين، وتشبيههم بالأنعام حال ورودها

---

[1] الأنبياء ، 46

[2] المفردات، الراغب الأصفهاني، ص 762.

[3] المؤمنون ، 103-104

[4] مريم ، 86.

[5] ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص815 .

وهي عطشى، وقد ناسب ذكر الورود بعد السوق في مطلع الآية، لارتباطهما بالماشية التي تساق إلى المورد، إلا أن الورود هنا لا إلى الماء.

إن التعبير يحيلنا على أن نستحضر حال المجرمين ومصيرهم المهين[1]، وقد استثمرت الطاقات التعبيرية المتولّدة عن التهكّم والسخرية من خلال التنسيق بين الكلمتين: (نسوق) و(وردا) في إبراز فظاعة الموقف، ويتبادر إلى الأذهان من خلاله مشهد التدافع والتهافت أثناء دخول النار من أجل الارتواء من حميمها.

ومن جهة ثانية، فإن الآية تشكل الجبهة المقابلة للصورة الأولى التي نستشفّها من قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا** ﴾[2]، أين نلاحظ تقابلا دلاليا بين جميع العناصر المكوّنة للآيتين؛ كما هو مبيّن في الجدول أدناه:

الآية 85	**الآية 86**
نحشر	نسوق
المتقين	المجرمين
الرحمن	جهنم
وفدا	وردا (عطاش)

[1] **ينظر: المفارقة القرآنية، محمد العبد، ص118.**
[2] **مريم ، 85.**

وتعين المقارنة بين الموقفين إلى أن يبلغ السامع بفكره المنتهى من الإكرام والتشريف بالنسبة لفئة المتقين، في الوقت الذي يشتدّ الأمر على المجرمين إذلالا وتبلغ بهم المهانة منتهاها، وتكون الغاية النهائية من كلا العبارتين هي الحض على سلوك طريق المتقين والتحذير من سبيل المجرمين، إذ قدّمت الآيتان عرضا لمصير كليهما في صورتين متقابلتين حتى يتسنّى للمخاطب أن يختار أعماله على بصيرة بما سيؤول إليه أمره يوم القيامة.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ** ﴾[1]، إذ أنّ المراد هو مصير من أدبر وتولّى إلى جهنّم، فهي بمثابة الداعية لهم[2]، وإنّما جيء بلفظ (تدعو) لغرض التهكّم بالمعرضين عن دعوة التوحيد المستحقّين لدخول النار يوم القيامة، فيعبّر عن ذلك المشهد تارة بالدعوة وتارة بالاحتضان، وما ذلك إلا زيادة في التنكيل وإحاطة المشاعر بالخوف، فيسلّط عليهم العذاب المعنوي قبل العذاب الحسيّ، ليتوافق مع طبيعة أفعالهم، والمتمثّلة في الإصرار على العناد المؤدّي إلى الكفر، على شاكلة من نزل فيه قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾** ﴾[3]،

---

[1] المعارج ، 17.

[2] ينظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص 106– 108.

[3] المدّثر، 18–25.

فلمّا بنى الكفّار أفعالهم على ما قدّروه في فكرهم أوّلا كان الجزاء بالاستهزاء أوّل ما يقرعهم، ثمّ يكبّون في العذاب الحسّيّ مقابل ما اقترفوه من المعاصي الفعلية والقولية.

وفي قوله تعالى : ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ** ﴾[1]: (أمّه) أي مأواه، ويقال للأرض: أمّ الناس؛ لأنها تأويهم، جاءت هنا على سبيل التهكم والسخرية أو تفاؤل بشر[2]، فإذا استقرأنا صفات الأمّ ومهامها تجاه ولدها نجدها كالآتي :

-الأم : مصدر الحنان والعطف.

-الأم: مصدر الطعام من الإرضاع إلى تحضير الطعام والشراب .

-الأم: مصدر التدليل حتى قيل في الشاب المدلّل في عصرنا الحاضر هو ابن أمّه، أي أن أمّه تدلّله كثيرا ، فإذا سمعنا قوله الله تعالى: ﴿ **فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ** ﴾ عرفنا أنّها بشارة بالعذاب، زيادة في التنكيل ليجتمع لدى الكافر عذاب في الجسد وعذاب في النفس.

وفي قوله تعالى: ﴿ **ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ** ﴾[3]، على سبيل التهكّم والاستهزاء[4] ، ومثله في قوله تعالى: ﴿ **وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ**

---

[1] **القارعة ، 8-11.**

[2] **ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ج8 ، ص504.**

[3] **الدخان ، 49.**

[4] **ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج25، ص1003.**

﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾[1]، فإننا نجد استعمال فعل الإذاقة للعذاب، وأصل الوضع فيه كان للطعام[2]، فقد عبّر عن الإحساس بالآلام بالتذوّق الذي يكون مع الطعام والتلذّذ به، قصد التهكّم بمن يصير إلى هذا الموقف، وتمّ الربط بين المعنيين باستحضار دلالة الإقبال على الطعام، ثمّ نقلها إلى العذاب.

فقد كان الكافر عزيزا في دنياه، أعطاه الله من النعم والعطايا ما يجعله يتذكّر المعطي ويشكر المنعم، بينما أدّى به الغرور إلى التسلّط والكفر والجحود، فعومل بما كان أهلا له من التوبيخ والاستهزاء، كما تحمل الآية الكريمة في طيّاتها تذكيرا لهذا الكافر بما أنعم الله به عليه في الحياة الدنيا، من القوة والمكانة في القوم ما كان به عزيزا كريما، إلا أن الجحود والطغيان بهذه النعم أردى به ذليلا يستحق العذاب يوم القيامة.

ويتجلّى جمال العبارة في حملها للعديد من المعاني البلاغية والإبلاغية من تذكير، وتوبيخ، واستهزاء، وإحقاق للعدالة الإلهية، وكلّها معاني نستشفها من أسلوب التهكّم الحاصل جرّاء القلب في معنى الإذاقة في الآيتين الكريمتين.

وفي قوله تعالى : ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ﴾[3]، استفهام يحمل دلالة الانتقاص والتهكّم، فمعنى الآية الكريمة، أنّ الكفار والمشركين الذين قالوا بأنّ الملائكة هم بنات الله، وأنّه ليس ينبغي أن يكون لهم إلا الذكور، هؤلاء المتقوّلين

---

[1] **السجدة ، 21.**

[2] **ينظر: النكت في إعجاز القرآن، الرمّاني، ضمن ثلاث رسائل، ص94.**

[3] **الزخرف ، 18.**

لا يرقى كلامهم إلا أن يكون صادرا ممّن لم يستو عوده وعقله، كيف وقد نشأوا كما تنشأ النسوة في رخاء، فنقصت بذلك عقولهنّ، وأصبحن دون الرجال[1]، ولم يصبهم من الشدائد ما يصيب الرجال، وعلى هذا يكونون من الذين لا يؤخذ برأيهم ولا يعتدّ بكلامهم، وقد يتعدّى الوصف بالذكورة والأنوثة هنا، المعنى الحسي المتمثل في الجنس، إلى المعنى المجرّد المتمثل في القوّة وعلوّ الهمّة، من جهة الذكر، والضعف وسفول الهمّة من جانب الأنثى[2]، إذ قد نجد رجلا بهمّة الأنثى، كما نصادف أنثى بهمّة الرجال.

لقد أدّى أسلوب التهكّم في الآية الكريمة دوره البلاغي والجمالي في آن واحد؛ فمن ناحية المعنى نستشف القوّة في بلوغ منتهى دلالة الاستهزاء، خاصة إذا أخذنا في الحسبان الطبيعة الاجتماعية والنفسية لمشركي قريش في أنهم كانوا يعتدّون بالرجولة، ولا يعيرون المرأة أهمّية اجتماعية تذكر.

ومن ناحية الجمال الأسلوبي؛ فإن العبارة بتركيب عناصرها تبعث في نفس السامع متعة فنّيّة من خلال تذوّقه لموسيقى الألفاظ وسلاسة تدفّقها، وإعمال الفكر من أجل بلوغ المراد من هذا المثل.

---

[1] ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج25، ص986.

[2] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج22، ص88.

5-التشويق

يظهر غرض التشويق بقوّة عندما يستنبط من التأخير في المستوى التركيبي للكلام، بحيث يغيّب عن المخاطب شيء يجعله في شغف لمعرفة ما هو؛ لأنّ بالانتظار يحصل مزيد فضول، ولا يكون هذا التأخير إلا لتوجيه الأفهام بأن هذا المؤخّر شيء عظيم حتى يحصل الاهتمام به عند المخاطبين.

ويتصاعد الاشتياق والتلهّف في نفس المخاطب إذا انضاف إلى التأخير أسلوب الاستفهام، أي على المستوى الدلالي، ولقد اجتمع العاملان كلاهما في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾[1]، إذ يمكن اعتبار أنه وقع تقديم وتأخير في آن واحد؛ فمن الناحية الكلّيّة للخطاب فقد أخّر الجواب عن الاستفهام، وهو الأصل، إلا أنه فصل بينهما بزمن تعبيري، تمثّل في قوله تعالى: (**بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ**)، فيتشوّق المخاطبون ويتشوّفون لمعرفة النبأ ما هو، ولعظم النّار وهول المصاب عند من يدخلها، ومن أجل أن يحذّر الله، تعالى، عباده منها زيد المؤثّر جرعة إضافيّة، تمثّلت في سوق النبأ بأسلوب الاستفهام المخالف لمعناه الحقيقي.

وأما التقديم فقد وقع في الجملة الأخيرة، باعتبار الرفع في (النارُ)، إذ يجعل منها خبرا لمبتدأ محذوف، والتقدير: (هو النار وعدها اللهُ)[2]، وهي موضوع الشّر الذي أراد الله تعالى أن ينبئهم به، فتمّ تقديمه للتنبيه عليه، وتعظيم شأنه عند المخاطب، ويكون أوّل ما يطرق سمعه هو كلمة (النار)، ثم يعاد ذكرها متعلّقة بالفعل في (وعدها) وتقديمهما على

---

[1] **الحج ، 72.**

[2] **ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج17، ص701.**

الفاعل، فكلّها عوامل نحوية وبلاغية تضافرت من أجل إيضاح معنى التهويل الذي يتضمّنه التهديد، والذي كان قد بدأ من استخدام: (أنبّئكم) بدل (أخبركم) أو (أُعْلِمُكم)، أو غيرهما ممّا يصلح أن يعبّر عن مادة الاستفهام هنا، لولا دلالة التعظيم والتهويل التي أريدَ إظهارها فيما سيُذكر من ماهية هذا الإنباء.

ويعمل الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ **هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ** ﴾[1]، على جعل المخاطب يتحمّس لمعرفة الحديث، ويكون السؤال ابتداء حتى يحصل الإنصات والانشغال الكلّي بمضمونه، ولا ينحصر الحدث الجمالي الحاصل من وراء الصياغة في المعنى فحسب؛ بل يتعدّاه إلى الإيقاع الجميل والخافت نتيجة جعل (موسى) فاصلة.

وفي قوله تعالى: ﴿ **ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** ﴾[2]، فالمعنى ليعاملكم معاملة من يختبركم ، لأن الابتلاء هو في أصله اختبار، وإنما يكون الاختبار لمن يجهل عواقب الأمور[3]، فجملة (**لِيبلوكم**) وردت على غير حقيقتها في لامها وفعلها؛ لأنّ علم الله أزلي سابق لخلق السماوات والأرض، والمراد من الابتلاء: ترجمة العلم إلى الواقع الذي يحصل به الجزاء والعقاب على حسب طبيعة العمل، ويتجلّى الملمح الجمالي في الصورة التخييلية في ذهن المتلقي، الناتجة عن استعارة الابتلاء من أجل تأدية معنى الجزاء.

---

[1] **النازعات ، 15.**

[2] **الملك ، 2.**

[3] **روح المعاني، الآلوسي ، ج12، ص11.**

وأما غرضه البلاغي فهو تقريب المعنى إلى الأذهان من خلال تصور القضية على نحو الاختبار حتى يكون هناك اجتهاد ومثابرة وتسابق إلى الأعمال الصالحة بغية الفوز برضى الخالق ودخول جنته، في جملة جاءت في غاية الرشاقة، إيقاعها يهز الأعطاف ويسحر الألباب.

وفي قوله تعالى: ﴿ **فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ** ﴾[1]، وهو تفسير لطيف، لورود الضمير أوّلا ثم يفسّر بالاسم، وهو ما يخالف القاعدة النحوية التي تقضي بالإتيان بالاسم ثم الضمير العائد إليه، ولا ينبغي تقديم المضمر إلا حال الضرورة[2].

ويبرز ملمح الجمال الأسلوبي في الإبهام الذي يكون أوّل ما يتعرّض له المخاطب من جرّاء تقديم المضمر في قوله تعالى: (فإنّها) مع العلم أنه لم يسبق الضمير اسم يدلّ عليه يكون موجّها للفهم عند المخاطب، فيكون كحال من أغلق عليه أوّلا، أو يمكن أن نقول أن الآية الكريمة ضيّقت مجال الفهم على المخاطب، ممّا يقوده إلى التشوف إلى تفسيره، فيكون قد تهيّأ نفسيّا وفكريا كي يستقبل مدلول ما هو مبهم من الكلام في حالة من الانبهار والتعظيم، هذا وينضاف إليه العامل الصوتي المرافق والناتج من تأخير (**الأبصار**)، مع إمكانية الوقف عليها، فيترسّخ لدى السامع المفهوم الجديد الذي يخالف الاعتقاد السائد بأن العمى مرتبط بالأبصار فحسب.

---

[1] **الحج ، 46**

[2] **ينظر، الكتاب، سيبويه، ج4، ص77.**

6-التفاؤل

كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[1]،تقع الجنة دلاليا موقع الخبر، إذ يكون السؤال: ما هو مأوى المؤمنين؟ فيكون الجواب هو الجنة، ولتسريع البشارة والبدء بها جعلت في أول الكلام حتى يستأنس بها جماعة المؤمنين المستحقين لدخولها.

وتظهر المسحة الجمالية في أثر قلب الرتب بين المبتدأ والخبر بما يحقق السلاسة في النطق، ويفسح المجال للتغنّي بالإيقاع الجميل للآية الكريمة.

وممّا زاد الصورة نماء تزاحم مجموعة من المؤكّدات اللفظية والمعنوية، ابتداء من (إنّ)، ثمّ تقديم (الجنّة)، ثم ضمير الفصل (هي)، قصد المبالغة في تبشير المؤمنين بصدق ما وعدهم به ربهم.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾[2]، وإنّما ينزل الماء الذي يكون منه الرّزق، ومن أجل تشوّف العباد إلى الرزق وقلقهم وكثرة اجتهادهم في تحصيله، تجاوز التعبير القرآني ذكر مراحل حصوله[3]، والتي تبدأ من إنزال الماء من السماء، ثمّ إخراج النبات، ثمّ الثّمار والكلأ.

---

[1] النازعات ، 41.

[2] غافر، 13.

[3] ينظر: التصوير المجازي والكنائي، صلاح الدين محمد أحمد، ص229.

وتكمن براعة الأسلوب في دفع المخاطب وإثارته فكريا من خلال الإيجاز المستفاد من المجاز المرسل، والذي أُحدث بناء على قدرة المخاطبين على استيعاب المقصود من العبارة، فقد أريد بالرزق ماء المطر الذي هو سبب الرزق، إلا أنّ التركيب عمد إلى اختزال أحداث كثيرة تبدأ من إنزال الغيث، ثم اختلاطه بالأرض، ثم إنبات النبات الذي يكون منه رزق الإنسان، وفي حالات أخرى تمتدّ القصة إلى عملية صنع الألبسة والأغذية المبنية على أثر المطر، لكنّ المخاطب يستحضر صورة الرزق كأنّه يُكَبّ من السماء، كما تنطوي الآية على ملمح أسلوبي آخر يدرّ بفائدة عظيمة، هي اعتبار الرزق الذي يناله الإنسان إنّما الأمر فيه لله وحده، ولا سبيل للعبد إلى تحصيله أو منعه، وكي لا يظنّ المرزوق أنّه حصّل الرزق بجهده وتدبيره، إنّما الفضل كلّه لله، وأنّه لا أحد يقدر أن ينزّل شيئا من السماء إلا الله، تجلّت قدرته.

7-التخويف والوعيد

كما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا** ﴾[1]، أين تصوّر لنا كلمة (قدمنا) طبيعة المعاملة التي يجدها العصاة والكافرون يوم القيامة، وهي معاملة مشحونة بالغضب الإلهي، و(قدمنا) بمعنى (عمدنا)، إلا أنّ (قدمنا) أبلغ في التعبير عن إنفاذ الوعيد، وأوسع في وصف شدّة الغضب، فإن الله، تعالى، يصف معاملته لهم كمعاملة القادم من السفر إلى قوم فرآهم على خلاف ما أمرهم[2]، أين تعمل الاستعارة

---

[1] **الفرقان ، 23.**

[2] **ينظر: النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ضمن ثلاث رسائل، ص86.**

على تشكيل صورة تخييلية عن المعنى المراد، كما تتميّز بالنشاط اللغوي في انتقال اللفظ من مجال دلالي إلى آخر، يستلزم نشاطا فكريا في تتبعه.

وفي قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[1]، هي آية مشحونة بالإيحاء والإثارة، من خلال الإشارة إلى دوي الصدمة التي أصابت المكذبين للرسل والمعرضين عن آيات الله، تحمل أغراضا فنية جمالية تقود مقاصد نفسية واجتماعية ودينية، فصيغة الماضي تؤكد الحدث وكأنه وقع وانتهى الأمر ولا مجال للتشكيك في إمكانية وقوعه، ثم جملة (ننساكم) وما تحمله من زجر وتهديد، فيقول المكذبون: (كيف ينسانا الله؟) إن الأمر فيه خفاء بقدر ما أخفي عنهم من العذاب، لطول المدّة التي يمكثونها في النار وهم يصيحون ويصرخون، ولا أحد يستصرخهم، فكان حالهم كحال من أدخلوا إلى مكان وأغلقوا عليهم فيه ثم نسيهم الذي أدخلهم وتركهم من دون أن يسأل عن حالهم وحاجاتهم، وهي معاملة من الله لأعدائه تنفح باللامبالاة والمهانة والاحتقار، مقابل استهزائهم برسلهم ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾[2]، إذ يغشى التركيب مزيج بين الرونق والطلاوة المؤديان إلى الحلاوة والقبول.

---

[1] الجاثية ، **34**.

[2] الجاثية ، **35**.

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴾[1]، قد تكون هي حقيقة في الآخرة للكفار إذا دخلوا النار[2]، وأرى الناسَ علي بن أبي طالب الإقماح، فجعل يديه تحت لحييه و ألصقهما ورفع رأسه.[3]

وقال ابن عباس وغيره: الآية استعارة لحال الكفرة الذين أرادوا النبي، صلى الله عليه وسلم، بسوء، فجعل الله هذه مثلا لهم في كفّه إيّاهم عنه ومنعهم من إذايته حين بيّتوه[4]، وفي الآية "تمثيل لتصميمهم على الكفر وإصرارهم على العناد بأن جعلهم كالمغلولين المقموحين في أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يثنون أعناقهم نحوه"[5]، فقد رصد الأسلوب في الآية صورة حسية تترجم حال الكافر المحجوب عن الحق والمصدود عن اتباعه، وهي لمحة من ملامح وتضمّن القرآن للبلاغة المعجزة والحكم العجيبة، ممّا يجعل من الآيات داعية إلى تدبّرها ثمّ إلى تقبّلها من جهة المخاطبين.

وفي قوله تعالى : ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾[6]، فقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في هذه الآية قال: "هذا تهديد ووعيد"[7]، فظاهر

---

[1] يس ، 7.

[2] ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج4، ص446.

[3] ينظر المصدر نفسه، ج5، ص6–7.

[4] : تفسير الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبو زيد الثعالبي المالكي، تح: علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي– مؤسسة التاريخ العربي، لبيروت، لبنان، ط1، 1997، ج5 ، ص6.

[5] إعراب القرآن وبيانه، محي الدين الدرويش، دار الإرشاد، حمص، سورية، ط3، 1992، المجلد: 8، ص176.

[6] الكهف ، 29.

[7] الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت، دط، دت ، ج4، ص220.

الآية يدلّ على الإباحة في مشيئة العبد، وأنّ له أن يسلك سبيل الهدى أو سبيل الضلال، بيد أنّ المعنى على عكس ذلك؛ فالإيمان بالله واتّباع أوامره واجتناب نواهيه أمر واجب على العباد جميعا، وإنّما أريد بذلك التحدّي، وبيان مسؤولية العبد في الجزاء الذي يترتّب من وراء اتّخاذ قراره نحو مسألة الإيمان أو الكفر، فقد أردفت الجملة ببيان جزاء المعاندين في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا** ﴾[1]، وتظهر براعة الأسلوب من خلال إيراد لفظ التخيير من أجل بيان أنّ الله مكّن للعباد أن يختاروا بين الإيمان والكفر[2]، في الوقت الذي يحيلنا أسلوب القلب في دلالة فعل المشيئة إلى تدبّر معنى التهديد، واستحضار الوعيد من خلال تصوّر مبلغ الغضب الإلهي نتيجة مخالفة شرعه الحكيم.

كما نستشف دلالة التخويف في قوله تعالى: ﴿ **۞ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا** ﴾[3]، إن اختيار الفعل (يموج) يدعونا إلى استحضار استحضار مشهد الأمواج في البحر وهي تتلاطم، وينكسر بعضها فوق بعض، وجعله صورة تعكس حال المتكلّم عنهم في الآية، لاشتراكهما في صفات: التدافع والتزاحم[4]، بالإضافة إلى التخالف في جهة المسير لكل إنسان نتيجة الفزع والتيه، ممّا يؤدّي بالناس إلى الفوضى والتخبّط في الحركة، فبفضل استعارة الفعل (يموج)؛ أضحت الصورة واضحة الأبعاد

---

[1] الكهف ، **29**.

[2] **ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج15 ، ص619.**

[3] **الكهف ، 99.**

[4] **ينظر: التصوير المجازي والكنائي، ص71 .**

والدلالات، نتيجة التداخل الحاصل بين مشهد البحر الهائج من جهة، ومشهد يأجوج ومأجوج وهم محاصرون تحت الردم من جهة أخرى.

وفي قوله تعالى: ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ ﴾[1]:

إذ يؤدي إيقاع الكلمة وظيفة دلالية وأسلوبية تتمثل في التخويف، من خلال صفات الحروف المكوّنة لها، فقد تشكّلت كلمة (القارعة) من القاف والراء والعين، وهي حروف قوية المخرج والصفة، تناسب التعبير عن أمر جلل ومشهد رهيب؛ هو قيام الساعة، كما أن تكرار لفظ (القارعة) ثلاث مرات متوالية قد أضاف إلى المعنى المستفاد من الكلمة دلالات أخرى[2]، كالتأكيد والتهويل والإنذار، عملت طبيعة الحروف على إظهارها في أوّل آية في السورة، ثمّ ترسيخها بالعودة إليها مرتين في الآيتين الثانية والثالثة.

8-الإنكار

من أمثلة إنكار الفاعل: قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝٥٩ ﴾[3]، إذ لا يكون التقديم والتأخير في الكلام إلا لغاية أرادها المتكلّم من خلال سلوكه هذا الاستعمال أو ذاك، وقد تجتمع عدّة غايات في جملة واحدة تتضمّن تقديما وتأخيرا واحدا.

---

[1] القارعة ، 1-2-3.

[2] ينظر: جمالية الخطاب في النص القرآني، لطفي فكري محمد الجودي، ص176.

[3] يونس ، 59

فقد تضمّن السؤال الإنكاري في الآية توبيخا وتهديدا وتأكيدا، أمّا التوبيخ فمفاده تكذيب المشركين في زعمهم بأن يكون الله قد أعلمهم بأنه أحلّ هذا وحرّم ذاك، وأمّا التهديد؛ فإن الآية الكريمة تحمل إشارة إلى عظم الجرم الذي يكون من خلال القول على الله بغير علم، وأمّا التأكيد الذي نستشفّه من تقديم الفاعل على الفعل فمفاده أن الذي بيده أن يحلّ الحلال ويحرّم الحرام هو الله وحده، وليس غيره مخوّلا لذلك، فالحاصل هو انتفاء الإذن من أصله نتيجة انتفاء الفاعل[1]، فإن قيل: فكيف قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[2] فالجواب أنّ النبيّ، صلى الله عليه وسلم، لم يفعل ذلك من تلقاء نفسه؛ بل تبليغا لأوامر الله ونواهيه، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[3]، وقال، عزّ من قائل: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥ ﴾[4]، فلا يعدو الرسول أن يكون مبلّغا للأحكام والشرائع عن ربّه، عزّ وجلّ.

---

[1]. ينظر: دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، منير محمود المسيري، ص72.

[2] الأعراف ، 157.

[3] النجم ، 3-4.

[4] يونس ، 15.

ومن أجل زيادة الإنكار واللوم وقع الالتفات في قوله تعالى : ﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ** ﴾[1]، فالالتفات هنا من الغيبة في الشطر الأول وهو (أن جاءه الأعمى) إلى الخطاب في الشطر الثاني وهو (وما يدريك) " دليل على زيادة الإنكار كمن يشكو إلى الناس جانياً جنى عليه، ثم يقبل على الجاني بالتوبيخ وإلزام الحجة"[2]، مع ملاحظة حذف المفعول به الثاني، في قوله تعالى: ﴿**وَمَا يُدۡرِيكَ**﴾ أين ينضاف مدخل آخر من مداخل المتعة الأسلوبية في المجاز، يتمثل في الإيجاز الذي يطوي الموضوع الطويل بألفاظ معدودة.

وفي قوله تعالى: ﴿**أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ**﴾[3]، إذ ليس بإمكان أحد من الناس أن يُسمع أصمّا، والرسول، صلى الله عليه وسلّم، رسالته مبنيّة على الدعوة الكلامية، وليس بيده إلا أن يبيّن للناس طريق الحق والنجاة، وإنما أراد، تعالى، بذلك التخفيف عن نبيّه ودعوته إلى الإعراض عن هذه الفئة من الناس، فإنّهم لا ينفعهم حرص الرسول واستماتته في دعوتهم، ولقد كان من كرم النبيّ، صلى الله عليه وسلّم، أنّه لم يرض بالكفر لأحد من الناس، قال تعالى: ﴿ **لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ** ﴾[4].

[1] عبس، 1-2-3.

[2] نفسه، ج4، ص218.

[3] الزخرف ، 40.

[4] الزخرف ، 3.

وكذلك أريد الإنكار في قوله تعالى: ﴿ **أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ** ﴾[1]، فالإيمان بالإكراه يخالف ما نص عليه الدستور الرباني، لما ضمن المولى، تبارك وتعالى، للعباد حرية الاعتقاد واختيار الدين الذي يتّبعونه، ولا تتعلّق الهداية إلا بمشيئة الله وحده، قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا** ﴾[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾[3]، يتضمن الاستفهام إنكارا للفاعل، فإن المشركين طلبوا أن تكون الرسالة في أحد عظماء مكّة أو الطائف، قال تعالى : ﴿ **وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ** ﴾[4]، فكان الردّ أن ليس لهم أن يحدّدوا شخص الرسول أو قبيلته، وفيه تعريض بأن الرسول، صلى الله عليه وسلّم، هو رحمة ومنّة من الله على عباده.

وفي تعالى: ﴿ **وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ** ﴾[5]، يدل تقديم الفعل في الاستفهام على أن الجعل لم يكن أصلا، وأنّ ادّعاء المشركين بذلك من باب الكذب على الله، سبحانه وتعالى، كما تنامى الجمال في الآية من

---

[1] يونس ، 99.
[2] يونس ، 99.
[3] الزخرف ، 32.
[4] الزخرف ، 31.
[5] الزخرف ، 45.

الناحية التركيبية بتقديم الجار والمجرور: ﴿مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾، وتأخير المفعول به ومتعلقه: ﴿ءَالِهَةً يُعۡبَدُونَ﴾، وجعلها فاصلة، بغية تحقيق الوحدة الإيقاعية، ويكون الانسجام الصوتي للآية مع سبقها وما تلاها من آيات انتهت جميعها بنون قبلها مدّ واويّ أو يائيّ؛ مثل: (مقتدرون، مستقيم، تُسألون، العالمين، يضحكون، يرجعون)[1]، هذا، زيادة على ما خلّفه التقديم والتأخير من أثر بلاغي متمثل في تبكيت المشركين ودحض مقالتهم، إلى جانب احتقار الآلهة المعبودة من دون الله بجعلها في آخر الكلام.

وفي قوله تعالى: ﴿ ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[2]، فالاستفهام ليس على حقيقته؛ وإنّما أريد به الإنكار بأن يكون الإنسان على علم بالوقت الذي تحصل فيه الحوادث المذكورة في الآيتين، كالبعث والنشور وتحصيل ما في الصدور[3]، زيادة على التعجّب من أمر الإنسان كيف يغفل عن هذه الأحداث العظيمة.

---

[1] هي فواصل الآيات: 42، 43، 44، 46، 47، 48، من سورة الزخرف.

[2] العاديات، 9-10.

[3] ينظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج30، ص506.

9-التقليل

يتجلّى غرض التقليل، غالبا، في التعبير عن الجمع بصيغة المفرد، كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِى فَلَا تَفۡضَحُونِ** ﴾[1]، وفي قوله، عزّ من قائل، ﴿ **هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ** ﴾[2]، إذ تصوّر الآيتين جانبا من خُلق سيدنا إبراهيم، عليه السلام، والمتمثّل في الكرم والإيثار، يتجلّى ذلك من خلال التعبير عن جماعة الضيوف الوافدين عليه بصيغة المفرد، وصوّر لنا القرآن الكريم حال سيدنا إبراهيم وفزعه إلى خدمتهم من غير تثاقل، وذكرهم بالضيف بدل الضيوف، لاستهانته، عليه السلام، بمقدار ما يجب عليه من الزاد لإطعامهم وإكرامهم، قال تعالى: ﴿ **فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ۝٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ** ﴾[3]، فالضيف الواحد تكون خدمته وإكرامه أيسر من إكرام مجموعة، إلا أنّ الأمر سيان بالنسبة لرجل شديد الكرم كسيدنا إبراهيم، عليه السلام.

ولغرض التقليل، أيضا، تمّ تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿ ۞ **قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ** ﴾[4]، إذ لا يتصوّر أن يقع في الله شكّ بوجه وإن قلّ[5]، وإنّ تأخيره يوجب دلالتي الإهمال والتحقير؛ لأنّ الشك في وجود الله لا يجوز أن يتسلّل إلى

[1] الحجر ، 68 .

[2] الذاريات ، 24.

[3] الذاريات ، 26-27.

[4] إبراهيم ، 10.

[5] ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، ج3، ص78.

العبد، ينضاف إليهما معنى الإنكار الذي نستشفّه من تقديم الجار والمجرور، والتأكيد على وجوب انعدام الشك في ذات المولى وإن كان يوجد فيما سواه، خاصّة مع تكشّف البراهين الساطعة، وأهمّها خلق السماوات والأرض وما يرتبط بهما من الخلائق، إذ يعدّ إيجاد الشيء من العدم أكبر دليل على وجود موجد له، فكيف يجوز للفكر أن يزيغ عن اليقين إلى الشّكّ؟

10-التحضيض

كما في قوله تعالى: ﴿ **أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾[1]، فلو قيل (أوَ من كان ضالاّ فهديناه)، أو (أوَ من كان في الظلام كمن هو في النور)، لم تفيا بالغرض الذي من أجله ركّبت هذه الآية، وهو الحثّ على الهروب من الضلال وطلب الهداية كمن يهرب من الموت ويطلب الحياة، إذ ليس من الحقيقة أن يقال أنّ الناس كلّهم يكرهون الضلال، أو يكرهون الظلام، في الوقت الذي نجد فيه الناس جميعا يخشون الموت ويفرّون منه، أو يمكننا أن نقول، على الأقل، ليس من أحد يحبّ الموت، ولما كان طريق الهداية هو القرآن، ولكي يكون حيّا لا بدّ له من روح؛ فقد سمّاه الله روحا، في قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ**

[1] الأنعام ، 123

مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1]، أين نلاحظ أنّ دلالة النور، في الآية الكريمة، قد انقلبت من المجال المحسوس إلى المجرّد المدرك بالخيال والفكر، لتتسع بذلك دائرة المعنى، وهي ليست دلالة النور الحقيقية المعبّرة عن ضوء الشمس أو القمر أو المصباح، والتي في مجموعها قد تنير للإنسان جزء من الكون، "وإنما هو نور البصيرة الذي يجعل صاحبه في نور وإن جلس في ظلمة، ومؤانسة وإن كان في وحدة، وفي أخوّة وإن كان في غربة، وفي معيّة الله وإن كان في هجرة"[2]، أين نرصد الملمح الجمالي في أنّ اللفظ قد اكتسب، بفضل الاستعارة، شمولية وكمالا وخلودا، تجعل المؤمن يحيا في طمأنينة وسعادة بسبب تبصّره الطريق ونجاته من العقبات. ولقد أقرّ الرمّاني، في رسالته[3]، أنّ كلّ ما في القرآن الكريم من ذكر للنور والظلمات فهو على سبيل الاستعارة واشترط في ذلك أن يكون التركيب على نحو (من الظلمات إلى النور)، وينضاف إلى ما أقرّه عكس التركيب، وهو (من الظلمات إلى النور) الوارد في سورة البقرة، أين يصبح المعنيان للنور والظلمات هما العلم والجهل، أو الهدى والضلال.

وتكمن باعثية الجمال في عامل الخيال الذي يكتنف الصياغة المجازية في الآية الكريمة، والتي تنشأ بفضلها اللّذّة العاطفية والعقلية في آن واحد، ويعمل الأسلوب على تنبيه المخاطب إلى ضرورة الربط بين صفات الروح والقرآن، وتداخل دائرتيهما الدلالية، والذي تشكّل بفضله اتّحاد معنويّ، بحيث لا يكاد ينفكّ أحدهما عن الآخر.

---

[1] الشورى ، **52**.

[2] **التصوير المجازي والكنائي، ص57.**

[3] **ينظر: النكت في إعجاز القرآن، الرمّاني، ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص92.**

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[1]، تربط الاستعارة حال المانع الصدقة بمن غلّ يده إلى عنقه؛ "لأنّ حال المغلول اليد أظهر وأقوى فيما يكره"[2]، والأصل في المعطي بيده يبسطها ويمدها بالعطاء[3]، وتتنامى الصورة البلاغية ليبرز معنى الإكراه والتحذير من صفة البخل، بأسلوب جمالي يشع بالمعاني الإضافية، أساسها النهي عن الاتصاف بالبخل، محاطة بالتنفير والتخويف من حقيقتها وعاقبتها على صاحبها أوّلا، فالمشدودة يده إلى عنقه يكون في حرج ومشقة، تمنعه من الحرية في القيام بوظائفه، والتمتّع بحياته.

11-الاستعطاف:

نلمس دلالة الاستعطاف جلية من خلال مناجاة سيدنا زكريا لربّه، في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾[4]، فدلالة الاشتعال قد تحرّكت في مجال واحد محسوس، انقلبت بموجبه من توقّد النار واشتعالها حقيقة إلى ظهور الشيب واستحواذه على لون الشعر في الرأس، مع استحضار معنى الكثرة والسرعة في الانتشار المأخوذ من صفة النار[5]، أين تظهر إبداعية الاستعارة في اتحاد المشبه بالمشبه به، أين لا

[1] الإسراء ، 29.

[2] المصدر نفسه، ص93.

[3] تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة ، ص 149.

[4] مريم ، 4.

[5] ينظر: النكت في إعجاز القرآن، الرمّاني، ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص88.

يقدّر (الرأس) إلا فاعلا للفعل (اشتعل)، ولا (الشيب) إلا تمييزا عنه[1]، في الوقت الذي يكون (الشيب) هو الفاعل الحقيقي، وتكون حقيقة التركيب: (واشتعل الشيب في الرأس).

وتتجلّى قسمات الجمال في تحوّل دلالة الشيب في المجال نفسه، من معنى الشعر الأبيض إلى معنى النار المتوقّدة، أين اتّسمت هذه الحركة الدلالية بالحيوية والمرونة، واستقرّت الكلمة في دائرة دلالية جديدة غير التي ولدت فيها، تاركة أثرا عاطفيا في نفس السامع، سببه خروج اللفظ من دائرته الدلالية الأصلية ودخوله في دائرة جديدة، مصطحبا في تنقّله صفاته الأساسية، حتّى يكاد يكون فردا من هذه الدائرة الدلالية الجديدة، أين تضمحلّ الفوارق ويذوب اللفظ في معناه المجازي من أجل المبالغة في الاستعطاف.

ويمتدّ الدفء في المناجاة بسلوك أسلوب التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿ **وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا** ﴾[2]، فقد أخّر الخبر، وقدّم الجار والمجرور (بدعائك)، لينقلب الموضوع من أسلوب الإخبار إلى أسلوب الإنشاء المتضمّن للدعاء، فكأنّه قال: (ولا تجعلني شقيا بدعائي)، فلقد جمع الأسلوب في الآية كلّ الطاقات التعبيرية التي توصل صاحبها إلى الكشف عن ضعفه وحاجته إلى العطف والرحمة، وهو ما جعل الخطاب في قمّة الجمال والحسن.

---

[1] **ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص393.**

[2] **مريم ، 4.**

ومن شواهد التقديم والتأخير من أجل الاستعطاف وإبداء المودّة، تقديم لفظ (الأخ)، في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[1]، مثلما قدّم ذكر الأخوّة مع كل من: نوح وصالح وشعيب ولوط، عليهم السلام، ولقد ورد لفظ (الأخ) في تلك المواقف جميعها لبيان دلالات أهمّها:

-الحرص؛ فإن الأنبياء هم أحرص الناس على هداية أقوامهم، كما يكون الأخ حريصا على سلامة أخيه.

-المعرفة، إذ إنّ النبيّ يجب أن يكون معروفا في قومه باستقامته في الأخلاق والمعاملات، فقد كان كلّ نبيّ أمينا مشهورا بأمانته، كما كان نبيّنا، صلّى الله عليه وسلّم، أمينا في قريش[2]، وهي صفة لازمة يجب أن تتوفّر في الداعي إلى الخير عموما.

وتظهر المزية الجمالية، على الخصوص، إذا كان اللفظ المقدّم يحمل معنى التودّد ويذكّر بالعلاقة بين المتكلّم والمخاطب، والظاهرة نلمسها في جميع الآيات التي تتضمّن نداء الأنبياء لأقوامهم، كما وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ ﴾[3]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ ﴾[4]، وفي قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا

---

[1] الأعراف ، 65.

[2] ينظر: الكشاف، الزمخشري، ج19، ص764.

[3] الأعراف ، 73.

[4] الأعراف ، 85.

تَتَّقُونَ ﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿ **إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ** ﴾[2]، وفي قوله تعالى: ﴿ **إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ** ﴾[3]، فمقام الدعوة إلى الله يستوجب على الأنبياء أن يتلطّفوا مع أقوامهم، ويسلكوا سبيل الحكمة والحلم معهم حتى يتمكّن الخطاب من قلوبهم من جهة، وتقوم الحجّة على من عاندهم من جهة أخرى، لتبقى مسألة الهداية من عدمها بيد من يملك القلوب، سبحانه وتعالى، ومن أجل ذلك أُمر رسولنا، صلى الله عليه وسلّم، بالرفق، في قوله تعالى: ﴿ **ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ** ﴾[4]، أين برزت الصورة جلية بتشكل المعنى ماديا محسوسا لدى المخاطب.

وبغية استعطاف المخاطب والتأثير عليه؛ تستثمر الاستعارة لإنتاج الطاقة التعبيرية في الخطاب، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ** ﴾[5]، فقد شبّه الذلّ بطائر، ثمّ حذف الطائر وبقي الجناح، وهو من لوازمه، دالا عليه[6]، إذ تحمل الآية الآية الكريمة وصيّة إلهيّة للنبيّ، صلى الله عليه وسلّم، باللين والحلم، بأسلوب في غاية الرقّة، اشتمل على تشبيه فعل التواضع المطلوب من النبي، صلى الله عليه وسلّم، بفعل الطائر

---

1 الشعراء ، **106**.

2 الشعراء ، **142**.

3 الشعراء ، **161**.

4 النحل ، **125**.

5 الشعراء ، **215**.

6 ينظر: الإحاطة في علوم البلاغة، د عبد اللطيف شريفي، د زبير دراقي، ص**149**.

حين يريد النزول من السماء؛ فإنّه يخفض جناحيه ويكسرهما حتى يتمّ له الهبوط[1]، وتتمثّل الصورة البلاغية في هذا التعبير من خلال تصوير المعنى المجرّد، (التواضع واللين)، بما هو مادّيّ مشاهد، (خفض الجناح)، ثمّ دعوة السامع إلى استكشاف العلاقة الدلالية بينهما حتى يتسنّى له أن يقف على المعنى المراد، وفي هذه الجولة الفكرية المحضة تتنامى دافعية التدبّر عند المخاطب، بحيث لا يتوصّل إلى المعنى إلا بعد إعمال الفكر، وبذلك يتحقق عند المخاطب، بسماعه للقرآن وقراءته، هدف الترقّي الفكري والمتعة التدبّرية في طريق الوصول إلى المعاني المرجوّة.

وفي قوله تعالى : ﴿ **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ** ﴾[2] ، فإن أصل العبارة، كما يرى الزركشي: (إنا كنا مرسلين رحمة منا) فوُضع الظاهر، وهو ﴿**رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ**﴾ موضع المضمر، إيذانا بأن الربوبية تقتضي الرحمة للمربوبين للقدرة عليهم ... ثم التفت بإعادة الضمير إلى الرّبّ الموضوع موضع المضمر[3]، وتتجلّى اللمسة الجمالية في إيراد (كاف) المخاطب في (ربّك) ذات الوقع الصوتي الخاص، والمحمّلة بكلّ معاني العطف الربّاني تجاه الرسول، صلى الله عليه وسلّم، كما ينمّ التعبير عن غاية الدفع بالسامع إلى استحضار صفات متعدّدة للربوبية، ثمّ استحضار مقام الرسول ومكانته ودرجة قربه من ربّه، عزّ وجلّ.

---

[1] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج14، ص109.

[2] الدخان ، 4-5-6

[3] البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج 3، ص 329.

12-التلطّف:

يحدث في الكلام عموما أن يستبدل لفظ مكان لفظ، أو تركيب بدل آخر من أجل التلطّف واجتناب الحرج الذي يحدث عند المخاطبين من سماعه وتداوله لبعض الكلمات والعبارات التي لها دلالات صريحة على ما يستقبح ذكره، أو ما يصطلح على تسميته باللامساس، ولقد راعى القرآن الكريم هذه الخاصية الإنسانية، إلى درجة أن القارئ للقرآن يمرّ بمواضع تتحدث عن مواقف حرجة يعبّر عنها بأسلوب بديع، لا يشعر من خلاله بأي نوع من الخدش في الحياء، وأكبر دليل على ذلك نجده في قصة سيدنا يوسف، عليه السلام، مع امرأة العزيز، في قوله تعالى: ﴿ **وَرَاوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ** ﴾[1]، فلو كان أحد من الناس يروي القصة لانقسم المخاطبون إلى منفض، ومخبّئ رأسه بين رجليه، ومن يتصبّب عرقا، فالكلام يصف لحظة الإغواء قصد الوقوع في الفاحشة، إلا أن الخطاب الإلهي يمرّ بها بردا وسلاما على المخاطبين، مع ملاحظة الإيجاز الشديد في سرد وقائع القصة في هذه المرحلة الحرجة، أين يمرّ على ذكر المراودة والتغليق والقول مرّا سريعا، في إشارة إلى أنّه لا ينبغي التطويل في سرد التفاصيل التي تحرّك الغرائز[2]، بل أكثر من ذلك، فقد يلجأ القارئ إلى تكرار قراءته لذلك المقطع بغية تذوّقه والاستمتاع بعذوبة كلماته ونظمه، وفي هذا إعجاز بياني لا يستطيعه بشر، ولا يرقى إليه مهما أوتي من فصاحة.

---

[1] **يوسف ، 23.**

[2] **ينظر: جمالية النظم القرآني في قصة المراودة في سورة يوسف، عويض بن حمود العطوي، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2010 ، ص23 .**

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴾[1]، يبيّن الله، سبحانه وتعالى، صفة الأنبياء والمرسلين، ويؤكّد على بشريّتهم حتى لا يكون هناك غلوّ أو إطراء قد يؤدّي بالناس إلى تأليههم والشرك في الاعتقاد فيهم، فإنهم يأكلون ويشربون، ويغذّون احتياجاتهم الجسمية والطبيعية كباقي البشر، ولعلّ في هذه الآية تعريضا عما ينتج عن الأكل، و هو الحاجة إلى التخلّص من فضلاته.

والغاية من قوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾، هي الإشارة إلى ما يترتّب عليه، وليس فعل الأكل لذاته، ويظهر الأثر الجميل في هذه الآية في عدم المصارحة بالفعل المستقبح، واجتناب ما ثير اشمئزاز النفوس من ذكره، والتحوّل إلى ما يدلّ عليه عن طريق الربط والاستدلال، "فإنّه لا تطمئنّ نفس العاقل في كلّ ما يطلب العلم به حتى يبلغ فيه غايته، وحتى يغلغل الفكر إلى زواياه.."[2]، فينشط العقل من أجل الوصول إلى المعنى، بحيث أصبحت العبارة، بفضل التعريض، أرشق والمعنى ألطف.

---

[1] **الأنبياء ، 8.**

[2] **دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص70.**

13-الاهتمام:

يعمد المتكلّم عادة إلى تقديم الأهمّ وما هو أولى بالذكر، فيتمّ توزيع مراتب الكلمات على حسب ترتيب أهمّيّتها عند المتكلّم والمخاطب، كقوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝١٢** ﴾[1].

فقد عدل عن الغيبة في (قضاهن) و(أوحى) إلى التكلم في "زينا الدنيا للاهتمام بالإخبار عن نفسه، بجعل الكواكب في السماء الدنيا للزينة والحفظ؛ لأن هناك طائفة اعتقدت أن النجوم ليست في السماء الدنيا[2]، فلذلك عدل إلى التكلم في وزينا السماء الدنيا.

يعكس التقديم في كلمة (يومئذ) في سورة القيامة وتكرارها ثلاث مرّات في السياق الواحد، الاهتمام بعنصر المفاجأة، إذ كان سؤال الإنسان عن توقيت يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ **يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ** ﴾[3]، لغرض الإنكار والتهكّم، فكان الردّ بالتعقيب: ﴿

---

[1] فصلت ،11-12.

[2] البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3، ص330.

[3] القيامة ، 6.

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾ [1]، للتأكيد والتعجيل، ثمّ بالتقديم والتكرار في (يومئذ) لغرض الإنذار والتوبيخ.

ينضاف إلى هذا إذكاء الصورة من خلال التأخير في مقول القول وموضوع الإنباء، ممّا يسبّب حالة التشوّق والتطلّع إلى معرفة ما تمّ تأخيره، ليزيد بذلك من تعظيمه وهيبته لدى المخاطبين، فيجعلهم في حالة من الوجل والرهبة من هذا الموقف العصيب، يحملهم على الاستعداد له، والإيمان بوقوعه لا محالة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾[2]، نجد استعمال فعل الإذاقة للعذاب، وأصل الوضع فيه كان للطعام[3]، فقد عبّر عن الإحساس بالآلام بالتذوّق الذي يكون مع الطعام والتلذّذ به، قصد التهكّم بمن يصير إلى هذا الموقف، وتمّ الربط بين المعنيين باستحضار دلالة الإقبال على الطعام، ثمّ نقلها إلى العذاب.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةً ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةً فَرِحَ بِهَا﴾[5]، أي أعطيناه ووهبناه

---

[1] القيامة ، 7-8-9.

[2] السجدة ، 21.

[3] ينظر: النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ضمن ثلاث رسائل، ص94.

[4] هود ، 9 .

[5] الشورى ، 45.

من نعم كالصحة والأمن والمال، بحيث يكون اكتسابه لها كمثل من يتذوّقها في كلّ مرة فيجد لذّتها وحلاوتها فيتعلّق قلبه بها.

وتتمثل الصورة الجمالية في الأسلوب فيما تحدثه كلمة (أذقنا) من تحقير في دلالة النعيم في الدنيا، وذلك ببيان قلّته وقصر زمانه إذا ما قورن بنعيم الآخرة، فليس التنعيم في الدنيا إلا إذاقة بالنسبة للآخرة، فقد سيقت هذه اللفظة على سبيل المجاز لتؤدي هذه الأغراض وغيرها.

كما نلاحظ في الآية قلبا في الرتب في قوله، تعالى: ﴿ **مِنَّا رَحْمَةً** ﴾ يتمثّل في تقديم الجار والمجرور من أجل الحصر، فلا رازق ولا راحم إلا الله، وهي آية تعضد قوله تعالى: ﴿ **إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا** ﴾[1]، حتى لا يُتوهّم أنّ هنالك مُنعِما سوى الله، تعالى، إذ لا يزال معنى التوحيد سائرا مع آيات هذه السورة الكريمة، يتأكّد باستخدام جميع الطاقات التعبيرية التي تتيحها اللغة، بما في ذلك أسلوب التقديم والتأخير وغيرهما من طرق القلب، ممّا يضفي على الآيات جمالا، وعلى الأسلوب رونقا وإشعاعا.

---

[1] **هود ، 6**.

14- التعظيم

كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾[1]، فإذا سلمنا بأن كلمة مكر تدل على (الاحتيال والخداع)[2]، فإنه لا تفهم صيغة (ومكرنا مكرا)، إلا على سبيل المجاز المبني على قلب المعنى في الرد على مكر قوم سيدنا صالح ، عليه السلام، وفيه فوائد بلاغية نذكر منها :

_عظم مكر المجرمين بدليل تكراره في قوله تعالى : ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا ﴾، فلفظة (مكرا)هي مفعول مطلق يبين شدة الاحتيال ، ودقة التخطيط ، إلا أنه لا يرقى في شدته ودقّته إلى عظم القوة والجبروت بالنسبة للخالق سبحانه، وما أشد مكر الله على مكر القوم الكافرين.

_طمأنة المؤمنين، بقلب تفكيرهم في أنفسهم و خوفهم من مكر أعدائهم إلى أولوية أن يفكروا ويتيقنوا هم بهلاك عدوّهم ، فالحرب ليست بين صالح وقومه، وإنما هي بين الله تعالى والمكذبين من قوم سيدنا صالح ،عليه السلام، فإذا كان الأمر كذلك فإنّ في الآية الكريمة تسلية وترويحا على المؤمنين وبشارة لهم بالنصر والظهور على أعدائهم.

---

[1] النمل ، **50**.

[2] معجم مقاييس اللغة: ج**1** ، ص**345**.

ومنه تعظيم شأن المخاطب: كقوله تعالى : ﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ** ﴾[1] (**فالحمد لله**) تدل على اختصاصه سبحانه بالحمد، فإذا انتقل إلى قوله ﴿ **رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ** ﴾، دل على ربوبيته للجميع، ولهذا قال: ﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ** ﴾ ولم يقل (الحمد لك)، ولفظ العبادة مع الخطاب، فقال : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾[2] ليناسب تعظيم حال الخطاب.[3]

وقد يعدل المتكلّم إلى الاسم الظاهر لغرض التفخيم، كقوله تعالى : ﴿ **قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾[4]. وفي هذا يقول الزمخشري : " فإن قلت : هلا قيل : فآمنوا بالله وبي بعد قوله : ﴿**إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾ قلت : عَدلَ عن المضمر إل الاسم الظاهر لتجري الصفات التي أجريت عليه، ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة"[5]، وقد أدّى الالتفات دوره البلاغي في التذكير بحقّ الرسول على الناس، وهو التصديق والاتّباع،

---

[1] **الفاتحة ، 2.**

[2] **الفاتحة ، 5.**

[3] **البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3، ص326.**

[4] **الأعراف ، 158.**

[5] **الكشاف، ج2، ص 123، وينظر البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 328.**

ذلك أنّ الرسول لا يتجاوز أن يكون مبلّغا عن ربّه، وأنه لم يطلب من الناس أن يؤمنوا به من أجل نفسه، وإنما غرضه نجاتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة.

15- التوبيخ:

كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴾[1]، فبعد أن كان الحديث في الآية الأولى عن طائفة الغائبين، "استأنف الالتفات إلى خطابهم بأشدّ الإنكار، إيماء إلى تناهي الغضب"[2]، فلقد انقلب الخطاب في الآية الثانية إلى توجيه الإنكار والتهديد إلى الطائفة نفسها؛ ولكن على سبيل توبيخ الحاضر، لأنّ توبيخ الحاضر يكون أبلغ في الإهانة من الغائب، وأقرع في السمع من غيره ممّن لم يحضروا العتاب والتوبيخ، فمن جهة تحصل الإهانة والإشفاق من طرف المخالفين المدّعين لله الولد، سبحانه، ومن جهة ثانية، فإن الخطاب القرآني عموما هدفه هداية العباد وإرشادهم إلى ما يصلح حالهم في الدنيا والآخرة، ولا شك أن الله تعالى يريد من عباده المذنبين أن يتوبوا ويعودوا إلى رحابه، فتكون الغاية الكبرى من التوبيخ هي حمل المذنبين على التوبة.

فلقد عدلت الآية عن المخاطب إلى الغائب لغرض التوبيخ قائلاً لهم : " ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله فجعلوا أمر دينهم به قِطعاً تمثيلاً لأخلاقهم في الدين.[3]

---

[1] مريم ، 88-89.

[2] نظم الدرر، البقاعي، ج12، ص246.

[3] المصدر السابق، ج3، ص330.

وهذا في نظر الزمخشري " نداء على ضُلاّلهم ؛ لأنه لا ضلالة أضل من المقلّد، كأنه يقول للعقلاء: انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون"[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾[2]، وقوله، عزّت كلماته: ﴿ **ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾[3]، وإنما يقال هذا والغاية منه التهديد والوعيد[4]، وقد ورد التعبير على طريقة القلب الدلالي، أين يؤتى بكلام والمراد غير ما يقتضيه ظاهره، نستشف منه دلالة الإمهال والإمداد في الطغيان، حتى يظنّ المجرم أنه على حق، وأنه مستحقّ لما هو فيه من النعم، فتكون الصدمة أعظم عندما يجد نفسه موقوفا بين يدي ربّه يسأله عن أعماله، ولا يجد سبيلا للنجاة من العذاب.

ومثله في قوله تعالى: ﴿ **وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ** ﴾[5]، وفي قوله تعالى: ﴿ **وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ** ﴾[6]، إذ ينحو الخطاب القرآني إلى تقديم المخوّف منه كما في آية النازعات هنا، فيكون ذكر المخوّف منه أوّل ما يقرع الأسماع، فيكون كالمفاجأة تحصل بها مثل الصدمة في النفس، فإن أخوف ما يخاف العبد أن تكون عاقبته إلى الجحيم.

---

[1] الكشاف، الزمخشري، ج1، ص328.

[2] الكهف ، 29.

[3] فصلت ، 39.

[4] الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي ، ج4، ص220.

[5] المطففين ، 1.

[6] الهمزة ، 1.

وفي قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[1]، فتقديم الجحيم في هذا الموضع هو إيذان للطاغين بدخولهم النار وخلودهم في عذاب الجحيم، على نقيض ما كانوا يدّعونه في الدنيا من عدم وجود الآخرة، وأنّهم لن يحاسبوا على أفعالهم السيئة، فلمّا كان ذلك هو اعتقادهم جعلت الجحيم أوّل ما يقرع أسماعهم ويفزع نفوسهم، فتتحقق بذلك غاية أخرى؛ هي أن يعيش المجرمون والطغاة في جوّ مشحون بالفزع والتشاؤم من المصير قبل أن يدركوه، ولقد أحدث التقديم والتأخير تداخلا تركيبيا أورث الإيقاع تشابكا إيقاعيا عكس لنا هول الموقف والتوتر والذهول الذين يعمّان الخلائق.

كما أن أسلوب التقديم والتأخير في الآية يحافظ على استمرارية المعنى المستفاد من الآيتين السابقتين، وهو التنفير من صفتي الطغيان والركون إلى الحياة الدنيا، وإيثارها على الحياة الآخرة، فكان في تقديم (الجحيم) تسريع في ذكر الجزاء يراد منه حصول الاعتبار، هذان بالإضافة إلى الأثر الإيقاعي الحاصل من تأخير (المأوى) وجعلها فاصلة، تماشيا مع إيقاع الآيات السابقة واللاحقة، كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾[2]، إذ بفضل القلب، في مراتب الكلمات في الآية، يستفاد حصول الإيقاع الخاص والمرتبط بالوحدة الموسيقية في ختام هذه السورة الكريمة، وهو ما يتيح للقارئ أن يرتّل آيات السورة بأنغام في غاية الرقة والعذوبة.

---

[1] **النازعات ، 39.**

[2] **النازعات ، 37-39.**

وفي قوله تعالى: ﴿ **أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ** ﴾[1] ، فلقد تعدّدت جرائمهم وأباطيلهم، بداية من الكفر بالنعم، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾[2]، إلى جعل الملائكة إناثا، قال تعالى في عقبها: ﴿**وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ** ﴾[3]، مع القصد في إثبات صفة الإناث على الملائكة وليس مجرد إجراء اسم مؤنّث عليهم[4]، فكان فعلهم هذا هو السبب في أن استحقوا الذّمّ والتقبيح المشار إليه في الآية السابقة.

16- المدح:

وقع الالتفات في قوله تعالى: ﴿ **وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ** ﴾[5]، والغرض منه المبالغة في مدح المنفقين، والتحريض على ترك الربا والحضّ على التصدّق، وقد سلكت الآية سبيل التقليب بين الضمائر من أجل أن تظهر الفرق بين المتعاملين بالربا والمتصدّقين، فهذا، كما يرى الزمخشري، "التفات حسن ... فهو أمدح لهم من أن يقول: (فأنتم المضعفون) "[6]، وتتجلّى جمالية الالتفات من أجل المدح أو الذّمّ في بلوغه منتهى الإعجاز البلاغي، إذ من المعلوم أنّ المدح يكون أبلغ حينما يكون بصيغة الغائب منه بصيغة

---

[1] الزخرف ، **18**.

[2] الزخرف ، **17**.

[3] الزخرف ، **19**.

[4] **ينظر: أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص354.**

[5] الروم ، **38**.

[6] **البرهان في علوم القرآن، الزركشي ، ج3، ص224.**

الخطاب، كما في هذه الآية الكريمة، على عكس الذّمّ الذي يكون أقسى في الخطاب منه في الغياب.

ولو تتبّعنا مواطن القصدين في القرآن الكريم؛ لوجدنا أن توظيف الالتفات لهذين الغرضين قد حرص على التقليب بين الخطاب والغياب، بما يخدم تأكيد أحدهما أو تخفيفه على حسب الصيغة التي ورد عليها، وبما تتطلّبه ظروف الكلام وسياقه، واختلاف فئة المخاطبين الذين يوجّه إليهم المدح أو الذّمّ.

17-الإيجاز:

ففي قوله تعالى: ﴿ **وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ** ﴾[1]، يجوز أن يكون المعنى على المجاز[2]، بحيث أراد الماء الذي منه النبات الذي لا تكون الأنعام إلا به، إذ لا يخفى الاقتصاد في الألفاظ بغرض الاختصار، والملاحظ في هذه الآية الكريمة أن المجاز قد امتدّ، أو نقول جاوز المسبب الأول الذي هو (النبات) إلى المسبب الثاني (الأنعام)، فالأصل أن الماء هو المنزل من السماء ، ثم ينتج عنه النبات والكلأ ومنه تحيي الكائنات التي من بينها الأنعام[3]، مما يحيلنا على الوقوف وتأمل درجة التحول الكبيرة التي نتجت عن هذه الصياغة التي تم من خلالها تجاوز السبب والمسبب الأول إلى المسبب الثاني.

---

[1] الزمر ، 6.

[2] كما يجوز أن يكون المعنى على حقيقته، وهو قول البعض بأن الله، تعالى، خلق الأنعام في الجنة، ثم أنزلها إلى الأرض بعد إنزال آدم، عليه السلام، ينظر أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها، ص278.

[3] ينظر: الإيضاح، القزويني، ص 280.

ونظير هذا قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ ﴾[1]، ومادة اللباس تكون من القطن أو الكتان أو الصوف أو الشعر أو الوبر أو غيرها، التي لا تكون إلا من الماء المنزل من السماء.

ومن صور الإيجاز بالحذف؛ قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾[2]، "كأنه قيل: حصلوا على النعيم المقيم الذي لا يشوبه التنغيص والتكدير"[3]، وبما أنّ عملية استنباط المحذوف تحتاج إلى قرينة لإدراك المعاني التي تضمنها التعبير؛ فلابد من وضوح الدلالة في الحذف من سياق الكلام، وإلا كان غير جائز[4]؛ لأن تحقيق الإفادة والابتعاد عن الالتباس والغموض يعد من أهم الأدوات في الكشف عن حسن التعبير وبديع البيان.

ومن الطبيعي أن تتأثر النفس وتتحرك لكونها غير معتادة على سماع مثل هذه التعابير، ومن بلاغة هذا الأسلوب أن الفكر يجوب الآفاق في استحضار المعنى الخفيّ، والنفس تذهب فيه كلّ مذهب، ولو ذكر المحذوف لاقتصر المعنى عليه، ولم يكن للفكر موطئ قدم في استكشاف الدلالات التي تشعّ من الآية بسبب غياب الجزء المحذوف.

---

[1] **الأعراف ، 26.**

[2] **الزمر ، 73.**

[3] **النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص76.**

[4] **معاني القرآن، الفراء، ج1، ص 305.**

18-التقرير:

معلوم أن لأدوات الاستفهام حق الصدارة في الجملة الاستفهامية، ثمّ تتبع بالفعل أو الاسم أو الحرف على حسب ما يقتضيه غرض المتكلّم[1]، أين يظهر جليا أثر التقديم والتأخير في دلالاته الأساسية والهامشية، ويعمل التقليب في مواقع الكلمات التي تلي أداة الاستفهام توجيه المخاطب إلى مركز التساؤل، أين تتجلى جمالية الأسلوب في التقديم والتأخير بما يتيح للمتكلّم من القدرة على الصياغة الدقيقة، ولا يدع مجالا للغموض لدى المخاطب.

قوله تعالى : ﴿ **ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧** ﴾[2]، وفي قوله، عزّ اسمه: ﴿ **وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ** ﴾[3]، تضمّن قلبا إنشائيا، بحيث استخدم الاستفهام بمعنى التقرير[4]، ولعلّه من أقوى المؤكّدات أن يستعمل الاستفهام بغية التأكيد والتحقيق؛ لأن الكلام على هذا النحو تظلله طائفة من المعاني البلاغية التي تستنبط بالنظر والتدبر، منها:

---

[1] ينظر: الكتاب، سيبويه، ج2، ص128.
[2] سبأ ، 17.
[3] سبا ، 33.
[4] ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج4، ص389.

ترتسم أمام المخاطب صورة الحوار بينه وبين خالقه، سبحانه، وأنه مدعوّ للمشاركة في هذا الحكم من خلال ما يظهره تعالى من أدلّة ناصعة، فالأكيد أنّ كلّ منصف وعاقل من العباد سيكون حكمه مطابقا لحكم الله، وأنّ جوابه على سؤال الله سيكون: (بلى).

ومن جهة ثانية، فإن توجّه الخطاب على هذا النحو يدلّ دلالة واضحة على شدّة الوعيد جزاء عظم الجرم المرتكب، فقد يتبادر إلى ذهن المخاطب أن أمر العقوبة فيه مبالغة، إلا أنه إن عاد إلى الوقوف على الآيات السابقة التي تسرد طبيعة المعصية المرتكبة ستظهر له العدالة الإلهية في الحكم المشار إليه.

وفي الاستفهام التقريري يكون المتكلّم عالما بما يسأل عنه، وإنّما يريد من المخاطب أن يقرّ بما يسأل عنه لغرض عند المتكلّم، ويكون المبدوء به هو محلّ السؤال أو الشّكّ.

كما في قوله تعالى: ﴿ **ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا** ﴾[1]، خروج الاستفهام عن حقيقته إلى الإنكار، ونفي أن يكون الناس هم أشدّ خلقا من السماء، كما أنّه يحمل الناس بأن يقرّوا بهذه الحقيقة، وقد جاءت الآية الكريمة في قالب يوقظ حس المخاطب، ويجعله يتدبر المعنى ويفتح عينيه على الحقيقة، وليقطع على البشر طريق الغرور والطغيان، وحتى لا يزعموا أن الله لا يقدر عليهم، أو أن ينكروا قدرة الله في خلقهم، فالسماء من مخلوقات الله، وهي أشدّ خلقا منهم، ومع ذلك فهي لن تعجز الله يوم القيامة، كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿ **يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا**

[1] **النازعات ، 27.**

عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾[2]، نستشفّ من تقديم الأرض والجبال في الآيتين استعظاما لهذه المخلوقات، وكيف أنّ الله، عزّ وجلّ، مهّدهما وسخّرهما للإنسان كي يقيم حياته، ويجد فيهما متاعه، ويكونان حجّة عليه في انصياعهما لأمر الله حين أمرهما بأن يتذلّلا للإنسان ويستجيبا لمطالبه، ويكون بعد ذلك التبكيت لمن جحد نعمة الله عليه، من الكافرين والمشركين والذين زعموا أنّ هذا الكون قد وجد بالصدفة، أو أنّه ليس له بداية.

19-التهويل

كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ﴾[3]، فالتقطيع يستعمل في إزالة الالتصاق بين الأجزاء، والمعنى في الآية هو إزالة الاجتماع، قال الزمخشري: "وفرقناهم فيها فلا يكاد بلد يخلو من فرقة منهم"[4]، والغاية من استخدام الفعل (قطعنا) هو الدور الصوتي الذي يؤدّيه حرفا القاف والطاء مع زيادة التشديد، ليعبرّ به عن القوّة والشدّة، والتقطيع

---

[1] الأنبياء ، **104**.

[2] النازعات ، **30-31-32**.

[3] الأعراف ، **168**.

[4] الكشاف، الزمخشري، ج**19**، ص**394**.

يصاحبه الألم، لكونه تمزيقا لعلائق الأخوّة ووشائج القربى[1]، وبذلك حصل الاتحاد بين الإيقاع والإحساس، وتكاتفت دواعي الجمال في تصوير المعنى وبلوغ الغرض.

وفي قوله تعالى: ﴿ **فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ** ﴾[2]، فقد شبّه تعالى تفريقهم في الأرض بالتمزيق الذي يقع على الثوب، وعدل التركيب إلى التمزيق لأنه يبلغ مبلغه في تصوير المعاناة التي لحقت بالقوم جرّاء قطع العلاقات بينهم، وتفريق العوائل والجماعات والأحبة[3]، ولا شك أن الأمر يصاحبه الألم، زيادة على اندثار أسباب المنفعة بينهم، فيكون حالهم كحال الثوب الممزّق لا فائدة منه ولا بريق فيه، فمن قسمات الجمال في هذا الأسلوب أنه ينضح بكل الأبعاد النفسية التي لحقت بالقوم بعد تمزيقهم في الأرض.

وتتجلّى دلالة التهويل يصاحبها التهكّم والاستغراب، في قوله تعالى: ﴿ **تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ** ﴾[4] : إذ نقل أبو حيان الأندلسي آراء متعدّدة في معنى (ضيزى)، منها[5]: جائرة، ومنقوصة، ومخالفة، وعوجاء، وغير معتدلة، وغير مستوية، ولم تتعدّد معانيها عند المفسرين إلا لكونها لم تسمع من قبل، ولقد تناسبت غرابة هذه الكلمة مع غرابة القسمة

---

[1] **ينظر: التصوير المجازي والكنائي، صلاح الدين محمد أحمد، ص70.**

[2] **سبأ ، 19.**

[3] **ينظر: نفسه، ص70.**

[4] **النجم ، 22.**

[5] **ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج8، ص160.**

التي اعتمدها المشركون في قسمة الأولاد[1]، فجعلوا الملائكة هم بنات الله، ولم يرضوا بالبنات لهم، في قوله تعالى: (وإذا بشّر)، فأنكر الله تعالى عليهم ذلك في قوله: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ﴾[2]، وزيد في الإنكار باستخدام كلمة (ضيزى) في الآية التالية، "وكانت الجملة كأنها تصوّر في هيئة النطق بها الإنكار في الأولى والتهكّم في الأخرى، وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة"[3]، وممّا يعمّق من وقع الكلمة؛ أنها تتألّف من حرفين متقاربين في المخرج: (الضاد والزاي)، وأهمّ ما يميّز الأوّل: الغلظة والتفخيم، ويتميّز الثاني بصفة الصفير، ولم يسهل نطق الكلمة إلا بوجود المدّ اليائي بينهما، وهذا ممّا زاد في وحشتها وغرابتها، أين اتّحد الصوت الغريب مع المعنى الغريب لتشكّل الكلمة بريقا خاصا، من حيث دلالتها وإيقاعها، في الرّدّ على مزاعم المشركين ودحض افتراءاتهم.

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ٦٤ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾[4]، لأنّ الحقيقة التي استقرت في الأذهان هي أن الشيطان هو "شرّ محض لا يخالطه خير، فيقولون في القبيح الصورة: كأنّه وجه شيطان، كأنّه رأس شيطان، وإذا صوّره المصورون جاءوا بصورته على أقبح ما يقدر وأهوله"[5]، والمقصود في الآية هو تصوير شجرة الزقوم بأقبح صورة قد تتراءى للمخاطب، أين شبّه طلعها، وهو مجهول الصفة عند السامع،

---

[1] ينظر: جمالية الخطاب في النص القرآني، لطفي فكري محمد الجودي، ص**180** .

[2] النجم ، **21**.

[3] تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط**1**، **2000**م، ج**2**، ص**184**.

[4] الصافات ، **64–65**.

[5] الكشاف، الزمخشري، ج**3**، ص**342**.

برؤوس الشياطين، وهو مجهول الصفة أيضا، إذ لا أحد رأى الشياطين ولا رؤوسها؛ بل تتشكل الصورة لدى المخاطبين انطلاقا من تخييلات سابقة حول الشياطين، تتمثل في صفات وأشكال تنمّ عن منتهى القبح، وهو ما يدفعنا إلى تبنّي القول بأن "ليس الخيال نفسه إلا عملا من أعمال الذاكرة، إذ لا شيء مما نتصوّره، لم نكن نعرفه بوجه ما من قبل"[1]، فكانت صورة الشياطين في الذهن عبارة عن محصلة لعدّة مقدّمات سالفة في الذهن ترتكز على أثر انفعالي سلبي أساسه الخوف والاستقذار.

20-التبرّك

يقصد من تقديم اسم الله في الأمور كلها التبرّك، فيستحضر العبد نيّة الإخلاص لله، عزّ وجلّ، ويطمح إلى التوفيق وحصول البركة في شأنه قبل أن يبدأ في إنجازه، ولقد افتتحت سور القرآن الكريم كلّها بـ: (***بسم الله الرحمن الرحيم***) لهذا الغرض، إلا واحدة، هي سورة التوبة المدنيّة.

ففي قوله تعالى: ﴿ **۞ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[2]، تصوّر لنا الآية حين تضمّنت تقديم سيدنا نوح، عليه السلام، للبسملة، حرصه على إشعار الآخرين وحثّهم على استحضار قدرة الله في حفظهم ورعايتهم وسط الأمواج المتلاطمة، كما بيّن ذكر البسملة، ههنا، الكيفيّة التي بها يتمّ التحكّم في جريان السفينة ورسوّها، قال الزمخشري: "يروى أنه كان إذا أراد أن تجري قال: بسم الله فجرت، وإذا أراد

---

[1] **الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ص31.**

[2] **هود ، 41.**

أن ترسو قال بسم الله فرست"[1]، إضافة إلى دور القلب في دلالة حرف الجرّ (في)، نتيجة غلبة الظرفية على السفينة[2]، وفيه إشارة إلى الاحتواء بالحفظ والأمان، قال تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾[3]، فأضحت الصورة أحلى وأوقع، نتيجة الأثر الصوتي والدلالي لـ: (بِسْمِ اللَّهِ) وتموقعها متوسطة في الجملة، فاسحة المجال لكلمتي (مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا) ونغمتهما المتميّزة، واستحسان أن يتمّ الوقف على (وَمُرْسَاهَا)، لدلالتها على منتهى القصة بما يسرّ القلوب.

وأمّا في قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[4]، فإن في تقديم الفعل إشارة إلى الاهتمام بالفعل[5]، وهو أهمّ باعتبار أنّ سورة العلق هي أوّل ما نزل من القرآن الكريم، فيكون أوّل ما يطلب من النبيّ، صلى الله عليه وسلّم، أن يقوم به، وهو القراءة، وتتمّثل اللمحة الجمالية في التركيب في وجود ما ينافي إمكانية القيام به، وهو أنّ المخاطب أمّيّ، لا يقرأ ولا يكتب، فيكون الأمر بالقراءة ممّا يُحدث الانفعال والاستغراب، وهو أوّل ما يتلقّاه المخاطب، ومن ورائه أمّته، وفيه دليل ساطع على أهمّية القراءة وتصديرها ضمن أولويات الدعوة الإسلامية لتكون أعلق بالنفس وأسرع ممازجة للقلب.

---

[1] **الكشاف، الزمخشري، ج12، ص484.**

[2] **ينظر: نظم الدرر، ج4، ص123.**

[3] **هود ، 42.**

[4] **العلق ، 1.**

[5] **ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص772.**

وأمّا في سورة النمل؛ في قوله تعالى: ﴿ **قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ۝٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ** ﴾[1]، قال الزمخشري: "كأنّها لما قالت: ﴿ **إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ** ﴾، قيل لها: ممّن هو وما هو؟ فقالت: (إنه من سليمان، وإنّه كيت وكيت)"[2]، وعلى هذا التأويل يكون الترتيب على حقيقته وأصله، فإذا قدّرنا أنّ هنالك تقديما وتأخيرا؛ فإنّه واقع في تقديم سيدنا سليمان، عليه السلام، لنفسه على اسم الله، تعالى، في خطابه إلى ملكة سبأ، والقصد من ذلك ينطلق من حرصه على أن لا تتجرّأ على التقليل من عظمة اسم الله وقدسيّته، فيكون اسم (سليمان) هو ما يتلقّى الإهانة إن كانت، وقد كانت المِلكة وقومها على الكفر، لا تؤمَن ردّة فعلها من الخطاب، وممّا يزيد في الإشعاع الجمالي في خطاب سيدنا سليمان إلى ملكة سبأ، أن نظمه بأسلوب إيقاعي محكم، وذلك من خلال تأخير كلمتي (**الرحمن الرحيم**) وجعلهما فاصلة في الآية الأولى لتحمل معنى البشارة والتودّد، ثمّ ينقلب المعنى في الآية الثانية إلى الأمر والتهديد، وهو ما جعل التركيب يغشاه مزيج من الرونق والطلاوة المؤدّيان إلى الحلاوة والقبول، وإنّ الابتداء بذكر الرحمة يقود المتلقي إلى الانشراح، ويمهّد في نفسه أسباب الانفتاح الوجداني والعقلي على مضمون الخطاب.

---

[1] **النمل ، 29-31.**

[2] **الكشاف، الزمخشري، ج19، ص782.**

خاتمــة البحث:

بعد هذه الإطلالة الخاطفة على موضوع جمالية أساليب القلب في القرآن الكريم، يمكننا أن نقول:

-إن القرآن الكريم قد استخدم أساليب القلب المختلفة أروع استخدام، تحققت من خلاله جميع الأهداف البلاغية والملامح الجمالية.

-وإنّ اللغة العربية كانت ولا زالت أكثر رحابة وسعة، ومن أجل بلوغ الفهم الجيّد للخطاب كان لابدّ من التعرض إلى الجوانب الاجتماعية والنفسية للنشاط اللغوي وأثرها في البنية الداخلية للغة.

-لا يعتمد الخطاب القرآني على وتيرة إيقاعية واحدة؛ بل يأتي على شكل باقة متنوعة من الإيقاعات التي توجّهها طبيعة الموضوع، وتتناوب خلال السورة الواحدة، أحيانا، تشكيلة من الإيقاعات، صعود أو نزولا، قوّة أو خفوتا، على حسب ما يتطلّبه تجدّد المعاني، في قالب جمالي معجز.

- كما يمنح القلب في المراتب دلالات جديدة إضافة إلى الدلالات الأصلية الناتجة عن التركيب الأصلي، ويضطرّ المتلقّي إلى تتبّع الملامح الدلالية للتركيب الذي حصل فيه تقديم وتأخير، بعد أن اضطرّه إلى أن يعنى بالكلمة المقدّمة بمزيد اهتمام.

-ثمّ إنّ أسلوب التقديم والتأخير بما يثيره من إعجاب واستحسان هو من بين ما أودعه الله من مظاهر الجمال في القرآن الكريم لكي يبلغ المخاطب حقيقة المعنى، ويحافظ على دوام الانتباه، زيادة على حصول المتعة لديه.

-كما يمكن القول بأن القلب الدلالي يعمل على توليد الدلالات، من حيث إنه يعمل على شحن التركيب المقلوب دلاليا بمعان جديدة لم يكن بمقدور التركيب الحقيقي أن يتحمّلها، زيادة على أنها تعمل على إيقاظ الفكر وتنبيه المخاطب ليكون متفتّح الذهن حتى يتمكّن من تحصيل المعنى من الخطاب، وذلك بسلوك الأسلوب غير المطّرد.

-يعدّ الخروج عن الأنماط المعتادة، وبخاصّة منها عندما تسند الأفعال لغير فاعلاتها، كما في المجاز العقلي، أو عندما تسمّى الأشياء بغي مسمّياتها، كما في المجاز المرسل والاستعارة، أو التحويل الفجائي لجهة الكلام، كما في (الالتفات)، أو غيرها من طرق القلب، أداة من أدوات الإثارة الفنّيّة.

-إن الجمال ليس متعلّقا بالشكل المنفصل أو المنعزل عن مضمونه، لكنّه يتعلّق بالتركيب الخاص للمستويات المتنوّعة من المعنى والتأثير الشامل.

-إنّ مثَل القرآن كمثل الماء العذب، كلّما مرّ على شيء أحياه، فصوته يطرب السمع ومعانيه ترهف الذوق، وتشبع الفكر والعقل، وتصل بالمخاطب إلى عين المدلول وحقيقته، وعليه فإن الجمال ليس شيئا عارضا في القرآن؛ بل هو مطلب من مطالب الشريعة كونه ضرورة حياتية.

-فجمال التعبير لا يتنافى مع القيم الجمالية المتمثّلة في الحقّ والخير؛ بل يعمل على تجسيدها والدعوة إلى تمثّلها في مخاطباتنا وممارساتنا اللغوية.

-ولابد من الإشارة إلى أنّنا لا نكاد أن نمرّ على آية من آيات القرآن الكريم دون الوقوف على نكتة بلاغية، إمّا نتيجة استخدام أسلوب القلب أو غيره من الأساليب البلاغية المتنوّعة التي لابست الخطاب القرآني في امتداده وسيرورته من أوّله إلى آخره.

-كما توصي الدراسة بانتهاج الأساليب الحديثة، (اللسانيات الاجتماعية، والحاسوبية)، من أجل رصد مواقع كلّ أسلوب بلاغي في القرآن الكريم، وتبويب تلك المعطيات حتى يتيسّر على الباحثين استرجاعها والإفادة منها.

ولا نختم هذا البحث المتواضع قبل أن نهيب بالباحثين إلى وجوب العودة بالدرس البلاغي إلى حضيرته، ودراسته في ظل الدفء الذي يوفره التحام أفراد عائلته من نحو ودلالة وأسلوب ونقد، ...، فلا سبيل إلى بلوغ الرقي الذي بلغته اللغة العربية في عصر سيبويه وما قبله وما بعده، إلا بإعادة الحياة إلى فروع الدرس اللغوي، وتحريره من أسوار التقعيد الجامد، إذ ينبغي على من يتصدّى لفنون العربية أن لا يكون اهتمامه منصبّا على الجانب اللغوي الصرف، فيضيع الجمال في ثنايا القواعد، ويتراجع الغرض الوجداني للغة باعتبارها أداة الفكر والعاطفة معا.

-كما أنه توجد آيات من موضوع البحث لو أعيد النظر فيها وتدبّرها لقطفت منها ثمار غير الذي ذكر، لأن الإحاطة بجميع معاني القرآن الكريم مما لا يستطيعه بشر.

فسبحان من سلكه ينابيع في القلوب، وصرفه بأبدع معنى وأعذب أسلوب، لا يستقصي معانيه فهمُ الخلق، ولا يحيط بوصفه على الإطلاق ذو اللسان الطلق، فالسعيد من صرف همته إليه، ووقف فكره وعزمه عليه، والموفق من وفقه الله لتدبره، واصطفاه للتذكير به وتذكّره.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الآيات

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	2	الفاتحة	189، 399
﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾	5-4		291
﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾	5		356، 399
﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ ﴾	124	البقرة	127
﴿ ۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ ﴾	272		335
﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾	140	آل عمران	19
﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ ﴾	86	النساء	300
﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ ﴾	6	الأنعام	225
﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِ مُّبِينٞ ﴾	7		166
﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ ﴾	8		171
﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ﴾	9		170
﴿ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾	12		137
﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾	14		154
﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾	15		170، 182
﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾	19		171
﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ قَدِيرٞ ﴾	17		193

318		27	﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ﴾
199		30	﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُون
216		31	﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾
279		36	﴿ ۞ إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾
136		59	﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾
200		70	﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ ﴾
263		78	﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُ ﴾
318		93	﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُ ﴾
296		95	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّ ﴾
297		96	﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ﴾
86 ، 158		100	﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ ﴾
،87 ،197 201		-102 103	﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾
386		123	﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾
63		138	﴿ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ ﴾

﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾	143		157، 346
﴿ ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ ﴿ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾	151		275
﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ ﴾	151		332
﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾	159		223
﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾	164		135، 155
﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ	2	الأعراف	141
﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾	3		173
﴿ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴾	4		321
﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ ﴾	9		174
﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ ﴾	12		273
﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴾	24		174
﴿ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴾	25		175
﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾	26		247، 405
﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ	28		175

بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾			
﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴾	29		292
﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ ﴾	30		151
﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُـ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾	31		272
﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ ﴾	37		200
﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ	39		137
﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	41		254
﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَـ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾	49		200
﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾	51		200
﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾	56		262
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾	57		262
﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُو	65		390
﴿ قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُو وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴾	71		61، 241

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ ﴾	73		390
﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾	73		337
﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾	75-76		139
﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَ ﴾	82		258
﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ ﴾	85		390
﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ ﴾	89		182
﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾	99		301
﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ ﴾	101		175
﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾	105		46
﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴾	115		76، 297
﴿ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ	120-122		81، 298
﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾	125		135
﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾	126		244
﴿ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾	132		140، 363
﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	139		132

﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	140		155
﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾	141		135، 155
﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) ﴾	143		87
﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُ يَرْهَبُونَ ﴾	154		246
﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾	156		262
﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾	157		147، 381
﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾	158		140، 285، 399
﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾	160		313
﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾	160		156
﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ ﴾	168		408
﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِ ﴾	175		249

﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾	188		191
﴿ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾	188		207
﴿ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴾	-191 192		،83 191
﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾	199		335
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴾	-201 202		34
﴿ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾	32	الأنفال	363
﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾	30	التوبة	211
﴿ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُ كَٰرِهُونَ ﴾	48		15
﴿ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا ﴾	4	يونس	173
﴿ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ	-11 12		194
﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾	15		،147 381

﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴾	21		،286 354
﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾	22		286
﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾	25		195
﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾	26		137
﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾	27		195
﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓ ٱللَّهِۚ ﴾	28		،193 195
﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ إِن كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ ﴾	29		83
﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗۖ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾	49		194
﴿ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ ﴾	53		132
﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ﴾	59		،146 380
﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ	61		209

مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾			
﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾	66		134
﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴾	75		81
﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾	77		134
﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا ﴾	87		81
﴿ فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴾	98		192
﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ ﴾ ﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾	99		383
﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَ ﴾	100		61
﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِي	106		192
﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡ ﴾	107		196
﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱ لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ (٢) وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ (٣) ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ (٤) أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٥)	5-1	هود	89
﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي	6		89، 177،

﴿كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾			397
﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾	9-10-11		،42 ،244 396
﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾	13		343
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَا يَعۡمَلُونَ﴾	16		83
﴿۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾	24		306
﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾	28		277
﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾	37		167
﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ﴾	38		167
﴿۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾	41		411
﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ﴾	42		412
﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾	43		222
﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾	44		316
﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا تُنظِرُونِ﴾	54-55		293
﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾	57		70

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۚ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ	77-81		36، 160
﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾	84-85		90
﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾	87		360
﴿ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾	99		255
﴿ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾	103		224
﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ ﴾	23	يوسف	393
﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	25		298
﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ ﴾	36		234
﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ ﴾	18 ، و73		3
﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾	51		63
﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾	82		313

﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾	83		314
﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾	90		183
﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾	4	الرعد	290
﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴾	9		68 ،65
﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا ﴾	17		225
﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ ﴾	31		221
﴿ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ ﴾	33		318
﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾	35		225
﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ﴾	36		172
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾	1	إبراهيم	245
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾	4		235
﴿ ۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾	10		385
﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾	12		358
﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾	31		338

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱل ﴾	38		210
﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴾	40		66
﴿ فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴾	47		163
﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾	50		159
﴿ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ ﴾	51		159
﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴾	14-15	الحجر	238
﴿ وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾	16		3
﴿ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ﴾	19		153
﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾	32		274
﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾	61		160
﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴾	68		385
﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾	85		3
﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾	94		242
﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾	98		233
﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴾	4	النحل	161
﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴾	5		161
﴿ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴾	6		2، 161
﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾	33		77

﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾	78		144
﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴾	80		144
﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُ ﴾	81		144
﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ ﴾ ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴾	103		344
﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾	112		،163 247
﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ	125		391
﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ (1) وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا (2) ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴾	1-2- 3	الإسراء	،39 290
﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴾	23		،172 ، 176 ،177 235
﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴾	29		388
﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا	31		332
﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰ	44		364 ،220

تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿			351
﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾	45		
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾	88		197
﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورً	89		197
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَـ شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾	3-2-1	الكهف	198
﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾	8		322
﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَ	10		55
﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُو إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾	14		237
﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ ﴾	18		17
﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ ﴾	22		186
﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾	29		،272 ،378 401
﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَ ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾	29		379
﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾	30		270

259		46	﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ ﴾
197		54	﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْ جَدَلًا ﴾
268		79-82	﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُ وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾
69		96	﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾
58، 68		97	﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴾
379		99	﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴾
260، 334		103-104	﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾
244، 271، 388، 389	مريم	4	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِ ﴾
60		25	﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾
133		46	﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى ﴾
184، 221		61	﴿ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾	72		301
﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزًّا ﴾	83		59
﴿ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدًا ﴾	85		367
﴿ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدًا ﴾	86		366
﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدًا ﴾	88		211
﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدًّا ﴾	-88 89		400
﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرًا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِ ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾	-29 30	طه	203
﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾	-42 50		203
﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴾	53		288
﴿ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴾	55		،175 295
﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴾	65		76
﴿ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴾	67		،80 205
﴿ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾	68		،78 205

﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾	70		80، 202
﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا ﴾	71		348
﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾	88		278
﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴾	90		204
﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٢﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى	92-93		204
﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾	97		278
﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾	98		278
﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾	5	الأنبياء	344
﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴾	8		394
﴿ كُلٌّ فِى فَلَكٍ ﴾	33		213
﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾	35		259
﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾	46		365
﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾	62		148
﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾	97		134
﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾	104		407
﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ ﴾	5	الحج	267

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ﴾	11		15
﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾	46		،183 ،277 374
﴿ قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾	72		372
﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾	75		143
﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾	76		143
﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾	-12 -13 14	المؤمنون	186
﴿ وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ﴾	20		75
﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡ	24		190
﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ ﴾	33		190
﴿ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ ﴿١٠٣﴾ خَٰلِدُونَ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾	-103 104		366
﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾	117		،183 347
﴿ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾	37	النور	17
﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ ﴾	44		16
﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴾	23	الفرقان	،350 376
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِ	45		193

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾	54		193
﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا	55		192
﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾	4	الشعراء	263
﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	9، 68، 104، 122، 140، 159، 175، 191		92
﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ	46-47-48		81
﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	75-77		266
﴿ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴾	84		235
﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾	113		278
﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾	106		391
﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾	142		391
﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾	161		391
﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	215		391
﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِد	217-219		16، 91
﴿ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾	16	النمل	268
﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾	17		345

		29-31	﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴾
71		32	﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴾
398		50	﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾
348		52	﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾
289		60	﴿ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴾
6		80	﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴾
224		86	﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ ﴾
295		87	﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ دَٰخِرِينَ ﴾
58	القصص	15	﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ ﴾
188		20	﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ ﴾
317		23-24	﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴾
224		57	﴿ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا ﴾
199، 309، 351		73	﴿ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ ﴾
276		76	﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ ﴾
259		78	﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	88		173، 302
﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾	21	العنكبوت	16
﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾	33		160
﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾	50		229
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ﴾	67		221
﴿وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾	7-6		260
﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾	19		303
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ ۚ﴾	23	الروم	169، 308، 336
﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾	35		273
﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾	38		403
﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُو يَرْجِعُونَ﴾	40		174
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُو	42		56
﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾	27	لقمان	267
﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾	34		136
﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾	7	السجدة	4
﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا	9		4

تَشۡكُرُونَ ﴾			
﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾	21		369، 396
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰ ﴾	3	سبأ	209
﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴾	10		208
﴿ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾	12		208
﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾	13		78
﴿ لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴾	15		208
﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧ ﴾	17		406
﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُ	19		409
﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ﴾	24		208
﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾	24		335
﴿ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾	25		334
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾	28		165، 208
﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾	33		406
﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠ ﴾	40		134،83، 148 ،

﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَا ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾	42		168
﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٤٣﴾ ﴾	43		344
﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمً ﴾	44		209
﴿ ۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾	46		187
﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾	1	فاطر	187
﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِ	2		303
﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ ﴾	8		319
﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ ﴾	8		320
﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾	9		294، 359
﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ﴾	19-22		307
﴿ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾	23		279
﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَا بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴾	27		289

79		32	﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾
334		37	﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾
316		44	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾
378	يس	7	﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴾
188		20	﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾
283		22	﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾
248		37	﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾
362		52	﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ﴾ ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾
303، 329		70	﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾
364	الصافات	23	﴿ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾
346		31-32	﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَ ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾
345		38	﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴾
410		64-65	﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾
80		108-112	﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾
78		113	﴿ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾
138	ص	4	﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾

﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴾	8		137
﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾	29		217
﴿ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِين	75		274
﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ ﴾	6	الزمر	404
﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾	8		196
﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ هَادٍ ﴾	23		145، 329
﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾	30		347
﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴾	56		228
﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴾	64		156
﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾	66		156، 358
﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	67		217
﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴾	73		405
﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ﴾	3	غافر	342
﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ	13		375
﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴾	36		219، 224

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ	57		201
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾	61		202
﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾	62		201
﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾	3	فصلت	31
﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْ طَآئِعِينَ ﴾	10		48، 228، 251، 395
﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْ بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾	11		288، 395
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾	30		71
﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	39		401
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾	40		273
﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾	40		272
﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾	42		م
﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ ﴾	47		173
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾	5	الشورى	151
﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾	11		206
﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ ﴾	40		350

﴿ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ ﴾	45		396
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰ جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾	52		،304 386
﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴾	53		172
﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾	3		382
﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾	17		403
﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ﴾	18	الزخرف	،370 403
﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ١٩ ﴾	19		،84 403
﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴾	31		،138 383
﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾	32		383
﴿ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾	40		،145 382
﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾	44		383
﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾	58		280
﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٦٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَا مُسۡلِمِينَ ﴾	-68 69		287
﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾	6-4		392
﴿ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴾	29	الدخان	،226 ،228 253

﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾	49		369
﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ ﴾	23	الجاثية	6، 162، 238، 251
﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ ﴾	24		225
﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (٢٩) فَأَمَّا ٱلَّذِي ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴾	29-30		284
﴿ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴾	34-35		365، 377
﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	36		189
﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٣٦) وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾	36-37		358
﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾	10	الفتح	229
﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ (١) بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰ عَجِيبٌ (٢) أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ﴾	3-2-1	ق	36، 314
﴿ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴾	30		252
﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ﴾	43		179
﴿ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴾	44		179
﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ (٢٤) إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴾	24-25	الذاريات	300، 385
﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ (٢٦) فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴾	26-27		385

246		-41 42	﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ ﴾
229		47	﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾
18		49	﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾
177		59	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾
34	الطور	4-1	﴿ وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾
134		15	﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾
323	النجم	4-1	﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾
،147 381		4-3	﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾
323		9-7	﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾
410		21	﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴾
،58 409		22	﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾
206		-36 37	﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴾
92 ، 166	القمر	8-1	﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا ﴿٨﴾ ﴾
250		12-9	﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي

فَٱنتَصِرۡ ١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢ ﴾			
﴿ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴾	12		355
﴿ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾	16و 21و 30		70
﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾	17		50
﴿ كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٨ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠ ﴾	18-19-20		62، 93
﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴾	23		138
﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴾	24		153
﴿ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ﴾	25		138
﴿ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾	37و 39		70
﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾	49		151
﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥ ﴾	54-55		57، 93
﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾	27	الرحمن	231، 302
﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾	60		236
﴿ فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾	66		63
﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ٤ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ٥ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ﴾	4-6	الواقعة	37
﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢ ثُلَّةٞ مِّ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾	12-16		78
﴿ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٣٨ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٩ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾	38-39-40		79

﴿ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾	59		149
﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾	64		149
﴿ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾	69		149
﴿ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾	72		149
﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ ﴾	20		4
﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾	21	الحشر	329
﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) ﴾	2	التغابن	79
﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾	2	الملك	373
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾	19		299
﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	22		239
﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾	29		172
﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَلَقَدْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾	-17 18		70
﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾	3-2	القلم	33
﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾	6		311
﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾	6	الحاقة	62
﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾	11		249
﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ (١٩) إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾	-19 24		72

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴾	-25 29		،73
﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾	-30 31		،94 164
﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾	32		180
﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ ﴾	-33 34		94
﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴾	5	المعارج	3
﴿ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾	-11 14		331
﴿ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴾	17		368
﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴾	7	نوح	،230 351
﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾	8		353
﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾	27		،233 ،267 353
﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيٓ ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَ وَلَدًا ﴾	3-2-1	الجن	94
﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾	-20 22		95
﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾	2	المزّمّل	232
﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ﴾	4		9

﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾	10		3
﴿ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴾	11		335
﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	18		95
﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَ	20		232
﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾	3	المدثر	213
﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾	8-9-10		97
﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ ﴾	11-17		97
﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾	18-30		97، 368
﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ	31		98

			وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ »
98		-32 37	« كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ »
264		52	﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴾
264		54	﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴾
264		55	﴿ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾
99		56	« وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ »
82 ، ،99 395	القيامة	6	« يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ »
82 ، ،100 396		13-7	« فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ »
265		14	﴿ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾
80		9-8-7	« فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ »
82		10	« يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ »
82		12	« إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ »
82		13	« يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ »
172		30	﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾
57	الإنسان	15	﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴾
292		-21 22	﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَ ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلًا طَوِيلًا ﴾	26		233
﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَ ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ ﴾	12-8	المرسلات	102
﴿ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴾	-13 14		102
﴿ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ ﴾	،15 ،19 24 28، ،34، 37 ،40، 45 ،47، 49		104
﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِ كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾	-41 44		103
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ﴾	48		232
﴿ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ حَدِيثِۢ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾	-45 50		103
﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ ﴿٤﴾ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرًا ﴿٥﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوۡمَ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا ع نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلۡكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاه ﴾	14-1	النازعات	111

﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ﴾	11		74
﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾	15		373
﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ (١٥) إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) ٱذۡهَبۡ إِلَ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (١٧) فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴾	15-19		111
﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴾	25		78
﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴾	27		407
﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ (٣٠) أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا (٣١) وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴾	30-33		152، 408
﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا (٣٨) فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾	37-39		402
﴿ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾	41		375
﴿ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا (٤٦) ﴾	46		112
﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ (٢) وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾	3-1	عبس	382
﴿ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾	7		335
﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴾	11		265
﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ (٣٣) يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَٰحِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴾	33-37		331
﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ (١٥) ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ (١٦) وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ (١٧) وَٱلصُّبۡحِ إِذَا ﴾	15-18	التكوير	34، 240
﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾	18		327
﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ (٢٢) وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ (٢٥) فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ (٢٦) إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ	22-29		114

لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾			
﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ﴾	2-1	الانفطار	38
﴿ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ﴾	4-3		38
﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ ﴾	13		38، 235
﴿ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴾	14		38، 235
﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴾	1	المطففين	401
﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	24	الانشقاق	254
﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ﴿٦﴾ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡ شُهُودٞ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾	8-1	البروج	256
﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾	3-2-1	الطارق	38
﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴾	6		222
﴿ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ﴾	5	الأعلى	162، 337
﴿ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾	19		206
﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴾	25-26	الغاشية	38، 172
﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴿٤﴾ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ لِّذِي حِجۡرٍ ﴾	5-1	الفجر	34 ، 65، 67
﴿ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ ﴾	25		102
﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدۡ خَلَقۡ ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ ﴾	7-1	البلد	114

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾	-9-8 10		114
﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾	11		114
﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴾	12		114
﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴾	13	الشمس	115
﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾	14		337
﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾	2-1	الليل	224
﴿ إِنّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ وَإِنّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَىٰ ﴾	-12 13	الليل	78
﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا ۝١١ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ يَرْضَىٰ ۝٢١ ﴾	21-1		338
﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾	-2-1 3	الضحى	6 ،656
﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَ	8-7-6		67
﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾	-10-9 11		39 67، 117،
﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ لَكَ ذِكْرَكَ ﴾	4-1	الشرح	44 ،33
﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾	-2-1 3	التين	74

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾	4		5
﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾	1	العلق	412
﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾	17		234
﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَـ ﴾	5-1	القدر	51
﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾	4		71
﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾	10-9		239
﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَـ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾	5-1	العاديات	118
﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَـ ﴾	8-6		118
﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾	-10-9 11		،119 384
﴿ الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ ﴾	3-1	القارعة	380
﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾	7		355
﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَـ	11-8		،74 369
﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾	1	الهمزة	401
﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْـ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾	4-1	قريش	179
﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾	2-1	الماعون	36

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾	1-2-3	الكوثر	32، 284
﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾	1-6	الكافرون	119، 310
﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُ ٤﴾	1-4	الإخلاص	84، 184، 211

قائمة المصادر والمراجع

القرآن العظيم برواية حفص عن عاصم

1- الإبلاغية في البلاغة العربية، سمير أبو حمدان ، منشورات عويدان، بيروت، ط1، 1991م.

2- إتحاف الإلف بذكر الفوائد الألف والنيف من سورة يوسف –عليه السلام، محمد بن موسى نصر، وسليم بن عيد الهلالي، مكتبة الرشد ناشرون، المملكة العربية السعودية، ط1، 2003م.

3- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تح: شعيب الأرنؤوط، تعليق: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، ط1، 2008م.

4- الإحاطة في علوم البلاغة، د عبد اللطيف شريفي، د زبير دراقي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004م .

5- الإحساس بالجمال، جورج سانتيانا، تر: محمد مصطفى بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2001م.

6- أحكام القرآن، الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، تح: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط 1992م.

7- الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد، تعليق، عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، الرياضي، ط1، 1387هـ.

8- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد بن العمادي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دط، دت.

9- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1999م.

10- أساليب الحقيقة والمجاز، حورية عبيب، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 2008م.

11- أسباب النزول، أبو الحسن النيسابوري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2001 م.

12- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.

13- أسرار التكرار في القرآن، محمود بن حمزة الكرماني، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، (دط)، (دت)

14- أسرار النحو، ابن كمال الباشا، شمس الدين أحمد بن سليمان، تح: أحمد حسن حامد، دار الفكر، لبنان، ط2، 2002م.

15- الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، ابتسام أحمد حمدان، دار القلم العربي، حلب، سورية، ط1، 1997م.

16- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1998م.

17- أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، مصطفى شاهر خلوف، دار الفكر، عمّان، الأردن، ط1، 2009م.

18- الأسلوبية والبيان العربي، محمد عبد المنعم خفاجي، ومحمد السعدي فرهود، وعبد العزيز شرف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 1992م.

19- أسئلة القرآن المجيد و أجوبتها من غرائب آي التنزيل، محمد بن أبي بكر الرازي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، طبعة سنة2012م.

20- أصول الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي، دار الفكر دمشق، من دون طبعة ولا تاريخ.

21- أضواء البيان ، محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدّة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1980م.

22- الإعجاز البلاغي في القرآن، دراسة تحليلية عند فخر الدين الرازي، عزيز الخطيب، دار قتيبة، للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2011م.

23- الإعجاز البياني للقرآن، عائشة بنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1404هـ

24- الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلاّمي، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1980م.

25- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الأصالة، الجزائر، ط8، دت

26- إعجاز القرآن، الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1971م.

27- إعراب القرآن وبيانه، محي الدين الدرويش، دار الإرشاد، حمص، سورية، ط3، 1992م.

28- الألفاظ والدلالات الوضعية، نذير بوصبع، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت.

29- أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1954م.

30- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، تقديم: د.علي أبو ملحم، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط 2،1991م.

31- البديع ، تأصيل وتجديد، الدكتور: منير سلطان، الإسكندرية، 1976م.

32- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.

33- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، تح: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، مصر، طبعة سنة 2006م.

34- البعث والميزان والجزاء، محمد متولي الشعراوي، دار الندوة، مصر، دط، دت.

35- بغية الإيضاح، عبد المتعالي الصعيدي، مكتبة الآداب، دار الفكر العربي، القاهرة، 1977م.

36- البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، دار القلم، بيروت، ودار الشاميّة، دمشق، ط1، 1996م.

37- البلاغة العربية، تأصيل وتجديد، مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1985م.

38- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرّائي، مكتبة النهضة، بغداد، ط1 (طبعة خاصة بالعراق)، 2006م.

39- البلاغة عند بهاء الدين السبكي، محمد بركات حمدي أبو علي ، دار الفكر للنشر، عمان، ط2، 1983م.

40- البنية الإيقاعية في الخطاب القرآني، زواخ نعيمة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2012م.

41- البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر، عبد الرحمان تيبرماسين، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003م.

42- بنية اللغة الشعرية، جان كوهين، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986م.

43- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1993م.

44- البيان في عدّ آي القرآن، أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني، تح: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط1، 1994م.

45- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.

46- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1953م.

47- التأويل اللغوي في القرآن الكريم، دراسة دلالية، حسين حامد الصالح، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2005 م.

48- تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة، شرح أحمد صقر، المكتبة العلمية، ط3، 1981م.

49- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن،، ابن الزّملكاني، تح: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1964م.

50- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، تح: حفني محمد شرق، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، الكتاب الثاني، (دت) .

51- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، د، ط، تونس، 1984م.

52- تحليل الخطاب الشعري، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1992.

53- التصوير الفني في القرآن الكريم، جبير صالح حمادي، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2007م.

54- التصوير المجازي والكنائي، صلاح الدين محمد أحمد، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمسمصر، ط1، 1988م.

55- التضمين النحوي في القرآن الكريم، محمد نديم فاضل، مكتبة دار الزمان، المدينة المنوّرة، السعودية، ط1، 2005م.

56- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهيد بابن حيان الأندلسي، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، دت.

57- التفسير البياني للقرآن، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة، ط7، 1990م

58- تفسير الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبو زيد الثعالبي المالكي، تح: علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي- مؤسسة التاريخ العربي، لبيروت، لبنان، ط1، 1997.

59- تفسير السمرقندي، (بحر العلوم)، أبو الليث نصر بن محمد أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تح: علي محمد معوّض، وعادل أحمد عبد الموجود، وزكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

60- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1999، وطبعة دار القلم، بيروت، دت.

61- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت774)، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1999

62- تفسير الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، تعليق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3 ، 2009م.

63- تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط3، 1966م.

64- تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1978

65- التفضيل الجمالي، شاكر عبد الحميد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس 2001م.

66- التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط1، 1904م.

67- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، سعد محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، دط، دت.

68- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياظ، المملكة العربية السعودية، ط2، 2002م.

69- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للخطابي والرماني وعبد القاهر الجرجاني، تح: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1976م

70- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، دار الكتب العلمية، ط2، 1997

71- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1954م.

72- جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي، تح: علي حسين البواب، مكتبة التراث، القاهرة، مصر، ط1، 1987م.

73- جمالية الخطاب في النص القرآني، لطفي فكري محمد الجودي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2014م.

74- جمالية النظم القرآني في قصة المراودة في سورة يوسف، عويض بن حمود العطوي، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2010م.

75- الجمالية، ر.ف جونسون، تر: عبد الواحد لؤلؤة، دار الحرّيّة للطباعة، بغداد، 1978م.

76- الجمل في النحو، الزجاج، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة ودار الأمل، بيروت، وإربد، (الأردن)، ط2، 1985م.

77- جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1999م.

78- حجة القراءات، أبو زرعة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط سنة 1393هـ.

79- الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة بيروت (د.ت)

80- الخلاصة النحوية، تمّام حسّان، عالم الكتب، مصر، ط1، 2000.

81- الدّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، تح: أحمد محمّد الخرّاط، دار القلم، دمشق، سوريا، دط، دت.

82- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت، دط، دت.

83- دلالات التقديم والتأخير، عبد العظيم المطعني، وعلي جمعة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2005م.

84- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط5، 1984م.

85- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان ، ط1، 1994.

86- الرسالة العذراء، ابن المدبّر (أبو اليسر إبراهيم بن محمد)، تحقيق: د. زكي مبارك، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1931م.

87- الرسالة، الشافعي، محمد بن إدريس، تح: أحمد محمد شاكر، مطبعة: مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1940م.

88- روائع البيان في إعجاز القرآن، محمد سالم محيسن، دار محيسن للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2002م.

89- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، تعليق: محمود شكري الآلوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

90- الرؤية البلاغية في قراءة النص، ماهر مهدي هلال، مجلة جامعة حضرموت، العدد6، المجلد: 3، يونيو 2004م.

91- سنن الترمذي، (الجامع الكبير)، أبو عيسى الترمذي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1996.

92- سيبويه إمام النحاة ،علي النجدي ناصف، مكتبة النهضة، القاهرة، دت.

93- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد، دار الطلائع، ط سنة: 2004م.

94- الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، المكتبة السلفية، القاهرة، 1910م.

95- صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1981م.

96- صحيح مسلم، أبو الحسن، راجعه: هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1422هـ/2001م.

97- الصورة الأدبية في القرآن الكريم، صلاح الدين عبد التواب، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، مصر، ط1، 1995م.

98- الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط3، 1983م

99- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992م.

100- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، دار الكتب الخديوية، مطبعة المقتطف، مصر، 1914.

101- الظاهرة الجمالية في الإسلام، صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق، ط1، 1986.

102- الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان، دار المنايرة، جدة، السعودية، ط1، 1991م.

103- الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، تر: عبد الصبور شاهين، مطبعة الجهاد، ط1، القاهرة، 1958م.

104- علم البيان، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، القاهرة،ط2، 2004م.

105- علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1998م.

106- علم النص، جوليا كريستيفا، تر: فريد الزاهي، دار توبقال، المغرب، 1991م.

107- علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، دار اكتب العلمية، بيروت، ط4، 2002م.

108- عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، تح: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2005م.

109- الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، دار عمار، الأردن، ط2، 1403هـ.

110- فتح القدير، الشوكاني؛ محمد بن علي بن محمد، دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت، ط2، 1998م.

111- فلسفة البلاغة بين التقنية والتطوّر، رجاء عيد، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط2، د ت.

112- فلسفة الفنّ، مدخل إلى علم الجمال، جوردون جراهام، تر: محمد يونس، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2013م.

113- فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب، فتحي عبد القادر فريد، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1980م.

114- في تاريخ البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة للطباعة، بيروت.

115- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، المجلد الأول، ط17، سنة 1990م.

116- في فلسفة البلاغة العربية (علم المعاني)، حلمي علي مرزوق، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1999م.

117- قاموس غريب القرآن حسب ترتيب السور :محمد الصادق قمحاوي، القاهرة، (د.ت).

118- كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، أبو الحسن بن عبد الله بن سهل، تح: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1952م.

119- كتاب الفوائد، ابن قيم الجوزية، تح: أبي عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2002 م.

120- الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1.

121- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، تعليق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009 م.

122- الكشف عن وجوه القراءات، مكّي القيسي، تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1394هـ، 1993 م.

123- كلام العرب : من قضايا اللغة العربية، حسن ظاظا، دار النهضة العربية، بيروت، 1976 م.

124- لسان العرب، ابن منظور، تح: عبد الرحمان محمد قاسم النجدي، دار صادر، ط1، بيروت، 1992 م.

125- اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1995 م.

126- اللغة العربية؛ معناها ومبناها، حسان تمام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979 م.

127- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرّائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط3، 2003 م.

128- اللهجات العربية والقراءات القرآنية، دراسة في البحر المحيط، محمد خان، دار الفجر للنشر والتوزيع، المغرب، 2002م.

129- مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دار مسلم، الرياض، ط2، 1416هـ.

130- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تعليق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، مصر، ط2، دت.

131- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تح: د. محمد فؤاد سيزكين، مكتبة الخانجي، مصر، 1981 م.

132- مجاز القرآن، خصائصه الفنية وبلاغته العربية، محمد حسين علي الصغير، دار المؤرّخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.

133- مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، بيروت، دت

134- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ، ابن جنّي أبو الفتح عثمان، تح: علي النجدي، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، 1994 م.

135- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

136- المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997م.

137- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، شرح: محمد أحمد جاد المولى بك، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات الكتب العصرية، بيروت، لبنان، 1986م.

138- معارج التفكر ودقائق التدبّر، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط1، 2000م.

139- معارج الصعود إلى تفسير سورة هود، محمد الأمين الشنقيطي، دار المجتمع، جدّة، السعودية،ط1، 1988.

140- معاني القرآن الفراء، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1972م.

141- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم ابن السري، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988م.

142- معاني القرآن، الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد على النجار، دار الكتب المصرية، بدون طبعة، سنة 1955م.

143- المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، د. عبد الفتاح لاشين (ف3 ، ص67)

144- معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.

145- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2 ، 1984م.

146- معجم القراءات، عبد الكريم اللطيف، دار سعد الدين، سورية، ط1، 2002م.

147- المعجم المفصل في علوم البلاغة، إنعام فوّال عكّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1996م.

148- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1979.

149- المعيار في أوزان الأشعار، أبو عبد الله الأندلسي (محمد بن أحمد)، تحقيق: د. عبد الله هنداوي، مطبعة الأمانة، القاهرة، 1987م.

150- المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، محمد العبد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2006م.

151- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م.

152- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط4، 2009م.

153- مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، حامد صالح خلف الربيعي، جامعة أم القرى، السعودية، 1996م.

154- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، السجلماسي، أبو محمد القاسم، تح: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ط1، 1980م.

155- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجنّي، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1986م.

156- منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية، أحمد نصيف الجنابي، بحث ضمن كتاب: المعجمية العربية، مطبوعات المجمع العلمي العراقي،1412هـ/ 1992م.

157- الموازنة بين الطائيين، الآمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر)، تحقيق: السيد صقر وعبد الله محارب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1992م.

158- النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، ط1، 2013م.

159- نتائج الفكر في النحو، السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.

160- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط8، 1987م.

161- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

162- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، الشركة المصرية العالمية للنشر-مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1997م.

163- نظرية اللغة في النقد الأدبي، عبد الحكيم راضي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003م.

164- نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، تامر سلوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1983م.

165- نظرية المعنى في الدرس النحوي، مبارك عبد القادر، كنوز للإنتاج والنشر والتوزيع، تلمسان، ط1، 2011م.

166- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة سنة: 1995م.

167- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تح: بكري شيخ امين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.

الرسائل الجامعية:

1- التبيان في البيان للإمام الطيبي، تحقيق ودراسة: عبد الستار حسين مبروك زموط، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، 1977م.

2- الصورة الأدبية وخصائصها اللغوية بين البلاغيين والأسلوبيين، خالد بوزياني، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر –يوسف بن خدّة، 2007م.

3- التشكيل البلاغي للصورة الفنية في القرآن الكريم، محمد محمود صالح قاسم، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، كليّة الآداب، 2002م.

المجلات والدوريات:

1- المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الأول، العدد العاشر، 2018.

2- مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، العربية السعودية، ج19، عدد40، ربيع الأول، 1428هـ.

3- مجلة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا، العدد الثاني

4- مجلة : عود الند، الناشر: د. عدلي الهواري، العدد: 94

5- منشورات كلية الآداب، الرباط، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم 19، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1992.

مجلة جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ج19، عدد 40، ربيع الأول: 1428هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع .... الصفحة

الإهداء .... أ

مقدمة .... د

تمهيد : تحديد مدخلات الموضوع........................ 1

الفصل الأول: جمالية القلب في المستوى الصوتي 25

1- موسيقا القرآن الكريم 26

2- بواعث الإيقاع في القرآن الكريم 40

أ- التميّز 40

ب- التطريب 42

ت- التأثير 47

ث- تيسير القراءة والحفظ 49

3- آليات القلب الصوتي في القرآن الكريم 52

أ- القلب في المفردات 53

ب- القلب في التراكيب 77

ت- القلب في المقاطع 85

الفصل الثاني: القلب التركيبي 123

1- المبحث الأوّل: مفهوم القلب التركيبي 124

2- المبحث الثاني: القلب في الجملة النحوية.................. 131

3- المبحث الثالث: القلب في غير العامل 185

الفصل الثالث: القلب الدلالي 215

تمهيد: مخالفة المعيار الدلالي: 216

1-القلب الإسنادي 219

2-القلب في وظيفة الكلمة 227

3-القلب الاستعاري 237

4-القلب عن طريق تأكيد المدح بما يشبه الذّمّ 256

5-التغاير 258

6- **قلب الضمائر.. . 261**

7-القلب في الأساليب الإنشائية............................. 271

8-قلب الفاعلية إلى المفعولية 276

9- قلب القصر 278

10- القلب بالالتفات..........281

11- القلب بين الفعلية والاسمية 295

12- الافتنان........................ 301

13-العكس والتبديل 303

14- القلب عن طريق الحذف 312

15- تقديم النتيجة على السبب 321

الفصل الرابع: البواعث البلاغية والجمالية للقلب في القرآن الكريم... 325

أ-الأغراض العامّة: 326

1-تطرية الكلام 323

2-التأثير 327

3-تحقيق التناسب السياقي 331

4-التوليد الدلالي 333

5-تحقيق التناسب الصوتي 336

ب–البواعث الخاصّة: 341

1–التوكيد 342

2– المبالغة 348

3– التخصيص 356

4–التهكم 360

5–التشويق 372

6–التفاؤل 375

7–التخويف والوعيد 376

8–الإنكار 380

9–التقليل 385

10–التحضيض 386

11–الاستعطاف 388

12– التلطّف 393

13– الاهتمام 395

14- التعظيم **398**

15- التوبيخ **400**

16- المدح **403**

17- الإيجاز **404**

18- التقرير **406**

19- التهويل **408**

20- التبرك **411**

خاتمة **414**

فهرس الآيات **418**

قائمة المصادر والمراجع.................................. **459**

فهرس الموضوعات **480**

ملخص الرسالة:

تعمل المؤثّرات البلاغية، ومن ضمنها أسلوب القلب، على تفعيل دور المتلقّي من خلال مشاركته في الوصول إلى الغاية من الخطاب، فيعمد المتكلّم إلى تحريك مشاعر المتلقي وجرّه إلى الحضور الكلّي عقلا ووجدانا ، إذ تعمل لغة القرآن الكريم على جعل الإنسان (المتلقّي) يعيش مع النص عن طريق المشاركة والاستمتاع، ويتجاوز الإنسان القراءة الشكلية إلى قراءة تجعل منه يتّحد مع موضوع الخطاب الإلهي فتتمّ التفاعل ومن ثمّ الاستجابة.

الكلمات المفتاحية: أسلوب القلب- الخطاب- المؤثّرات البلاغية-المتلقّي.

Résumé:

Les influences rhétoriques, y compris le style de la métathèse, activent le rôle du récepteur en participant à la fin du discours: le locuteur fait bouger les sentiments du destinataire et l'attire vers le public entier avec raison et émotion. Grâce à la participation et de profiter, au-delà de l'homme et la lecture formelle à la lecture rend unie au sujet du discours divin est en interaction, puis la perception.

Mots clés : Les influences rhétoriques- la métathèse- discours-destinataire.

Abstract:

Rhetorical influences, including the style of metathesis, activate the role of the receiver by participating in the end of the speech: the speaker moves the feelings of the recipient and attracts him to the entire audience with reason and emotion. Through participation and enjoyment, beyond the human and the formal reading to the reading makes united about the divine discourse are interacting, and then the perception.

Key words: Rhetorical influences - metathesis - speech - recipient.

ملخص الرسالة

في الوقت الذي خُطّت فيه القواعد من أجل الحفاظ على اللغة من النحل والضياع؛ نجد أنها باتت من أسباب التضييق على المتكلّمين، باعتبارها عائقا ضدّ الإبداع من خلال مهامّها المعيارية تجاه اللغة.

هذه القواعد التي كثيرا ما ينقلب عليها نظام التأليف من أجل أن يبلغ بالكلام إلى إبراز معان لم يكن بمقدور التركيب في مستواه الأصلي أن يبلغها، إذ تعدّ الحرّيّة في اختيار الكلمة وتوظيفها توظيفا آنيّا، قد يخالف معناها المعجمي، وموقعها في الجملة تقديما أو تأخيرا، هي كلّها من أدوات البيان لدى المتكلّم، يحصل به الإفهام والتأثير من جهة، ثمّ الذوق والمتعة الفنّية من جهة أخرى.

من أجل ذلك رأينا أن نفرد لمسألة القلب بحثا يجلّي حقائقه، ويبيّن بواعثه ومقاصده ووظائفه عن طريق تلمّس آثار القدماء والمعاصرين في الموضوع، والتي انتشرت في أبواب متناثرة وعلوم مختلفة كالنحو والبلاغة والتفسير والمنطق وأصول الفقه.

ولقد عنينا بالقلب، في هذا البحث، كلّ أسلوب بلاغيّ أساسه الخروج بالمعنى عن ظاهر اللفظ أو التركيب، إن على المستوى الصوتي، أو التركيبي، أو الدلالي، ورصدنا الآليات التي اعتمدها القرآن الكريم في الإبانة عن جماليته اللغوية، ورمنا ضمّ هذا الشّتات في هذا البحث، بحيث لم نكلّف النّفس عناء البحث في موضوع القلب إلا بما يجعل منه مدخلا للمزيد من البحوث لمن شاء التوسع فيه، من أجل ذلك لم يقتصر الجهد على الدراسة النظرية، وإن كان لابدّ منها في رسم مخطط البحث من خلال تسليط الضوء على تعريف مكوّنات الموضوع؛ بل اعتمدنا، غالبا، على الدراسة التطبيقية التي تتطلّب الوقوف على الكثير من الشواهد والأمثلة، وتتبّع مظاهر القلب في طرق التعبير البياني، ومحاولة الوقوف على أسراره الجمالية من خلال دوره ووظيفته البلاغية والأسلوبية.

وينطلق البحث من العودة إلى شروط استعمال اللفظ داخل السياق التركيبي والمقام التخاطبي، لنتمكّن من تمييز التوجيه البلاغي الخاص بالخطاب عن غيره من التوجيهات المحتملة الأخرى، لتظهر جليّة فرصة التجاوز والتطوير والقدرة على التبليغ بما يناسب المقام.

وتكمن أهمّية البحث في جدّته عند العلماء المتأخّرين، وبخاصة منهم المتخصصين في الدراسات القرآنية والأسلوبية، كما يعدّ إبراز جماليات الأسلوب القرآني، ولا سيما حينما

يخضع التركيب لأداة من أدوات القلب، إن على المستوى الصوتي أو التركيبي أو الدلالي، ممّا يمكّننا من تعيين جانب آخر من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم؛ هو الجانب الجمالي، لينضاف إلى ما سبق رصده من أوجه الإعجاز.

ويتمثل هدف البحث في توضيح فوائد القلب النظرية والتطبيقية، وانعكاس فهم الظاهرة على المتكلّم العربي عن طريق تنمية مهاراته وقدراته على الربط والاستدلال بناء على ما جادت به قرائح العلماء والباحثين.

ولقد حاولت خلال هذه الرحلة البحثية أن أتقصّى ظاهرة القلب في القرآن الكريم من خلال السور المكّية، وأقف على أثره البلاغي والأسلوبي، قصد تكوين فكرة منطقية عن الأسس الجمالية لظاهرة القلب تكون أداة في عملية الاستنباط المبني على الفهم الصحيح لمراد الله، سبحانه، من كلامه الموجّه إلينا لنتدبّره ونعمل به، من خلال الوقوف على التجلّيّات الجمالية لأساليبه، محاولا الإجابة على الأسئلة الآتية :

ما مفهوم القلب؟ وما هي الآليات التي يعتمدها؟ وماهي بواعثه ومقاصده؟ ثمّ ما الوظيفة الجمالية التي يؤدّيها؟

كما حاولنا أن نكشف عمّا إذا كان يراد من وراء أساليب القلب إيصال الحقيقة فحسب؟ وهل يروم الخطاب الديني من خلال القرآن الكريم إظهار الحقيقة فقط؟ وإلى أي مدى ينسحب مفهوم الجمال على الشكل والمضمون من خلال شواهد القلب في القرآن الكريم؟

وفي طريق الإجابة عن هذه الإشكالات تفرّع الموضوع إلى أربعة فصول بعد هذه المقدمة والتمهيد كالآتي:

تضمّن التمهيد تحديد مدخلات الموضوع والتعريف بمكوّناته، من خلال نظرات جمالية في القرآن الكريم، ليتمّ البحث في معالجة القرآن الكريم لموضوع الجمال.

ثم انتقل البحث إلى الآليات التي يعتمدها أسلوب القلب في تموضعاته في القرآن الكريم، انطلق من الفصل الأوّل بالمستوى الصوتي، وبدأنا الكلام فيه عن موسيقا القرآن الكريم، ثمّ تطرّقنا إلى بواعث الإيقاع في القرآن الكريم، لنصل إلى الحديث عن آليات القلب الصوتي في القرآن الكريم، وذلك بمعالجة الظواهر الإيقاعية المرتبطة بأسلوب القلب، باعتبار مراعاة الفاصلة القرآنية ركنا من أركان عملية النظم القرآني.

وعالجنا في الفصل الثاني: الآليات التركيبية التي أساسها ظاهرة التقديم والتأخير، وقسّمناه إلى مباحث على حسب الجزء من الجملة الذي يقع عليه القلب، واشتمل على نوعين من التقديم والتأخير، هما:

-في الجملة النحوية، بوجود العوامل والمعمولات، ويضمّ: التقديم والتأخير في أجزاء الجملة والمساس بالمرتبة الأصل، ونقل مركز الثقل الدلالي من جزء إلى آخر في التركيب، مثل: تقديم الفاعل، وتقديم المفعول، والظرف، والحال، وتقديم جواب الشرط على فعله، ...، إلى غير ذلك من أوجه الظاهرة.

-في غير العامل؛ وتشمل الانتقال من تقديم كلمة على أخرى في موضع أو عدّة مواضع من القرآن الكريم، ويكون تقديمها موافقا للأصل، ثمّ تؤّخر عنها في موضع آخر، وقد حاولنا الوقوف على الأغراض البلاغية واللمسات الأسلوبية لهذا النوع من القلب في المراتب غير النحوية في العبارات القرآنية، لأن الترتيب من أهمّ خصائص نظم الكلام، وهو وسيلة المتكلّم في الإفهام والتبليغ، ومطيّة المتلقّي إلى الفهم والتفاعل.

وخصّصنا الفصل الثالث للآليات الدلالية، من خلال مجموعة من الظواهر التي تنبني على قلب المعنى؛ مثل: القلب الإسنادي، والقلب الوظيفي، والتهكم، والمبادلة، والتغاير،

والمقابلة، والافتنان، والالتفات، والحذف...، إلى غير ذلك من الأساليب التي تعتمد في أساسها على قلب الدلالة.

وتوقّفنا في الفصل الرابع مع الأغراض البلاغية والبواعث الأسلوبية للقلب، والتي جعلت من القرآن الكريم خطابا يراد منه الإبلاغ عن طريق التأثير البياني والتذوّق الجمالي، وذلك باستثمار جميع الطاقات الكامنة التي تزخر بها العربية لغة البيان والجمال.

والبحث يتعدّى حدود البلاغة إلى دراسة أسلوبية متكاملة، ينطلق برسم حدود المعنى، ثم توظيفه في تحديد ملامح الصورة، ثمّ الوقوف على التجلّيات الجمالية من خلال اتّحاد الصوت مع النسق الإيقاعي ومضمون الصياغة مع الأثر العاطفي المنبثق عن التعبير القرآني، ولا يتأتّى ذلك إلا بعد الكشف عن المستور من المعاني المتخفّية من وراء الصياغة القرآنية، والوقوف على التغيّر اللطيف والدقيق في الدلالة المنبثقة من التقلّب في مواضع الكلمات ومعانيها داخل التراكيب، إذ تعدّ لغة القرآن مشحونة بالمثيرات البلاغية لتجرّ المتلقي إلى الحضور الكلي عقلا ووجدانا فيتمّ التفاعل، ويتجاوز الإنسان القراءة الشكلية إلى قراءة تجعل منه يتّحد مع موضوع الخطاب الإلهي.

وكانت غاية البحث أن نكشف عن قسمات الجمال في البناء التركيبي والمعنوي، بحيث تعدّ جمالية القلب غاية هذا البحث، ثم تنقلب إلى وسيلة للكشف عن وجه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، محاولين الوصول إلى قراءة جديدة تأخذ في الحسبان طبيعة البنية المقلوبة، وإثبات أنّ الجمال سبب من أسباب الإيمان، وعنصر من عناصره، والقيم الجمالية الفنية تحمل على جناحها ما يعمق هذا الإيمان ويقويه، ويجعله وسيلة للسعادة والخير في هذه الحياة.

ولقد عمدنا في هذا البحث إلى أن ننتزع الصورة الأدبية من اجتماع اللفظ والمعنى، ثم نخضعها لميزان الذوق الفنّي بغية تلمّس الجمال في التعبير القرآني، مكتفين بالقسط الذي يفوح من وراء استخدام أساليب القلب، على أن الصورة الأدبية هي كلّ لا يتجزّأ من اجتماع اللفظ (بنية وصوتا)، والمعنى (ظاهرا وباطنا)، وملابسات الموقف الكلامي، وانعكاس ذلك على فهم المخاطب ومشاعره بما يخدم دواعي الاستجابة والاتّباع، إذ تعمل لغة القرآن الكريم على جعل الإنسان، (المتلقي)، يتفاعل مع الخطاب عن طريق المشاركة والاستمتاع.

ولن يقتصر البحث على دراسة مظاهر القلب اللغوية دون الوقوف على قسماته الجمالية؛ لأنّ كلا الموضوعين صارا متداخلين ومتلازمين، ولا ينفكّ أحدهما عن الآخر، إلى درجة أن بات من المستحيل أن تستغني البلاغة العربية عن أحدهما البتّة، فكانت مهمّة البحث الأساسيّة هي إماطة اللثام عن القيم الفنّيّة المستقاة من أسلوب القلب، وإرشاد المتلقّي إلى أسباب الحسن والروعة التي يتميّز بها الخطاب القرآني، باستخدامه أدوات القلب المختلفة، لتقاس بعد ذلك إمكانية الاستجابة على حسب التكوين العقلي والوجداني لدى المخاطب.

نتائج البحث

وأما النتائج التي قادتنا إليها سيرورة البحث فكانت كالآتي:

-إن القرآن الكريم قد استخدم أساليب القلب المختلفة أروع استخدام، تحققت من خلاله جميع الأهداف البلاغية والملامح الجمالية.

-وإنّ اللغة العربية كانت ولا زالت أكثر رحابة وسعة، ومن أجل بلوغ الفهم الجيّد للخطاب كان لابدّ من التعرض إلى الجوانب الاجتماعية والنفسية للنشاط اللغوي وأثرها في البنية الداخلية للغة.

-لا يعتمد الخطاب القرآني على وتيرة إيقاعية واحدة؛ بل يأتي على شكل باقة متنوعة من الإيقاعات التي توجّهها طبيعة الموضوع، وتتناوب خلال السورة الواحدة، أحيانا، تشكيلة من الإيقاعات، صعود أو نزولا، قوّة أو خفوتا، على حسب ما يتطلّبه تجدّد المعاني، في قالب جمالي معجز.

- كما يمنح القلب في المراتب دلالات جديدة إضافة إلى الدلالات الأصلية الناتجة عن التركيب الأصلي، ويضطرّ المتلقّي إلى تتبّع الملامح الدلالية للتركيب الذي حصل فيه تقديم وتأخير، بعد أن اضطرّه إلى أن يعنى بالكلمة المقدّمة بمزيد اهتمام.

-ثمّ إنّ أسلوب التقديم والتأخير بما يثيره من إعجاب واستحسان هو من بين ما أودعه الله من مظاهر الجمال في القرآن الكريم لكي يبلغ المخاطب حقيقة المعنى، ويحافظ على دوام الانتباه، زيادة على حصول المتعة لديه.

-كما يمكن القول بأن القلب الدلالي يعمل على توليد الدلالات، من حيث إنه يعمل على شحن التركيب المقلوب دلاليا بمعان جديدة لم يكن بمقدور التركيب الحقيقي أن يتحمّلها، زيادة على أنها تعمل على إيقاظ الفكر وتنبيه المخاطب ليكون متفتّح الذهن حتى يتمكّن من تحصيل المعنى من الخطاب، وذلك بسلوك الأسلوب غير المطّرد.

-يعدّ الخروج عن الأنماط المعتادة، وبخاصّة منها عندما تسند الأفعال لغير فاعلاتها، كما في المجاز العقلي، أو عندما تسمّى الأشياء بغي مسمّياتها، كما في المجاز المرسل والاستعارة، أو التحويل الفجائي لجهة الكلام، كما في (الالتفات)، أو غيرها من طرق القلب، أداة من أدوات الإثارة الفنّيّة.

-إن الجمال ليس متعلّقا بالشكل المنفصل أو المنعزل عن مضمونه، لكنّه يتعلّق بالتركيب الخاص للمستويات المتنوّعة من المعنى والتأثير الشامل.

-إنّ مثَل القرآن كمثل الماء العذب، كلّما مرّ على شيء أحياه، فصوته يطرب السمع ومعانيه ترهف الذوق، وتشبع الفكر والعقل، وتصل بالمخاطب إلى عين المدلول وحقيقته، وعليه فإن الجمال ليس شيئا عارضا في القرآن؛ بل هو مطلب من مطالب الشريعة كونه ضرورة حياتية.

-فجمال التعبير لا يتنافى مع القيم الجمالية المتمثّلة في الحقّ والخير؛ بل يعمل على تجسيدها والدعوة إلى تمثّلها في مخاطباتنا وممارساتنا اللغوية.

-ولابد من الإشارة إلى أنّنا لا نكاد أن نمرّ على آية من آيات القرآن الكريم دون الوقوف على نكتة بلاغية، إمّا نتيجة استخدام أسلوب القلب أو غيره من الأساليب البلاغية المتنوّعة التي لابست الخطاب القرآني في امتداده وسيرورته من أوّله إلى آخره.

وقد دعا الباحث، في ختام بحثه، إلى وجوب العودة بالدرس البلاغي إلى حضيرته، ودراسته في ظل الدفء الذي يوفره التحام أفراد عائلته من نحو ودلالة وأسلوب ونقد، ...،

فلا سبيل إلى بلوغ الرقي الذي بلغته اللغة العربية في عصر سيبويه وما قبله وما بعده، إلا بإعادة الحياة إلى فروع الدرس اللغوي، وتحريره من أسوار التقعيد الجامد، إذ ينبغي على من يتصدّى لفنون العربية أن لا يكون اهتمامه منصبّا على الجانب اللغوي الصرف، فيضيع الجمال في ثنايا القواعد، ويتراجع الغرض الوجداني للغة باعتبارها أداة الفكر والعاطفة معا.

كما توصي الدراسة بانتهاج الأساليب الحديثة، (اللسانيات الاجتماعية، والحاسوبية)، من أجل رصد مواقع كلّ أسلوب بلاغي في القرآن الكريم، وتبويب تلك المعطيات حتى يتيسّر على الباحثين استرجاعها والإفادة منها.

ملخص الرسالة

باللغة الإنجليزية

Thesis Summary

At a time when the rules for the preservation of the language from loss that have become a reason to restrict the speakers, as an obstacle to creativity through its normative functions towards the language.

These rules, which are often overturned by the system of authorship in order to speak to highlight meanings that could not be installed at the original level to inform them, as the freedom to choose the word and employ it in real time, may violate the dictionary lexicon, and the location of the sentence in advance or delay, is all of the tools of the speaker's statement, get the inspiration and influence on the one hand, and then taste and artistic pleasure on the other.

For this reason, we saw that the uniqueness of the issue of inversing is a research that reveals its facts and shows its motives, purposes and functions by touching the effects of the ancient and modern in the subject, which spread in scattered doors and different sciences such as eloquence, interpretation, logic and principles of jurisprudence.

In this research, we have expressed in our research every rhetorical method based on the emergence of the meaning of the word or composition, whether on the vocal, syntactic, or semantic level, and we have observed the mechanisms adopted by the Holy Quran in its linguistic comprehension, so that our main purpose of the research in the subject is only to make it an input for further research for those who wanted to expand it, for that was not limited to the theoretical study, although necessary in drawing the outline of the research by shedding light on the definition of the components of the subject; but we relied, often, on the applied study, which requires standing on a lot of evidence and examples, and follow the manifestations of inversing in the ways of graphic expression, through its rhetorical and stylistic role and function.

The research proceeds from a return to the conditions of the use of the word within the context of the structure and the locus of discourse, so that we can distinguish the rhetorical guidance of the speech from other possible directions, to show the opportunity to overtake and develop and the ability to communicate as appropriate.

The research is of an utmost importance among the late scholars, especially those specialized in Quranic and stylistic studies, and highlighting the aesthetics of the Quranic method, especially when the installation of an inversing instrument is at the vocal, syntactic or semantic level, aspects of miracles in the Holy Quran; it is the aesthetic side, in addition to the previously observed miracles.

The objective of the research is to clarify the theoretical and practical benefits of the inversing , and to reflect the understanding of the phenomenon on the arab speaker by developing his skills and abilities to connect and infer on the basis of what the scholars and researchers have done.

I have tried during this research trip to investigate the phenomenon of the style of metathesis in the Holy Quran through the Meccan surah , and I stand on its rhetorical and stylistic effect in order to form a logical idea about the aesthetic foundations of the phenomenon of the style of metathesis . To us to study and work on it, by standing on the aesthetic manifestations of his methods, trying to answer the following questions:

What is the concept of the style of inversing , what are the mechanisms that it adopts, and what are its motivations and purposes? Then what aesthetic function does it perform?

We will also try to reveal whether the inversing methods are meant to convey truth only? Does the religious discourse through the Holy Quran only show the

truth? And to what extent does the concept of beauty retreat to form and content through the inversing method’s significance in the Qur'an?

In the way of answering these problematics , the thesis is divided into four chapters after this introduction and the preface as follows :

The preamble included the identification of the subject's input and the definition of its components, through aesthetic views in the Holy Quran, to be examined in the treatment of the Holy Quran for the subject of beauty.

We have begun to speak about the style of inversing in the Holy Quran, and then we turned on to the motives of the rhythm in the Holy Quran, to get to talk about the mechanisms of the metathesis method of the voice in the Holy Quran, by addressing the rhythmic phenomena associated with the method of the metathesis , taking into account the Quranic verse corner of the process of the Quranic systems.

In the second chapter, we dealt with the structural mechanisms underlying the phenomenon of submission and delay. We divided it into a discussion according to the part of the sentence on which the inversing style is located. It included two types of presentation and delay:

In the grammatical sentence, the existence of factors and functions, and includes: the introduction and delay in the parts of the sentence and the damage to the rank of origin, and transfer the center of the semantic weight from one part to another in the composition, such as: the provision of the actor, and the effect and circumstance, and the situation and provide the answer to the condition to do. ..,to other aspects of the phenomenon.

In non-working; and include the transition from the presentation of a word to another in a place or several places of the Quran, and be submitted in accordance with the original, then delayed in another place, we have also tried

to stand on the rhetorical purposes and stylistic touches of this type of inversing In non-grammatical orders Quranic phrases, because the arrangement of the most important characteristics of speech systems, which is the speaker's way of understanding and reporting, and the receiver's tendency to understanding and interaction.

The third chapter is devoted to semantic mechanisms, through a set of phenomena that are based on inversing the meaning, such as: the synodal inversing, the functional inversing, the scorn, the interchange, the heterogeneity, the interview, the murmur, the attentiveness, the omission ... etc. Based on inversing the significance.

In Chapter 4, we stopped with the rhetorical purposes and the stylistic motives of the inverse, which made the Holy Quran a speech intended to be communicated through graphic influence and aesthetic taste by investing all the potentials that Arabic has in its language of manifestation and beauty.

The research concludes with a summary of our observations and findings.

The research extends beyond the limits of rhetoric to an integrated stylistic study, which begins with drawing the boundaries of meaning, then using it in defining the features of the image, and then standing on the aesthetic manifestations through the sound union with the rhythmic pattern and the content of the formulation with the emotional effect stemming from the Quranic expression. The hidden meanings behind the wording of the Quran, and stand on the subtle and accurate change in the significance arising from the volatility in the positions of words and meanings within the structures, since the language of the Quran loaded with rhetorical stimuli to get the recipient to the total presence of mind and mind are interacting, Man transcends formal reading into a reading that makes it unite with the subject of the divine discourse.

The aim of the research is to reveal the beauty sections in the structural and moral structure, so that the aesthetics of inversing of the purpose of this research, then turn to a way to reveal the face of miracles in the Quran, trying to access a new reading takes into account the nature of the structure inverted, one of the causes of faith, and one of its elements, and artistic aesthetic values bear on its wing what deepens and strengthens this faith, and makes it a means of happiness and good in this life.

In this research, we have taken the literary concept out of the gathering of word and meaning, and then subject it to the balance of artistic taste in order to touch the beauty of the Quranic expression, and are satisfied with the verse that reveals the use of the methods of inversing .And the meaning (outward and inward), and the circumstances of the verbal situation, the reflection on the understanding of the address and feelings to serve the reasons of response and follow, as the language of the Quran to make the person, (the recipient), interact with the discourse through participation and enjoyment.

The study will not only examine the manifestations of the inverse of language without standing on its aesthetic sections, because both subjects become intertwined and interdependent, and are not mutually exclusive, to the extent that it is impossible to dispense arabic rhetoric from one of them at all, the main task of research is to preserve the values of art derived from the method of inversing , and the guidance of the recipient to the reasons of the good and the good, which is characterized by the Quranic discourse, using the various inverse tools, and then measured the ability to respond according to the mental and emotional composition of the communicator.

The results that led us to the process of research were as follows:

- The Holy Quran has used the different inverse styles the most wonderful use, through which achieved all the rhetorical goals and aesthetic features.

- The Arabic language was and is still more spacious and wide, and in order to achieve a good understanding of the speech was to be exposed to the social and psychological aspects of the activity of language and its impact on the internal structure of the language.

The Quranic discourse does not depend on one rhythmic rhythm; rather, it comes in the form of a variety of rhythms directed by the nature of the subject, and alternates through the single surah, sometimes a variety of rhythms, ascension or descent, strength or inferiority, as required by the renewal of meanings, a beautiful aesthetic mold.

- Semantic inversing also gives new marks in addition to the original indications resulting from the original structure, and the receiver is forced to follow the semantic features of the installation in which he was presented and delayed, having to give the word more interest.

- Then, the method of submission and delay, including the admiration and approval is among the deposited by God of the manifestations of beauty in the Quran to inform the address of the meaning, and keep the attention, increase the enjoyment in it .

- It is also possible to say that the semantic inverse works to generate semantics, in that it works to charge the inverted structure with new meanings that the real structure could not tolerate. Moreover, it works to awaken the mind and alert the communicator to be open-minded so that he can obtain the meaning of the speech , By the behavior of the method is not sustained.

- The departure from the usual patterns, especially when the acts are assigned to non-actors, as in the mental metaphor, or when things are called pronouns, such as metaphor and metaphor, or sudden conversion of speech, as in (attention) or other ways of inversing , a tool of artistic excitement.

- Beauty is not related to the form separate or isolated from its content, but it is related to the special structure of the various levels of meaning and overall effect .

Like the fresh water of the Quran, the more it passes the thing that revives it, the more its voice is listening to the senses, the more it senses the taste, the saturation of the mind and the mind, and the communicator reaches the core of the meaning and its truth. Therefore, beauty is not a contradiction in the Quran.

- The beauty of expression is not incompatible with the aesthetic values of right and good; it works to embody them and call them to be represented in our linguistic communication and practice.

It is difficult to point out that we hardly pass on any of the verses of the Quran without standing up to a rhetorical joke, either as a result of the use of the inverse style or other rhetorical methods that have adapted the Quranic discourse in its extension and process from the beginning to the end.

We do not conclude this modest research before we call upon scholars to return to the lesson of the language and study it in light of the warmness provided by the family members in terms of significance, style and criticism ... There is no way to achieve the progress achieved by the Arabic language in the era of Sibaweh and before It is incumbent on those who address arab art to not be interested in the linguistic aspect, the beauty is lost in the folds of the rules, and the emotional purpose of the language as a tool of thought and emotion together.

- The study also recommends the use of modern methods (social and computer linguistics) in order to monitor the positions of each rhetorical method in the Holy Quran, and to classify these data so that researchers can retrieve and benefit from them.

العدد
22

دراسات أدبية

LITERARY STUDIES

دورية مُحكمة تصدر عن مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعلّمية
العدد الثاني والعشرون - ماي 2017 - شعبان 1438

إسهامات العرب في تطوير الزراعة بالأندلس
ابن عزوز نبيلة
تعليمية اللغة العربية في ظل تجربة المقاربة بالكفاءات
زوليخة شعبان صاري
مظاهر الحياة الاجتماعية في الشعر «عصر الموحدين»
مشرنن زهيرة
التعريب و تداعياته في الوطن العربي
كرزابي فادية
أثر حرف(من) في تقرير العقيدة
محمد ربحي
إشكالية المصطلح في اللسانيات الحديثة (المصطلح اللساني ومشكلات الترجمة)
قنون أمينة

ISSN 2170-046X الترقيم الدولي

قائمة المحتويات

إسهامات العرب في تطوير الزراعة بالأندلس 9
ابن عزوز نبيلة
تعليمية اللغة العربية في ظل تجربة المقاربة بالكفاءات 19
زوليخة شعبان صاري
مظاهر الحياة الاجتماعية في الشعر «عصر الموحدين» 25
مشرنن زهيرة
التعريب و تداعياته في الوطن العربي 39
كرزابي فادية
أثر حرف(من) في تقرير العقيدة 47
محمد ربحي
إشكالية المصطلح في اللسانيات الحديثة (المصطلح اللساني ومشكلات الترجمة) 57
قنون أمينة
حركة التّأليف في فنّ التّراجم والسّير بالمغرب الإسلاميّ في القرنين التّاسع والعاشر الهجريّين 63
عياد عبد القادر
مقاربة سيميائية - رواية زمن العشق والأخطار لمحمد مفلاح - 75
ليلى عوينتي
دور المجاز في آيات الإنفاق -شواهد من سورة البقرة- 85
بوجلول زكرياء
مصطلح المفارقة في الخطاب الشفهي أمثال الميداني أنموذجا 95
بوجمعة بومدين
المعجم اللُّغويُّ في القرآن الكريم معجم مفردات جسم الإنسان؛ الدّلالة والاستعمال 105
بلي عبد القادر
الجملة بين القدماء والمحدثين 113
العرباوي هاجر
رَدُّ العامِّيِّ الجزائريِّ إلى أصله الفصيح -الأمثال الشعبية أُنموذجاً- دراسة تأثيلية 119
زيان ليلى / بن أحمد بن علي
دور القرآن الكريم في تقعيد اللغة العربية الفصحى 127
مزيود سامية
البعد التداولي لنظرية الأفعال الكلامية في التراث اللغوي العربي -مفتاح العلوم للسكاكي نموذجا- 137
ليلى برمضان

دور المجاز في آيات الإنفاق –شواهد من سورة البقرة-

بوجلول زكرياء

boudjelloulzakarya@gmail.com

المؤسسة : وحدة البحث - تلمسان –

ملخص المقال

يصبّ موضوع البحث في محاولة الكشف عن الأهمية التي يكتسيها الاستعمال المجازي في الآيات التي تحضّ على الإنفاق من سورة البقرة، وذلك باستثمار طاقته بغرس المعاني المختلفة في الكلمات و التراكيب على خلاف ما يقتضيه المعجم اللغوي، ثم تحليل هذه الشواهد و استظهار الدلالات الجديدة التي تعمل على استدراج المتلقّي إلى الإصغاء و التّأثّر تجعله يتفاعل مع الموقف الكلامي .

Résumé

Cette recherche est une tentative pour détecter l'importance de l'utilisation de la métaphore dans les versets qui incitent à dépenser dans -Sura Elbakara- et en investissant son énergie dans le but de significations différentes dans les mots et les structures autrement requis par le lexique de la langue, puis l'analyse de ces Exemples de preuve et de mémoriser de nouveaux signes qui fonctionnent sur le leurre récepteur d'écoute et de vulnérabilité en rendant interagir avec la position verbale.

Summary

this search is an attempt to detect the importance of using the metaphor in verses that incite to spend in -Sura Elbakara- and by investing its energy for the purpose of different meanings in the words and structures otherwise required by the Lexicon of the language, then analyzing these Examples and memorizing new signs that work on the receiver's receiver and vulnerability by making it interacts with the verbal position.

دور المجاز في آيات الإنفاق –شواهد من سورة البقرة-

1.تمهيد -لمحة عن سورة البقرة-:

أ- التعريف بالسورة:

سورة البقرة مدنية، فهي تعد من أوائل السور نزولا بعد الهجرة، وهي تضم مئتين وست وثمانين آية، وبذلك أضحت أطول سور القرآن الكريم على الإطلاق.

لقد عالجت سورة البقرة موضوعات شتى، وكان لها أسباب متعددة في النزول، فمعظمها كانت من أول ما نزل من القرآن في المدينة، وفيها من الآيات ما كان نزولها في آخر مرحلة الدعوة(1) ، وسنأتي على ذكر أسباب نزول بعض آياتها، تبعا لتعلقها بموضوع هذه الدراسة .

ب- فضلها:

لقد ورد في فضل سورة البقرة أحاديث كثيرة ، تبيّن منزلتها، منها قوله، صلى الله عليه وسلم :"اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة"(2)

-و عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال:" قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم : "لكل شيء سنام ، وإن سنام القرآن سورة البقرة، وفيها آية هي سيدة آي القرآن: آية الكرسي"(3).

-و عن أنس بن مالك قال:" قال رسول الله ،صلى الله عليه وسلم:"إن الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه" (4).

-و عن أبي مسعود رضي الله عنه-قال: " قال النبي، صلى الله عليه وسلم : " من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه"(5).

وغير هذه الأحاديث كثير في ذكر فضل سورة البقرة: اخترت منها هذه الأمثلة قصد تبيان عظم شأنها، والسور القرآنية كلها عظيمة.

ج.موضوعاتها:

وما تميّزت به هذه السورة، موضوع البحث، هو تعدّد موضوعاتها، فقد تناولت قسطا كبيرا من التوجيهات الربانية، في مجالات متعدّدة يمكن تلخيصها فيما يلي:

*لقد بدأ الحديث في هذه السورة بذكر صفات المؤمنين ، ثم التفتت إلى ما يقابلها من صفات الكافرين والمنافقين.

* ثم مضى السياق بتقرير أن الله خلق ما في السماوات وما في الأرض، كما ذكر الله تعالى وصيته لآدم ، ونسيانها ، ثم الندم، والتوبة، والمغفرة.

وتعدّ هذه الأحداث بمثابة التجربة الأولى لآدم، وذريته، وصراعهم الأبدي ضد الشر، ومنابعه المتمثلة في إبليس وذريته وأتباعه.

*ثم تأتي السورة الكريمة على ذكر لمحة عن بني إسرائيل، وما اتصفوا به من قبيح الصفات، كنكثهم لعهد الله لهم، ومجادلتهم لأنبيائهم، ومعارضتهم لأوامر الله لهم، إلى غير ذلك مما جبلوا عليه من المعاصي، التي كانت أعظمها أن اتخذوا العجل إلها، فكان ذكر هذه المواقف بمثابة جولة تلميحية ضمن قصة بني إسرائيل.

والملاحظ في ذكر هذه الموضوعات، هو الاتساق الواضح في السياق القرآني، والربط بين قصة آدم ، عليه السلام، وقصة بني إسرائيل واستخلافهم، إضافة إلى الجمع بين المشركين والمنافقين وأهل الكتاب في الكفر، وهم جمع يكنّون الحقد والضغينة للمؤمنين ، فهم مشتركون في الضلال والعنت، ولا فضل لفئة منهم على الأخرى(6).

*ثم يأتي الحديث عن إبراهيم، عليه السلام، وبنيه، وبنائهم البيت الحرام وعمارته، من أجل تقرير عقيدة الإيمان بجميع الأنبياء، ورسالاتهم من جهة، ومن جهة أخرى الوقوف في وجه ادعاءات اليهود والمشركين المغرضة من أجل تثبيط العزائم لدى المؤمنين، وثنيهم عن عقيدتهم وانتسابهم لدين إبراهيم الحنيف.

*كما تعالج السورة الكريمة موضوع تحويل القبلة من المسجد الأقصى نحو المسجد الحرام، وتبيان الحكمة من ذلك، ثم تعالج بعض قواعد التصور الإيماني، كالتعريف بمعنى البر.

*ثم يتحول السياق القرآني إلى تقرير الشرائع ، والنظم العملية التي خص الله بها المجتمع الإسلامي قصد تنظيم شؤونه، حيث أقرّ عدة فرائض نذكر منها: شريعة القصاص، وأحكام الوصية، وفريضة الصيام، والاعتكاف، وأحكام الجهاد وضوابطه، وفريضة الحج، وأحكام الخمر والميسر، وأحكام تنظيم الأسرة (كالزواج، والطلاق، والرضاع...)

الأيمان...، و أما الغاية من هذه الفرائض والشرائع، فهي إقرار قضية الاستخلاف في الأرض، وذلك من خلال بناء الأركان التي تقوم عليها الدولة الإسلامية، وإعطائها شخصيتها المستقلة، من الناحيتين : الدينية والدنيوية، تصديقا لشرائع الديانات السماوية السابقة.

هذا المنهج الرّبّاني المتميّز بالشموليّة، والوسطيّة في الأمور كلّها، هو مكمن الإعجاز القرآني، فهي شرائع وقوانين خالدة، وصالحة في كل زمان ومكان، ممّا يثبت أن القرآن هو كتاب هذه الأمّة، وموجّهها إلى سبل النجاح والتفوّق، فمنه تستضيء طريقها، وبه تنظّم مجتمعها، وعليه ترتكز في تعاملها مع بقية الأمم.

*ثم تعرّج الآيات على ذكر جولة أخرى من قصة بني إسرائيل مع نبيّهم داوود، عليه السلام، في موضوع القتال، إلى جانب ذكر لمحة عن قصة سيدنا إبراهيم، ومجادلته للملك الطاغية.

*ثم يأتي الحديث عن بيان أهمية الإنفاق والصدقة في تحقيق التكافل الاجتماعي، ونبذ الربا لكونها عاملا أساسيا في إفساد العلاقات الاجتماعية، وهدم اقتصاد الدولة الاسلامية.

*ثم يأتي الحديث عن مسألة التداين، حيث بيّنت أحكامه وضوابطه، وهو تشريع غير مسبوق، اختصت به شريعة الإسلام.

*و أخيرا، تختم السورة ختاما يتناسب مع افتتاحها، حيث يعود التأكيد على أهم قاعدة في التصور الإسلامي، ألا وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وتوضيح العلاقة بين العباد وخالقهم المبنية على التيسير والرحمة، والرأفة بهم، بما يتناسب مع سياق السورة المتفق المزين بتلك التكاليف والتوجيهات الربانية المضيئة.

2- استغلال طاقة المجاز في الحضّ على الإنفاق:

و فيما يلي سنتعرض لموضوع الإنفاق في هذه السورة العظيمة واستقراء شواهد المجاز الواقع في آياته مع التحليل والوقوف على إبلاغية التعبير المجازي.

* إن من الصور الدّالّة على سعة لغة القرآن الكريم في التعبير هي ما نجده في العبارة الواحدة التي تحتمل أكثر من معنى، وقد يؤتى بها لأجل أن يجمع المعاني كلّها بأوجز أسلوب، ففي قوله تعالى:" **وَ أَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَ أَحْسِنُوا** "(7) ، شبّه، سبحانه، التهلكة بالآخذ والآسر، على سبيل الاستعارة التبعية بجامع الإحاطة والتمكن(8) ، فيكون المعنى : فتأخذكم وتأسركم، على أنّ معاني التهلكة في هذه الآية متعددة نذكر منها:

- ترك الجهاد والإنفاق فيه.
- الاستسلام
- الانشغال عن الجهاد في إصلاح الأموال(9).

كما تحتمل كل أمر يضرّ بالإنسان و يؤدي به إلا الهلاك.

*وفي قوله تعالى: " **وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** " : ذكرت (أيديكم) بمعنى (أنفسكم)، فالمجاز مرسل علاقته الجزئية، حيث ذكر الجزء وأريد الكل، وذكرت الأيدي لأنها موضع الأغلال، فيكون المعنى (لا تجعلوا التهلكة آخذة بأيديكم مالكة لكم) (10) ، فالمنقاد عنده ما يؤخذ من يده بعد أن توضع الأغلال فيها، فاستعمال المجاز يكون لغرض بلاغي، إذ لا يجوز أن نعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا لزيادة فائدة ومزية، كالمبالغة، والتعظيم،

والتحقير، وإلا كانت الحقيقة أولى منه، فالأصل في إطلاق الكلام أن يكون محمولا على الحقيقة، وإنما يتم التحول بالمجاز لبلوغ الأغراض البلاغية المتنوعة[11].

فمن شروط المجاز أن يكون مسبوقا بالوضع الحقيقي، وهي الدلالة الأصلية أو المعجمية للفظ التي من خلالها، وبمراعاة الملابسة أو المشابهة بين المعنيين، يتم الانتقال إلى الدلالة المجازية"[12].

ومتى استعمل اللفظ في موضعه الأصلي كان حقيقة، حيث يمكن تجاوزه إلى الوضع الثاني ليتم تحويل الدلالة من الحقيقية إلى المجازية، أو الثانوية، ومن هنا فإنه لا يتأتى لنا أن نستكشف الحسن، ونتذوق الجمال البياني في التحول القائم دون الانغراس في تربة التركيب الأصلي المفترض الذي قد حدّد سلفا الأجزاء الكلامية، ومواقعها في نظام التأليف[13] ، قبل التحول إلى البنيات الأسلوبية اللافتة من خلال المجاز.

و عليه، فإن العلم بمواقع الكلمات ونظام تسلسلها مما لا غنى عنه في بلوغ مقاصد البلاغة عموما، يقول الخطابي في هذا الشأن:" وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر، لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض، فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان"[14] ، ومن هنا كانت العلاقة بين المعنى الحقيقي (الأصل) والمعنى المجازي (التحول) هي التي تحدد العملية الأسلوبية وليس التحول في حد ذاته[15].

* كما نجد في قوله تعالى:" **مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً**"[16] ، أنّ الغرض من الاستفهام هو الحضّ على الإنفاق، والتأكيد على مضاعفة الأجر، فهو تركيب إنشائي مستعمل في غير معناه الحقيقي على سبيل المجاز المرسل المركّب، والغاية منه: " دفع المتلقي لأن يتصور في ذهنه شخصا مجهولا يسأل عن تعيينه"[17] ، وفي هذا دلالة على الاهتمام بالفعل(يُقرض)، ومن ثَمّ وقع الترغيب فيه بشدة.

ومن الملاحظ في هذه الأمثلة، أن اللفظ المجازي قد تحول عن دلالته الأصلية، نتيجة وقوعه في سياق واحد مع ألفاظ مجاورة له في النظم، مما أكسبه دلالته الجديدة، قال الزمخشري:" ومن الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا أن تساق كلمة مساق المجاز، ثم تُقَفّى بأشكال لها وأخوات إذا تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه ديباجة وأكثر ماء ورونقا، وهو المجاز المرشح"[18].

وهو هدف من أهداف التحول الدلالي، إذ يتمثل في تسبيق الوحدة اللغوية، فتتحوّل دلالة الكلمة تبعا للسياق الذي وردت فيه[19].

* و أمّا ما ورد على سبيل الاستعارة التمثيلية قوله تعالى:" **مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ**"[20] ، إنها مساهمة يكون الربح فيها سبعين ألفا في المائة، فيا لها من أرباح عظيمة عظيمة! ويا له من كرم ما بعده كرم! إنه لخير عظيم وفضل عميم، لا ينبغي لإنسان أن يسمع به ثم يزهد فيه، ولا لصاحب مال مهما قلّ يبلغه هذا الفضل ثم يمسك ماله عن الإنفاق في سبيل الله.

ولقد بيّن، سبحانه، الأجر الجزيل المبني على المضاعفة، على نحو ما نجد في قوله تعالى: "**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**"[21] ، وذلك بتقرير أن التكافل الاجتماعي المبني على الإنفاق والصدقة هو قاعدة المجتمع

الإسلامي الذي يتميز عن غيره بالإيمان لله ووحدانيته، والإخلاص في العمل، فلا يقبل عمل عبد حتى يكون خالصا لوجه الله ، لا يشوبه نوع من أنواع الشرك والمنّ، وهي صفات منبوذة بيّن ، سبحانه، عواقبها في قوله:" **كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً**"(22) ، إذ بهذه التمثيلات قد كشف المعنى، ورفع الحجاب عن الغرض، ففي استعارة السنابل والحبة للتمثيل عن جزاء الإنفاق في سبيل الله ما يعمل على التحفيز والحض على الإنفاق بأبلغ أسلوب و أجود تمثيل.

* وفي قوله تعالى:" **أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**"(23): فإن الآية تتضمن مجازا على سبيل الاستعارة التمثيلية كذلك ، فقد ورد في تفسيرها أنّ عمر بن الخطاب سأل عن معناها، فقال عبد الله بن عباس-رضي الله عنهم-:(ضُربت مثلا لرجل غني يعمل بطاعة الله، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله) (24) ، كما يمكن أن يحمل معناها على ما يؤول إليه عمل العبد نتيجة الإيذاء والرياء(25).

وقد قيل أيضا أنها ضربت مثلا للرجل يبدأ حياته بالأعمال الصالحة، فشبهت بالجنة التي من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار، له فيها من كل الثمرات، ثم يختم حياته بالأعمال السيئة حتى ينتهي أجله ويموت دون توبة، فذلك مثل الإعصار الذي فيه نار فأحرق جنته، ولم يكن باستطاعته دفع الأذى والاحتراق عن جنته لضعف قوته بسبب كبر سنه وصغر أولاده، فيلقى الله وليس له دافع عن العذاب(26).

*و أما في قوله تعالى:" **وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ**"(27) ، فالمراد بـ (وجه الله): مرضاته؛ لأنه سبحانه، عبّر عن رضاه عن العبد بالنّظر إليه في قوله تبارك تعالى:" **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**"(28) ، كما عبّر عن سخطه وغضبه على عبده بالإعراض عنه وعدم النظر إليه يوم القيامة في قوله، عز اسمه:" **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**"(29).

و أما الغرض من ذكر الوجه في آية البقرة، فهو تقريب المعنى إلى الأفهام، بتجسيد معنى الرضا ليقوم التنافس بين المؤمنين في الإنفاق.

إن الموقف يدعو إلى استحضار جملة من النشاطات الفكرية، متمثلة في الربط بين المعنى واللفظ والتطلع إلى المراد من الكلام عن طريق العقل، فمنطوق قوله تعالى:" **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**"(30) يحثنا على التفكر في كلام الله الموجه إلينا، والنظر فيه بعين ممحّصة عن معانيه ودلالاته، ليتم بذلك الفهم الصحيح لشرائعه وتوجيهاته.

ومن أجل بلوغ المعنى الصحيح عمد العلماء إلى التدقيق في أهداف هذه الظاهرة وأبعادها المتنوعة من بلاغية ونفسية وعقلية، حيث أنهم رفعوا التناقض الظاهري في كلام الله بين مراده ومعرفتنا العقلية بعدله وتوحيده، باعتبار أن المجاز هو الوسيلة الفعالة في رفع هذا التناقض، وإزالة الحرج عن الأفهام، من حيث كان الوسيلة الناجعة والأداة الرئيسة لعملية التأويل .

* وفي قوله تعالى:" لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا" [31] ، امتد سياق الآيات في الحضّ على الإنفاق، ومؤازرة الفقراء والمساكين من المسلمين، وبخاصة المهاجرين منهم الذين تركوا أوطانهم وأموالهم، ونذروا أنفسهم للجهاد، حيث شُبّهوا بمن حاصره مانع من أن يتنقل ويضرب في الأرض من أجل التكسب[32] ، على سبيل الاستعارة التبعية.. يقول عبد القاهر الجرجاني في هذا الصدد:(إن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكني، وأن تردها في الشيء، تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع...) [33].

* و أما قوله تعالى: " لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا" ففيه امتداد في تصوير حال هؤلاء الفقراء المتعفّفين، الذين ترفعوا عن المسألة، ولم يشبَّهوا بالملحّين، والملحف : كلّ من جعل المسألة كاللحاف يلتحف به، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم:" إن الله يحب الحليم الغني المتعفف، ويبغض الغني الفاحش البذيء السائل الملحِف"[34] ، وهو ما يبيّن لنا دقة هذا التشبيه، وبلوغ الغرض من هاتين الاستعارتين، والمتمثل في ترقيق القلوب وتليينها نحو هذه الفئة من المجتمع الإسلامي، وذلك باستثمار القليل من الألفاظ القوية والمؤثرّة في نفوس السامعين، وفي هذا الصدد يقول الجاحظ : "...وإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع، بعيدا عن الاستكراه ، ومنزَّهاً عن الاختلال، مصونا عن التكلّف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة." [35]

و القرآن ، بوصفه على أنه كلام الله المعجز، له تأثيره الخاص في نفوس القارئين والمستمعين له ، كيف لا وقد ظهر تأثيره على الجمادات، فقوله تعالى:" لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ"[36] يستوجب القول بأن تأثيره في نفوس الأحياء أولى ، قال تعالى:" إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ، لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ"[37] ، فالنفوس أحق بالتأثر بكلام الله، مما يوجب التدبر والتفكر، قال عز من قائل:" اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ"[38] ، فمن الطبيعي أن تتأثر النفس وتتحرك لكونها غير معتادة على سماع مثل هذه التعابير، والمجاز يعمل على انفعالها وقيادتها إلى هذه المعاني المعبّر عنها.

و خلاصة القول هنا أن السبب الحقيقي في تأثر النفس بالمجاز، هو ذلك التحول من المألوف إلى غير المألوف، لكون المجاز هو عملية اختراق لقوانين اللغة، تنتج عنه مزية فنية في بنائه الأسلوبي، فلا تحمل الجملة على المجاز إلا لزيادة فائدة[39] ، فإن لم تكن هناك زيادة فائدة فلا يعدل إليه، بل ينبغي عندئذ أن لا يحمل المعنى إلا على الحقيقة.

خاتمـــــة:

يقوم علم البلاغة على التحوّلات التي تظهر على المعاني بفعل الأساليب البلاغية المتنوعة من مجاز، واستعارة، وكناية، وتمثيل..، و من خلال دراسة موضوع التحول الدلالي الذي يحدث بفعل المجاز يظهر جليا التداخل بين علمي الدلالة والبلاغة، فكلاهما يختص بدراسة المعاني في الكلمات والتراكيب، فإذا كانت اللغة هي الوسيلة لنقل الأفكار، فإن علم الدلالة هو المسؤول عن دراسة معاني الكلمات ووظائفها، سواء كانت مفردة أو ضمن تراكيب معينة، ومتابعة التغيرات التي تطرأ على دلالتها، ومنه فإننا نجد العلاقة بين العلمين وطيدة، إلى درجة أنها تكاد تكون متداخلة في موضوعاتها.

و من خلال هذه الجولة الخفيفة في موضوع استثمار طاقة المجاز في استخلاص المعاني التي تحضّ على الإنفاق في سورة البقرة، كانت النتائج كما يلي :

1- تضمّ سورة البقرة نماذج مهمّة و متعدّدة من صور التعبير المجازي، و هو ما نلاحظه من وفرة الشواهد، ممّا يظهر لنا ذلك الجهد الكبير الذي بذله العلماء في إبانة الأبعاد الإجرائية للصورة المجازية، حيث كان الصراع قائما من أجل قبول المجاز كظاهرة أسلوبية واقعة في القرآن الكريم. إضافة إلى أن التحول الدلالي الحاصل بفعل المجاز يعد من أهم خصائص التعبير الأدبي عموما، من حيث أنه ينتج الدلالات الجديدة، والمعاني البلاغية المرجوّة، حيث تأتي الدلالة وقد طغت عليها صور مخالفة للأصل الوضعي، ممّا يزيدها توهّجا، و هو ما يبدو جليا في التعبير القرآني الذي يعمل على رسم صورة للمعنى المراد في ذهن المتلقي لتتم عملية التبليغ على أكمل وجه، في حين أن الخطاب في مستواه الحقيقي لا يمكنه ذلك، فالقرآن يستثمر القليل من الألفاظ للدلالة على الكثير من المعاني، بحيث أنه يجمع المعاني كلّها بأوجز أسلوب.

2- تؤدّي صياغة الكلام على سبيل المجاز إلى إقبال المخاطب واستدراجه إلى الإصغاء، بجعله يتفاعل مع الموقف الكلامي، فينغرس المعنى المراد إيصاله إليه في ذهنه، هذه الوظيفة التي تظهر جلية في القرآن الكريم، من حيث أن القارئ له يجد نفسه مشدودا إليه بفعل ما يحتويه من الأساليب البلاغية ، وبخاصة البيانية منها وعلى رأسها المجاز ، فالإنسان بطبيعته ينجذب نحو ما هو غير مألوف من الكلام، فالمعاني المجازية تجد لها الإقبال المطلوب من أذهان المستمعين أو المتلقين عموما، فيحصل لديهم رسوخ لهذه الأفكار في أذهانهم.

3- يعد المجاز نموذجا من نماذج التحول الدلالي، باعتباره المحور في تحوّل دلالة الكلمات، من حيث هو استخدام اللفظ في غير ما وضع له، فتكتسب الكلمة بفضله دلالة جديدة تختلف عن الدلالة المعجمية، بحيث يظل الاستعمال الحي للّغة يُفعّل الدلالة ويمكّن من التحكّم فيها من خلال إضافته صورا جديدة لها أهمّيتها، وهو ما يتيحه التعبير المجازي ، فالمعاني لا تبقى ثابتة مقيّدة بالقوالب اللغوية الثابتة، وإنما يحصل بفضل المجاز وما يحدثه من تحول، تجاوز هذه الدلالات الأصلية ، ثم يتم توزيعها من جديد مع ما يضاف إليها من قرائن وسط أنساق تعبيرية جديدة، فتبدو اللغة من خلال ظاهرة المجاز أكثر طواعية، بفضل إتاحته فرصة التجدد من خلال التأليف على غير الأنساق المألوفة، فتظهر المعاني من خلاله أكثر انسيابية بين التأليفات، وبعبارة أخرى فإن المجاز يحصل به العبور باللغة من مستواها الأول أو الأصلي إلى المستوى الثاني.

هوامش الدراسة :

1 - ينظر: التحرير والتنوير،محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997، المجلد1،ج 1، ص 201-202.

2 - صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4 سنة 1981، المجلد 1، ص 30.

3 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير أبو الفداء إسماعيل ، دار القلم، بيروت،ج1، بدون سنة ، ج1، ص 32.

4 - المصدر نفسه ، ج1، ص 32.

5 - صحيح البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت، سنة 1981، المجلد 3، ج6، ص 104.

6 - في ظلال القرآن، سيد قطب ،دار الشروق،ط17 ،1990،المجلد1،ج1، ص 65.

7 - البقرة، 195.

8 - التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور،ج2،ص213.

9 - ينظر: الكشاف، الزمخشري، تحقيق محمد مرسى عامر، دار المصحف، القاهرة ، ط2، 1977،ج1،ص 116.

10 - ينظر: المصدر نفسه، ص 116.

11- الطراز ، يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، دار الكتب الخديوية، مصر، طبعة سنة 1914،ج1، ص 77.

12 - ينظر: المزهر في علوم اللغة، السيوطي، ج1، ص .264

13 - ينظر: العدول في البنية التركيبية: إبراهيم بن منصور التركي، مقالة ضمن مجلة جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ج19، عدد 40، ربيع الأول: 1428هـ، ص 548.

14 - إعجاز القرآن الخطابي، ضمن ثلاث رسائل، تحقيق محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف القاهرة، ط3، بدون تاريخ ، ص 36.

15 - ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت،ط1 ، 1996، ص 81.

16 - الحديد، 11.

17 - التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور،ج2،ص 481.

18 - الكشاف ، الزمخشري،ج1، ص39.

19 - علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1988، ص 68.

20 - البقرة،261.

21- البقرة،265.

22- البقرة،264.

23 - البقرة،266.

24 - الاتجاه العقلي في التفسير، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط6، سنة 2007ص 95.

25- ينظر: أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تعليق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت، ط1، 2002،ص100، هامش.

26 - ينظر: جامع البيان، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ، ط2 ، سنة 1954 ج3، ص76.

27 - البقرة، 272.

28 - القيامة، 22-.23

29 - آل عمران، 77.

30- سورة ص ، 29.

31- البقرة،273.

32- ينظر: جامع البيان،عن تأويل آي القرآن ، الطبري، ج3،ص 96.
33- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص106.
34 - المصدر نفسه، ص 100.
35- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط3، بدون تاريخ،ج1،ص144.
36- الحشر 21.
37- يس 69- 70
38 - الزمر 23 .
39 - ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، تقديم أحمد العوفي، وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطباعة، ط2، بدون تاريخ،ج1، ص 73.

LITERARY STUDIES

مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية

46 تعاونية الرشد القبة القديمة- الجزائر

هاتف: 78 97 28 021 فاكس: 48 36 28 021

www.baseeracenter.com / Email:markaz_bassira@yahoo.fr

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان-
مخبر تحليلية إحصائية في العلوم الإنسانية وإنجاز معجم موحد لها

العدد : 13
السداسي الثاني : 2017

المصطلح

مجلة علمية أكاديمية محكمة تعنى بإشكالية صناعة المصطلح وتعريبه وترجمته إثراء للغة العربية المعاصرة تصدر عن مخبر *تحليلية إحصائية في العلوم الإنسانية*

ردمك 1112- 3923
الإيداع 1206 - 2006

علم اللغة الجغرافي: مفهومه ومجالاته..
بلجيلالي خيرة 159

أبعاد التّواصل الثّقافي في الرّحلة العيّاشية..
أ. نورالدين بلحاج 169

ضاد العربية بين النطق القديم والحديث..
مزبود سامية 190

صفات الصّوامت ومصطلحاتها بين اللغويين والفلاسفة المسلمين..
الدكتورة: نصيرة شيادي 202

المصطلحات النحوية في كتاب سيبويه..
د. سميرة جداين 223

المبحث الدلالي بين الشافعي وعبد القاهر الجرجاني..
أ. زكرياء بوجلول 232

العربية لغة الطب..
صورية زدون 240

الترادف في كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري..
الدكتورة: بن عيسى مهدية 250

التقويم التربوي ودوره في نجاح العملية التعليمية التعلمية..
الطالبة: نعيمة بونوة 261

"مستويات إدراك معنى النص القانوني في العملية الترجمية"..
الأستاذة: دلاني خيرة (ز. بن صافي) 270

إشكالية ترجمة المصطلح اللغوي. قراءة واصفة لمعجم مصطلحات علم اللغة الحديث..
د.إسماعيل زغودة 287

شعرية المكان في ثلاثية فضيلة الفاروق..
حفصة موساوي 297

المبحث الدلالي بين الشافعي وعبد القاهر الجرجاني

أ. زكرياء بوجلول
ملحق بالبحث
وحدة البحث (واقع اللسانيات والدراسات اللغوية في البلدان العربية) تلمسان
boudjelloulzakarya@gmail.com

ملخص

غالبا ما تكون الآراء الفقهية والنحوية للعلماء نابعة من انتماءاتهم المذهبية، فيصير التوجيه النحوي والدلالي مقدمةً لتعضيد وجهة النظر التي استقرت في أذهانهم مسبقا، كما أن ميلهم في بعض الأحيان إلى ترجيح وجه من الوجوه الإعرابية يكون بناء على ما رجح في مذهبهم الفقهي، مما جعل علاقة التوأمة بين النحو والفقه تسيطر على مسيرة تطور كلا العلمين. فلا يتقدم علم منهما إلا ويكون العلم الآخر ردفه ولاحقه.

Résumé

Souvent , la jurisprudence et les scientifiques grammaticaux qui découlent de leur appartenance religieuse Qui devient un début pour renforcer le point de vue qui se sont installés dans leur esprit à l'avance, et comme eux, parfois à la pointe le cas de syntaxique basée sur ce qui est probable dans la doctrine de la jurisprudence , Ce qui fait , la relation de jumelage entre la grammaire et la jurisprudence contrôle sur les progrès du développement de ces deux recherches par séquence .

Summary

Often, case law and grammatical science deriving from their religion Who is a beginning to reinforce the view that settled in their minds in advance, and like them, sometimes to the point of the case based on syntactic which is likely in the doctrine of jurisprudence , what makes the twinning relationship between grammar and jurisprudence check on the progress of the development of these two research by sequence.

تمهيد: البحث الدلالي عند علماء العرب

لقد دأب علماء العربية القدامى على دراسة علوم اللغة من دون إخراج أحدها من دائرة العلوم الأخرى، ذلك ما نلمسه عند وقوفنا على الإرهاصات الأولى وما بعدها بزمن ليس باليسير من ظهور البحث اللغوي والأدبي عند العرب، ففي ذلك العصر لم يكن يفصل بين علم النحو وسائر علوم العربية، بل كانت هذه الفنون متداخلة، يصب بعضها في مجرى بعض، ويثري بعضها بعضا، الهدف منها واحد، هو إثراء العربية، واستنباط القواعد التي تضمن الحفاظ على سلامتها من اللحن، وإبراز ما تحويه من جمال، وهو الهدف الذي سعى الفقهاء والنحويون والبلاغيون القدامى إلى تحقيقه، فقد قامت علاقة بين العلوم الشرعية والفقه والتفسير والحديث، والعلوم العربية، كالبلاغة والنحو والصرف، فتأثرت علوم اللغة بعلوم الدين، وخضعت لتوجهاتها، كما تفاعلت الدراسات اللغوية مع الدراسات الفقهية، وبنى اللغويون أحكامهم على أصول دراسة القرآن والحديث والقراءات، وقالوا في أمور اللغة بالسماع والقياس والإجماع والاصطلاح تماما كما فعل الفقهاء في معالجة أمور الدين[1].

كما اشتملت الأبحاث الدلالية في الفكر العربي على حيز واسع من العلوم، كالمنطق، وعلوم المناظرة وأصول الفقه، والتفسير، والنقد الأدبي والبيان[2].

ولقد ساهم علماء العرب القدامى في تأسيس وعي دلالي هام، فبحوثهم الدلالية تمتد من القرون الثالث والرابع والخامس الهجرية، إلى سائر القرون التالية لها، وهذا إنما يدل على نضج العربية، ويقظة أصحابها لخباياها منذ القديم.

وفيما يلي يعرض البحث لنماذج من الجهود الدلالية عند كل من الأصوليين واللغويين العرب، حيث قامت الدراسة على تتبع مسار البحث الدلالي عند كل من: الإمام الشافعي، من جهة علماء الأصول، وعبد القاهر الجرجاني من جانب اللغويين، وذلك من خلال بذلهما ومثابرتهما في الوقوف في وجه الانحراف عن الفهم الجيد لأحكام القرآن العظيم ومعاني آياته.

1- الجهود الدلالية عند الشافعي:

كان الإمام الشافعي (ت204هـ) أول من وضع الأبواب الأولى لعلم أصول الفقه، حيث أشار إلى طرق تخصيص الدلالة وتعميمها باعتماد القرائن اللفظية والعقلية، وكيفية استنباط الأحكام اعتمادا على التحليل المستند على النقل، يقول الشافعي: "رسول الله عربي اللسان والدار، فقد يقول القول عاما يريد به الخاص"[3].

وكتاب "الرسالة" هو أقدم ما وصلنا مكتوبا في علم أصول الفقه، والذي يعد محاولة لوضع قواعد فهم النصوص القرآنية، وتحديد الدلالة المقصودة وفق منهج أبرز ما فيه: القياس الفقهي، بحيث أنه لم تكن هناك محاولات قبل هذا العهد لوضع منهج أصولي عام يحدد للفقيه الطرائق التي يجب أن يسلكها في استنباط الأحكام، كما يقول ابن رشد" النظر في القياس الفقهي وأنواعه هو شيء استنبط بعد الصدر الأول"[4]، تلك المصطلحات التي أعطاها الشافعي أبعادها الدلالية، وأضحت معروفة الحدود في علم الأصول إلى يومنا هذا.

ومن المحققين من رد تلك القواعد الفقهية التي استنبطها الشافعي إلى تلك الإرهاصات الأولية التي ظهرت في تعامل جمهور الصحابة مع المسائل المستجدة بعد وفاة النبي، صلى الله عليه وسلم، حيث يقول ابن خلدون:" ثم نظرنا في طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة، فإذا هم يقايسون الأشباه منها بالأشباه، ويناظرون الأمثال بالأمثال بإجماع منهم..."[5].

ويقول سامي النشار: "وفي الحقيقة، إن تاريخ وضع المنهج الأصولي يذهب إلى حد أبعد من عصر الشافعي بكثير، بحيث لا يجب أن نلتمسه فقط عند العلماء الأحناف في السنوات التي تسبق عصر الشافعي، بل في عصر الصحابة أنفسهم، ولدى الكثير من فقهائهم، وعن هؤلاء الفقهاء أخذت معظم القوانين التي يحتاج إليها في استفادة الأحكام"[6].

ولاشك أن علماء الأصول بدءا من الشافعي قد أفادوا من طرق المتكلمين في استنباط الأحكام، ومقايسة الأشباه، وإلحاق الأمثال ببعضها لتشكيل القانون المنطقي المطرد[7].

بينما يذهب بعض المؤرخين إلى إلحاق فكر الشافعي في استنباط الأحكام وتحديد القواعد الأصولية بالفكر اليوناني من خلال ترجمة كتب المنطق والفلسفة من اليونانية إلى اللغة العربية، وقد ذهب ابن القيم إلى أن الشافعي في قوله بالقياس الأصولي يشارك أرسطو في قوله بالتمثيل[8]. أي أن كلا من قياس الشافعي وتمثيل أرسطو لا يفضيان إلى اليقين، إلا أن كل هذا لا يثبت قطعا تأثره بالمنطق الأرسطي، خاصة إذا علمنا أن الشافعي في طرق الاستدلال لا يعتمد على العقل إلا قليلا، بل إن اعتماده يكاد يقتصر كليا على النقل ومقارنة النصوص ببعضها، وإسناد بعضها ببعض في إثبات الدلالة.

ومما يدل على أن الشافعي على إطلاع واسع بعلم العربية وطرق تأدية المعنى من غير لبس، تلك المباحث اللسانية الدلالية التي أثارها في كتابه (الرسالة) وملخصه كتاب (أحكام القرآن)، حيث عقد بابا عن الاختلاف بين الأحاديث في رسالته مثبتا أن اتفاق العبارات لا يعني اتفاق المدلولات، وهذا مما يدل على أن

الشافعي يمتلك حسا لغويا في فهم مقاصد الكلام، إضافة إلى إحاطته بمعاني فنون البلاغة. فيقول في إشارته إلى معنى اللفظ السياقي عند العرب في كلامه: "وتبتدئ الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها فيه عن أوله"[9]. وتأكيدا لذلك يضع بابا سماه، (الصنف الذي يبين سياقه معناه)[10]. ومن تمام المعرفة اللغوية التي ينص عليها الشافعي هو العلم بمعاني اللغة واتساع لسانها، وهي الإشارة إلى وجود المجاز الذي عد عند علماء العربية القدامى من طرق توسيع المعنى، إضافة إلى تقسيمه لمستويات الكلام، ولإيضاح ذلك نعرض لعناوين بعض الأبواب التي بحثها الشافعي فيقول: "باب بيان ما أنزل من الكتاب يراد به العام ويدخله الخصوص"، "باب ما أنزل من الكتاب عام الظاهر وهو يجمع العموم والخصوص"، "باب ما أنزل من الكتاب عام الظاهر يراد به كله الخاص"[11]. وغيرها من الأبواب، بحيث يبقى القرآن الكريم يمثل عنده أعلى مستويات الكلام على الإطلاق، وفي ذلك ما يجيز سحب تلك القوانين التي خصها الشافعي أحاديث النبي، صلى الله عليه وسلم، على كلام العرب، فيقول مبينا موقف المسلمين الفقهاء من الحديث النبوي الذي التبست دلالته، فلم يعرف أظاهر عام هو أم باطن خاص: "...و هكذا غير هذا من حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وهو على الظاهر من العام حتى تأتي الدلالة عنه كما وصفت (بطريق الدلالة لفظا)، أو بإجماع المسلمين، أنه على باطن دون ظاهر، وخاص دون عام، فيجعلونه بما جاءت عليه الدلالة ويطيعونه في الأمرين جميعا"[12].

كما كانت للشافعي رؤية دلالية للعلامة غير اللغوية، ففي معرض تفسيره للفظ "علامات" الواردة في قوله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[13]، استند في تحديد مدلولها على العقل، حيث يقول: "فخلق الله لهم (أي المسلمين) علامات، ونصب لهم المسجد الحرام، وأمرهم أن يتوجهوا إليه، إنما توجههم إليه بالعلامات التي خلق لهم، والعقول التي ركبها فيهم والتي استدلوا بها على معرفة العلامات"[14] كما أثار مسألة الترادف في اللغة، وقد أثبت في معرض بحثه عن دلالة لفظ (شطر) الوارد في قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[15] فأحصى بذلك ألفاظا تناظر هذه اللفظة في الدلالة منها: وجهة، قصد، تلقاء، ثم قال: "وكلها بمعنى واحد وإن كانت بألفاظ مختلفة"[16].

كما لا يفوتنا أيضا أن نسجل إثارته لمسألة المشترك اللفظي في لسان العرب، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[17] يقول: "مثل ما وصفت من اتساع لسان العرب، وأن الكلمة الواحدة تجمع معاني مختلفة"[18].

بهذا كله غدا الشافعي، بما خطه من القواعد ووضعه من السنن، مصدر إلهام لجميع علماء الأصول. بحيث اتخذت رسالته كأساس لأي استنباط دلالي من القرآن الكريم والحديث الشريف. وغدت أبوابها معروفة لدى علماء الدين.

فعكفوا عليها شرحا وتمحيصا، حيث استمر منهج الشافعي في رسالته يسيطر على المناهج الأصولية في العالم الإسلامي لسنوات طويلة[19]؛ كما تعد إفادته من تلك الحركة العلمية التي قام بها المتكلمون دفعا قويا لعلم الكلام، فأضحى الأصوليون يمزجون بين طريقة المتكلمين، وطريقة الفقهاء في الاستدلال، أخذين بالمنهج الذي أرسى أطره الإمام الشافعي، رحمه الله.

2- الجهود الدلالية عند عبد القاهر الجرجاني:

كانت آراء عبد القاهر الجرجاني (ت 471) النحوية، والبلاغية، والنقدية محل دراسة الكثير من العلماء الذين ما وسعهم إلا أن يقفوا وقفة إجلال وإكبار لهذا العالم الفذ، ذلك لأن إسهامه في خدمة التراث اللغوي العربي كبير، وهو الذي يستهدف التوفيق بين أهل الحديث، ومذهب العقل الظاهر، وأصبح من أكبر المتحدثين في الإعجاز، حيث جعل منطلقه من فكرة الإعجاز نفسها.

لقد تصدى عبد القاهر الجرجاني بنظرية النظم التي أبدع فيها، إلى الكلاميين من أهل الصرفة، وأثبت، بطريقة منقطعة النظير، وجود الإعجاز في القرآن الكريم من خلال نظمه وطريقة رصف ألفاظه، وما على الدارس والمتأمل في عبارات القرآن الكريم إلا أن يمعن النظر في الأسلوب القرآني، دون النظر في المفردات والألفاظ بمعزل عن السياق الذي وضعت فيه "إن الكلمة بمفردها عند عبد القاهر الجرجاني لا فائدة لها في تأدية المعنى إلا بضمها إلى أخواتها التي تكون مجموع الكلم أو البناء"[20].

ومن جهة أخرى ربط عبد القاهر النظم بعملية الإعراب، حيث يقول: "الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها"[21]، ولم يكن مقصودا في اتباع النحو وحده، إنما هناك فرق بين النحو الذي يتابع صحة الإعراب كالفاعلية والمفعولية والحالية والتمييز، وبين معاني النحو التي هي مهمة يشترك فيها مع البلاغة، كقضايا: التقديم والتأخير والحذف والإيجاز والتشبيه والمجاز وغيرها، حتى أن اللسانيات الحديثة غدت في مجملها تنظر إلى العناصر اللغوية " والتي تركّب في أي خطاب، على أنها لا تركّب بدون قصد، أو من قبيل الحرية "[22].

إضافة إلى هذا كله، نجد عبد القاهر الجرجاني يقف موقف المخالفة مع المفسرين الذين يرى أنهم عقدوا الأمور، وحمّلوا النصوص ما لم تحمله، ولم يعطوا اللغة اهتماما كافيا، فتوسعوا في التأويلات وجمع الوجوه، فيقول: "ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم أن توهموا أبدا في الألفاظ الموضوعة على المجاز والتمثيل أنها على ظاهرها، فيفسدوا المعنى بذلك ويبطلوا الغرض ويمنعوا أنفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة وبمكان الشرف، وناهيك بهم إذا هم أخذوا في ذكر الوجوه وجعلوا يكثرون في غير طائل"[23].

كما حمل عبد القاهر الجرجاني على النقاد الذين كانوا ينحازون إلى اللفظ ويقدمونه على المعنى، وكان يحس بوعي نقدي أن ثنائية اللفظ والمعنى هي خطر على النقد والبلاغة. فتقديم اللفظ. قتل الفكر، لأن الفصاحة ليست في اللفظة، وإنما هي في العملية الفكرية التي تصنع تركيباً فصيحاً من الألفاظ.

ولقد ترك الجرجاني آثاراً مهمة في الشعر والأدب والنحو وعلوم القرآن. من ذلك ديوان في الشعر، وكتب عدة في النحو والصرف أهمها: كتاب "الايضاح في النحو" وكتاب "الجمل"، أما في الأدب وعلوم القرآن فكان له "إعجاز القرآن" و" الرسالة الشافية في الاعجاز". هذا بالإضافة إلى "دلائل الإعجاز" و" أسرار البلاغة" الذي أورد فيهما معظم آرائه في علوم البلاغة العربية.

ولقد أحصى الإمام عبد القاهر دلالتين في الكلام عموما، هما:

2-1-الدلالة الأولى:

و هي دلالة اللفظ وحده التي توصل إلى الغرض، كقولك (خرج زيد) إذا أردت الإخبار عن زيد بالخروج على الحقيقة، وعلى هذه الدلالة يدور الغالب من الكلام، سواء في القرآن الكريم، أو في الشعر والنثر، وهذه الدلالة لا تتطلب سوى أخذ المعنى من منطوق الكلام، فقوله تعالى: ﴿**فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ**﴾[24]. لا يحتمل سوى المعنى الظاهر الذي يطفو فوق ألفاظ هذه الآية الكريمة، ولا يجوز لنا أن نغوص في التأويلات التي لا طائل منها سوى إضاعة المعنى والخروج بعملية التفسير من دائرته.

2-2-الدلالة الثانية:

وهي ضرب آخر من الكلام لا تصل منه إلى الغرض من خلال دلالة اللفظ وحده، بل تصل إلى المعنى الذي يقتضيه موضوع اللفظ في اللغة، لتصل بذلك إلى دلالة ثانية توصلك إلى الغرض، ومدار الأمر على المجاز والكناية والاستعارة والتمثيل[25]، ووضع الجرجاني كتابه "أسرار البلاغة" لدراسة معنى المعنى، حيث درس التشبيه والتمثيل والاستعارة، وألمح الى أن "معنى المعنى" يقوم على مستويات متفاوتة في الدلالة والتأثير معاً، وكانت له وقفته النقدية حين تحدّث عن التناوب بين المكنى والصريح وضرورة إعلاء شأن قوة التمثيل من الزاوية العقلية بغية الوصول إلى اللذة النفسية في تتبع صور الجمال. والقرآن الكريم لا يكاد يخلو من هذه الضروب من التعابير، ومثال ذلك قوله تعالى في التنزيل، حكاية عن الكفار نحو: "وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ"[26]، "... وذلك خارج عن موضعه من العقل، لأن إثبات الفعل لغير القادر لا يصح في قضايا العقل، إلا أن يكون ذلك على سبيل التأويل، وعلى العرف الجاري بين الناس أن يجعلوا الشيء إذا كان سببا أو كالسبب في وجود الفعل من فاعله كأنه فاعل"[27].

كما يبرز عبد القاهر الجرجاني دور وإفادة الكناية والاستعارة والتمثيل في التمكن من المعنى والوصول إلى الغرض من الخطاب، بحيث قسم الدلالة هنا إلى صنفين هما: المعنى ومعنى المعنى، بحيث " تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضى بك ذلك المعنى إلى معنى آخر"[28].

و ينص طرح عبد القاهر الجرجاني من خلال نظريته على أن الغاية من المجاز بمختلف ضروبه، إنما كانت توضيح الدلالة وتجليتها، وتقريب المعنى، ومن هذه الجهة فضل المجاز الحقيقة، كما أن الناس استحسنوه واعتبروه أبلغ من الحقيقة، لأنه يزيد في إثبات المعنى ويجعله أبلغ، وآكد وأشد[29]. ومما يبقي للمجاز قيمته عدم استهلاكه وابتذاله بكثرة دورانه، فحينئذ يصبح باهتا غير جذاب، والنادر منه محط تأثير وإعجاب، وما ذلك إلا لوظيفته في الوفاء بالدلالة، وبلوغ المراد من المعنى[30].

ومن خلال الوقوف على منهج عبد القاهر الجرجاني، نستنتج أن المعنى كان له النصيب الأوفى في فكره، لما أولاه له من الاهتمام والتحليل، من خلال ربط النحو بالدلالة، الأمر الذي رقى بالنحو لأن يكون مادة حية إذ لم يرتبط بالقواعد المنطقية الجامدة.

خاتمة

إن الحاجة إلى ضبط الدلالات ومراقبة مسارها في أي مجال كان، فقهيا أو نحويا أو بلاغيا، هو ما دفع بالعلماء إلى الاجتهاد والمثابرة في تحصيل الوعي الدلالي، ومن ثم تحصين الأفهام من الانحراف عن الفهم الجيد للغة العربية ومقاصد الخطاب عموما، والمقاصد الشرعية على وجه الخصوص.

ولعل أهم ما يمكن أن نستخلصه من هذه الإطلالة الخفيفة على موضوع الدرس الدلالي عند العرب هو ذلك الترابط الوثيق بين علوم العربية، فما من علمين إلا وتجد أحدهما يغرف من إناء الآخر ويصب فيه محتواه، فلا يكاد الدارس لمؤلفات هؤلاء العلماء أن يجزم إن كان الذي بين يديه كتاب فقه أم نحو أم دلالة أم بلاغة.

فإذا كان اللغويون قد وضعوا قواعد النطق السليم للغة صونا لها عن اللحن، فإن الأصوليين أضافوا لهذه القواعد رؤى معنوية ووظائف دلالية لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة آي القرآن الحكيم.

ومما يدل دلالة وافية على نضج البحث الدلالي عند العرب قديما، قدرة مثل هؤلاء العلماء، وغيرهم كثير، على استنباط هذه التقسيمات الدلالية، وملاحظتهم للفروق التي يخلفها تركيب الألفاظ واستعمال الأساليب البلاغية، مما يثري إنتاج المعاني واختلاف الدلالات.

هوامش الدراسة:

1 - ينظر: ريمون طحان، فنون التقعيد وعلوم الألسنية، دار الكتاب اللبناني، ط1، سنة 1981 ص 293.

2 - ينظر: عادل فاخوري، علم الدلالة عند العرب، دار الفلسفة، بيروت، ط1 سنة 1985، ص 5.

3 - الشافعي، محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار النشر أنجاد بدون تاريخ، ص 213.

4 - ابن رشد، أبو الوليد أحمد بن محمد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، دار الآفاق الجديدة بيروت ط2 سنة 1979، ص 15

5 - ابن خلدون، المقدمة، الدار التونسية للنشر، سنة 1984، ج2، ص 503.

6 - ينظر: علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت سنة 1984، ص 81.

7 - ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص 82.

8 - ينظر: ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار المجد للنشر والتوزيع الرياض، ط1982، ص 232..

9 - الشافعي، الرسالة، ص 52.

10 - المصدر نفسه، ص 62.

11 - المصدر نفسه ص 53- 58.

12 - المصدر نفسه، ص: 322.

13 - النحل 16.

14 - الشافعي، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1980، ص 70.

15 - البقرة: 150.

16 - الشافعي، أحكام القرآن، ص 68-69.

17 - الأحزاب 06.

18 - الشافعي، أحكام القرآن، ص 167.

19 - ينظر: علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ص82

20 - محمد عباس، الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان ط1، سنة 1999.

21 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة بيروت لبنان الطبعة الأولى سنة 1994، ص 38.

22 - د. عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الأسلوبية، دار هومة، الجزائر، ط سنة 2013م، ص 7

23 - المصدر السابق، ص 203.

24 - البقرة: 196.

25 - نفسه، ص 177.

26 - الجاثية 24.

27 - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 311، 312، 313.

28 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 177.

29 - المصدر نفسه، ص55-56.

30 - المصدر نفسه، ص 58-59.

Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique
République algérienne démocratique et populaire
Université Abou Bekr Belkaid - Tlemcen -
Laboratoire Etude statistique dans les sciences humaines
et réalisation d'un lexique unifié

Numéro: 13
2ème semestre: 2017

EL MUSTALAH

ISSN:1112-3923
DEPOT LEGALE: 1206-2006